

DS
38
.6
K
19
v.
c.

BOBST LIBRARY



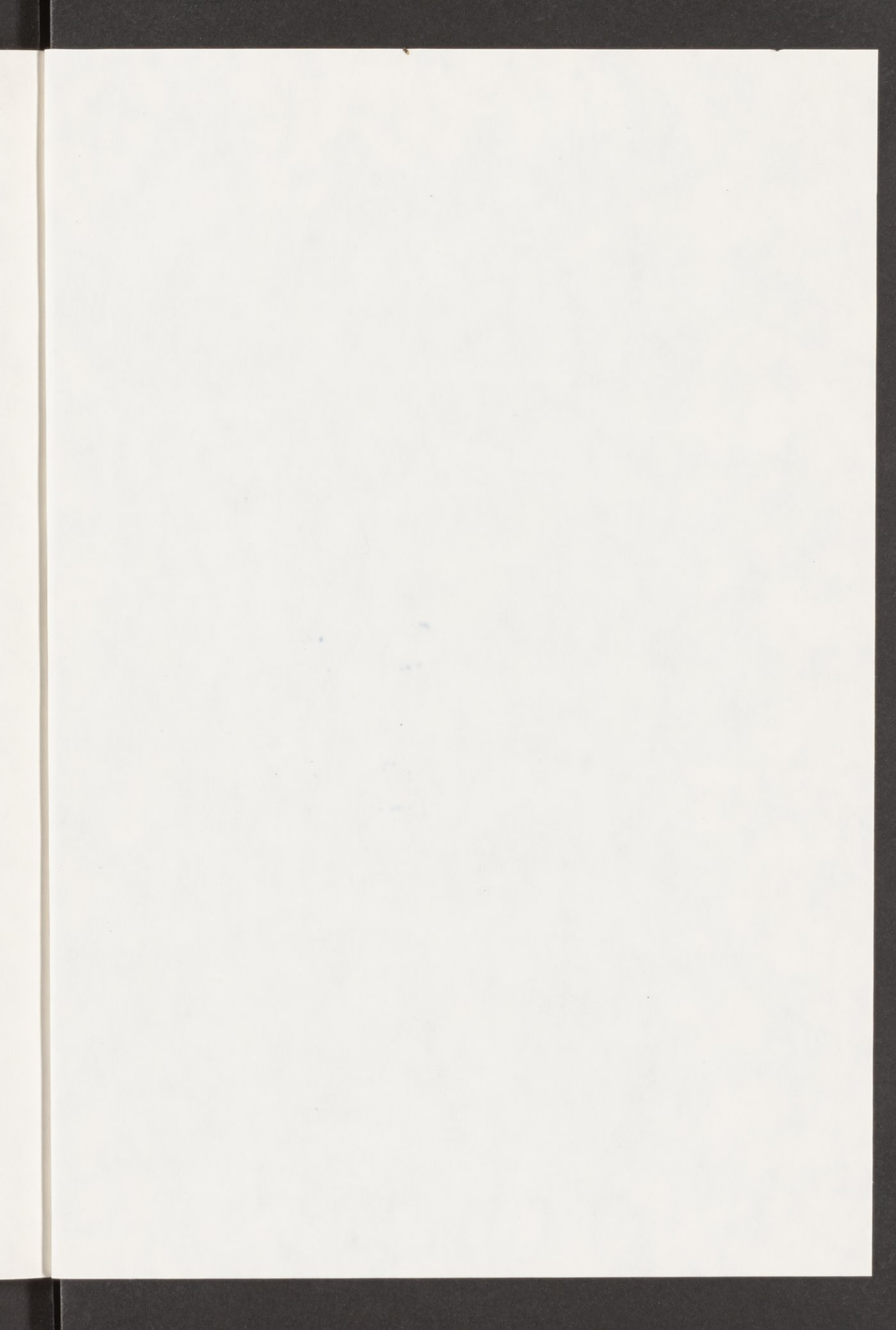
3 1142 01565 1899

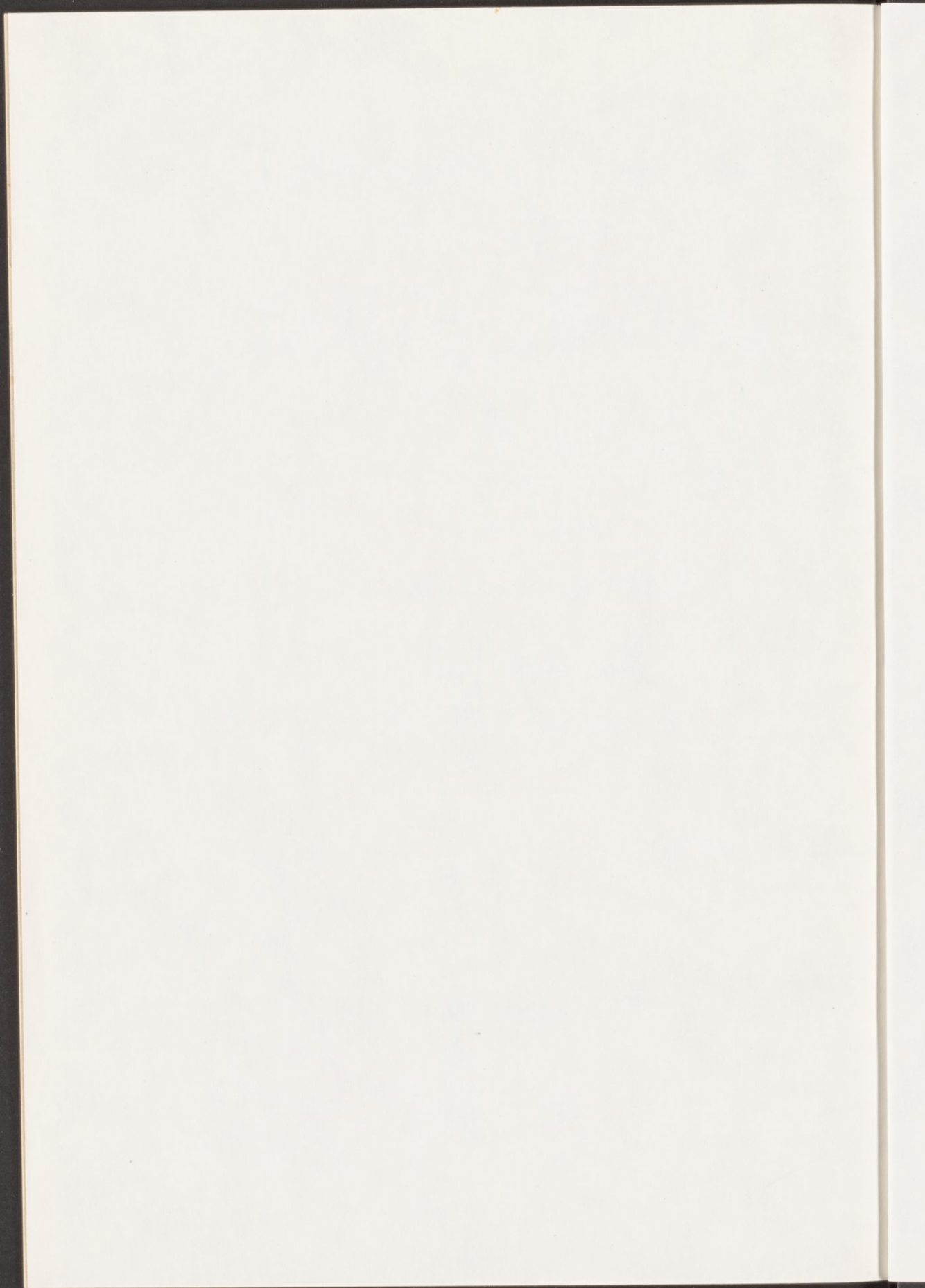


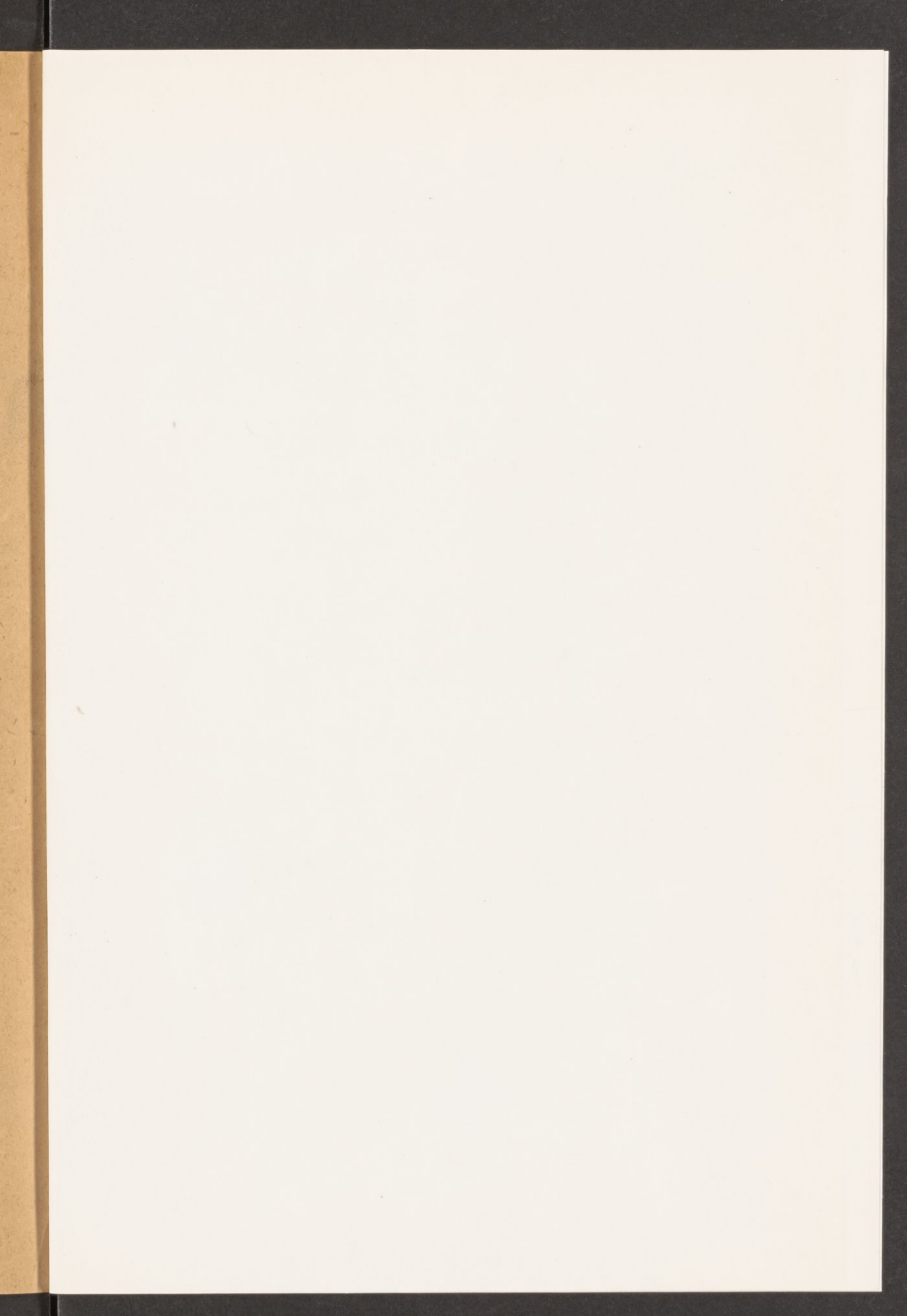
**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

1877
1878
1879
1880
1881
1882
1883
1884
1885
1886
1887
1888
1889
1890
1891
1892
1893
1894
1895
1896
1897
1898
1899
1900







2+2

dy

تحذير العبقري من محاضرات الحضري

أو

إفادة الأختيار ببراءة الأبرار

تأليف

العلامة المؤرخ الثقة الثبت الشيخ

محمد العربي التبانى

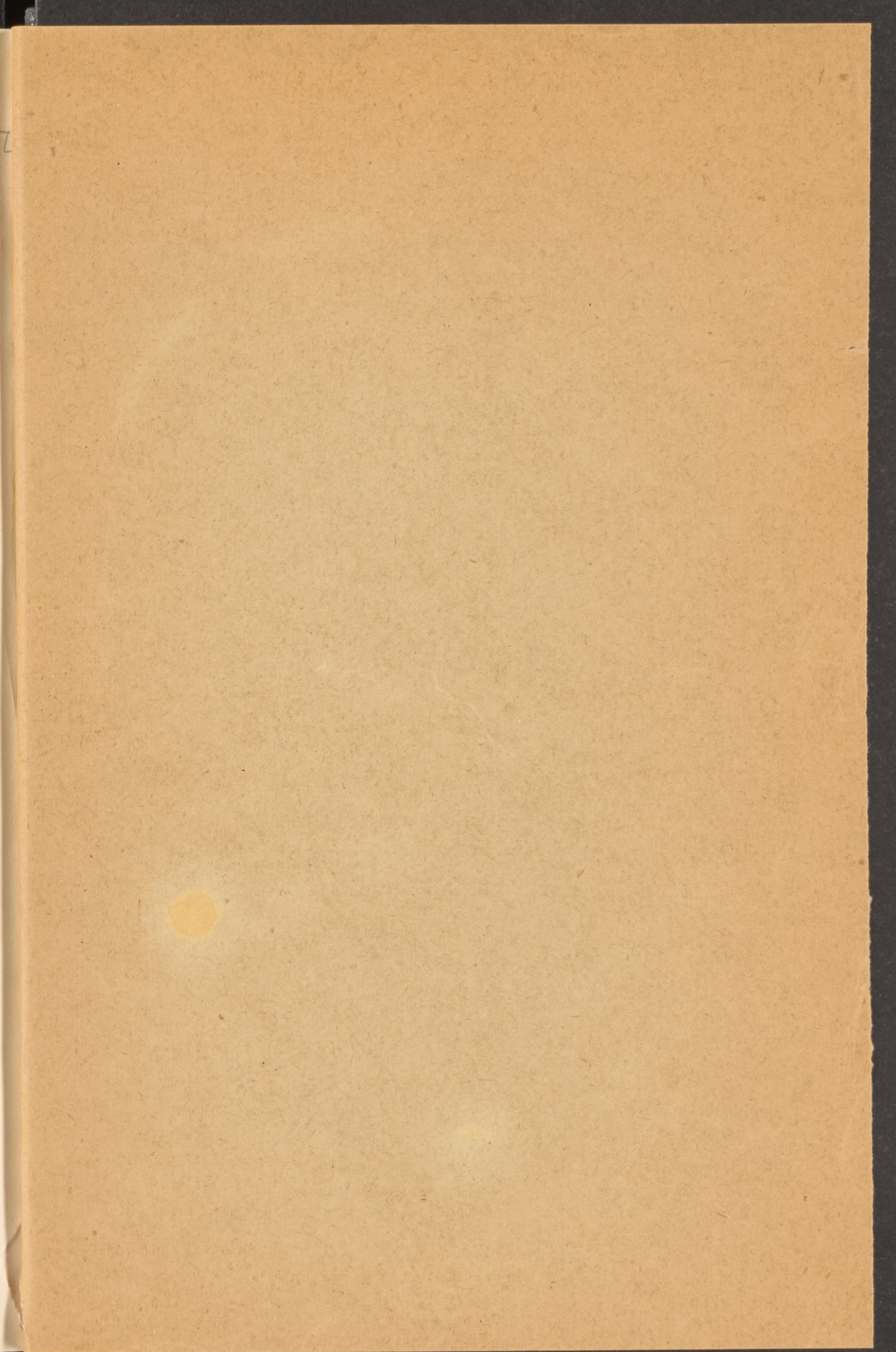
المدرس بمدرسة الفلاح والحرم المكي

الجزء الأول

سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع في دار الأوقاف للطباعة والنشر
١٩٥٥ تاريخ النشر
بمصر



Ibn al-Tabbānī, Muḥammad
al-ʿArabī

1 Tahdhīr al-ʿabqārī min Muḥādārāt

تحذير العبقري من محاضرات الحضري

أو
al-Khudarī

إفادّة الأختيار ببراءة الأبرار

تأليف

العلامة المؤرخ الثقة الثبت الشيخ

محمد العربي التباني

المدرس بمدرسه الفلاح والحرم المكي

الجزء الأول

سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ هـ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع في
دار الأوقاف للطباعة والنشر
١٩ شارع بورس بالمراد سنة ١٩٥٥

DS

38

16

1K453

1955

v. 1

c. 1

DEC 19 1951

01565 1899

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد تفضل علينا حضرات أصحاب الفضيلة أعلام العلماء ببیت الله الحرام بتقریظ کتاب تحذیر العبقری فنثبت كلماتهم شاكرين لهم حسن ظنهم والله الموفق .

تقاریر العلماء

تقریر فی فضیلة الشیخ محمد مجیب اراده الملکی الھنوی بالمسجد الشریعی بمکة
المکرمة والمدرس بالمسجد الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقة للبتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ،
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، المرسل بالآيات البينات ،
والمعجزات الباهرات ، وعلى آله وأصحابه ، المشهود لهم بالخيرية والعدالة ،
في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، الباذلين نفوسهم ونفيسهم في سبيل
إعزاز الدين ، ومنتهمي سوء لهم إعلاء كلمة الله .

أما بعد فاني قد اطلعت على بعض مواضع من الكتاب المسمى بتحذير
العبقرى من محاضرات الخضرى فوجدت مؤلف المحاضرات قد حاد عن
الصواب وتكلم في بعض أجلاء الصحابة تصريحاً وإشارة وتلويحاً وسطر
ذلك في محاضراته بقلم ضاع صوابه وتشنجت أعصابه ، فاني بما لا يصح
لمسلم أن يفوه به ، فضلاً عن أن يسطره على مدى السنين ولا يصح لمسلم
أن يفكر فيما جرى بين الصحابة من الحروب ويستنبط بفكره القاصر
أموراً ويصفهم بها توجب جرهم وعدم نزاهتهم وبراءتهم ، وسقوطهم
مما لا يليق فقد جاء في الحديث : الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً فلو

أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، والآيات والأحاديث الواردة في فضلهم وعدالتهم وخيرتهم ونزاهتهم وبراهنهم كثيرة وكان الواجب على علماء الأمة الإسلامية أن يقوموا بهذا الواجب الديني وهو الرد عليه المشتمل على عدة واجبات واجب العلم نفسه وهو أن يبينوا الحق والصواب ويظهروا الخطأ وما يوجب الشك والارتباب ويقروا الأمور في نصابها ويضعوا الأشياء مواضعها وواجب المعلمين وهو أن يعرفوهم الحق من الضلال والصحيح من البهتان والهديان والدين والنصيحة وواجب انساني وهو نصره المظلوم والأخذ بيد العاجز ودفع الظلم عنه والاعتداء عليه وقد قام بهذا الواجب الخطير العالم الجليل والعلامة الدراكة الشهير المؤرخ المحدث المفسر النحوي اللغوي الكبير من شهرته تغنى عن ذكره ألا وهو فضيلة الشيخ محمد العربي المدرس بالمسجد الحرام ومدرسة الفلاح المكية فقد رد عليه رداً بليغاً شافياً كافياً واستخرج بثاقب فكره ووقادة ذهنه مغامز الخضرى ومراميه من خبايا كلامه ومطاوى مقصده ومراميه ومع هذا قد جمع كتابه هذا جانباً من التاريخ والسيرة النبوية والأخلاق المصطفوية والرد على من فسر بعض آى القرآن برأيه الفاسد الذى لا يستند إلى كتاب أو سنة أو اجماع وإنما مستنده اتباع الهوى والسير وراء العقل واتباع سنن الكون فما خالف شيئاً منها ولو كان ثابتاً بالأدلة القاطعة رده وانكروه ولقد سمعت بعض الشباب المثقف يقول يقال إن الحجر الذى كان سيدنا ابراهيم عليه السلام يقف عليه حين بنائه لبيت الله الحرام تارة يصعد ويرتفع وتارة يتسفل وينخفض لأخذ سيدنا ابراهيم الحجر والطين من الأرض هذا شيء مما لا يدخل فى العقل ولا يعقل ولم تأتى بالكلام الذى لا يقبله العقل؟ وهو أشبه شيء بالخرافة ونصير ضحكة للناس ولماذا لا نقول إن ابراهيم عليه السلام كان حين يبنى البيت يربط سقالة كما هو عمل البنائين فى هذا الزمان والسلام ، فهذا الشخص وأمثاله من ينكرون المعجزات والأمور الخوارق للعادات مما يظهر على يد الأنبياء عليهم الصلاة

والسلام والأولياء الكرام سيرا منهم وراء عقولهم واتباعا للهوى وسين الكون اما أن يعترفوا بوجود الاله العالم القادر المريد المخالف للخلوقات في ذاته وصفاته وأفعاله المتصرف بجميع صفات الكمال المنزه عن كل نقص المتصرف في الكون بقدرته وعلوه وارادته ومشيتته وموجوده على أبداع نظام وأحس إتقان فان كانوا يعترفون بذلك ويكونون من أغبياء الملة يقال لهم ما المانع من إحداث وإظهار الله سبحانه وتعالى المعجزات والأمور الخارقة للعادات على يد النبي أو الولي وهو الفعال لما يريد وقد أوجد هذه الكائنات وقلب العصا حية عظيمة فتلقفت جميع ما يأفكون ثم عادت لأصلها وهذه الكائنات من المعجزات الباهرات الخارقة للعقول وان كانوا لا يعترفون بذلك ويكونون دهرين فما بالهم يتكلمون في الفرع مع عدم اعترافهم بالأصل . والحاصل أني أقول :-

جزى الله مؤلف هذا الكتاب خيرا وأكثر من أمثاله وأطال في حياته واني كتبت هذا مقتصرا لسبب عدم اطلاعي على جميع ما حواه هذا الكتاب لضيق الوقت والعجلة نفع الله به الطلاب آمين .

محمد يحيى أمان المكي
العضو بالمحكمة الشرعية
بمكة المكرمة

تفريظ قضبانة الشبيخ حسن مشاط العوضو بالمحكمة الشرعية والمرس

بالمسجون الحرام بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا يوجب رضاه ويقتضى المزيد من فضله ونعمائه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المتقين وإمام المرسلين ، وآله وصحبه الغر الميامين ، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد أصبحنا في عصر راج فيه سوق الجهل وانتشر فيه الإلحاد والبدع والمحدثات ، وهان فيه على كثير من الناس أمر دينهم وانقلبت الأوضاع فصار التمسك بالدين جمودا والمروق والخروج على آدابه وتعاليمه تمدينا وحصارة وتثقيفا وتجديدا وأصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا وتنكست فيه أعلام الخير وإلى الله المشتكى . حتى نجم من بعض من ينسب نفسه إلى العلم وأهله أن شاء أن يتحدث فيما يكتب عن تاريخ الامة المحمدية وسيرة نبيها وسلفها بما لا يتفق وصحيح الاخبار مما يحط من الكرامة ويلصق بالساحة الكريمة ماهى منه براء في عبارات منمقة وتحرير مسبوكة بروح العصر ودسائس غطت على الحقيقة ولبست الحق بالباطل في غير حياء ولا مراقبة للملك الديان ولا وازع في توخي الحق والرجوع إليه بعد ظهوره والوقوف عند ما يجب .

وكان من فضل الله تعالى في كل عصر أن قيض علماء أجلاء يحرسون دينه ويصدون عن بيبضته ويدافعون عن حومته وعن رجاله المخلصين وعن السلف الصالح الذين في مقدمتهم أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذين هم خير أمة أخرجت للناس لم ير الوجود مثلهم بله النبيين والمرسلين نقلوا لنا عن هذا النبي الكريم الدين والسنن وحفظوها عنه وبلغوها عنه وبلغوها لنا كما سمعوها ، فهم صحابته الأكرمون المعدلون حجة الله على المسلمين وهم خير القرون وأول من آمن به وآزره ونصره وقد أثنى الله عليهم في الأزل قبل ظهورهم الى هذا الوجود ولقد

كانت صحبتهم لهذا الرسول الكريم وتشرفهم باكسـير نظره الميمون ومشاهدتهم لأحواله الشريفة وملازمتهم له في السلم والحرب مع مامنحه الله من المعارف السامية والأخلاق الكريمة والأسرار الكبيرة الجذابة ، كل ذلك كان كافيا في نقل النفوس البشرية من دركات جهلها وطغيانها الى السمو إلى الدرجات العلى للتحقق بحقائق الايمان والعرفان فلذلك تحققوا بكل فضيلة وخير فمن أحبهم فحببه صلى الله عليه وسلم أحبهم ومن أبغضهم فببغضه أبغضهم ، والله در إمام الأئمة ونجم الأمة سيدنا مالك بن أنس رضى الله عنه إذ فهم - بشاقب فكره الصائب من الآية الكريمة التي ضربت مثل الأصحاب الكرام في التوراة والإنجيل « كزرع أخرج شطأه فأزره » إلى قوله: « ليغيظ بهم الكفار » ان من أصبح من الناس في قلبه غيظ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية .

ولا أظن أحداً يخالف هذا الامام الجليل في هذا الفهم الصائب فرضى الله عنه وأرضاه ما أبعد نظره وأسماءه ! .

وان من هذا الطراز في العلماء العاملين الذين وفقهم المولى وأقامهم في هذا العصر الحاضر الممتلىء بالفتن المدلومة ينشرون دينه ويشيدون برجاله المخلصين وسلفه الماضين ويدافعون عن حمى أعراضهم الشريفة بالكتابة والنقد الصحيح تارة والدرس والاقراء النافع تارة أخرى العلامة الشهم المحدث المؤرخ الألعى سيدي الاستاذ أبي عبد الله السيد محمد العربي بن السيد التبانى بلغه المولى غاية الامانى .

فلقد اطلعت له على مؤلف أسماه بـ (تحذير العبقري من محاضرات الخضرى) وقرأت مواضع من هذا المؤلف الجليل ورأيت مؤلفه يقصد فيه الدفاع عن الاخبار الصحيحة ويرد إليها الاخبار الواهية الجريحتوما كان فيها من فساد بين وجهة فساد ورده الى الجادة القوية وجلب له من الاخبار الصحيحة ما يدعمه ، وما كان من مقالات باطلة دحضها أو آراء فاسدة كشفت الحجاب عنها وزينها وأوضح أن العلم أمانة تجب مراعاتها وحفظها وربما

استطرد الموضوع فكمّل ما يحتاج الى زيادة وتكميل الى غير ذلك مما سبق
عليه المطالع في هذا المؤلف الجليل كما أن فضيلة الناقد حفظه الله تراه عند
ما يسوق كلام الاصل بتمامه وفيه ما يشعر بلهز في حضرة أحد من الاصحاب
الكرام تراه يدافع بقوة وحماسة عن ساحة الاصحاب ويشيد بسمو
مكانتهم وما لهم من فضل وتقدير واحترام .

وان ذلك لعمر الحق حق واجب على كل مسلم عالم غيور يقصد الخيطة
لدينه والنصيحة لإخوانه المسلمين وبذلك يجدر به أن يكون من السالكين
في أهل العلم والتقوى حقا .

وإني إذ عرفت نوايا هذا الاستاذ الكبير الصادق واخلاصه الجم فيما
جمعه هنا من نقد وما أظهره من اناقة وسمو مكانة لسلفنا الصالح رضوان
الله عليهم أجمعين فاني أتشرف بأن أضم صوتي لصوته طالبا من اخواني
المسلمين أن يراقبوا الله تعالى في دينه وأمانته التي ائتمنهم عليها وصحابة
نبيه الابطال الامجاد وأن يجلوهم أينما ذكروا وان يعرفوا لهم من الحرمة
والتبجيل والتعظيم ما تفضل الله به عليهم وان يفاروا على حرمتهم بالدفاع
عن ساحتهم الشريفة ما استطاعوا الى ذلك سبيلا فان الدفاع عنهم دفاع عن
دين الله ورسوله وأخص بالنصح بذلك ناشئنا المتعلمين فان عليهم أن
يأخذوا تاريخهم المجيد وتاريخ الاسلاف الامجاد من منابعه الصافية
ومصادره الصحيحة الصائبة وان يعرضوا عن الاخذ مما كتبه أو يكتبه
الغريبيون أو الملاحدون في ذلك فان فيما أبقاه وورثه لنا سلفنا الصالح من
الثروة العلمية الصحيحة والتاريخ المجيد الخالد الخير الكثير الكافي .

هذا واني أسأل الله الكريم أن يبق لنا فضيلة هذا الاستاذ المؤلف
وأن يديم به نفع المسلمين عامة وأهل العلم خاصة وأن يكثر المولى من أمثاله
وأن يجزيه على جليل أعماله وأن يطيل عمره في صحة وعافية بمنه وكرمه آمين
وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه .

حسن مشاط المكي

تقرير فضيلة السيد سماح عزوز عضو مجلس الشورى

ومدير مدرسة الفلاح بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

شيخنا العلامة الشيخ محمد العربي التبانى الجزائرى ثم المكي جمع الله له طرافة الحديث وغزارة العلم وسعة المعارف والجمع بين الرواية والفهم . أصولي ، مفسر ، محدث له قدم أعلى في التاريخ العربى والاسلامى قد شغل أوقاته منذ نشأته بمذاكرة العلم وتدريسه والتأليف فيه . وتصانيفه متمعة ، وقد جرد نفسه في تأليفه للدفاع عن الدين ورجاله .

مصنفاته

- ١ - تنبيه الباحث السرى إلى مافى رسائل وتعليق الكوثرى وقد تعقب في هذا الكتاب الشيخ زاهد الكوثرى رحمه الله تعالى حيث تحامل على الأئمة وأتباعهم من غير الحنفية فرد الشيخ الأمر إلى نصابه .
- ٢ - محادثة أهل الأدب بأخبار وأنساب جاهلية العرب : وهو كتاب مدرسى تعرض فيه لتاريخ العرب قبل الاسلام .
- ٣ - إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات .
- ٤ - اعتقاد أهل الإيمان بالقرآن بنزول المسيح بن مريم عليه السلام آخر الزمان : تعرض فيه للرد على من أنكروا نزول المسيح بأحسن رد .
- ٥ - خلاصة الكلام فيما هو المراد بالمسجد الحرام : حقق فيه الغرض من المسجد الحرام هل هو المسجد ؟ أم الحرم كله .
- ٦ - نزهة الفتيان فى تراجم بعض الفتاك والشجعان : ذكر فيه بعض شجعان العرب والصحابة .
- ٧ - اتحاف ذوى النجابة بما فى القرآن والسنة من فضائل الصحابة : وهو رد على الطاعنين فى الصحابة وخاصة الرافضة الذين ينتقصون الصحابة

الكرام وقد مهد في هذا الكتاب القواعد العامة في فضلهم كما أردف ذلك بخاتمة في فضائلهم عموماً وخصوصاً الخلفاء الأربعة .

٨ - تحذير العبقري من محاضرات الخضرى : وقد مهد المصنف لكتابه هذا بمقدمة ذكر فيها القواعد الصحيحة التي بمقتضاها توثق الاخبار أو تجرح وقد اقتصر في نقده للمحاضرات على الجزء الخاص بالصحابة كما تعرض لبعض الموضوعات الأخرى الدينية كقصة الفيل ، وبناء البيت ، وحججه ، والخلافة الإسلامية وقصة الأسراء والمعراج . ويعتبر هذا الكتاب صنواً لكتاب إتحاف ذوى النجابة إذ كلاهما يتمم الآخر ففي الإتحاف تعرض للقواعد العامة وفي هذا الكتاب تتمم الاخبار على ضوء قواعد المحدثين .

ولعمر الحق لقد كان المحدثون ملهمين حين استنبطوا تلك القواعد لنقد الرواية فكانت أحكم القواعد وأدقها ولو حكمها الباحث المثبت لتيقن أنه لا يمكن الحكم الصحيح بصحة الاخبار أو فسادها إلا بصحة النقل أو أو فسادها فقط ومع أن فضيلة الشيخ قد أحكم هذه القواعد فإنه لم يهمل المعقول فقرن الرواية بالدراية ، وهذا أعلى درجات التحقيق .

وحبذا لو أقبل الشباب على دراسة هذا الكتاب فإنه سيكون معيناً لهم على عدم التورط في القدح في الصحابة بمجرد أخبار واهية ذكرت في بعض كتب التاريخ دون نقد أو تمحيص . وأرجو أن يحفظ الله تعالى المؤلف ويمتدنا بأبحاثه الشيقة وتحقيقاته النافعة المفيدة .

السيد اسحاق عزوز

نقريظ فضيلة السيد محمد أمين كتي

المدرس بالمسجد الحرام وكلية المعلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فهذه دائرة معارف محكمة البنیان ، قوية

الأركان ، واضحه البرهان ، بين بها فضيلة شيخنا العلامة الشيخ محمد العربي حفظه الله تعالى أباطيل المشوهين حقائق تاريخ الإسلام وخصوصا مازل به قلم الشيخ الخضرى فى محاضراته فى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وفى سيرة خلفائه الراشدين وأصحابه الكرام ، سماها (تحذير العبقري من من محاضرات الخضرى ، أو إفادة الأخيار ببراءة الأبرار) والناسظر فيها يعلم أنه ما كان ليضطلع بها غير مؤلفها لأنه إمام العصر فى فن التاريخ وقد عرف كيف يرد على المؤرخين الذين نصبوا فى أيديهم موازين يزنون بها الصحابة ويوازنون بها بينهم وقد غاب عنهم أن الشارع لم يأذن لهم فى ذلك وفتحوا لأنفسهم بابا أغلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وماذا عسى أن يقول هؤلاء المؤرخون فى الصحابة رضى الله عنهم بعد قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه إذا ذكر أصحابى فأمسكوا ، وبعد قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث مسلم : لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه . وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث الترمذى : الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً بعدى فمن أحبهم فبجى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله تعالى يوشك أن يأخذه ، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث الديلمى وأبى نعيم : من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً .

ولا شك أن اتهام فضلاء الصحابة فى الرأى وتجريدهم من الحزم والمعرفة ونسبتهم الى الخرق والغفلة وأمثال ذلك نوع من السب بل هو أعظم السب فى حق مثلهم وكيف نتهم قوما اختارهم الله تعالى ، وفى حديث البزار والديلمى عن جابر رضى الله تعالى عنه : ان الله تعالى اختار أصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم أربعة أبابكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خير أصحابى وفى أصحابى كلهم خير ، قال

الشهاب الخفاجي في شرح هذا الحديث فكلمهم علماء عدول كما في حديث خير القرون قرني ثم وثم . وهذا سبب ما حكاه إمام الحرمين رحمه الله تعالى في الاجماع على عدالتهم كلهم صغيرهم وكبيرهم فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم مما أدى إليه اجتهاده لما أوجب القطع بأنهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين ، ولما اتصفوا به من الهجرة وترك الأهل والأوطان وبذل النفوس والأموال في نصرة الدين وقتل الآباء والأبناء والمناصحة في الدين وقوة الايمان واليقين وغير ذلك من المنح الالهية اه . قال القرافي رحمه الله تعالى : أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا بحارا في العلوم على اختلاف أنواعها من الشرعيات والعقليات والحسابيات والسياسيات والعلوم الباطنة والظاهرة حتى يروى أن علياً جلس عند ابن عباس في الباء من بسم الله من العشاء إلى أن طلع الفجر مع أنهم لم يدرسوا ورقة ولا قرأوا كتاباً ، ولا تفرغوا من الجهاد وقتل الأعداء ومع ذلك كانوا على هذه الحالة حتى قال بعض الأصوليين لو لم يكن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة إلا أصحابه لكفوه في إثبات نبوته اه . وفي كلام علماء المذاهب الأربعة كالطحاوي والغزالي والقاضي عياض

والنووي وابن تيمية والكمال بن الهمام والهيتمي ما يؤيد هذا :

وما أخبرنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بأن الله تبارك وتعالى قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر : (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) إلا ليعرفنا قدرهم وينبئنا على فضلهم ويمنعنا من انتقادهم . ولما قدم صلى الله تعالى عليه وسلم من حجة الوداع إلى المدينة صعد المنبر وخطب خطبة في فضلهم قال في آخرها : أيها الناس ، احفظوني في أصحابي وأصهارى وأختانى لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فإنها مظلمة لا توهب في القيامة غدا . رواه الطبراني عن خالد بن سعيد . وفي حديث أبي نعيم والديلمي عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : احفظوني في أصحابي وأصهارى فإنه من حفظنى فيهم حفظه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه .

وحسبك ان الله تعالى قد نص في آيات كثيرة على أنه رضى عن الصحابة قال تعالى : والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه . ولهذا قال العلماء : إذا ذكر الصحابة بسوء كإضافة عيب إليهم وجب الإمساك ، وقد افرد فضائلهم - بالتأليف جماعة من أئمة السلف كأبى محمد خيشمة بن سليمان الطرابلسى وأبى محمد . طراد بن محمد الزينى وأبى القاسم حمزة بن يوسف الجرجانى وأحمد ابن محمد بن المهندس وأبى الحسن أحمد بن حمزة الموازنى - وجماعة كثيرة ممن بعدهم منهم مؤلف هذا الكتاب فإنه قد ألف - تحاف ذوى النجابة فى فضائل الصحابة - فمن اللازم على كل مسلم اقتناء هذه الموسوعة الجليلة ليطالع على تاريخ سلفه الصحيح ويبقى عقيدته مياخالف ذلك ، وختاماً أسأل الله تعالى أن يطيل عمر مؤلفها ويديم نفعه وبركته آمين .

وهذه تحية أسجلها هنا لفضيلته مع التقدير والاحترام

تكللت روضة التاريخ بالزهر
وأشرقت شمسها ببيضاء صافية
والريح تكتب إملاء الطيور على
وكل قلب له شغل بناحية
قلب بمختلف الأهواء مشتغل
بحول فى روضة يجنى فواكه
خميصة تسكر الدنيا بكرمتها
مأحسن العلم فى أهل الكمال فكم
وإنى اليوم مسرور الفؤاد بما
وسوف ينمو سرورى كلما ظهرت
بمثلها يعنى الانسان مقتنعا
ان كان لا بد من تقديم تهنتى
فان تصورت (كالزهري) حافظة

غضاً وطرزها الوسمى بالدرر
لاحر فيها فلاحت فى سنا القمر
صحيفة النهر بالأصال والبكر
وكل قسم له حظ من النظر
وأخر بفصول العلم والأثر
حتى يمر على التعقيب (بالخضر) ي
من قبل ان تجتنى من يانع الثمر
يزيدهم رفعة فى أعين البشر
أبداه أستاذنا من أصدق الخبر
له المآثر فى التاريخ والسير
بما احتوته من الآراء والفكر
للشعب فهى بهذا العالم الأثرى
فانه صورة من أصدق الصور

وان تخيلت (كالشعبي) عارضة
ومن يكن يستمد الفضل مقتبساً
لا تعد عينك عن تأليفه أبدا
أوصافه كزهور الروض باسمه
عادت يدها على الدنيا بنافعة
وعم نفعاً فكم شاهدت معترفا
لا تسكرن هبات الله فهو كما
تبارك الله سبحانه القدير على
بشرى لنفس طموح لا ينهها
وهل سمعت بشخص نال مطلبه
ورب منتصب للحق أعجبه
ورب آخر لا يسمو لسابقه
لا تنكروا لهجة الحق الصريح فما
من خاض لجة بحر النقد خاض على
مساحا بصحيح النقل ليس له
يزل عن فاسد الآراء منعرجا
يمر في معرض التحقيق منبسطة
إذا تدفق خلت الغيث مندقة
له على شارد الأقوال هيمنة
ثم الصلاة على أعلى الورى شرفا
والآل والصحب والأتباع قاطبة

فانه المثل المرضى في النظر
من عنصر طيب كالتبر فهو حرى
أو درسه فهو ملء السمع والبصر
وخلقه كنسيم الصبح والسحر
وفكره جاد بالآيات والغرر
بفضله ليس ينسى أطيب الذكر
أملت فيه بلا من ولا كدر
تخصيص من شاء بالتوفيق والظفر
وعر المسالك عن إدراك منتظر
عفوا ولم يدرع بالحزم والسهر
من لهجة الحق وقع الصارم الذكر
تقبل الحق في شيء من الضجر
على حياه من ذل ولا قتر
سفينة ضخمة الالواح والدر
في منكر القول والابحاث من وطر
عنها كما زلت الصفواء بالمطر
كالماء منحدر في كل منحدر
ينهل بالصفو لا باللغو والعكر
تدنى أو ابدها في الورد والصدر
محمد المصطفى المختار من مضر
والأولياء وأهل العلم والنظر

محمد أمين كتي

٢٧ رجب سنة ١٣٧٤ هـ .

المدرس بالمسجد الحرام وكلية المعلمين

عفا الله عنه

تقرير فضيلة الشيخ محمد نور سيف المدرس بالمسجد الحرام

ومدرسة الفلاح بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا من أمة خاتم النبيين ، وشرفنا بالانتساب إليه من فضله المبين، ورفع مقام أصحابه الكرام على هام الثريا ، وحباهم بصحبته شرفا جليا ، فقالوا عزا أبديا، وفوزا سرمديا، بحيث لا تلحق لفضلهم غاية ، ولا تدرك لكمالهم نهاية ، صلى الله وسلم عليه صلاة وسلاما ، نال بهما التوفيق لسلوك مناهج الأدب ، ونبوغ بهما في احترام أحبابه أسمي الرتب، وعلى آله وأصحابه ذوى النفوس الزكية، والأخلاق المرضية، وعلى التابعين لهم على المحجة السنية، والعقيدة السنية. (أما بعد) فإن الله تعالى جعل الخير في هذه الأمة متواصلا ، والذب عن حرمت دينه فيها بكل عصر ماثلا ، فلا يعدم البر فاعلا ، ولا الحق قائلا، وان مما من الله به سبحانه (وله الفضل والمنة) على شيخنا وقودتنا ومربيننا الجهد الكبير، والعلامة الخطير، والخبر الشهير، والفهامة النحرير، الجامع لأشتات العلوم فروعا وأصولا ، منقولا ومعقولا، صاحب الفضيلة، والأيدى الجليلة، والمناقب الجميلة، مولانا الحسين النسيب الشيخ محمد العربي (حفظه الله تعالى) - أن جعله من أولئك الأفاض الذين يحفظ بهم كيان دينه المبين، وكرامة حملته المتلقين له عن سيد الأنام الصادق الأمين، الذين عز شبيهم فيمن تقدم من أصحاب المرسلين ، ولا نظير لهم فيمن سلف من النقباء والحواريين

رضى الله عنهمو ورضوا عنه وتلك السيادة القعساء

كلهم في أحكامه ذو اجتهاد وصواب وكلهم اكفاء

ما لموسى ولا لعيسى حواريون في عدهم ولا نقباء

هؤلاء الصحب السادة الفخام ، والقادة الأجلاء العظام لم يكن يخطر

ببال أى مسلم (صان الله قلبه من شوائب البدع) أن يجسر على النيل منهم

والغض من كرامتهم نفر ينتسبون (ويالأسف) إلى أهل السنة من مؤرخي وأدباء هذا العصر قنعوا بالقشور عن اللباب، ولم يأتوا بيوت الحقائق من الابواب فخفيت عليهم معالم الصواب، وخطبوا خبط عشواء في ليلة ظلماء حالكة الجلباب، أفبعد ثناء الله تعالى عليهم في محكم الآيات، التنويه بعلو شأنهم وما أعد لهم من الكرامات وبعد مدح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم في الاحاديث المتواترة والصحاح المشتهرة، وتحذيره من تنقيصهم والتعرض لهم بالأذى واعلامه بأن ذلك يؤذيه وأن من آذاه فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه - أبعد كل هذا يسوغ مسلم لنفسه ذلهم تعريضا وتصريحا وإيهاما وتلويا، أما طارق سمعه قول الحق سبحانه في آي كتابه (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود) وقوله جل ذكره (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) لم يسع قدوتنا العلامة (متع الله المسلمين بحياته) بعد أن رأى تلك الهفوات فيما كتبه الخضرى من محاضرات التاريخ الاسلامى إلا أن يتعقبها بتزييف باطلها ونسبها عاطلها حتى يتميز الصدق من المين فيقال (أسفر الصبح لذي عينين) وقد سبق له أن تعقبها في ستين بحثاً في مؤلف مختصر أسماه (النصيحة والاستدراكات على ما في كتاب المحاضرات) فانتشر ذلك المؤلف و نفذت نسخته فأراد (نفع الله المسلمين بعلمه) أن يحدد طبعها ولكن بعد أن زاد فيها زيادة واسعة وساق المباحث المنتقدة بنصها حرفياً ثم عقب عليها بما هو الحق ليجعل الناظر على بصيرة بموضع الداء ونوع الدواء وأداء لحق أمانة العلم على أكمل وجه وسيرها الناظرون، فتقرها (إن شاء الله) العميون ويرتضيها المنصفون (وما رآه كمن سمعا) ولقد سلك أيده الله في نقدها مسلك المحققين، من الباحثين الذين يعرفون الرجال بالحق لا الحق بالرجال كما هو ديدنه في

سائر ما قيده من آثاره النافعة ، وتأليفه الممتعة ، فبلغ ما تعقبه منها ستاً وعشرين محاضرة (ابتدأها من الثالثة إلى العاشرة تباعاً والثانية عشرة وتاليتها والسادسة عشرة والثامنة عشرة وتابعتها ، ومن الخامسة والعشرين إلى الخامسة والثلاثين ولاء) ، نقدها نقداً بريئاً ، ومحصها تمحيصاً نزيها فاستهل هذه التعقيبات (بعد التناء على الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه) بمقدمة ، أوضح فيها ما يجب على المسلم من عدم الوثوق بكل ما يقوله المؤرخون في رجال الإسلام عموماً وبالأحرى في الصحابة رضی الله عنهم محذراً من كتب أهل الأهواء كافة وبالأخص من كتب بعضنا لمناوين لدين الإسلام كتآليف دار الهلال مينا ان الضلال بها أشد من الضلال بالكاتب الخرافية الموضوعه كذات الهمة والعنترية وفتوح الشام المعزول لواقدي وبعضها لطائفة من أهل العصر انتقدوا الصحابة رضی الله عنهم انتقاداً خاطئاً نتيجة أهوائهم وإفلاسهم من الرواية وجهلهم بها وبرجالها وتقليدهم لذوى الأهواء والوضاعين زاعمين أن هذا هو التاريخ الحر وما هو في الحقيقة إلا الأباطيل وأهاب بشباب الإسلام خاصة والمسلمين عامة أن ينزهوا أسماءهم وأبصارهم وعقولهم عن هذه المفتريات التي يحاول بها أعداء الإسلام تشويه حقائق تاريخه الناصعة وأن يتمسكوا بما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من خطر الخوض فيما جرى بينهم رجوعاً بهم إلى عقيدة القرآن والعقيدة النبوية الثابتة فيهم (وأشار باجمال الى هفوات الحضري في انتقاده الخلافة في طرقها الثلاثة وطعنه بسببها في الصحابة خصوصاً وعموماً لا سيما حيدرة رضی الله عنه وعنهم أجمعين وحذفه لدلائل النبوة والمعجزات المروية في سيرته عليه الصلاة والسلام من كتابه ، وذكر أن الاشادة بفضائل الصحابة والذب عن حمى أعراضهم الشريفة تحتم على كل مسلم وأنهم رضی الله عنهم هم الذين سنوا لنا المدافعة عن أعراض المؤمنين كما هو مروى في الصحاح والسنن والمسائيد والمعاجم وتأسى بهم في تلك المدافعة التابعون وأئمة الاجتهاد والعلماء العاملون بعدهم وهلم جرا إلى زماننا آخذين ذلك من كتاب الله تعالى وسنة

(٢ - تحذير العبقري)

رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللذين وفيهم حق الشاء وذما من تنقصهم،
وختم هاته المقدمة بأن المثنى عليهم تابع للكتاب والسنة وإجماع الأمة
الاسلامية فهو على الحق يقينا والمنتقد لهم والطاعن فيهم هالكان .

وابتداً نقده (في المحاضرة الثالثة « وهي الأولى بالنسبة لما تعقبه »)
بحادثة الفيل وفند فيها مزاعم المحاضر الباطلة وتمحلاته الخاطئة وتحريفاته
الفاصلة وتأويلات شيخه ومقلده « محمد عبده » للطير الأبايل بما ياباه
صحيح المنقول وصريح المعقول تنفيذاً مبسطاً بالأدلة الساطعة أنى عليها
من القواعد واجتثها من الأصول .

(وفي المحاضرة الرابعة) كشف عن جهل المحاضر القناع في مخالفته
للقرآن والصحاح والتاريخ في سكنى اسماعيل عليه السلام « قبل جرهم »
في أشرف البقاع .

(وفي الخامسة والسادسة) تم الكشف عن جهل المحاضر في قصة
جرهم واسماعيل ودعواه أنه هو الذي بنى الكعبة وجعلها مطافاً يحجها
أولاده .

(وفي السابعة) خطأه في وثوقه بمؤرخى الأفرنج وعدم ثقته بمؤرخى
الاسلام في قصة بحيرا واستطرد فيها ببيان أن السبب في إنكار بعض أهل
العصر للأمور الغيبية هو مجارة الذين لا يؤمنون بالغيب، ورد على (صاحب
المنار) تأييده لأباطيل جملة المؤرخين في عثمان رضى الله عنه وتساهله
في المحافظة على شرف الأصحاب رضى الله عنهم بمنعه الحذف لكلام
شانهم من المؤلف الذى تضمنه بحجة أنه لا يسوغ حذف كلام العلماء من
التأليف فى حين أنه ناقض نفسه (عندما اطلع على الكلام الحق للمؤرخ
شسبلى النعمانى فى ذم جرجى زيدان بأنه خائن فى النقل محرف لكلام
العلماء الخ) فذكر أن هذا الكلام لولا أنه طبع فى غير مناره وشاع وذاع
لحذفه فسجل على نفسه أن منزلة ذى النورين وأكابر الأصحاب رضى الله
عنهم لا تليح حذف نباح الأشرار على سمو مقاماتهم ومنزلة صديقه النصرانى

تبيح حذف كلام المسلم المحق في رد باطل ذلك النصراني وكشف دخيلة أمره وغشه) .

(وفي الثامنة) استدرك عليه تقصيره في إيراد أقسام الوحي ثم ساقها أحسن سياق نقلا عن الامام المحقق السبيلي وأبطل سخافات الزاعمين أن الملائكة والجن والشياطين « قوى » ، لا أجسام بما نقله من النصوص القرآنية العديدة التي أعتقد انك لا تراها بمجموعة هذا الجمع البديع في غير هذا التعقيب فجزاه الله عن الاسلام وأهله خير الجزاء .

(وفي التاسعة) ألزمه إلزاما « لا يمكن التفصي عنه بحال ، بأن إنكار كون الملائكة والجن والشياطين أجساما تكذيب للقرآن الذي أثبت ذلك في آيات كثيرة يتعذر تأويلها وأن نتيجة هذا الانكار بطلان الوحي - ولامه على دمسه قصة عداس مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الطائف وإنذار الشيطان لقريش بصراخه عند بيعة العقبة الثانية وتمثل الشيطان لقريش في دار الندوة وما وقع من هتاف الجن عند هجرته عليه الصلاة والسلام ودره شاة أم معبد وقصة سراقه بن مالك المدلجي .

(وفي العاشرة) وضح معنى المعجزة بأتم بيان وبسط القول في وجوه إعجاز القرآن بسطا يأخذ بخناق المعارض ويغل يدي المناقض - وقد تعرض لذكر طائفة من العصرين أنكروا المعجزات واخترعوا للأنبياء بدل وصفهم بالنبوة العبقريات بغية التخلص من معجزاتهم الملازمة للنبوات ونقل عن العلامة الشيخ مصطفى صبري التوقادي تبسيتهم في تقليدهم ملاحدة الغربيين في انكارها ولخص المعجزات في ثلاثة أنواع أولها وأعظمها القرآن المعجزة الخالدة وثانيها إخبار القرآن بالمغيبات ماضيها ومستقبلها وثالثها أفعال ظهرت منه عليه الصلاة والسلام على خلاف العادة تجوز الالف عدا وساق أمثلة كثيرة للنوعين الثاني والثالث مما يزيد المؤمن إيمانا ويشرح صدره إيقانا واختتم الكلام على هذه المحاضرة بالاطناب في قصة الاسراء والمعراج اطنابا باهراً استغرق ما يزيد على عشرين صفحة يتيقن من اطلع عليه انه منحة

الهيبة حبا لله بها مولانا المؤلف من فيض جوده الغامر وفضله المتكاثرا فانك مهما قلبت من التأليف ونقبت في التصانيف لا تصادف كهذا التحقيق لحادثة الاسراء والمعراج في احاطته بجمع أشنتات المباحث النفيسة والتدقيقات الرائعة والتنقيح للأدلة والتنبيه على غلط المتساهل في هذا الشأن بالاعتناء بما تيسر له من أثر ضعيف أو موضوع وارشاده إلى مواضع هفواته في ديباجة مشرفة وبيان سحرى وأسلوب جذاب إلى أنقال تشد إليها الرحال وتناط بها الآمال .

(وفي الثانية عشرة وتاليتها) لاحظ عليه تركه لسنة من أعلام نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة بدر ، وسبعة في غزوة أحد ، وستة في غزوة الخندق ، وواحد في غزوة الحديبية وواحد في غزوة مؤتة ، ونبه على أخطائه الكثيرة فيها خصوصا فيما يتعلق بعدد الصحابة رضى الله تعالى عنهم وعدد عدوهم وأقام له الشواهد الجمة على خطئه واستدرك عليه تركه لغزوة خيبر ودلائل النبوة الثلاث فيها وتركه لدلائل السبع في فتح مكة وحنين وتركه لدلائل الثمان في غزوة تبوك .

(وفي السادسة عشرة) تعقبه في عدة أخطاء ثم بين أن في المقدار الذى كتبه في رد أباطيله في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من دلائل النبوة والوحى وأنواعه ومتعلقاتهما كفاية للمسلم المتبصر وأنه يشرع بعد ذلك في دحض أباطيله في الخلافة وسيرة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لأن سيرتهم جزء من سيرته عليه الصلاة والسلام والطعن فيهم طعن فيه وفي القرآن الذى عدلهم وأنهم دعائم الدين فالطعن فيهم طعن فيه وساق الآيات والأحاديث في الثناء عليهم والتحذير من سبهم .

(وفي الثامنة عشرة) تكلم على الخلافة ووجوبها والدليل عليه كتابا وستة وإجماعا وذكر تخطيط المحاضر فيها وأفاد أن أقاويل الامامية والاسماعيلية والمعتزلة وما تفرع عنها في شأن الخلافة مما لا تشهد له أدلة الكتاب والسنة ثم أفاض في الكلام على الخلافة في طرفها الثلاثة وما يتصل

بها فى نحو ثلاث وثمانين صفحة بمالم ينسج ناسج على منواله ولم تسمع الايام
بمثاله (وذلك فضل الله يؤتبه من يشاء) .

(وفى التاسعة عشرة) أخذ عليه تساهلا فى الاقتناع بروايه ضعيفة
فى تأخر بيعة على لأبى بكر رضى الله تعالى عنهما وتخليطا فى محاربة
الصديق للمردين .

هذا ولو أردت التنبيه على كل ما فى هذا السفر الفائق من اللطائف
والتحقيقات ولو بالإشارة العابرة لاستدعى ذلك تطويلا يتجاوز
حد الاسهاب غير أنه لا يفوتنى (والدين النصيحة) أن أبالغ فى نصيحتى
لأخوانى المسلمين وأحبابى المؤمنين المشفقين على دينهم أن يطلعوا
على هذه المياحذ التى تحفظ عليهم عقيدتهم السنية الصحيحة فى
أصحاب نبىهم صلى الله تعالى عليه وسلم وان يحرصوا كل الحرص على هذا
المؤلف النفيس والعقد الثمين فقد تصدى للذب عن أعراضهم رضى الله
عنهم فى نواحى شتى وتكفل بالتوجيهات السديدة لكل مانقل عنهم مما
يغالط بالظعن به فيهم أولو البصائر المنطمسة والقلوب المرضى الذين زين
لهم سوء عملهم فرأوه حسنا - وقبل أن يقف اليراع الذى تشرف بتقريره
هذا الدر النفيس أحب أن ألفت نظر المطاع عليه إلى ماجاء فى المجازرة
الثلاثين من تكذيب خديعة التحكيم المقتراة التى انخدع بها جماعة من مضى
ومن أهل هذا العصر الحاضر حتى تجرأ بعض من يشار إليه بأنه من كبار زعماء
الأدب فى عصرنا على أن يترجم لها بقوله (كلب وحمار فيما حكى به على
نفسيهما غاضبين وهما يقضيان على العالم بأسره ليرضى بما قضياه وانتهت
المأساة بهذه المهزلة أو انتهت هذه المهزلة بهذه المأساة) مما دل على خذلانه
وحرمانه من التوفيق لأن مما أجمع عليه علماء هذه الأمة المحمدية المعصومة
من الاتفاق على ضلالة من عصر نبىها إلى عصرنا هذا والى أن يرث الله
الأرض ومن عليها وجوب احترام أصحاب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وتوقيرهم وعدم التعرض لهم بالسب والأذى والاعتذار لهم

والتماس أحسن المخارج فيما وقع بينهم وأنهم مأجورون جميعا استنادا لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ولو حاولت نقل كلام أعلام الأمة في ذلك لكنت كمن يحاول عد النجوم ولكن اكتفى بإيراد ما يكون تنبيها على ما لم يذكر). قال الامام ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله تعالى في رسالته المشهورة عاطفا على ما يجب الايمان به مانصه : وأن خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآمنوا به ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين وألا يذكر أحد من صحابة الرسول الا بأحسن ذكر والامسك عما شجر بينهم وانهم أحق الناس ان يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب اه . (وكل من كتب في العقائد من علماء السنة يقررون هذه العقيدة نفسها على تنوع مذاهبهم في الفروع جزاهم الله عن هذه الأمة أفضل الجزاء). وفي ختام هذه السطور يسعدني أن الحقها كلمة شعرية من مجزوء الرجز تناسبها راجيا أن يفسح الله تعالى في مدة شيخنا المؤلف في صحة وسلامة في دينه ودنياه وان ينفعنا والمسلمين بعلومه وان يمتعه بالصالحات آمين :

مولاي فخر العصر	في بدرها والحضر
ويا جمال السير	وتاج أهل الاثر
من في الفنون الاخر	يفيض فيض المطر
بوبله المنهمر	كالسيل في المنحدر
تحذيركم للعقري	من هفوات الخضرى
أجلى فيه نظرى	وسابحات الفكر
مجتليا للغرر	مكتنبا للصور
أغوص بحر جوهر	عذابا كريم الخبر
ومن عجيب القدر	في العذب ألفى دررى
لله در العبقري	قدوتنا الخبر السرى
وشيخنا الشهم البرى	في نقده المحرر

يسطو ولا كالسمهري	بكل نص نير
في صحب أزكى البشر	زيف قول المجترى
وكل نقل أنور	بصادع الحق الجرى
في حسنه والمنظر	يزرى بعقد الجوهر
دونك حقق وانظر	فقل لمن قد يمتري
في كل بحث واسبر	وكن سديد النظر
وبالهدى تستظهر	بالحق حقا تظفر
وبهجة المحتضر	ياسيدي ومفخرى
لولا (الولا) لم يجتر	عفوا عن المقصر
على مديد العمر	بلغت أقصى الوطر
سقاك زين المحشر	ومن رحيق الكوثر
يهدى له في البكر	أبهى سلام عطر
والآل زاكى الفطر	وفي العشايا الزهر
ملاح نور القمر	والصحب أهل البصر

الفقير إلى الله تعالى

محمد نور بن سيف بن هلال

تقريب فضيلة السير علوى المالكي

المدرس بالجمهورية الحرام ويمدرسة الفروع بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع لمن وقف ببابه قدرا، وأعلى لمن انتسب لجنابه ذكرا
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جرى الماء النير من بين يديه ،
وتفجرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار
والتابعين لهم باحسان الذين نقلوا الشرع لنا وبلغوه ونموا عنه تحريف
المحرفين وكيد الغالين .

(أما بعد) فإن علم التاريخ علم جليل الأثر عظيم العبر يحمل بين دفتيه
أخبار الماضين، مما فيه تبصرة للحاضرين - غير أنه يتوقف على تحقيق ونقل ،
وحسن دراية وعقل، وكثير من المؤرخين لا يكتبون على ضوء الحقائق ولا
يتقيدون في كتاباتهم بالثبوت والاحتياط، فلذا وقعوا في التفريط والافراط ،
يهتكون الأعراض ، بمقتضى الأغراض، لا يرقبون في الله إلا ولا ذمة ،
ولا يتأدبون مع الصحابة والعلماء من سادة الأمة، فهم على شفا جرف هار ،
يستجيبون لناحية التعصب والأهواء في بحث الوقائع وتحليل المواقف
وتراجم الشخصيات مما يكذبه العيان ، لذا كان التاريخ الاسلامي يحتاج إلى
تشذيب وتهذيب وتحقيق وتدقيق على ضوء الكتاب والسنة مما يليق بمقام
الاسلام وكرامة الصحابة المجاهدين الغزاة الفاتحين ، ولم يعدم الحق
ولله الحمد ظهيرا ، ولا من الأتقياء نصيرا، فلا تزال طائفة تجادل عن الحق
لا يضرها من خالفها تنفى عن الدين الاسلامي تمويهات المبطلين ، ودعاوى
المنتحلين، واقتراء الغالين، وأكاذيب المتعصبين ، مصداقا لما وعد به النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم ، إن التاريخ لسان حق وشاهد صدق يسجل حوادث
الأمم ويحفظ حسنات المحسنين وتقديرا لهم، وينشر سيئات المسيئين تحذيرا
منهم، فالعاقل من اتعظ بغيره والجاهل من لم يعتبر بذلك إنما يذكر أولو

الألباب، والانصاف في المؤرخين قليل، ألا ترى أن كثيراً من الوقائع الحاضرة نجد بعض الكتاب والمؤرخين إذا كتب عنها كتابة تحليل وتبيين يشط به القلم حتى يحيد عن الحق والواقع خدمة لغرض خسيس أو لمادة زائلة أو لنزعة متطرفة، وقل منهم من يكتب للحق وبالحق، ولا ريب أن تجميع الروايات والجمع بين المتناقضات والتطبيق على قواعد الشرع ومراعاة أسرار التشريع الاسلامي كل ذلك يحتاج إلى سعة في الاطلاع وغزارة في المادة وإنصاف في البحث ودقة في النظر وتأمل في القران ومراعاة للكرامات بلا خضوع لسُلطة أو طمع في مادة أو تلبس على حق أو تغيير لواقع، ولذا قال المحققون إن كتب التاريخ تجمع الغث والسمين، فعلى الناظر فيها أن يتثبت في نقله وأن يأخذ العلم من أهله لئلا يخطب خطب عشواء ويركب متن عمياء لاشك أن السم في الدسم والمؤلف إذا ألف في غير فنه أو تكلم في غير اختصاصه أتى بالعجائب، ولهذا نجد الأديب يكتب في التاريخ على أسلوب فلسفته فيخرج عن منهج التاريخ الواضح إلى مسلك تفكير فاضح غير مراعى للأدب

ولا مبال بالاصول، وهذا من آثار الفوضى العلمية التي منى بها العلم في هذا العصر الحديث وهو من أجلى الأدلة على قرب الساعة اذا وسد الامر إلى غير أهله فانتظر الساعة، فالمنزع إلى الله والمشتكى إليه وهو حسبنا ونعم الوكيل، مع أن الصناعات الدنيوية لا يكاد العامل يخرج عن أصول الصناعات لوجود الرقابة من زعماء تلك الصنعة أليس العلم الديني الروحي أحق بهذه الرقابة وأجدر .

هذا هو السبب الحقيقي الذي حدا بالفضلاء المحققين الى انتقاد كثير من الكتب التاريخية التي طغى فيها تيار الاحاد على عرض الحقائق فقاموا بنقض شبهاتها عروءة عروءة على ضوء الواقع، على وجه الاعتماد وصحة الاسناد وتأمل القرائن واثبات الوضع من الزنادقة والملحدن والمتعصبين لبعض القصص والروايات، ولقد وفق الله شيخنا المحقق العالم المدقق (٣ - تحذير العبقري)

المحدث الجليل والمؤرخ النبيل الفاضل الشيخ محمد العربي التباني حفظه
الله تعالى ونفع الله بعلمه الخاص والعام فشجذ سيف العزم وتدرع
بالكفاح والحزم وقام لله تعالى ولرسوله ولاصحابه وخلفائه وورثته متمصرا
ومن أباطيل بعض المؤلفات وكتاب المتأخرين محذرا ، فجمع وأفاد . وانتقد
وأجاد ، وأبان سبيل الرشاد ، وحذر من بعض الروايات والكتب المزيفة
فحقق تحقيقات صحيحة فنيا ، ونقد نقدا واضحا علميا ، مطابقا لأصول الرواية
وفنون الدراية . مع التزام الانصاف والادب في الرد والنقد وهذا مما يندر
جدا في هذا العصر من الباحثين ومما يعد من حسنات المؤلف المحقق أنه
جمع في انتقاده وتحقيقه بين الرد الديني بالنصوص وبين النقض العقلي
السليم لشبهات مزيفة على ضوء الواقع بأسلوب عصري جذاب منير مع
الاستشهاد بالمجريات الكونية والحوادث السياسية مما يشهد حقا لسعة علم
المؤلف المحقق وطول تجاربه وحسن خبرته وصفاء عقيدته وكمال أدبه
فقد أبلى في دراسة التاريخ الاسلامي بلاء حسنا وقرأ أكثر كتبه المشهورة
والنادرة حتى صارت له ملكة فائقة يشهد بها كل من حضر دروسه وقرأ
كتبه فجزاه الله تعالى عن العلم والتاريخ والأدب أفضل الجزاء ، لقد نشر
راية البيان والتحقيق والكفاح حتى رفع التاريخ الاسلامي رأسه عاليا بتلك
التحقيقات المفيدة والانتقادات السديدة فظهر بهذا من يكتب في التاريخ
عن ملكة وتحقيق وانصاف ممن يكتب عن جهل وتهور وفلسفة ممن يعد في
زمره الأدباء كما قيل لافي عداد المؤرخين المنصفين هذا وقد نبه علماء السنة
والجماعة على فضل الصحابة الكرام وعظيم مكانتهم وجهادهم وهجرتهم
وابتلائهم وحذروا من سبهم أو الطعن فيهم أو تحقير مكانتهم وانتهاك
حرماتهم فمقام الصحبة مقام عظيم لا يسبق ، وشأوه لا يلحق ، فقد وعدهم الله
الحسنى ، وأحلهم المقام الأسنى ، وسجل ثناءهم في القرآن كتاب الخلود فلا
يزال فضلهم يتفتح طيبا وغالب ما روى عنهم في حروبهم ومنازعاتهم لا يخلو
عن تعصب ووضع وجرأة فالانصاف السكوت عما جرى بينهم أو حمله
على أحسن المحامل فالمصيب مأجور والمخطيء معذور وهم في الحقيقة غير

ملومين لأنهم كانوا مجتهدين فمن اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد
وأخطأ فله أجر واحد ولذا قيل :

وأول التشاجر الذي ورد ان خصت فيه واجتنب داء الحسد
وقال صاحب الزبد :

وما جرى بين الصحاب نسكت عنه وأجر الاجتهاد ثبت
وقال ابن الوردي :

لا تخض في سب سادات مضوا انهم ليسوا بأهل للزلل

ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا
للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم . اللهم لا تجعل لأحد منهم في عنقنا
ظلامه ونجنا جميعا من أهوال يوم القيامة . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم .

أسفر تجلى في سما العلم والهدى	أم النور في التاريخ، بالحق قد بدا
أم الروض بساما قد افتر ثغره	أم الطير في أفق المسرات قد شدا
أجل . انه الكنز الثمين محققا	لتاريخنا فانعم بذاك وأنشدا
هنيئا لكم يا قادة العلم أبشروا	فهذا كتاب فاق فضلا ومحتدا
مؤلفه الشهم المحقق شيخنا	(هو العربي) النور ذو الفضل مرشدا
هو البدر في أفق الفلاح، بزوغه	لقد بث في أرجائه العلم والهدى
وقام بنصر الدين في كل موطن	وذبح عن الصحب الكرام وأيدا
اليه ربوع العلم حنت وعندما	تجلى بها طير البشائر غردا
وتاهت به الطلاب فخر او قدر ووا	حديث المعالي عنه والفضل مسندا
فله منه نفحة عبقرية	بها أظهر الحق الصريح وشيدا
جزاه إله العرش خيرا وزاده	من الفضل والاقبال عزاء وسوددا

خادم العلم الشريف بمدرسة الفلاح
والمسجد الحرام السيد علوى بن السيد عباس المالكي
لطف الله به

تقريباً فضيلة الشيخ ابراهيم فطاني المدرس بالمسجد الحرام
(وقاضى المحكمة المستعجلة)

بسم الله الرحمن الرحيم :

سرحت طرفي في رياض العبقرى وقرأته بتمعن وتدبر :
فرايته سفراً جليلاً رائعا يجلو الحقائق في هدى وتبصر :
ويرد أوهام المضلل شاهرا سيف الدليل بوجه أعظم مفترى
ورأيت عرضاً للحوادث شيقا يسيب النهى ويروق كل مفكر :
ولمست اخلاص المؤلف صادقا ولحمت توفيقا خلال الاسطر :

* * *

ولقد شفى نفسي بحس دفاعه عن كل أصحاب النبي وحيدر
ودفاعه عن معجزات المصطفى بأدلة تقضى عيون المنسكر
وبدحضه حجج الذين تأولوا آى الكتاب بكل فهم أزور
فتأولوا طير العذاب بحصبة أو بالوباء ، بقحة وتهور
أو ليس من خاق الانام بقادر أن يفنى بالاطيار أكبر عسكر
ما كان أجهلهم بقدره ربهم حتى غدوا في ريسة وتخير
ضلت بهم أهواؤهم فاستهتروا تبا لكل مدلس مستهتر

* * *

يا صاحب التحذير حسبك منة أن قد نصرت الحق غير مقصر
ورددت كيد الملخدين بنحرهم بأدلة هي كالصباح المسفر
لله درك من أديب عالم ومؤرخ ومحدث متبحر ..
شهدت بفضلك هيئة التدريس بالحرم الشريف وبالفلاح الاشهر
قضيت عمرك مرشدا ومعلما فى حكمة ونزاهة وتحرر
فجزاك ربك عن جهادك مخلصا خير الجزاء فقر عيننا وابشر

ابراهيم فطاني

المدرس بالمسجد الحرام

تقرير فضيلة السيد يوسف عبد الرزاق

من علماء الازهر الشريف والمدرسى بكتابة أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

من محاسن مكة المكرمة زادها الله تشريفا وتعظيما وتكريما - ومكة
محاسنها جمّة وفضائلها كثيرة - أن زين الله حرمها المبارك بالعلماء الذين هم
مصدق الخبر المأثور : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه
تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » .

وان من ألمع علمائها الأعلام الذين طلّعوا في سمائها بدورا وفاضوا في
أرجائها بحورا ورفعوا راية العلم عالية خفاقة « شيخنا العلامة الفقيه الأصولي
المحدث المفسر اللغوي المؤرخ الثقة « أبا عبد الله السيد محمد العربي بن السيد
التباني « أطال الله بقاءه في خير وعافية ، فانه حفظه الله غرة في جبين هذا
العصر ودررة يتيمة في تاج الفخر .

فلقد أقبل بهمته العالية وعزيمته الصادقة على نشر العلوم - المعقول ميبها
والمنقول - في أول بيت وضع للناس حتى تخرج عليه نخبة كريمة ممتازة من
أفاضل العلماء تتزين بهم المجالس وتتبختر بفضائلهم المعاهد والمدارس .
ولقد من الله على ولله الفضل والمنة أن يسر لي حضور بعض دروسه
في الحرم المكي المبارك فألفيته بحرا زخارا تتفجر ينابيع العلوم من شفقيه
الظاهرين ، فأذكرني ذلك بقول الشاعر :

كانت محادثة الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت - أذني بأحسن مما قدر أي بصرى
لا زالت مجالس العلوم بهمته معمورة ، وأحاديث فضائله في الخافقين
مأثورة ..

ولم يقنعه حفظه الله أن قد تخرج عليه الكثير من العلماء الذين تزدهر بهم
الأقطار وتتزين بهم الامصار - بل سمت به همته إلى التأليف والتصنيف

فأخرج للناس كتبنا نافعة ضمنها علوما عالية يحق بها حقا أو يبطل بها باطلا
ولسان حاله يقول :

دافعت عن حق يحاول ذو هوى اظهاره للناس شيئا منكرا
وإن من أجل مادبجته يراعة الأستاذ الجليل وأعظمه فائدة كتاب «تحذير
العبقري من محاضرات الخضرى» .

وهو هذا الكتاب الذى صحت عزيمة أعزه الله على إخراجه للناس
فى ثوب قشيب وقد اختار له أجود أنواع الورق وعهد بإخراجه إلى
مطبعة الأنوار المشهورة والهمة متوفرة على إخراجه على خير الوجوه
وأحسنها . وذلك فضل الله يؤتبه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وانى ليسرنى أن أقدم لحضرات القراء الكرام فى مشارق الأرض
ومغاربها هذا السفر النفيس راجيا أن يجدوا فيه لذة عقلية ومنتعة روحية
وآدابا ترتاح لها قلوب المؤمنين وتنشرح بها صدورهم .

موضوع الكتاب

تمهيد :

مما يدخل فى باب العقائد المقررة فى الاسلام :-
أن خير القرون وأفضلها القرن الذى رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وآمنوا به ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم - لقوله تعالى : كنتم خير
أمة أخرجت للناس ، ولقوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين : خيركم قرنى
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، وتقعيد الخيرية بالإيمان متعين لأن كثيرا
من الكفار كانوا فى القرن الأول ولم تنفعهم رؤيتهم له صلى الله عليه وسلم
لعدم إيمانهم به صلى الله عليه وسلم .
فالقرن الأول الصحابة حتى ينقرضوا ، والثانى التابعون حتى ينقرضوا ،
والثالث تابع التابعين حتى ينقرضوا .
ويترب على هذه القاعدة أن أفضل هذه الأمة أصحاب نبينا محمد صلى

الله عليه وسلم والصحابة كلهم عدول موثقون .
فقد اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول ولم يخالف في ذلك
إلا شذوذ من المبتدعة .

وعدااتهم ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره
لهم لصحبة نبيه ونصرة دينه وإعلاء كلمته وتلك مزية لا يحقهم فيها لاحق ،
قال الله تعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، وقال تعالى : « وكذلك
جعلناكم أمة وسطا » وقال تعالى : لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك
تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم » وقال تعالى : للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا
من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله
اولئك هم الصادقون :

وقال تعالى : والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين
اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه .

والآيات فى ذلك كثيرة يطول تعدادها .

ولقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة مثل ذلك وأطنب
فى تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا
أصحابى ، فوالذى نفس بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد
أحدهم ولا نصيفه .

قال الامام الحافظ المحدث ابو بكر أحمد بن على المعروف بالخطيب
صاحب تاريخ بغداد المشهور والأخبار فى هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة
لما ورد فى نص القرآن . وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة والقطع على
تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله لهم المطلع على بواطنهم
الى تعديل أحد من الخلق . على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله
فيهم شىء مما ذكرناه لأوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة والجهاد
والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأبناء والمناصحة فى الدين
وقوة الايمان واليقين القطع على عداتهم والاعتقاد لنزاهتهم وأنهم أفضل من

جميع المعدلين والمزكين الذين يحيئون من بعدهم أبد الآبدين هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء . اه وقد روى سنده إلى أبي زرعة الرازي قال : إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق .

وذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى ذلك كله إلينا الصحابة ، وهؤلاء الطاعنون يريدون أن يجرحوا شهودنا ليطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة اه .
ازاء ذلك كله فقد جرى عمل الأمة سلفا وخلفا على تعظيم شأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقاد سابقتهم وفضليتهم وخيريتهم اجمالا وتفصيلا على جميع من جاء بعدهم اجمالا وتفصيلا .

فلا يقولون في المهاجرين والانصار ولا في أهل بدر وأحد وأهل بيعة الرضوان ولا في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده وأحفاده إلا أحسن المقال ولا يستجيزون الطعن في واحد منهم لا تصرحا ولا تلميحا ولا اشارة ولا كناية بل يعتقدون كمال عدالتهم وقبول تهادتهم وروايتهم باتفاق أهل الحق واجماع من يعتد باجماعه رضى الله عنهم اجمعين .

محاضرات الخضرى

انه لمن المؤسف المؤلم حقا أن يقوم باحث مسلم مثل الخضرى صاحب المحاضرات المعروفة في تاريخ الاسلام فيطلق لقلمه العنان ليسطر ما يشاء له هواه من غير تمحيص ولا روية ولا رجوع الى مصادر التاريخ الاسلامى المعتمدة ويقدم في سادات الأمة وأجلاء الملة ويصفهم بما لا يتفق مع ما لهم من عظيم السابقة في الاسلام مما يوجب جرحهم ويجافى نزاهتهم وعدالتهم : المشهود لهم بها من الله ورسوله والمتفق عليها سلفا وخلفا .

فان كان لا يدري فتلك مصيبة وان كان يدري فالمصيبة أعظم .

مما يزيد الأمر خطورة أن تلك المحاضرات منشورة بين أحداث

المسلمين وطلاب المدارس والجامعات منهم ففتنغرس في نفوسهم تلك الآراء الفاسدة والنزغات الخبيثة وهم أحوج ما يكونون إلى صيانة عقيدتهم الصافية وحرستها مما يكدر صفوها وما كان ليدور بخلدنا أن مسلما يؤمن بالله واليوم الآخر يعمد إلى محاولة النيل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخط من كرامتهم ووصفهم بما يقدر في مراتبهم السنوية ويلصق بساحتهم النقائص التي لا يبق صدورها من آحاد الناس بله من اصطفاهم الله لنشر دينه وصحبه نبيه وخصهم بالفضل والسابقة وأثنى عليهم في كتابه الكريم وفي الكتب المنزلة على الانبياء والمرسلين قال الله تعالى : محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار الآية .

واجب العلماء

ولقد كان لزاماً على علماء الاسلام أعزهم الله ان يقوموا بواجب النصيحة لله ورسوله ولأصحابه الكرام ولعامة المسلمين وخاصتهم فيبينوا للناس ما يجب عليهم بيانه من نزاهة الأصحاب الكرام وعلو اقدارهم الشريفة عن أن يعلق بها ذام أو نقصان .

ولقد اختار الله لهذا العمل المبرور والسعي المشكور سيدي أباعبد الله العلامة الشيخ محمد العربي بن السيد التبانى أعلى الله مقامه ورفع على الفرقدين أعلامه فقام بواجب النصيحة لله ورسوله وللمؤمنين عامتهم وخاصتهم فرد على صاحب المحاضرات أبلغ ردوآتمه وأحكمه بأسلوب عال وقلم سيال وأدب يخجل زهر الرياض واخرج لنا هذا السفر المبارك النفيس الذي هو خليق بان يسمى « كتاب العام » إذ لم يأت أحد بمثاله ولم ينسج ناسج على منواله فجزاه الله عن الاسلام وأهله خير ما يجازى المجاهدون المخلصون والعلماء العاملون والله لا يضيع اجر المحسنين .

يوسف عبد الرزاق
(م ٤ - تحذير العبقرى)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى جعل التاريخ عبرة للمستبصرين ، وعظة وذكرى لمن تأخر بأحوال الغابرين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، وعلى آله وأصحابه الذين نصبوا قواعد دولة الاسلام بالمرهفات البواتر ، وأوضحوا بالحجج الساطعة منار الاهتداء لكل حائر .

المتدّمة

أما بعد فلقد كان المطلوب لزاما من كل مسلم لبيب أن لا يثق بكل ما يقوله المؤرخون - فى رجال الامة الاسلامية عموما فاحرى فى ساداتها الذين رفعوا قواعد هذا المجد الخالد (الصحابة رضوان الله تعالى عليهم) - لأن التاريخ نقل محض يشترط فيه ما يشترط فى الاثر من عدالة الرواة الناقلين لأى حادثة من حوادثه تتعلق بأى شخص كان من الناس وضبطهم لما نقلوه وغير ذلك من شروط الخبر المعتبرة فى الناقلين فردا فردا فمجال الرأى فى أى حادثة منه لا يكون إلا بعد استيفائها شروط الصحة للخبر . وان نقص شرط من الشروط المعتبرة فيه فالرأى حينئذ معزول والفهم مهما وثق به صاحبه وغيره مطروح ، هذا هو التحقيق والاساس الذى يجب على كل من نصب نفسه للطعن فى عامة الامة أن يبنى انتقاده عليه فكيف به إذا كان فى خاصة خاصتها ، وقد كان المسلمون ولن يزالوا سالكين منهج الحق والتحقيق والاعتدال فى تاريخ رجالهم رغم محاولة بعض مؤلفى هذا العصر من المسلمين تشويه حقائق التاريخ الاسلامى ونطح صرح المجد التالذ بالجهل والتقليد ، وإذا كان كثير من مؤرخى الاقدمين يجمعون فى مؤلفاتهم الغث والسمين ويقدمونه للناس بدون تمييز وكثير منهم من أهل الاهواء وكثير

منهم لامعرفة لهم بعلم الاسناد وفضائل الصحابة ولأجل ذلك قال شيخ الاسلام ابن دقيق العيد (أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها المؤرخون والامراء) فكيف بالمتأخرين الذين ليس عندهم إلا التقليد لكل من هب ودب ولقد هزل علم التاريخ في هذا العصر حتى تسور على التأليف فيه من لم يشم له رائحة ولا عجب في ذلك لأنه إذا كان عبارة عن رصف مقال بأسلوب عصرى وجمع شىء من ههنا وههنا فهو ميسور لكل من حصل طرفا من مبادئ اللغة العربية ليصبح به مندرجافى مصاف المؤلفين ويصدق عليه قول العلامة أبى الحجاج البلوى الاندلسى أحد أعيان المائة السادسة للهجرة (خذ من ههنا وضع ههنا وقل مؤلفه أنا) . وحتى تسور عليه المناوون للاسلام وأقبلت الناشئة الاسلامية برغبة صادقة على مطالعة تأليفهم ومجلاتهم المملوءة بالمفتريات والطعن فى الاسلام ورجاله بأساليب متنوعة . وهذا مؤسس مجلة الهلال ومؤلف كتاب التمدن الاسلامى وغيره (جرجى زيدان) قد عرض كتابه (التمدن الاسلامى) على نظارة المعارف المصرية إذ ذاك وطلب منها أن تقرر تدريسه فى مدارسها فعهدت النظرارة إلى بعض أساتذتها بمطالعتهم وإبداء رأيهم فيه فلما طالعوه بينوا للنظرارة أن فيه غلطا كثيرا وانه غير جدير بأن يعتمد عليه فى التدريس ولا المطالعة ونشرت جريدة المؤيد نقدا بعضهم له وكنا نظن انتهاء جريان قلمه بالمفتريات فى الاسلام ورجاله بموته منذ سنين كثيرة ومابقى ذاك الشنار إلا فى بطون تأليفه ، فاذا بنا نسمع ونرى مجلة الهلال التى لا يزال تلامذته ينفذون خطته فيها بدشر سلسلة رواياته الخيالية فى سادات هذه الامة وافتعاله أسماء نساء وحكايات عنهم لا توجد إلا فى مخيلة مسلسل الاباطيل بعنوانين مزخرقة ، عنراء قريش ، عادة كربلاء فى أسلوب ضل به الناشئة والعامه معا أشدمن ضلالهم بالسكتب الباطلة الخرافية الموضوعه من قبل لافساد عقائد المسلمين وإضلالهم كفتوح الشام المنسوب للواقدى وذات الهمة والعنترية ورأس الغول والف ليلة وليلة وغيرها - فالى الله المشتكى من هذا البلاء: فلو كان رمح

واحد لا تقيته ، ليعلم المسلم أن اقباءه على مطالعة هذه المجلة وما شاكلها مما هو مملوء بالخرافات والخبائث ملحق له بجانب المناوئين للاسلام من حيث يشعر أو لا يشعر، ليعلم أن هذه المجلة وأشباهاها أشد ضرراً على عقيدته من العنصرية وأشباهاها انه في ثروة من تاريخه الصحيح المجيد إنا والله نحب ونتمنى له أن يكون عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ونشفق عليه من أن يكون متصفاً بالخامسة .

وقد رد على كتاب التمدن الاسلامي فأجاد العلامة المؤرخ المرحوم (شبلي النعماني) رئيس ندوة العلماء بلكنو (الهند) . ومن جملة ما قال شبلي النعماني في مقدمة رده عليه (ان جرجي زيدان خائن في النقل محرف لكلام العلماء يجعل الحادثة الجزئية كلية عامة يتعمد الكذب بما يفوق الحد) . وقال ايضا اعلم ان للمؤلف يعني جرجي زيدان في انفاق باطله اطوارا شتى :

فمنها تعمد الكذب كما سترى . ومنها تعميمه لواقعة جزئية ومنها الحيانة في النقل وتحريف الكلم عن مواضعه ، ومنها الاستشهاد بمصادر غير موثوقة مثل كتب المحاضرات والفكاهات . وقد نشر كثير من رده عليه في المجلد الخامس عشر من مجلة المنار فليراجع من احب الاطلاع على ذلك .
فيا ايها الشباب المسلم النبيل اذا كنت محتاطاً لديك حافظاً لكرامة رجال سلفك فلا تثق ولا تلتفت لكل ما يمس كرامة اي صحابي من اصحاب نبيك صلى الله عليه وسلم في أي تاريخ من تواريخ المسلمين كاتنا صاحبه من كان ، فكيف به اذا كان في المجلات وكتب الاجانب فان كل مصيبة نقد في رجال الاسلام الذين هم دون الصحابة في كل شيء جليل أقرضى باقبح والعن واكذب وافحش الطعن في اشرفوا كرم واجمع البشر لمكارم الاخلاق آباءك الذين شيدوا لك صرح هذا المجد الخالد (الصحابة) رضوان الله تعالى عليهم الذين شهد لهم رجال الروم اذ ذاك بانهم رهبان بالليل فرسان بالنهار والفضل ما شهدت به الاعداء ، وقال

فيهم ملك الصين لما استنجد به يزد جرد ملك الفرس بعد ان وصفهم له :
انه يمكنني ان ابعث لك جيشا اوله في منابت الزيتون (الشام) وآخره في
الصين ولكن ان كان هؤلاء القوم كما تقول فانه لا يقوم لهم اهل الارض
فأرى لك ان تصالحهم وتعيش في ظل عدلهم .

ويا ايها المسلمون نزهوا اسماعكم وابصاركم وعقولكم عن هذه
المفتريات التي يحاول بها تلويث مجد دعائم دينكم .

ولا نتأسف ولا نعجب من تشويه الاجانب حقائق التاريخ الاسلامي
الناصعة إذا كان من ينتسب اليه قد سن لهم هذه السنة السيئة وفتح لهم باب
شر مستطير . وهذه طائفة من أهل العصر انتقدوا الصحابة رضوان الله عليهم
انتقاداً مراً زاعمين أن هذا هو التاريخ الحر وعمدتهم في انتقادهم أهواؤهم
وتقليدهم لكل ما يقوله المؤرخون بل تقليد بعضهم بعضا . وتمسكهم
بالروايات الباطلة . فاما أهواؤهم فهي نتيجة آرائهم الدائرة بين السقيم
والأشد سقما والباطل والأشد بطلانا . وأما تقليدهم لكل ما يقوله المؤرخون
فهو نتيجة إفلاسهم من الروايات مطلقا صحيحة وسقيمة وجهلهم لها ولرجالها
العدول وغيرهم جهلا مطبقا . وأما تمسكهم بالروايات الباطلة فهو مبنى على
هذا وعلى تقليد أمثالهم ومع كون كتب هذه الطائفة مشحونة بنقد الصحابة
رضوان الله عليهم بالآراء السخيفة وتقليد الأجانب وأهل الأهواء
والوضاعين انكسب الناس على شرائها بالثمن الغالي واقتنائها ومطالعتها أسلوبها
الذي تتسع له أفكارهم فان الله وإنا اليه راجعون وهي أشد ضررا على الناشئة
من طائفتي الخوارج والروافض لأن عقيدة الطائفتين في الصحابة مكشوفة
لجمهور المسلمين السنيين حتى غالب العوام منهم بخلاف حال هذه الطائفة
فانهم موهوه بستار التاريخ الحر المزعوم فراج عند الناشئة من شبان المسلمين
رواجا عظيما لأنه صادف قلوبا خالية من تاريخ سلفهم المجيد جاهلة بمناقب
الصحابة زاهدة في البحث والتنقيب عن تراثهم القديم الصحيح مائلة إلى كل
جديد وان كان أباطيل .

ولقد صار هذا الانتقاد عند هذه الطائفة من الاصلاح الضروري فكتابتهم في تاريخ المسلمين لا تقوم دعائمها إلا به وانتقاد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ليس برأى حتى يسوغ للاغمار الخوض فيه إنما هو الطعن المحض في دعائم الشريعة وفي الشريعة نفسها كتاباً وسنة، طعن في نصوص القرآن الصريحة القطعية التي عدلتهم ومدحتهم، طعن في أحاديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصحيحة الكثيرة التي أثنت عليهم على أنه لا فائدة يجنيها المسلمون من هذا النقد سوى إفساد عقائدهم الدينية في رجالهم وشماتة الأجانب .

والعجب من هؤلاء المصلحين أنهم إذا كتبوا عن حياة أساتذتهم وعمن لا يعبأ الله به يتغالون في اطرائهم حتى يجاوزوا المعقول يثمتون لهم أخلاق الانبياء وحكمة الحكماء وجهاد الأبطال العظماء ولن يأتي آخر هذه الأمة باهدى واحسن مما أتى به أولها وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح لخالد بن الوليد وهو هو لما سب عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهما :

« دعوا الى أصحابي فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدكم ولا نصيفه » .

والعجب ايضاً من مسلم يترك مناقب الصحابة الصريحة المقطوع بها في كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بل في جميع الكتب السماوية ويتركها ايضاً في السنة الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام ويذهب يتعثر في طلبها في كتب التواريخ التي لا تخلو من الواهيات والباطيل بل يطلبها في المجلات المضلة وكتب الفكاهات . فلو فرضنا شخصا من اهل العصر خاض في البحث عن شمائل الصحابة وعمما وقع بينهم من الحروب في جميع تواريخ أمة الاسلام الأقدمين الأثبات العدول كتاريخ الامام خليفة بن خياط وتاريخ الامام البخارى وطبقات ابن سعد وغيرها فانه على خطر من عقيدته فيهم مالم يعتمهم بشمائلهم القرآنية والثابتة بالسنة

النبوية فكيف به اذا لم يعرف تاريخهم الامن تاريخي ابن جرير وابن الاثير فكيف به اذا لم يعرف تاريخهم الامن كتاب الامامة والسياسة وما اشبهه من كل كتاب مملوء بالباطيل في حقهم رضى الله تعالى عنهم. ولوجود كثير من الاقوال الباطلة في تواريخ المسلمين ولا سيما اهل الاهواء في تاريخهم المجيد حظر العلماء العارفون الربانيون الخوض فيما جرى بينهم على المسلمين رجوعاً بهم الى العقيدة القرآنية والعقيدة النبوية الثابتة فيهم وتركوا للفضول فيما يعود عليهم بالضرر دون جدوى « تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون » ولأجل ذلك قال الامام الحافظ أبو زرعة الرازي وهو من اقران الامام البخاري إذا رأيت الرجل ينتقص احداً من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعلم انه زنديق وذلك ان الرسول حق والقرآن حق وما جاء به حق وإنما أدى الينا ذلك كله الصحابة وهؤلاء يريدون ان يجرحوا شهودنا ليصلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة . وقال ايضا للذي قال له إنى أبغض معاوية فقال له الحافظ ولم قال لانه حارب عليا بغير حق فقال له ابو زرعة رب معاوية رب رحيم وخصمه خصم كريم فما دخلك بينهما أى انت فضولى أدخلت نفسك فيما لا يعينك ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

ومن اللازم على اساتذة التاريخ الاسلامى فى جميع المدارس الاسلامية تزويد ابنائها بتاريخ من شيد لهم هذا الصرح الثابت البنيان وان لم يكن مقررأ فى برامجها وعار عليهم عظيم تدريس تاريخ الأجنب واهمال تاريخهم ، وعار عليهم عظيم ترك عقول ابنائهم فريسة لهؤلاء المختلفين بالنحل المتفقين فى الغرض مغيرين عليها بأساليب شتى . ولن يعدم الحق انصاراً .
واشد الطاعنين فى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من هذه الطوائفة

واكثرهم خوفاً وعبثاً بكرامتهم محمد الخضرى صاحب المحاضرات
فقد انتقد الخلافة - زعم انه لم يكن لها حل فى طريقة من طرقها الثلاث ولم
تسرمع الزمن فى طريق يؤمن فيه العثار قال بل كان تركها على ماهى عليه
من غير حل محدد ترضاه الامة وتدفع عنه سبباً لاكثر الحوادث التى اصابت
المسلمين وافترى فيها على الانصار وبنى هاشم وعلى حيدرة خصوصاً وطعن
فى ستة الشورى وغيرهم من الصحابة وافترى على عمر رضى الله عنه فى
تنقيصهم وطعن فى عموم الصحابة الموجودين عند مقتل عثمان رضى الله
تعالى عنه وزعم أن أعلام قريش كانوا متطلعين لولاية الأمر واتهمهم
بالهوادة فى القيام بنصر عثمان رضى الله عنه ، وانتقد خصوصاً علياً
رضى الله تعالى عنه وابنيه ولا سيما الحسين وطلحة والزبير وعائشة وأبازر
وعبد الله بن الزبير واهل المدينة الذين خلعوا بيعة يزيد بن معاوية وغير
هؤلاء ممن سيأتى تفصيل الكلام فى الذب عنهم . وجل انتقاده فى أمير
المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه فقد رماه بضعف الرأى
والطيش وعدم التثبت والشح والكبر والتعاطم على جميع الصحابة حتى
الاشياخ الاكابر ، والازدراء بالناس ، ورجح معاوية رضى الله تعالى عنه
عليه بكثير بل رجح عليه خلافة ابنه يزيد وعذره فى قتل الحسين وأهل
الحرّة ، ولم يعذر حيدرة فى شىء ما بل ينقب عن كل باطل فيه حط من
كرامته رضى الله تعالى عنه ليلصقه به بحيث يجزم كل من له المام بالعلم اذا
قرأ محاضراته بامعان انه ناصبى حقيق للمسلمين انه احد الاثنين فقد اخرج
أبو يعلى والبزار والحاكم عن على رضى الله تعالى عنه قال « دعانى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : ان فيك مثلاً من عيسى عليه السلام
ابغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى نزلوه بالمنزل الذى ليس
به الاوانه يهلك فى اثنان محب مفرط يقرظنى بما ليس فى ومبغض يحمله
شئاننى على ان يبهتنى » .

ومن العجب انى سمعت من بعض طلبة العلم السودانيين الثقات أن الخضرى هذا لما كان قاضيا عندهم كان يدعى النسبة إلى آل بيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العلويين وما سمعنا قط ولا رأينا فى كتب الطبقات والتاريخ ان علويا صار ناصبيا ، أما أموى صار شيعيا فقد وجد فى واحد وهو أبو الفرج الاصبهاني صاحب كتاب الأغاني - كما أنه وجدنا صبي واحد من العباسيين وهو جعفر المتوكل .

ومن مصائب علم الرواية والتاريخ أن يصير الخضرى هذا قدوة ومرجعا لكل متسور على التأليف فى التاريخ :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

فقد الف بعده عبد الوهاب النجار تاريخ الخلفاء فقلده فى جميع خطله ورأينا بأعيننا الآن جماعة من الأساتذة اشتركوا فى تأليف تاريخ مختصر فجعلوا محاضرات الخضرى فى قائمة كتب التاريخ المعتمدة التى يرجعون اليها ، وقد اسند إلى تدريس محاضراته بالمدرسة الفلاحية قبل سنين - فلم يمكنى السكوت على اعوجاجها وكثرة خطلها فقومتها بلسانى تقريراً وبقلمى كتابة - (والعلم أمانة) فكتبت عليها إذ ذاك رسالة موجزة لم أذكر فيها كلامه واضحا لأعذار تعقبته فيها فى نحو سستين بحثا وسميتها النصيحة والاستدراكات على كتاب المحاضرات ثم زدت فيها الآن زيادة واسعة وسقت كثيرا من كلامه ليظهر للقراء زيغهم عن جادة الاعتدال جليا وتركت مع ذلك كثيرا من قبيح كلامه وهمزه لأولئك السادة المبني على فهمه الطائش وتقليدهم للأقوال الباطلة وأهل الأهواء والاجانب وعلاوة على هذا فقد تقول على ابن هشام فى حادثة الفيل التى قصها الله أحسن قصص وبينها أحسن بيان فزاد فى تفسيرها ما لم يقله الله انكاراً لخوارق العادة (الحوادث الكونية) لذلك حذف دلائل نبوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعجزاته من سيرته عليه السلام من كتابه مع انها لب التاريخ ولاجل ذلك حاول ترجيح القول بأن الإسراء كان مناما لا يقظة كما حذف منه (٥ - تحذير العبقري)

الاخبار والقصص الدالة على كون الملائكة والجن والشياطين أجساما تقليدا
فى كل هذا لمحمد عبده ومجاراته للذين لا يؤمنون بالغيب وكتابتى هذه وان
كانت خاصة بمحاضراته فبراهينها ساطعة على كل جانف وحججها قائمة على
كل من خرج عن جادة الاعتدال فى حق الصحابة رضوان الله تعالى عليهم
لذلك أبدلت اسمها الآن فسميتها (تحذير العبقري من محاضرات الخضرى)
والاشادة بمناب الصحابة والمدافعة عن حمى أعراضهم الشريفة حق واجب
على كل مسلم سلمت عقيدته من مرض الزيغ والاهواء وجميعهم رضى الله
تعالى عنهم كانوا محققين مطابقين لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : ﴿ المؤمن
للؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ﴾ وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا
﴿ مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى
له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ﴾ ، أكمل تحقيق وتطبيق وقد سنوا وأسسوا
لنا المدافعة عن أعراض المؤمنين ، فقد دافعوا عن اخوانهم بالحجة أهل
الاهواء حين وجدوا فى عصرهم من الخوارج والشيعنة وغيرهم وروى ذلك
عنهم فى الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم فمن رويت عنهم المدافعة على
ابن أبى طالب - عن الشيخين وذى النورين - وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن
زيد وعائشة وابن عمر وابن عباس - وأبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وزيد
ابن أرقم وغيرهم رضى الله تعالى عنهم يعرفها من تضلع من التاريخ
الصحيح وكتب السنة . . ومن دافع عنهم من التابعين سعيد بن جبير والحسن
البصرى وعامر الشعبي وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعمر بن
عبد العزيز وغيرهم . . ومن أئمة الاجتهاد مالك وسفيان والشافعى ، ثم عمر
ابن حبيب قاضى البصرة فى مجلس هرون الرشيد دافع عن أبى هريرة
خصوصا ، وعن جميع الصحابة عموما رد على أوباش المعتزلة وعلى الرشيد
نفسه . . وابن السكيت النحوى دافع عن على وولديه الحسن والحسين
رضى الله تعالى عنهم عند المتوكل العباسى فقتله بسبب ذلك ظلما . ومدافعتهم
التي سنوها لنا ومدافعة غيرهم ممن جاء بعدهم من العلماء إنما هى مأخوذة

من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللذين أثبتنا عليهم غاية الشناء وذما من تكلم فيهم فنحن إذا مقتدون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بجماعة المسلمين الاخيار تابعون لهم على حق و صواب يقينا ، والمنتقد لهم والطاعن فيهم هالكان وكلاهما شيء واحد لا فرق بينهما إلا باللفظ وعلى فرض أننا غير محقين في دفاعنا عنهم لا يضرنا ذلك في الدنيا ولا في الآخرة جزما . فعقيدتنا هذه شبيهة بعقيدة المؤمن بالمعاد والمنكر له .

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الاموات قلت اليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر أوصح قولي فالحسار عليكما

واستمدادى فى هذا الكتاب من كامل الحافظ بن الاثير وبداية ابن كثير واستيعاب الحافظ ابن عبد البر واسد الغابة وطبقات ابن سعد واصابة الحافظ ابن حجر وفتحته ومن كتب التفسير والحديث واسأله تعالى المعونة والتوفيق للصواب وحفظ حقوق الاصحاب .

المؤلف محمد العربى

المحاضرة الثالثة

قال فى صفحة ٢٨ من الطبعة الرابعة فيها فى قصة حادثة اصحاب الفيل مانصه : (وابرهة هو الذى جند الجنود لهدم الكعبة وكان يريد أن يصرف الناس عنها إلى بيت بناه فى صنعاء فاصابه هو وجنده بمكة ما أصابهم من الامراض الثقيلة ، وقد بينها ابن هشام فى سيرته بأنها الحصبة والجدرى وروى أن هذا كان أول حصو لهما بمكة فعاد منهزما وتوفى بعد عودته وأشار القرآن إلى هذه الحادثة فى سورة الفيل اه) . أقول كلامه ، هذا فاسد من أربعة أوجه وهى : مخالفة التاريخ ، والخيانة فى نقل العلم ، والغش ، والتكذيب .

فأما مخالفة التاريخ فى قوله فاصابه هو وجنده بمكة ما أصابهم ، وفى قوله

وقد بينها ابن هشام في سيرته ، وفي قوله وروى أن هذا كان أول
حصولهما بمكة (أي الحصبة والجدرى) فقد أجمع المؤرخون والعرب الذين
كانوا في وقت هذه الحادثة العظيمة على أن محل هلاك جيش أبرهة مكان
يقال له المغمس وهو على أميال من مكة في طريق الطائف لا مكة كما قال ،
وهذه سيرة ابن هشام مطبوعة متيسر اطلاع كل قارئ سليم العقل والعقيدة
عليها قد بين فيها كيفية قتل الطير لهم وما قالته العرب في أشعارها في هذه
القصة وما آمن الله به على قريش بعد بعثته عليه السلام من أنزال سورة
الفيل وسورة لإيلاف قريش ، وادعاء أول حصول ورؤية الحصبة والجدرى
ومرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر ذلك العام ببيلاد العرب كلها
(لا بمكة فقط كما زعم) هو رأى يعقوب بن عتبة قال ابن هشام في سيرته
قال ابن اسحق حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول مارؤيت الحصبة
والجدرى بأرض العرب ذلك العام وأنه أول مارؤى بهامرائر الشجر الحرمل
والحنظل والعشر ذلك العام اه . وبهذا ظهر فساد كلامه ومخالفته للتاريخ
في ثلاثة مواضع على أن رأى يعقوب بن عتبة هذا في أول رؤية تلك
المذكورات ذلك العام ببيلاد العرب دعوى لا دليل عليها وقد نقل مثله عن
عكرمة وسكنه في الجدرى خاصة .

وأما الخيانة في النقل فكان الواجب عليه ان ينقل عن ابن هشام ما اتفق
عليه العرب واهل السير قاطبة في هذه القصة ثم بعد ذلك يرجح هلاكهم
بالحصبة والجدرى المذكورين في رأى يعقوب بن عتبة مع أنه لا حجة له
فيه كما هو ظاهر للقراء حتى لو صح فيكون بذلك قد ادى امانة رواية العلم .
وأما الغش فان كل من وثق بكلامه هذا ولم يطالع على سيرة ابن هشام
ولم يقرأ سورة الفيل يقع في جهل فادح من جراء غشه وليس الغش من
اخلاق المسلمين وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح
(من غشنا فليس منا) .

وأما التكذيب فان القول بانهم هلكوا بالحصبة والجدرى تكذيب

لصريح القرآن فقد بين تعالى كيفية قتلهم في سورة الفيل بيانا صريحا لا يقبل التأويل ولا الموازنة وقصها أحسن قصص لا غموض فيه بكلام موجز بليغ كسائر أخبار الأمم السابقة التي قص الله عز وجل في كتابه العزيز علينا كيفية دمارهم كعاد وثمود وغيرهما أحسن قصص فقد بدأها تعالى بخطاب نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى : ألم تر كيف فعل ربك ، وهو عام يصلح لكل من يتأتى منه الرؤية والاستفهام فيه للتقرير ، أي ألم تعلم قرره على وجود علمه بهذه الحادثة وقيل للتعجب لنقله نقل المتواتر ، فان قيل لم قال تعالى له عليه الصلاة والسلام ألم تر مع أن هذه القصة كانت قبل البعث بزمان طويل فالجواب أن المراد من الرؤية هنا العلم والتذكر أي قد علمت وهو إشارة إلى أن الخبر بالواقع لأصحاب الفيل متواتر فكأن العلم الحاصل به ضروري مساو في القوة للرؤية كما هو شأن المتواتر وأسندتعالى إهلاكهم إليه جل وعلا معبرا بكيف دون ما لتذكير عباده ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله ألم يجعل كيدهم في تضليل أي في إبطال وتضييع لأنهم أرادوا أن يكيّدوا قريشا بالقتل والسبي والبيت بالتخريب والهدم بين تعالى فعله بهم أي هلاكهم بأن أرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كول بثلاث جمل فصيحة صريحة ليس فيها غموض ولا إجمال حتى تحتاج إلى بيان الخلق وتأويلاتهم الفاسدة ثلاث حقائق واضحة وضوح الشمس ، رام وهو الطير التي أرسلها الله تعالى عليهم جماعات جماعات كتائب منظمة تنظيما إلهيا ، ومرمى به وهو الحجارة ، والمفسرون على أن الحجر منها لا يزيد في الكبر عن الحصاة كل طير يحمل منها ثلاثة إثنان في رجله والثالث في منقاره ، ومرمى وهو جيش أبرهة وما كسّهم أصابته الحجارة ولا تصيب أحد امنهم إلا أهلكته . وقد روى ابن اسحق عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس ، وقول الخضرى في أبرهة (فعاد منهزما وتوفى بعد عودته) من الغش للقراء وعدم

الأمانة في نقل العلم لأنه لم يذكر كيفية موته هلا قال مات بالجدري كما مات
جل جيشه قال ابن هشام في سيرته التي أحال عليها حضرته بقوله ، (وقد
بينها ابن هشام في سيرته) مانصه فخر جوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون
بكل مهلك على كل منهل وأصيب أبرهة في جسده وخر جوا به معهم يسقط
أئمة أئمة كلما سقطت أئمة اتبعته منه مدة تمت قيحا ودماً حتى قدموا به
صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فمات حتى انصدع صدره عن قلبه اه .

ولنذكر شيئاً من أشعار العرب في هذه الحادثة . قال ابن هشام في سيرته :
وخرجوا هاربين يتدرون الطريق الذي منه جاؤا ويسألون عن نفيل ابن
حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن (ونفيل بن حبيب الخثعمي هذا كان
اعترض أبرهة حين وصل إلى أرضهم ليرده عن بيت الله فأسره أبرهة وأراد
قتله فقال له نفيل ابني أيها الملك دليلك بأرض العرب وهاتان يداي لك
على قبيلتي خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة فتركة واستصحبه معه دليلاً
فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نعمته :

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب
وقال أيضاً :

ألا حيث عنا ياردينا نعمناكم مع الأصباح عينا
ردينة لو رأيت فلا تريه لدى جنب المحصب مارأينا
إذا لعذرتي وحمدت أمرى ولم تأسى على مافات بيننا
حمدت الله إذ أبصرت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل كأن على للجبشان دينا

وقال عبد الله بن الزبيري رضي الله تعالى عنه :

تنكوا عن بطن مكة أنها كانت قديماً لا يرام حريمها
لم تخلق الشعري لبالى حرمت إذ لا عزيز من الانام يرومها
سائل أمير الجيش عنها مارأى ولسوف ينبي الجاهلين علمها
ستون ألفا لم يؤبوا أرضهم بل لم يعش بعد الاياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها

وقال أبو قيس بن الاسلت الانصارى يخاطب قريشا ويحذرهم من
نصب العداوة للنبي صل الله تعالى عليه وسلم من قصيدة له في ذلك:

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا بأركان هذا البيت بين الاخشاب
فعندكم منه بلاء ومصداق غداة أبي يكسوم هادى الكتائب
كثيبته بالسهل تمشى ورجله على القاذفات في رؤوس المناقب
فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهم جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراغاً هاربين ولم يؤب الى أهله ملحيش غير عصائب
وقال طالب بن أبي طالب :

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس وجيش أبي يكسوم إذ ملأوا الشعبا
فلولا دفاع الله لاشيء غيره لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا
وقال أمية بن أبي الصلت الثقفي :

ان آيات ربنا ثاقبات لا يمارى فيهن إلا الكفور
خاق الليل والنهار فكل مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم بمهارة شعاعها منشور
حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يحبو كأنه معقور
لازماً حلقة الجران كما قطر من صخر كبكب محذور
حوله من ملوك كندة أبطا ل ملاويث في الحروب صقور
خلفوه ثم ابذعروا جميعاً كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الخليفة بور

فان قيل من اين حكم الخضرى على اصحاب الفيل بانهم هلكوا بالامراض
الثقيلة وهى الحصبة والجدرى من سيرة ابن هشام . قلت من رأى يعقوب
ابن عتبة وهو دعواه (ان اول مارؤيت الحصبة والجدرى بارض مكة ،
وقد قدمت ان لا حجة له فى رأى يعقوب . فان قيل ضم لرأى يعقوب قول
ابن هشام فى ملكهم ابرهة (واصيب ابرهة فى جسده وخرجوا به معهم
يسقط أئمة كلما سقطت أئمة اتبعها منه مدة تمت قيحاً ودماً حتى قدموا

به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فمات حتى انصدع صدره عن قلبه) قلت
لا حجة له على حكمه برأى يعقوب وحده ولا به مع هذه الضميمة فحكمه
هذا باطل من اربعة اوجه : الأول : أن ابن هشام لم يقله وعليه فقد تقول عليه.
الثاني : على فرض صحة أخذ حكمه من رأى يعقوب بن عتبة او منه ومن
حالة ابرهة بعد اصابته فالفرق بين (هلكوا بالامراض الثقيلة الحصبة
والجدري) وبين أن اول مارؤيت الحصبة والجدري بارض العرب ذلك
العام) كما بين السماء والارض يعرفه صغار الطلبة ، الثالث قال هلكوا
بالحصبة والجدري ولا يجتمع الحصبة والجدري في مريض واحد في وقت
واحد عادة وعليه فيمكن ان يرفع هذا الفشار فيقال بعضهم هلك بالحصبة
وبعضهم هلك بالجدري وينبئ عليه اسئلة كثيرة فيقال كم المقدار الذى
هلك منهم بالحصبة ، وكم المقدار الذى هلك منهم بالجدري وكم المقدار الذى
نجا منهم ، ومن احصى ذلك من العرب وضبطه وما وجه تخصيص اهلاكم
بهذين المرضين بذلك المكان (المعجمس) دون غيره من بلاد العرب التى
مر بها ذلك الجيش الجرار من خروجه من اليمن سالماً الى ان وصل اليه ،
وهل الحصبة والجدري من الأمراض الثقيلة ، واذا كانا من الأمراض
الثقيلة فكيف تأتى لابرهة وشرذمة من جيشه الفرار منها فهل يمكن لمريض
مرضا ثقيلاً الفرار المستلزم لسرعة حركة الفار بسبب الذعر الباعث له
على ذلك ، وهل يتأتى الهروب لمن ثقل بهذين المرضين . وقد قال ابن هشام
(وخرجوا هاربين يتسرون الطريق الذى منه جاءوا ويسألون عن نفيل
ابن حبيب الخثعمى ليدهم على الطريق الى اليمن) وقال ايضاً (فخرجوا
يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل) وكيف نجا من
هذين المرضين الثقيلين نفيل بن حبيب وقال متشفيماً فيهم :

حمدت الله اذا بصرت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا

وكل القوم يسأل عن نفيل كان على للحبشان دينا

الرابع العادة والتاريخ يكذبان هذا الحكم فان الحصبة والجدري ليسا من
الامراض الفتاكة عادة بل ولا من الامراض الثقيلة كالتاعون على ان

المصاب بالطاعون يمكث ساعات كثيرة ثم يموت وهؤلاء الأبحاش هلكوا
حالا فجعلهم كعصف ما كول ولم يعرف في العادة والتاريخ ان اهل بلدة
او قرية هلكوا بالحصبة او الجدرى ويقال على فرض صحة هذا ما تقدم
من الاسئلة ويزاد فيقال العادة الجارية في السكون أن الأمراض الثقيلة
انما تحصل في المدن والقرى لا في الصحراء والبادية التي هي انقى هواء من
القرى والمدن والمشاهدة الآن قاضية بان اهل البادية على شظف معيشتهم
في مجموعهم اصح أمزجة من اهل القرى وأهل القرى على شظف معيشتهم
في مجموعهم اصح أمزجة من أهل المدن ويقال ايضاً العادة الجارية ان هذين
المرضين يحصلان لأهل المدن والقرى في الصغر غالباً ولا سيما الحصبة
فانها مرض الاطفال والغالب فيها السلامة ونادر من يحصل له ذلك فيها
في الكبر والنادر لاحكم له، ويقال ايضاً لم يهلك هذا الجيش بالحمى وماوجه
تخصيص هلاكه بهذين المرضين دون غيرهما من الأمراض الثقيلة ، ولم لم
يهلك بهما اهل مكة وهي قرية قريبة من (المممس) وعلى فرض صحة
وقوع الامراض الثقيلة بالصحراء كيف هلك معظم هذا الجيش الجرارها
مع انه لم يمكث بها مدة طويلة حتى ينشأ منها فساد الهواء المستلزم لوقوع
الامراض الثقيلة ولم يزد مكثه بها على يوم او بعض يوم فيستحيل ان
يهلك جيش عظيم في ساعة من نهار بما هو اشد واقبح منهما كالطاعون ،
ولم لم يهلك ابرهة مع جيشه في ذلك المكان مع انه اصيب كما اصابوا ، ولم
تأخر هلاكه الى وصوله لصنعاء ، ولم صار لحمه يتساقط قطعة قطعة ومرض
الحصبة لا يسقط منه لحم المصاب بها عادة بل ولا الجدرى الذي هو اشد
منها ، وقد يما انكر هذا من لا يؤمن بقدره القادر الحكيم فقال لو جوزنا
ان يكون في الحجر الذي يكون قدر العدسة مثلاً من الثقل ما يقوى به على
ان ينفذ من رأس الانسان ويخرج من اسفله لجوزنا ان يكون الجبل العظيم
خالياً عن الثقل وان يكون في وزن التينة وذلك يرفع الامان عن المشاهدات
فانه متى جاز ذلك فليجز ان يكون بحضرتنا شمس واقمار ولا تراها
(٦ - تحذير العبقري)

وكل ذلك محال . والجواب ان هذا وامثاله خارق للعادة جائز على مذهبننا ولاشك ان هذه الواقعة كانت دالة على قدرة الصانع وعلمه وحكمته وكانت دالة على شرف محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وتأسيسا لنبوته وارهاسا لها واعزازاً لقومه بما ظهر عليهم من الاعتناء حتى دانت لهم العرب واعتقدت شرفهم وفضلهم على سائر الناس بحماية الله لهم ودفعه عنهم مسكراً برهة الذى لم يكن للعرب جميعاً بقتاله طاقة فقصصة الفيل هذه حجة دامغة للملحدين لانهم ذكروا فى الزلازل والرياح والصواعق وسائر الاشياء التى عذب الله تعالى بها الامم السابقة أعداراً ضعيفة اما هذه الواقعة فلا تجرى فيها تلك الأعدار لأنه ليس فى شىء من الطبائع والحيل ان تقبل طير معها حجارة فتقصد قوماً دون قوم فتقتلهم ولا يمكن ان يقال انه كسائر الحوادث الضعيفة لانه لم يكن بين عام الفيل ومبعث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الا اربعون سنة ويوم انزلت هذه السورة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان قد بقى بمسكة جمع شاهدوا تلك الواقعة بل جميع العرب يعلمونها علماً يقينياً فلو كان نقلها غير صحيح لشافوه بالتكذيب فلما لم يقع منهم تكذيب له علمنا انها متواترة قطعياً لاسبيل للطعن فيها . فان قيل ان مشركى قريش كانوا ملأوا الكعبة من الأوثان ولاشك ان ذلك اقبل من تخريب جدرانها فلم سلط العذاب على من قصد تخريبها ولم يسلط على من ملأها من الأوثان . والجواب ان وضع الأوثان فيها تعد على حق الله تعالى وتخریبها تعد على حق الخلق . ونظيره قاطع الطريق والباغى والقاتل يقتلون مع انهم مسلمون ولا يقتل الشيخ الكبير والأعمى وصاحب الصومعة والمرأة وان كانوا كفاراً لانه لا يتعدى ضررهم الى الخلق . فان قيل ايضاً ان الحجاج بن يوسف خرب الكعبة بان رماها بالمنجنى كما رماها جيش يزيد بن معاوية قبله ولم يحصل لهم ما حصل لاصحاب الفيل من العذاب فما الفرق ؟ فالجواب ان ذلك وقع ارهاصاً لنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم والارهاص انما يحتاج اليه قبل قدومه فلما

ظهر عليه الصلاة والسلام وتأكدت نبوته بالدلائل القطعية فلا حاجة الى شيء من ذلك على ان جيش يزيد والحجاج انما قاتلوا على الملك ولم يقصدوا هدم الكعبة ولم يسيروا اليها كأبرهة وما وقع فيها من التخريب ادى اليه القتال . فان قيل : فهل للخضري في هذا التفسير المكذب لصريح القرآن وللتاريخ المنقول في هذه الحادثة سلف ، قلت نعم سلفه وقدمته فيها محمد عبده في تفسيره لجزء عم في سورة الفيل وحيث كان المبتكر والقدم في هذه المصيبة فلنذكر كلامه برمته ليراه القراء ثم أفنده وهذا نصه :

كلام محمد عبده في تفسيره

لسورة الفيل من جزء عم

قال (ولم يزل سائراً يغلب من يلاقيه حتى وصل إلى المغمس بالقرب من مكة ثم أرسل إلى أهل مكة يخبرهم أنه لم يأت لحرهم وإنما أتى لهدم البيت ففرعوا منه وانطلقوا إلى شعف الجبال ينتظرون ماهو فاعل وفي اليوم الثاني فشا في جند الحبشى داء الجدري والحصبة قال عكرمة وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب وقال يعقوب بن عتبة فيما حدث إن أول مارؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم مايندر وقوع مثله فكان لحمهم يتناثر ويتساقط فذعر الجيش وصاحبه وولوا هارين وأصيب الحبشى ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وانملة أنملة حتى انصدع صدره ومات في صنعاء هذا مااتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة ان ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير ممايرسله الله تعالى مع الريح فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض وان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فاذا اتصل بجسد دخل في مسامه فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى

بافساد الجسم وتساقط لحمه وان كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في اهلاك من يريد اهلاكه من البشر وان هذا الحيوان الصغير الذى يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنها وهو فرق وجماعات لا يحصى عددها إلا بارئها ولا يتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى في قهر الطاغين على أن يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب ولا على أن يكون له ألوان خاصة به ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفية تأثيرها فله جند من كل شيء وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد. وليس في السكون قوة إلا وهى خاضعة لقوته فهذا الطاغية الذى أراد أن يهدم البيت أرسل الله عليه من الطير ما يوصل اليه مادة الجدرى أو الحصبه فأهلكته وأهلكت قومه قبل أن يدخل مكة وهى نعمة من الله تعالى غمر بها أهل حرمه على وثنتهم حفظاً لبيته حتى يرسل من يحميه بقوة دينه صلى الله عليه وسلم وان كانت نعمة من الله تعالى حلت بأعدائه أصحاب الفيل الذين أرادوا الاعتداء على البيت بدون جرم اجترمه ولا ذنب اقترفه ، هذا ما يصح الاعتماد عليه فى تفسير السورة وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل ان صحت روايته . وما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعد بالفيل وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسماً ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ولا يدرك بالبصر حيث ساقه القدر لا ريب عند العاقل أن هذا أكبر وأعجب وأبهر اه) .

تفنيده

كلامه هذا باطل من ستة أوجه :

١ - (الأول) تكذيبه لصريح نص القرآن الذى لا يحتمل التأويل بحال فى قصة هذه الحادثة بأوضح بيان ، فقد أسند الله تعالى اهلاكهم اليه تعالى فى أربع جمل (كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) ألم يجعل كيدهم فى تضليل بواسطة رمى الطير المنظمة كتائب كتائب لهم بالأحجار) وأرسل عليهم

طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كول) والحقيقة
والحس المتواتران وهما ثلاث حقائق رام ومرمى ومرمى به لا يمكن دفعهما
بهذا الهوس وهو (وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدرى
أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش) ولا
يتردد كل من له أدنى مسكة من عقل في أن الساقط لا يقال له مرمى لا لغة
ولا عادة ولا عقلاً وهذا ظهر تكذيبه لحيز الله تعالى في هذه القصة
الواضحة وضوح الغزاة كما ظهر تكذيبه للتاريخ المنقول فيها تواتراً عن
شاهدها من العرب ولمؤرخى الاسلام قاطبة فيعد قوله (سقطت على أفراد
الجيش) تحريفاً للرمى في قوله تعالى (ترميهم بحجارة) بالسقوط والساقط
ليس مرمياً لا محالة ، (لا تأويلا) ولم يحرف الشيخ من كلام الله تعالى هذه
اللفظة وهى الرمى فقط بل أمثالها كثير فيما حرفة أيضاً تفسير الانفطار
والانشقاق تقليداً للفلاسفة الذين ينكرون كون السماوات أجراماً
ليراجع من شاء تفسيره لجزء عم وقد صار الشيخ في هذا التحريف قدوة
مقلداً اكل متوثب من أهل العصر على كلام الله تعالى .

٢ - (الثانى) الكذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى جميع الرواة
للسنة النبوية من الصحابة إلى مشايخه طبقة طبقة في قوله (هذا ما تفقت
عليه الروايات ويصح الاعتقاد به) فاسم الإشارة في قوله هذا ما تفقت
يرجع إلى الهلاك الذى هلك به جيش أبرهة في زعمه وهو الوباء والجدرى
والحصبة وتناثر لحمهم قطعة قطعة فلو ادعى رواية واحدة في هلاك هذا
الجيش بما ذكره عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكانت غاية كافية في شناعة
الفرية على الرسول لأنه يروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم على أقل تقدير
صحابى واحد والصحابى يروى عنه غالباً جمع والجمع يروى عنهم جمع أكثر
منهم عدداً وهلم جرا إلى مشايخه وكون الصحابى لا يروى عنه إلا واحد
وهو ما يسمى في فن المصطلح بالفرد النسبى نادر فكيف وقد ادعى روايات
كثيرة بالجمع وأقل الجمع ثلاث وعليه فلو فرض أن هذه الفرية رواها عنه

صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة من الصحابة كل واحد منهم يرويها عنه جمع من التابعين وكل واحد من جمع التابعين يرويها عنه جمع من أتباع التابعين وهلم جرا إلى مشايخه فانها تكون حينئذ من قسم المشهور والمستفيض وفرض عدد طبقات الرواة الذين بين محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٤ وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمس عشرة طبقة فاذا فرض في كل رواية من الروايات التي عبر عنها بصيغة الجمع انه رواها في كل طبقة أقل الجمع (ثلاث) وفرضت الروايات التي عبر عنها بقوله (هذا ما انفقت عليه الروايات) ثلاثاً على أقل تقدير فيكون حضرته قد كذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكذب على مائة وخمسة وثلاثين راوياً من حملة شريعته على أقل المفروض غير كذبه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . فان قيل ليس مراده بالروايات في قوله: (هذا ما انفقت عليه الروايات) الروايات عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يترتب عليه صريحا الكذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الجم الغفير من حملة شريعته ، بل مراده بها رواية يعقوب بن عتبة ورواية عكرمة فالجواب أن هذا باطل من ثلاثة أوجه: (الأول) أن الرواية أو الروايات إذا أطلقها أى عالم من علماء المسلمين انما تنصرف لرواية السنة النبوية جزماً عند جميع أهل الاسلام فاذا قصد بها قول صحابي أو غيره مثلاً قيدها بقوله الرواية أو الروايات عن فلان وقد أطلقها حضرته هنا فتحمل جزماً على رواية السنة . (الثاني) أن ما حدث به يعقوب بن عتبة رأيه وليس برواية وقد تقدم تقريره في تفنيد كلام الخضرى وكذلك ما قاله عكرمة رأيه وليس برواية وقد صرح بذلك حضرته بقوله قال عكرمة وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب ولم يصرح عكرمة بأنه سمعه من صحابي مثلاً والصحابي سمعه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يكون رواية فقوله قال عكرمة وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب صريح في كونه رأياً لا رواية على أن قوله وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب دعوى مثل دعوى يعقوب بن عتبة تماماً وتقدم انه لا دليل عليها على

أنه قد بتر كلام عكرمة فذكر منه ما يوافق هواه فقط وبذكر كلامه كله يظهر للقارئ انه لا حجة له فيه . أخرج الامام ابن جرير في تفسيره بسنده إلى عكرمة مانصه : قال كانت ترميهم بحجارة معها قال فاذا أصاب أحدهم خرج به الجدرى قال وكان أول يوم روى فيه الجدرى قال لم ير قبل ذلك اليوم ولا بعده اه فقد صرح عكرمة بأن الطير رمتهم بأحجار معها فاذا أصاب أحدهم خرج به الجدرى أى هاكوا بالأحجار المرمية عليهم من جيوش الطير فالحجر إذا أصاب أحدهم خرج به الجدرى فهلا كههم قطعاً بالأحجار المرمية عليهم ، والجدرى الذى نشأ من الاصابة فى قول عكرمة ان صح محمول جزماً على أن محل دخول الحجر فى الجسم ومحل خروجه يشبه الجدرى أى مكان الاصابة دخولا وخروجاً منقطع كمنقطع النار وذلك يشبه الجدرى لأن الحجارة يابسة كما اعترف بها الشيخ سواء قلنا إنها مختلطة من حجر وطين أو كانت من طين مطبوخ كالآجر توفيقاً بينه وبين قول جمهور المفسرين ، ما يقع حجر على رأس رجل منهم الا خرج من دبره ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر . (الثالث) او فرض أن رأيي يعقوب بن عتبة وعكرمة من الرواية فهما روايتان لاروايات بالجمع فكان صواب التعبير على هذا الفرض أن يقول هذا ما تفقت عليه الروايتان بالثنية وما كفى حضرته تكذيب صريح القرآن فى اخباره عن هذه الحادثة بايضاح والتقول على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى حملة سنته حتى جعله العقيدة الصحيحة للمسلم بقوله (هذا ما تفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به) والعجب منه يتقول الروايات هنا فى هذه الحادثة وليس فيها رواية أصلاً لتمشية هواه فى حين أنه يطعن فى الأحاديث الصحيحة بل فى المتواترة ويزدرى ويتهمك بأمة الرواية مع كونه ليس من أهلها ولا يقيم لها ولا لحماها وزناً إذا خالفت هواه .

وهذا تفسيره لجزء عم مملوء بالخطل فقد زعم فيه : أن النفخ فى الصور تمثيل لبعث الله تعالى الناس يوم القيامة بسرعة وفتح السحاب عبارة عن

تغيير نظام الكون وانفطار السماء وانشقاقها فساد تر كيبها واختلال نظامها
قال (وذلك يكون بمحاذة من الحوادث التي قد ينجر اليها سير العالم كأن يمر
كوكب في سيره بالقرب من آخر فيمتجاذبا فيمتصادما فيضطرب نظام الشمس
بأسره) ، وعرف الشيطان بانه قوة نازغة الى الشر : اى معنى من المعانى
لاجسم مكلف مخاطب وطعن في احاديث الشفاعة وفضائل اهل البيت وفي
الآثار الواردة في الميزان وفي الاحاديث الواردة في حوضه عليه الصلاة والسلام
وهى متواترة . قال الحافظ ابن حجر في فتحه في كتاب العلم من صحيح
الامام البخارى في شرح قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : ﴿ من كذب على
متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ﴾ إنه متواتر كاحاديث الحوض واحاديث
المسح على الخفين ورفع اليدين في الصلاة ورؤية الله فى الآخرة وغيرها اهـ .
وطعن ايضا فى حديث سحر لبيد بن الاعصم اليهودى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وفى احاديث وسوسة الشيطان لابن آدم وجشومه على قلبه
بخرطومه ، وتفنى قلمه فى الازدراء والتهكم والتجهيل لعلماء الاسلام
قاطبة فلينظره من شاء ولينظر خاصا هذه السور : الضحى والقدر والبينة
والزلزلة والقارعة والكوثر وتبت يدا ابى لهب والمعوذتين كل هذا منه
تقليد : هذا وهو الامام المجتهد عند المتغالين فيه . وقد صار فى هذا الطعن
مقلداً مقتدى به لجل كتاب العصر ولاسيما المتعلمين تعليماً غربياً فمنهم
من يطعن فى الاحاديث اذالم توافق هواه كتلميذه الخاص محرر مجلة
المنار فقد طعن فى احاديث انشقاق القمر وفى غيرها ومنهم من لا يقبل
السنة كلها ويتهم جميع روايتها كصاحب (حياة محمد) كما انه مقلد للخوارج فى
حمل ماورد فى الكفار خاصة على المؤمنين : ففى كتاب استنابة المرتدين
والمعاندين وقتالهم من صحيح الامام البخارى فى باب قتل الخوارج والملحدون
بعد اقامة الحجّة عليهم مانصه : وكان ابن عمر يراهم (يعنى الخوارج) شرار
خلق الله وقال انهم انطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فحملوها على المؤمنين اهـ
وقد حمل محمد عبده سورة تبت يدا أبى لهب الواردة فى ذم كافرين معينين

ووعيدهما على المؤمنين تزكية لنفسه واعلاء لها فقال في تفسيرها مانصه
(فجميع اولئك الذين يقولون لك انك مهما بلغت من العلم لا يمكنك ان
تعرف عن الله تعالى من كتابه ولا من كلام نبيه شيئا من الاحكام والعقائد
ولا يجوز لك أن تستند في تقرير حكم الى آيات الكتاب ولا الى الصحيح من
السنة وإنما الواجب عليك ان ترجع الى قول فلان ورأى فلان وان وصلت
من معرفة لغة الكتاب والسنة الى أعلى غاية اولئك هم آباء لطلب لا تغنى
عنهم اموالهم ولا اعمالهم شيئا وسيصلون ما يصلى وكل امرأة تم بين الناس
لتفرق كلمتهم وتذهب بهم مذاهب السوء فهى ممثلة فى هذا المثال نازل بها
ذلك النكال اه.) .

فقد رأى القارىء كلامه هذا صريحا فى تكفير كل من قال من المسلمين له
ولاشباهه : انك مهما بلغت من العلم .. لا تصل الى درجة المجتهدين باداة
الخصر .

٣ - الوجه الثالث تحقق من كلامه أنه قد زاد فى هذه القصة عمالم يذكره
الله تعالى لنا فى الاخبار بها وعن التاريخ المنقول فيها تواترأ ثمانية اشياء :
: الريح والجدرى ، والحصبة ، والسهم اللاصق بتلك الاحجار اليابسة ،
والحيوان الصغير المسمى بالميكروب المتعلق بتلك الاحجار اليابسة ايضا ،
وتناثر وتساقط لحم اجسام جميع افراد الجيش الهالك ، وتعيين حجم هذا
الطير بانه من جنس البعوض او الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض
وسقوط تلك الاحجار من ارجل الطير لارميتها ، وفى كلامه فى هذه
الزيادة من الخلط شىء كثير كما انه يترتب عليها اسئلة كثيرة لا يمكن الانفصال
عنها : فمن ذلك جعله الحصبة والجدرى (وباء) ، والوباء ان اطلق لغة
على الطاعون فقط فاطلاقه حينئذ عليهما غلط لامرية فيه ، وان اطلق على
كل مرض عام فتحصيه بهما تحمك لادليل عليه لانقلا ولا عقلا ، ويرد
عليه جميع ماورد على الخضرى من الاسئلة فيهما وقد تقدم ذكرها ، ومن
ذلك ايضا التضارب فى كلامه فى الشىء الهالك به هذا الجيش قال (بالحصبة
او الجدرى) ثم قال (فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض
(٧ - تحذير العبقرى)

أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض وان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بارجل هذه الحيوانات فاذا اتصل بجسد دخل فى مسامه فاثار فيه تلك القروح التى تنتهى بافساد الجسم وتساقط لحمه اه). فخلاصة هلاكهم من كلامه باربعة أشياء الحصبة والجدرى والحيوان الصغير المسمى بالميكروب والسم الملتصق بالحجارة اليابسة ويمكن تربيته بارجاع ماهلكوا به الى شيئين فقط السم والميكروب ولا شك عند كل عاقل ان السم غير الميكروب لان السم ليس بحيوان والميكروب حيوان فصارت نتيجة اهلاكهم دائرة بين ما هو حيوان وما ليس بحيوان وصارت عقيدة المسلم التى حققها له بقوله (هذا ما انفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به) وبقوله فى آخر كلامه (هذا ما يصح الاعتماد عليه فى تفسير السورة وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله الا بتأويل ان صحت روايته) مضطربة بين السم والميكروب فعلى أيهما يركزها ؟ فان بناها على هلاكهم بالسم فيكون تقدير هذه السلسلة الطويلة المزيدة فى الآية الشريفة من كلامه هكذا : هلكوا بسم أفسد أجسامهم فتناثرت لحومها وتساقطت : التصق ذلك السم بحجارة يابسة حملتها الرياح فعلقت بأرجل طيور صغار كالبعوض او الذباب وسقطت تلك الحجارة على أفراد الجيش ، فينحل هذا الكلام الى ست جمل فاذا زيد عليه ، اتصل ذلك السم بجسد كل واحد منهم فدخل فى مسامه فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى بافساد الجسم وتساقط لحمه فهذه ثلاث جمل اخرى فترتب على هلاكهم بالسم من كلامه تسع جمل وتنهار هذه العلاوة الطويلة بالعادة فان كل عاقل يعلم عادة ان السم اذا اتصل بظاهر الجسم لا يضره فضلا عن كونه يقتله وانما يقضى على حياة الجسم اذا وصل الى داخله بواسطة الحقنة أو بالأكل مثلا ومع هذا لا يسقط منه لحم الجسم فضلا عن تناثر اجزائه على ان من تحسى سما او وصل الى داخل جسمه بواسطة آلة يهلك سريعا ويستحيل منه الهروب والتحرك من مكانه عادة وهذا الجيش اعترف

الشيخ بأنهم ولو أهار بين. فإن قيل: إن تلك الاحجار اليابسة الملتصق بها السم بمنزلة الحقنة له. قلت هذا لا يصح الا اذا كانت تلك الاحجار مرمية من طيور يصح منها الرمي فحينئذ يمكن دخول السم في الجسم بواسطة الاحجار المرمى بها وحينئذ نرجع الى المحقق حسا وهو هلاكهم بالاحجار المرمية عليهم كما قال الله تعالى .

ولا حاجة بنا إذا الى هذه العلاوة التي يبطلها القرآن والتاريخ والحس والعادة فكلام الشيخ متضارب جمع بين الأشياء التي لا يعقل ترقيعها ولا التوفيق بينها عادة فالبعوض أو الذباب لا يمكنه حمل أحجار يابسة ورميها بل ولا حملها ثم تسقط منه وإنما يمكنه حمل شيء صغير جدا كالميكروب والغبار ولا يسمى البعوض والذباب طيرا في العادة المستمرة من ذلك العهد الى الآن وإن كان طيرا بحسب اللغة ولم يقل أحد من الناس إن البعوض أو الذباب يرمى بالاحجار أو بصغار الحصى فضلا عن كبارها ولا العادة المستمرة في الناس قضت بذلك وإنما يقال وقع الذباب على كذا أو في كذا. وفي الحديث الصحيح ﴿ إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه فان في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء ﴾ وقال الأطباء أن نوعا من البعوض يحمل الحمى المalarيا فاذا وقع على جسم حصلت له تلك الحمى، وإن بناها على هلاكهم بالحيوان الصغير المسمى بالميكروب فتقدير العلاوة على هذا الوجه هكذا : هلكوا بالحيون المسمى بالميكروب الذي لا يرى لشدة صغره الملتصق بالاحجار التي حملتها الرياح فالتصقت بارجل الذباب والبعوض فسقطت منها على افراد الجيش وهذا التقدير نحو ست جمل ايضا فظهر بهذا ان الشيخ زاد في حادثة هلاك هذا الجيش على كلا الأمرين السم والميكروب على كتاب الله تعالى ست جمل وكتاب الله تعالى بينها احسن بيان بثلاث جمل كما تقدم على ان الهالك باى مرض من أمراض الميكروب لا يموت الا بعد مدة وهذا الجيش هلك حالا ويستحيل ايضا من المصاب بالميكروب حمى او غيرها الهروب عادة كما يستحيل تقطع الجسم وتناثر لحمه به . فان

قيل إن القرآن الذي قص هذه الحادثة أحسن قصص لم يذكر أن لحوم اجسام ذلك الجيش الهالك كانت تتساقط وتتناثر كما ذكر الشيخ بقوله (وقد فعل ذلك الوباء باجسامهم ما يندر وقوع مثله فكان لحمهم يتناثر ويتساقط) ولا التاريخ المنقول فيها تواترا ذكر ذلك فمن أين للشيخ هذا التفصيل العجيب قلت اخذ ذلك من مصاب رئيسهم أبرهه فانه قال واصيب الحبشى ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وأملة ائمة حتى انصدع صدره ومات في صنعاء) وهو تصرف قبيح وحكم على الكل بحكم البعض .

٤ - الوجه الرابع يلزم من تفسيره هذا لهذه السورة تجهيل الله تعالى حيث أخبر عن هذه الحادثة اخباراً مجملات ناقصاً مبهماً يحتاج الى ان يبينه ويكمله ويوضحه حضرته وتعجز قدرته جل وعلا ايضاً حيث انه لا يتأتى لها التأثير في الموجودات الا بالوسائط الكثيرة ، وتجهيل ايضاً لعلماء الاسلام قاطبة المفسرين من عمر الصحابة رضوان الله عليهم الى زمنه حيث انهم لم يهتدوا الى هذا التفسير الذي انفرد به حضرته وقال هو الذي (يصح الاعتقاد به) وقال ايضاً (هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير السورة وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله الا بتأويل ان صححت روايته) أى فما ذكر الله تعالى في اهلاك هذا الجيش واضحاً بثلاث جمل لا يصح قبوله ان صححت روايته عنده الا بتأويل وما نقل من التاريخ فيها تواتراً كذلك لا يصح قبوله ان صححت روايته إلا بتأويل فنتيجة كلامه هكذا : ما ذكره الله تعالى في بيان هذه الحادثة وذكره التاريخ المنقول فيها تواتراً لا يصح قبوله على فرض صحته عنده ، الا بتأويل فعدم صحة قبوله على عدم صحة روايته عنده من باب اولى . وكفى بهذه النتيجة فساداً وقبحاً وشناعة واتضح بما تقرر في الاوجه السابقة ان الشيخ قصد بتفسيره هذا التضليل ، وهو :-

٥ - الوجه الخامس والحامل له على هذا القصد محاولة الجمع بين مذهبين متناقضين في العقيدة مذهب الماديين الذين لا يؤمنون بوجود الاله الواحد القهار القادر على كل شيء الحكيم ومذهب من يؤمن بذلك . ومعلوم عند كل عاقل ان محاولة ابطال الخوارق وتعجز القدرة الالهية بهذا الترقيع

محاولة فاشلة لا يرضى بها اهل الاسلام قاطبة ولا يقنع بها الماديون .

٦ - الوجه السادس التهويش وذلك في كلامه في مواضع : الاول في قوله (وان كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من اعظم جنود الله في اهلاك من يريد اهلاكه من البشر وان هذا الحيوان الصغير الذي - يسمى الآن بالميكروب لا يخرج عنها وهو فرق وجماعات لا يحصى عددها الا بارئها) كل مسلم صحيح العقيدة يعتقد لله تعالى جنوداً من كل شيء يسلمها على من شاء من خلقه ولكن تفسيره وحكمه بان جيش ابرهة هلكوا بالحيوان الصغير المسمى بالميكروب الذي حملته الطيور الصغار (البعوض او الذباب) خاطيء خطأ فاحشاً لادليل عليه لا نقلاً ولا عقلاً وقد تقدم ابطاله في الاوجه السابقة وكذلك في قوله الثاني (ولا يتوقف ظهوراً لثرفرة الله تعالى في قهر الطاعين على ان يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب ولا على ان يكون له ألوان خاصة به ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفيه تأثيرها فله جند من كل شيء وفي كل شيء له آية تدل على انه الواحد وليس في الكون قوة الا وهي خاضعة لقوته) فقد اشتمل هذا الكلام على تهويش كثير وخلط وتناقض فقوله ولا يتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى في قهر الطاعين على أن يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال الخ صحيح ظهور أثر قدرة الله تعالى لا يتوقف على ما ذكر وهو العقيدة التي يحملها كل مسلم بين جنبيه ولكن قوله (على أن يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب ولا على أن يكون له ألوان خاصة به) تهويش وتضليل وهل قال المفسرون إن ضخامة تلك الطيور كانت مثل رؤوس الجبال وهل يقدر ذلك في عقيدتهم أو في هذه الخارقة على فرض أنهم قالوه وهل ذكر التاريخ لألوان هذا الطير بأنها سود أو بيض أو خضر مثلاً يعد قدحا في ثبوت هذه الحادثة الخارقة عند العقلاء وهل نقل المفسرين لذلك يعد وصفاً في عقيدتهم الإسلامية ، وقوله (ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفيه تأثيرها) خلط

وتناقض بيانه أنه حقق أنهم هلكوا بالسم الملتصق بالأحجار اليابسة المحمولة بالريح المتعلقة بارجل الطيور الصغيرة (البعوض أو الذباب) أو بالحيوان الصغير المسمى بالميكروب الملتصق بالأحجار اليابسة المحمولة بالريح المتعلقة بأرجل إلى آخر السلسلة فظهر به أن قوله هنا ولاعلى معرفة مقادير الحجارة وكيفية تأثيرها تناقض وخلط لما حققه لأنه اعترف منه بهلاكهم بالحجارة المرمية عليهم من الطير وإنما قال لايتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى على مقادير الحجارة المرمية عليهم ولاعلى كيفية تأثيرها في أبدانهم والمسلمون كلهم يقولون بموجب هذا لأنه المطابق لنص الآية الشريفة. (ترميمهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كول) وعليه فالطيور الصغيرة كالذباب والبعوض يستحيل حملها للحجارة في أرجلها عادة وإنما تحمل الهباء والغبار أو الحيوان الصغير الذي لا يرى ولا يسمى الهباء والغبار والحيوان الذي لا يرى حجارة لا عقلا ولا عادة ولا حسا وقد اعترف بتأثير الحجارة في هذا الجيش ثم نفي كيفية تأثيرها فيه لأن أثر قدرة الله تعالى عنده لايتوقف عليها فوقع في ورطتين : الأولى نسبته التأثير للحجارة والمؤثر عند أهل الحق هو الله تعالى والحجارة سبب (ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى) الثانية تناقضه وهو نفيه هنا كيفية تأثير الحجارة في أجسامهم وإثباته في أول كلامه قال (وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم ما ينذر وقوع مثله فكان لهم يتناثر ويتساقط) وهذا بلا شك تعيين لكيفية هلاكهم وقد تقدم أن هذا منه زيادة عما قصه الله تعالى من أمرهم وزيادة على التاريخ المنقول تواترا وقوله (فله جند من كل شيء وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد) تهويش أيضا وإخبار بالمعتقد الواضح عند جميع المسلمين وتلييس على البسطاء وقوله (وليس في الكون قوة إلا وهي خاضعة لقوته) منطبق على مذهب القدرية الذين يثبتون للأشياء قدرة أو دعها الله فيها وعليه قالوا الانسان يخلق أفعال نفسه الاختيارية وهي مسألة القدر أى أفعال العباد والقدر سر الله تعالى في خلقه وقد أسهب فيها في رسالته في التوحيد ولم يأت فيها بباطل

سوى تسميته الأسلوب الإنشائي الذي دعم به مذهب القدرية ودافع عنهم
وعاب مذهب الأشعرية وزعم أنه هادم للشريعة ماح للتكاليف ، وقد فند
كلامه العلامة المحقق الشيخ مصطفى صبري التوقادي في كتابه «موقف البشر
تحت سلطان القدر» فقول له (وليس في الكون قوة أى قدرة إلا وهى خاضعة
لقوته) أى خاضعة لقدرته تعالى كلام موه مقلد فيه للمعتزلة فيقال له إذا
كانت كل قوة فى الكون خاضعة لقوته تعالى فنسبتها قوة لا تصح إلا على
سبيل التجوز وخضوعها لقوة الله دليل على أنها ليست بمؤثرة وقوة الله هى
المؤثرة وحدها واستحالة دخول مقدر واحد تحت قدرتين لكل واحدة
منهما قدرة التخليق والاكتساب دعامة لا يستطيع أهل الأرض جميعا تحريكها
وعلم الله تعالى أزل جميع الأشياء تفصيلا والداعى الموجب أى الباعث للعبد على
الفعل قضيا على مذهب القدرية ولذا نقل عن بعض أذكى المعتزلة أنه كان يقول
فى علم الله تعالى والداعى هما العدوان لمذهب المعتزلة لولا همتنا لنا الدست أى
على أهل السنة وقال بعض أهل السنة مسألة العلم حلقت لحى المعتزلة أى علم
الله تعالى فى أزل جميع الأشياء تفصيلا حججهم لأنهم يقولون إن العبد يخلق أفعال
نفسه الاختيارية والشروع والقباح لم يخلقها جل وعلا فيقال لهم هل علم جل
وعلا وقوعها أم لا لا سبيل لهم إلى إنكار علمه تعالى بها لأنه تجهيل
لربهم من حيث يريدون تنزيهه ولا شك أن نسبة الجهل إليه تعالى كفر
وان اعترفوا بعلمه تعالى بوقوعها فيما لا يزال ولا مناص لهم منه فقد قامت
عليهم حجة أهل السنة لأنه حينئذ علمها تعالى وأرادها من العباد لأن تعلق
الارادة تابع لتعلق العلم فلا يمكن أن يقع فى الكون شىء لم يعلمه الله تعالى
ولم يرده فالحق فى أفعال العباد أنه لا جبر ولا تمويض ولكن أمر بين
أمرين وذلك لأن مبنى المبادئ القريبة لأفعالهم على مرادهم واختيارهم
والمبادئ البعيدة على عجزهم واضطرابهم فالإنسان مضطر فى صورة مختار،
وكذلك فى قوله (ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعداد الفيل وهو
أضخم حيوان من ذوات الأربع جسما ويهلك بحيوان صغير لا يظهر

للنظر ولا يدرك بالبصر حيث ساقه القدر لاريب عند العاقل أن هذا أكبر وأعجب وأبهر) تهويش وخلط بيان ذلك أن المسلم اذا كان مؤمنا بالقدر إيمانا صحيحا مؤمنا بأن الله تعالى قدرة مؤثرة في كل ممكن فلا تتوقف عقيدته في هلاك هذا الجيش في هذه الحادثة ولا في غيرها على هذه الوسائط الكثيرة والسلسلة الطويلة التي ابتكرها مخالفا لعلماء الاسلام قاطبة وللتاريخ المستفيض فيها ولصريح كلام الله تعالى المبين لها أحسن بيان حتى لو فرض أن الله تبارك وتعالى لم يبينها في كتابه العزيز وإنما ذكرت في التاريخ فقط لم تتغير عقيدته الثابتة في صدره ثبوت الجمال الرواسي في قدرة الله تعالى الباهرة الصالحة لكل شيء فقوله وما تعظم به القدرة أى أى القدرة الالهية كما هو الظاهر يدل له قوله بعده حيث ساقه القدر أى تزداد عظمة بهلاك جيش أبرهة بهذا الحيوان الصغير الذى لا يرى منافع لقوله (ويهلك بحيوان صغير لا يظهر الخ) وذلك لأن هلاكه إما أن يكون بقوة هذا الحيوان الصغير فقط أو بقوته مع قوة الله تعالى مشتركين وكلاهما باطل عند كل من يؤمن بالله الواحد القادر الحكيم القهار أو بقوته بعد قوة الله تعالى وهذا أيضا باطل لأنه تحصيل الحاصل، وعظمة قدرة الله تعالى واحدة في جميع المقدورات فلا معنى لقوله وما تعظم به القدرة فان قيل مراده تزداد القدرة عظمة بهلاكهم بهذا السبب الدقيق الذى لا يدرك بالبصر المسوق بالقدر الذى يستدعى عنده من العاقل الاعجاب قلت هذا يصح لو كانت الأسباب الخفية الدقيقة الكثيرة التي لا يحصيها إلا مسببها التي يهلك بها جل وعلا من شاء من عباده كلها محصورة في هذا السبب الصغير الذى لا يدرك بالبصر أما والأسباب الدقيقة ليست محصورة فيه فلا معنى لتعبيره (وما تعظم به القدرة) على أن جميع الأسباب دقيقةا وجليلها بالنسبة لتأثير قدرة الله جل وعلا واحدة في عقيدة العقلاء ليس شيء منها تعظم به القدرة وآخر تزداد به عظمة وإحدى الجملتين في قوله (لا يظهر للنظر ولا يدرك بالبصر) حشو ويقال على قوله (حيث ساقه القدر) ان السوق لغة وعادة وعقلا

يفهم منه تسلط السائق على المسوق بما هو على خلاف مراده وعليه فهذا الحيوان الصغير له مراد في رأيه ولكن ساقه القدر لصد مراده فاذاً هو آلة في يد القدر لا تأثير له ولا حول ولا طول ويقال له لم لم يسق القدر بعض حلقات هذه السلسلة التي زدتها على كتاب الله تعالى وعلى التاريخ؟ فقصر ك السوق على هذا الحيوان الصغير تحمك لامبر له وقد قال في أول كلامه (وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة ان ذلك الجدرى او تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على افراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله تعالى مع الريح) فاثبت في هذا الكلام ان هلاكهم كان (بالحصبة أو الجدرى) على التردد وان تلك الحصبة او الجدرى نشأ من حجارة يابسة سقطت على افراد الجيش بواسطة الفرق العظيمة من الطير الذي ارسله الله تعالى مع الريح فاعترف بان الطير ارسلها الله تعالى مجارة لنص الآية الشريفة اى ساقها القدر ويقال عليه ايضا اسناده هلاكهم للحيوان الصغير بقوله (ويهلك بحيوان صغير لا يظهر الخ) مع اعترافه بعده بان القدر ساقه والمسوق لا تأثير له حقيقى واما هو آلة خاضعة مسخرة لسلطان القدر لا يصح الا على جعل اسناد الهلاك اليه مجازاً أى أنه سبب والمهلك لهم حقيقة هو الله عز وجل ويقال عليه ايضا لا ريب عند العاقل ان التعبير باسم التفضيل فى قوله (لا ريب عند العاقل أن هذا أكبر وأعجب وأبهر) فاسد سواء كان اسم التفضيل على بابه او على غير بابه . بيان ذلك على بابه : هلاك جيش ابرهة باى سبب من اسباب الهلاك غير هذا الحيوان الصغير كبير وعجيب وبهر وهلاكه بهذا الحيوان الصغير اكبر واعجب وابهر اى اشد كبراً وعجباً وبهراً عند العاقل ، وفساد هذا اظهر لان جميع الاسباب بالنسبة لتأثير قدرة الله تعالى واحدة عند العقلاء ليس فيها كبير واكبر وعجيب واعجب وبهر وابهر ، ولان اسباب الهلاك التى لا تدرك بالبصر او بالحواس لا يحصيها الا مسببها كما تقدم . وان كان على غير بابه فمعناه : هلاك جيش ابرهة بهذا الحيوان الصغير كبير وعجيب وبهر وفساد هذا ايضا ظاهر (٨ - تحذير العبقري)

لان العاقل لا يبهره هذا الهلاك ولا يعده عجباً وكبيراً في جانب تأثير قدرة الله تعالى الباهرة في الكائنات .

اعتماد الخضرى على مؤرخى الافرنج

في قصة جذيمة مع الزباء واتهامه مؤرخى العرب

قال : (ولجذيمة هذا خبر ظريف مع آل أذينة ملوك العرب بشمال الجزيرة ومشارف الشام) ثم ساق قصتهما المسطرة في تاريخ العرب مختصرة ثم قال بعد الفراغ منها (وهذه الحكاية مع غرابتها ينكر صحتها المؤرخون من الافرنج ويقولون ان الزباء هذه كانت ملكة على تدمر من قبل الرومانيين وليت الملك بعد وفاة زوجها اذينة من بين السמידع الذين سكنوا بلاد العراق وبرارى الشام وحوران وانتهى امر الزباء بان حاربها الرومان في عهد القيصر اووليانس وقهروها واخذوها أسيرة إلى رومية حيث قضت هناك نحبها وذلك في المدة بين سنتى ٢٧٠ - ٢٧٣ م . وموت جذيمة كان حوالى سنة ٢٦٨ م (هـ) أقول يتلخص كلامه هذا فى إبطال قصة قتل الزباء لجذيمة بحيلة التزوج به لما أتاها فى بلدها وقتل ابن أخته عمرو بن عدى اللخمي إياها بتدبير قصير فى أمرين : غرابتها وإنكار مؤرخى الافرنج صحتها . أما الأول : فلا يستبعده ويستغربه إلا من غفل عن حوادث الكون العادية وتدبير الملوك وأى غرابة فى كون امرأة كادت رجلا مجاورا لها بإطعامه فى نفسها وملكها فحمله الجشع على الذهاب إليها معتمدا على قوته وخورها الطبيعى متلاشياً أمامه كونها مورتورة له غير ملتفت لمن حذر من إتيانها، وأى بعد وغرابة فى كون تلك المرأة قتلت بتدبير رجل من رجال جذيمة عادة . وأما إنكار مؤرخى الافرنج صحتها فليس هو أولى بالقبول من إثبات مؤرخى العرب لها وليس ادعاؤهم أنها ماتت برومية فى

أسر الروم أولى بالقبول من الإخبار بأنها ماتت بقصرها بتدمر ، وتعيين اسم القيصر الذي ماتت في زمنه ليس بحجة . وأما تعيين مدة موتها بين سنتي ٢٧٠ - ٢٧٣ م وموت جذيمة حوالى سنة ٢٦٨ م فهو إلى تأييد مؤرخى العرب أقرب حجة منه إلى إنكار مؤرخى الأفرنج صحتها . وقوله (وليت الملك بعد وفاة زوجها أذينة من بين السמידع الذين سكنوا بلاد العراق وبرارى الشام) فيه شيء وهو أن المعروف فى كتب الأنساب والتاريخ أن أذينة هو ابن السמידع والسמידع لقب لسكل من ملك من العمالقة فى تلك الناحية وليس السמידع اسما للقبيلة التى تسكن بلاد العراق وبرارى الشام كما يظهر من كلامه .



المحاضرة الاربعة

مخالفة الخضرى للقرآن ولما فى الصحاح والتاريخ

فى سكنى اسماعيل عليه السلام بمكة قبل جرحهم

قال فيها مانصه (كان بلى أمر مكة ولاة من جرحهم قحطان وهى جرحهم الثانية ، ولما جاء اسماعيل مكة مع أبيه إبراهيم صاهرهم ، وكان لأولاد اسماعيل بعد أبيهم مركز محترم لما لأبيهم من بناء البيت وإن لم يكن لهم من الحكم شيء اه) . أقول دل صريح كلامه هذا على أن جرحهما توطنوا مكة قبل إسماعيل وأن إسماعيل جاءهم مع أبيه كبراً فصاهرهم وهو باطل مخالف لظاهر القرآن وللتاريخ ولما فى الصحيح أما القرآن فان الله تعالى قال عن الخليل ﴿رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ فظاهر دعائه عليه السلام وقوله رب إني أسكنت من ذريتي الخ يدل على أنه أتى بإسماعيل وهو صغير ولو كان كبراً صاهر جرحهما بمجرد وصوله إليهم ما احتاج إلى أن يأتى به أبوه إليهم وما كان لهذا الدعاء كبير فائدة ، وقوله (فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم) يدل على أنه وجد مكة خالية ليس بها أنيس وإذا لم يكن لقصص التاريخ القرآنية قيمة عند هذا المحاضر مع أنه التاريخ المتواتر المقطوع به الواجب على كل مسلم لئيب أن يعتمد عليه أولاً قبل كتب الناس المصنفة فيه ثم بعده التاريخ المنقول فى السنة الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام فالواجب عليه ذكر ما فى كتب التاريخ الإسلامى من شرح هذه القصة طبق لظاهر القرآن وصريح السنة الثابتة ولو كان طلبة الجامعة أجنبان العلم أمانة ولا سيما علم النقل ولا يهدر هذا التراث العظيم بعقله وقد ثبت فى كتب التاريخ المعتمدة أن الخليل عليه السلام لما جاء بها جر وبنها اسماعيل وهو رضيع إلى مكة وجدها خالية لا أنيس بها فتركهما عند مكان زمزم وولى راجعاً إلى الشام فقالت له هاجر إلى من تتركنا بهذه الفلاة يا إبراهيم ؟ فقال لله فقالت له إذا لا يضيعنا ، وقد أجاد وأفاد الامام البخارى فقد أخرج قصة اسماعيل

عليه السلام في صحيحه مطولة من طريق ابن عباس وهذا نصها : عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال أول ما اتخذت النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطلقا لتعني أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبانها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم من أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم إلى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شىء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها فقالت له آله أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثانية حيث لا يرؤنه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه وقال ﴿ رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع ﴾ حتى بلغ ﴿ يشكرون ﴾ وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادى ورفعت طرف درعها وسعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم سمعت فسمعت أيضا فقالت يا من قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ یرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً ﴾ قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان هبنا

بيناً لله بينه هذا الغلام وابوه وان الله تعالى لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الارض كالراية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كدى فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فأرسلوا جرياً او جريين (الجرى الرسول) فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا ان نزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فالفى ذلك ام اسماعيل وهى تحب الانس) فأرسلوا الى اهل بيهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها اهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنسهم وأعجبهم حين شب فلما ادرك زوجته امرأة منهم وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغى لنا وفى رواية ذهب يصيد لنا ثم سألتها عن عيشهم وهيتهم فقالت نحن بشر نحن فى ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه فلما جاء اسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال هل جاءكم من احد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته فسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا فى جهد وشدة فقال هل اوصاك بشىء قالت نعم أمرنى ان اقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذلك أبى وقد أمرنى ان افارقك الحقى باهلك فطلقها فتزوج منهم أخرى فلبث عنهم ابراهيم ماشاء الله ان يلبث ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسأل عنه فقالت خرج يبتغى لنا قال كيف انتم؟ وسألتها عن عيشهم وهيتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل فقال وما طعامكم قالت اللحم قال وما شربكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم فى اللحم والماء، قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حطب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فيها لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه . وفى رواية

فجاء فقال أين اسماعيل فقالت امرأته قد ذهب يصيد وقالت له ألا تنزل عندنا فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وشرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال وقال أبو القاسم بركة دعوة ابراهيم قال فإذا جاء زوجك فاقرئني عليه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابيه فلما جاء اسماعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال فأوصاك بشيء قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تثبت عتبة بابك فقال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ، ثم لبث عندهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسماعيل إن الله أمرني بأمر قال فاسمع ما أمرك ربك قال وتعينني قال وأعينك قال فان الله أمرني أن أبني بيتا ههنا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ وفي رواية حتى إذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . وقيل إن امرأة اسماعيل قالت لابراهيم انزل اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعه عن شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولته الى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فبقى أثر قدميه عليه اه) . فثبت بهذا أن الخليل ابراهيم عليه السلام أتى بزوجه هاجر وابنه اسماعيل وهو رضيع من الشام الى مكة وهي خالية لا ساكن بها بأمر ربه بسبب غيرة ابنة عمه سارة من هاجر لما ولدت اسماعيل ولم تلدهى فقالت له لا تساكني في بلد فحملهما على البراق الى مكة وأن جرهما جاؤا متجععين فنزلوا معهما .

فان قيل ما الحامل للخضري على مخالفة السنة الثابتة والتاريخ وظاهر القرآن إلى رأيه ، قلت اعتقاده أن هذه القصة من المعجزات السكونية وهو وأمثاله ينكرونها بدليل تحبطه في حادثة القليل كما تقدم وت قوله على الله فيها ما لم يقله بزعمه أنهم ماتوا بالأمراض الثقيلة الحصبة والجدرى وعلى ابن هشام في سيرته تقليدا لمحمد عبده الذي كان فيها أشد تحبطا وتقولاً على الله وعلى أئمة الرواية وأكثر ثرثرة وهذرا منه وقد أطبق كثير من كتاب هذا العصر على إنكار المعجزات وتأويلها بتأويلات فاسدة منابذة للغة العرب التي نزل القرآن بها وقدوتهم محمد عبده ، وما سمعه العلامة مصطفى صبري التوقادي معزواً إلى محمد عبده أنه كان يحمل انفلاق البحر لسيدنا موسى ومن معه ثم غرق فرعون وجنوده فيه على الجزر والمد اللذين كثيرا ما يقعان في البحر قال العلامة مصطفى صبري في كتابه القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون : (وأبرز مميزات هؤلاء الكتاب والعلماء المتفقين معهم أنهم ينكرون المعجزات السكونية ويعتبرونها من المستحيلات اه) . ويقال على رأى الخضري هذا لم نقل الخليل هاجر وابنها من الشام إلى مكة ولم نقله كبيراً ولم ينقله وهو صغير وعلى فرض صحة نقله كبيراً كيف تجشم الخليل أرضاً شاسعة في مرافقة رجل كبير يمكنه أن يسافر بأمه بنفسه ولا يحتاج إلى إتعاب شيخ كبير ولم لم يسكنهما ببلدة من بلاد الشام قريباً منه وسورية واسعة الأرجاء وكيف تخطى الأرض الواسعة التي بين الشام ومكة ولم يسكنهما بناحية منها وما وجه تخصيص اسكانهما بهذا الوادي الذي لا نبات فيه ولا أنيس ولم لم يسكنهما بالعراق أو اليمن وهما أخصب من الحجاز لاجواب له ولا لأشباهه عن هذه الأسئلة على أن مكث شخص في فلاة من الارض معه زاد وماء ساعات أو أياماً غير بعيد في العادة .

المحاضرة الخامسة

خطله أيضا في قصة جرهم واسماعيل ودعواه
أنه أدخل في العربية من العبرانية ورد ذلك

قال (اللغة العربية إحدى اللغات السامية تكلم بها العرب في جزيرتهم
منذ حلها قحطان رأس قبائل اليمن ويسمون في التاريخ بالعرب العاربة
لاصالتهم في العربية ومن قبائل اليمن قبيلة جرهم الثانية التي سارت الى مكة
واحتلتها قبل أن يردها اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام فلما جاءها اسماعيل
صاهرهم وأقام معهم وكثرت بنوه بمكة وكان اسماعيل رجلا عبرانيا يتكلم
باللغة العبرانية وهي الثانية من اللغات السامية وأمه هاجر امرأة مصرية أخذ
اسماعيل لغة العرب عن جرهم الذين عاشهم ولكنه بحكم الضرورة أدخل
في العربية بعض ما يحفظه من الكلمات العبرانية وبعض ما تحفظه أمه من
اللغة المصرية بعد أن هذبت بحسب ما يسهل على اللسان العربي وهذا أمر
يسهل القول به لأن اسماعيل وأمه لا يمكنهما أن ينسيا بالمرّة ما في أنفسهما
من الكلمات المحفوظة واذا احتاجا الى التعبير عن معنى لم توضع له كلمة في
لسان جرهم يفزعان الى مامعهما وهذا مشاهد في تفاعل اللغات المستعملة
والمؤرخون يسمون اسماعيل وبنيه بالعرب المستعربة لما كان من دخولهم
في العربية ليس أصلهم منها اه). قوله في اللغة العربية تكلم بها العرب في
جزيرتهم منذ حلها قحطان رأس قبائل اليمن ويسمون في التاريخ بالعرب
العاربة لأصالتهم في العربية غير صحيح فان التاريخ لم يسم القحطانيين
وحدهم عاربة بل المؤرخون يطلقون اسم العرب العاربة على الأمم البائدة
وهم العمالقة وعاد وثمود وطسم وجديس وحضورا وأميين وعلى القحطانيين
على القول بأنهم أول من نزل اليمن. وبعض المؤرخين يقسمون العرب الى
ثلاثة أقسام : عاربة وهم البائدة ومتعربة وهم القحطانيون لأن أباهم
قحطان بن عابر عاصر تلك الأمم البائدة فتعلم العربية منهم، ومستعربة وهم
(٩ - تحذير العبقري)

اسماعيل عليه السلام وذريته ، وبعضهم كابن خلدون قسمهم الى قسمين
عاربة ومستعربة فجعل العاربة هي البائدة وجعل المستعربة ثلاثة أقسام
القحطانيين وقضاة والعدنانيين هذا كله على أن العرب الباقية قسما
قحطانيون وهم اليمانيون وعدنانيون وهم الاسماعيليون . وأما على قول
بعض النسابين إن القحطانيين عرب اليمن من ذرية اسماعيل فالباقية كلهم
مستعربة وقد قال الله تعالى لقوم عاد ﴿ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من
بعد قوم نوح ﴾ وقال في ثمود ﴿ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ﴾
وهم باتفاق المؤرخين من العرب العاربة فهذه البعدية تدل على انهم سكنوا
الجزيرة العربية وتكلموا باللغة العربية قبل القحطانيين وبهذا ظهر ما في
كلامه من الخلل . وقوله ومن قبائل اليمن قبيلة جرهم الثانية التي سارت الى
مكة واحتلتها قبل أن يردها اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام فلما جاءها
اسماعيل صاهرهم وأقام معهم قد تقدم إبطاله بأسباب قرآنا وسنة وتاريخاً
بأن اسماعيل جاء مع أمه وهو رضيع أنزلهما ابراهيم بها وهي خالية لا أنيس
بها بأمر ربه وان جرهما هم الواردون عليها بعدهما . وقوله وكان اسماعيل
رجلا عبرانيا يتكلم باللغة العبرانية باطل بل هو عربي محض من ناحية اللغة
لأنه جاء مكة وهو رضيع فلا معرفة له باللغة العبرانية الا بطريق المعجزة ،
وعلى فرض صحة هذيانه وانه جاء مكة وهو كبير فيتكلم باللغة العبرانية مع
من من الناس؟ مع أمه التي لغتها مصرية مخالفة للغته أم مع جرهم العرب
الخلص والسنة السكونية المشاهدة الملموسة الآن ومن قبل أن الرجل بل
الأفراد من الرجال إذا نزحوا من وطنهم إلى وطن آخر اندرجوا واندجوا
في الوطن الذي نزحوا اليه لغة وعادة وأخلاقاً ويمكن محافظة الجماعة اذا
نزحوا لغير وطنهم على لغتهم يتكلمون بها فيما بينهم فقط ولا يمكنهم
ادخال بعض الكلمات من لغتهم في لغة ذلك الوطن . أما الفرد الواحد
المتوطن غير وطنه فلا يعقل تكلمه بلغته كما لا يعقل ادخاله في لغتهم من
لغته وكذلك يقال في أمه هاجر وعلى هذا فقوله (ولكنه يحكم بالضرورة

أدخل في اللغة العربية بعض ما يحفظه من الكلمات العبرانية وبعض ما تحفظه
أمه من اللغة المصرية بعد أن هذبت بحسب ما يسهل على اللسان العربي
وهذا أمر يسهل القول به لأن اسماعيل وأمّه لا يمكنهما أن ينسيا بالمرّة ما في
أنفسهما من الكلمات المحفوظة وإذا احتاجا إلى التعبير عن معنى لم توضع له
كلمة في لسان جرهم يفزعان إلى مامعهما وهذا مشاهد في تفاعل اللغات
المستعملة) هذان أشد بطلانا من سابقه فأى ضرورة حملته على ادخال
بعض الكلمات من اللغة العبرانية التي هي في الدرجة الثانية من اللغات
السامية باعترافه في اللغة العربية التي هي أغنى لغات العالم وأوسعها وأغزرها
مادة ولا حاجة بنا إلى تحليل باقي كلامه لأنه بدهى البطلان ولو سئل حضرته
عن هذه الثرثرة الطويلة وقيل له أفدنا ببعض الكلمات التي أدخلها هذا النبي
العظيم من اللغة العبرانية في اللغة العربية لغص بريقه ولكن ثرثرة الكلام
ليس عليها ضريبة والمحاضر لا يسئل عليه أن يهذر بما شاء وعلى الطلبة
الاصغاء . وقوله (والمؤرخون يسمون اسماعيل وبنيه بالعرب المستعربة
لما كان النخ) المؤرخون غير متفقين على هذه التسمية كما دل كلامه بل بعضهم
كابن خلدون سماهم بذلك وبعضهم كالحافظ ابن الأثير في كامله سماهم
بالمتعربة قال في صفحة ٤١ من الجزء الأول في اسماعيل وأولاده (فهم
العرب المتعربة) وعلى كل حال الاسماعيليون عرب خلص ولغتهم أفصح
اللغات وبها نزل كتاب الله تعالى فالتسمية مجرد اصطلاح للمؤرخين سواء
سموا بالمتعربة أو المستعربة لا مشاحة في ذلك .

المحاضرة السادسة

قال فيها مانصه (أما سائر العرب فكانت بعد اسماعيل على دين ابراهيم
تعبد الله وتوحده إلا أن اسماعيل عليه السلام بنى الكعبة وجعلها مطافا
يحجها أولاده اه) قوله إلا أن اسماعيل بنى الكعبة غلط فاحش ، الذى بنى
الكعبة هو أبوه ابراهيم عليه السلام بأمر الله تعالى له واسماعيل كان مساعدا
له وهذا فى التاريخ أشهر من نار على علم والقرآن قد صرح به قال الله تبارك
وتعالى ﴿ واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت
السميع العليم ﴾ فلا أدري لم ترك هذا المحاضر التاريخ المقطوع به وركب
هواه ، وقوله وجعلها مطافا يحجها أولاده أفحش منه فان اسماعيل عليه
السلام لم يجعلها فضلا عن كونه خص أولاده بالمطاف بها بل الله تعالى هو
الذى جعلها مطافا لجميع عباده المسلمين والقرآن قد صرح بهذا أيضا فى آيات
كثيرة قال تعالى ﴿ واذجعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع
السجود ﴾ وقال تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) وقال
تعالى : ﴿ واذبوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتى
للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ وأمر تعالى ابراهيم عليه السلام بأن
يعلم الناس بأن الله تعالى بنى لهم بيتا ليحجوه فقال ﴿ وأذن فى الناس بالحج
يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم
ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ﴾ وقال تعالى ﴿ واذ قال ابراهيم رب
اجعل هذا البلد آمنا واجنبى وبى أن نعبد الاصنام رب إنهن أضللن كثيرا
من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم ربنا انى أسكنت
من ذرىتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل
أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ فان كان
حاضرة المحاضر ياقى على طلبة الجامعة التاريخ الاسلامى فهذا التاريخ الاسلامى
فكان الواجب عليه أن لا يترك التاريخ المقطوع به ويذهب يتسكع

في مهامه هواه . وفيها أيضا خلط في ذى الخلصة فقال : (ومنها ذو الخلصة
وكانت مروة بيضاء منقوشا عليها كهيئة التاج وكان له بيت بين مكة والمدينة
وهو إلى المدينة أقرب اه) فقله وكان بين مكة والمدينة وهو إلى المدينة أقرب
خطأ والصواب وكان بتبالة بين مكة واليمن . وفيها أيضا قال في هبل :
(وكان أول من نصبه خزيمه بن مدركة) وهو غير صحيح بل أول من أتى به
من الشام ونصبه للعبادة عمرو بن لحي الخزاعي كما في سيرة ابن هشام وقوله
(كانت العرب تعظم هذه التماثيل وهذه الاحجار لا لاعتقاد أنها آلهة وإنما
لتقربهم إلى الله سبحانه كما قال في الكتاب) مانعدهم إلا ليقربونا إلى الله
زلفى (مردود بقوله تعالى) **تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب
العالمين**) وبقوله تعالى أيضا : **(أجعل الآلهة إلهوا واحدا إن هذا لشيء عجاب)**

المحاضرة السابعة

عدم وثوق الخضرى بمؤرخى الاسلام ووثوقه بالاجانب
فى قصة بحيرا الراهب

قال فيها فى صفحة ٦٢ فى قصة بحيرا الراهب مانصه : وقد أطبق على هذه الحادثة جميع المؤرخين وقد نقبنا كثيرا عن اسم هذا الراهب فى كتب من عنوا بذكر أساقفة الشام وبصرى والمشهورين من رجال الدين فيهما فلم نجده اه .

أقول كلامه هذا مردود من ثلاثة أوجه : الاول لا ثقة بكل ما ينقله الأجانب مما يتعلق بتاريخنا نفيًا وإثباتًا . . الثانى تنقيبه الكثير فى كتب من عنوا بذكر أساقفة الشام وبصرى على فرض صحته لا يدل على عدم وجوده فيها أو فى غيرها من كتبهم . الثالث عدم وجدان حضرته لها ليس حجة لأنه عدم محض وعدم الدليل ليس بدليل عند جميع العقلاء فلو وجدانكارها فى كتب من عنوا بذكر أساقفة الشام وبصرى من الأجانب ماساغ لعاقل ان يدفع به إطباق مؤرخى الاسلام على اثباتها فدفعها بالعدم المحض لايسوغ من باب أولى فتحقق من كلامه هذا ان قصة بحيرا الراهب لا صحة لها عنده وان أطبق مؤرخو الاسلام على اثباتها لأنه لم يجدها فى كتب من عنوا بذكر أساقفة الشام وبصرى من الأجانب وعدم وجدانه لها فى كتبهم دليل على عدم صحتها عنده فلو كان معتقدا صحة ما طبق عليه مؤرخو الاسلام من اثبات قصة بحيرا ما احتاج الى التنقيب الكثير عنها فى كتب الأجانب فتنقيبه الكثير عن اسم بحيرا فى كتبهم دليل على عدم وثوقه بمؤرخى الاسلام فان قيل ما الحامل للخضرى على ثقته بالأجانب وعدم ثقته بمؤرخى الاسلام فى هذه القصة فالجواب كونها مشتملة على كثير من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم التى شاهدها بحيرا بنفسه كرؤيته له وهو فى صومعته مظلا بعمامة من بين القوم وتظليلها للشجرة التى نزل القوم تحتها وتهصر أعصان

الشجرة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ورؤيته خاتم النبوة بين كسفيه على موضعه من صفته التي عنده وغير ذلك وحضرته قد اطبق مع كثير من أهل العصر على انكار المعجزات ودلائل النبوة ومن أجل ذلك تخبط هو ومقلده محمد عبده في حادثة الفيل مخالفاً صريح القرآن في بيانها وحيث إن قصة بحيرا هذه فيها ما ذكرنا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم والمحاضر وأضرابه قد أطبقوا على انكار الدلائل والمعجزات فقد اندرجت عنده في جملة ما انكروه وانكار المعجزات تصريح بتكذيب أئمة الرواية الذين نقلوا لنا طبقة طبقة قطعاً وتصريح بتكذيب الانبياء وتعجيز للقدرة الالهية بل التكذيب بالقرآن كله لأنه من جملة المعجزات وانكار الاحاديث النبوية تكذيب لجميع رواياتها العدول واهداف لشطر الشريعة وبيان القرآن وتكذيب لمينها الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴿ وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ والكتاب العصريون البارزون مطبقون على انكار المعجزات وتأويلهم القرآن بتأويل فاسدة نائية عن لغة العرب.

انكار جماعة دلائل نبوة الانبياء ومعجزاتهم

والاحاديث النبوية وتأويلهم للقرآن بالتأويل الفاسد

ذكر العلامة مصطفى صبرى فى كته - ابه « القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون » عددا منهم قال فى مقدمة كتابه المذكور مانصه : (فتحن إن تغاضيتا عن صعود الخطر الى مسأله وجود الله تعالى كفتنا الفتنة الناجمة فى مسألتى انكار المعجزة وإقام العبقرية مقام النبوة ، شرأ حيث تسبب هذه الفتنة انهيار عقيدة كون القرآن كلام الله واحاديث سيدنا محمد أحاديث رسول الله ، ويلأئمه كل الملائمة ان العصريين من علماء الدين مثل الشيخ شلتوت وكيل كلية الشريعة وعضو هيئة كبار العلماء فضلا عن الدكاترة والاساتذة من الكتاب مثل الدكتور هيكل باشا مؤلف كتاب (حياة محمد) نراهم يستسهلون على انفسهم المخالفة لرويات كتب الحديث فيما لا يوافق أهواءهم طعنأ فى ثبوت تلك

الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة أن أهل النقد من علماء الحديث وجدوا فيها أحاديث موضوعة، فيرتقى العصريون من غير علماء الحديث بهذه المرتبة من النقد الخاص لبعض الأحاديث إلى الطعن في جملتها باحتمال الكذب في الإسناد حتى أصبحت السنة من بين الأدلة الشرعية ملغاة عندهم ساقطة عن حيز الاعتداد والاعتماد ولم يبالوا باحتمال الصدق القائم الغالب في غير ما تكلم فيه علماء الحديث الإخصائيون بالتعليل، بل فيما صرحوا فيه بالتصحيح أيضاً وأصل منشأ الجرأة على التوسع في تكذيب الرواة إلى حد أن لا يبالى بما يتضمن هذا التوسع من تكذيب الأحاديث الصحيحة أيضاً الثابتة عند علماء الحديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصعد الأمر من تكذيب الرواة إلى تكذيب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، كون النبوة عندهم عبقرية لا رسالة حقيقية من الله، فيكون سهلاً عندهم على الرواة القدماء أن يسندوا إليه ما لم يقله، ويكون سهلاً على العصريين أن لا يصدقوه فيما قاله أيضاً، هذا حال الحديث وطريق رفضه، ثم يجيء دور القرآن، ويكون طريقهم إلى رفضه استعمال الجرأة أيضاً إن لم يكن في تكذيب روايته ففى تأويل معناه لابعين بعقول القراء الغافلين، وغير مبالين بما يتعدون في تأويلاتهم عن حدود مراد القرآن فلو نظروا إليه نظرهم إلى كلام الله لالتزموا بعض التحوط وخشوا بعض الخشية أن يكونوا مخطئين في التأويل، لكن مبدأ التحول العصري من النبوة إلى العبقرية يحل جميع هذه المشكلات ويفتح أمام المؤول أوسع باب.

مثلاً: إن الآيات الدالة على رفع عيسى عليه السلام كتنا ولا نزال نفهم منها رفعه حياً كما فهمه جميع السلف من المفسرين، حتى جاء الشيخ شلتوت فادعى أن المراد رفع روحه، فهل هو الذى أصاب في تفسيره حين كان الجميع متفقين على الخطأ، كلا بل أنه هو المخطئ كما يأتى بيانه في محله لكن عقيدة انكار المعجزة ومبدأ التحول العصري من النبوة إلى العبقرية يصخران أمثال هذه الخطايا في عيون مقترفيها، واجراً نماذج التأويل في القرآن بعد ما سبق للأستاذ فريد وجدى من رد آيات المعجزات وآيات البعث بعد الموت

التي تملأ كتاب الله الى المتشابهات غير المفهومة ، مادعاها الشيخ شلتوت منكر الوجود الشيطان كما صوره القرآن شخصاً يرى ويسمع ، ويقول ويجادل ، ويتكبر فيؤمر بالسجدة لآدم ويعصى الله ويعد ويمنى وينسل ويعيش الى يوم الوقت المعلوم ، ثم يعذب في نار جهنم مع الذين اتبعوه ، من أن القرآن جارى عقيدة العرب الجاهليين في تصوير الشيطان وهذا قلب دلالة القرآن ومرتبته مع مرتبة العرب في المتبوعية والتابعة رأساً على عقب . والواقع أن الشيخ نفسه حريص على مجازاة الكتاب العصريين في انكار الامور الغيبية مثل المعجزات وغيرها بدلا من مجازاة القرآن عقيدة العرب . ويقرب منه في البعد عن مراد القرآن تأويل انفلاق البحر لموسى ومن معه حتى اجتازوه وغرق فرعون وجنوده بالجزر والمد البحرين ، وقد عزي هذا التأويل إلى الشيخ محمد عبده الذي يفهم أن بدعة انكار المعجزات في صورة تأويلها مأثورة للكتاب العصريين من زمانه ، بل رد النبوة إلى العبقريّة وقد راجت (موضته) أخيراً بين الكتاب هو الذي عبد طريقه بمصر حيث عرف النبي والرسول في تعليقاته على شرح الجلال الدواني للعقائد العنصرية بغير ما هو معروف عند علماء الاسلام في تعريفهما وسيأتي الكلام منا على كل من المسألتين إن شاء الله تعالى ، ومثله تفسير الشيخ رشيد رضا صاحب (مجلة المنار) قوله تعالى « وانشق القمر » بقوله « ظهر الحق » وتفسير الشيخ شلتوت لآيات رفع المسيح عليه السلام برفع روحه ، وقوله في نزوله المعداد من أشراط الساعة والمشار إليه في آيتين من القرآن : « انه لا محل له بعد سقوط رفعه حياً » .

والشيخان لا يعتدان بعد الآيات بالأحاديث الواردة فيما أنكره مهمما كثرت حتى إن أحاديث نزول عيسى تبلغ سبعين حديثاً على ما نقله صديقنا العلامة الشيخ زاهد في رده على الشيخ شلتوت من كتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » للحدث الكشميري لكن المنكر لا يلتفت إليها بحجة أنها أخبار آحاد . سبعون حديثاً مروياً عن الرسول صل الله تعالى وسلم بألسنة رواة مختلفين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، لا بد (١٠ - تحذير العبقري)

أن تكون لها قيمتها التي لا يمكن لإسقاطها التعلل بأنها أخبار آحاد، فلو أتى بمثلها سنداً لصحة خبر من الأخبار الواردة في كتب التاريخ لكفى في إفادة اليقين وزاد على الكفاية، فان كفى هناك لكونها رواية تاريخية ولم يكف هنا لكونه رواية المسلمين عن نبينهم، فما أسوأ هذه السمعة سمعة المؤلفين المسلمين عند المؤلفين المسلمين؟ وبئست التهمة شبهة الكذب، نعم ان المؤلفين المسلمين مهما عظم شأنهم فلا ثقة بأمانة السلف منهم عند الخلف العصريين، حتى إن الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يصح منها على تقدير مؤلف حياة محمد، إلا واحد في كل مائة وخمسين حديثاً كما سيجيء ذلك أيضاً.

فعلى هذا لا يوزن الأحاديث السبعين الواردة في نزول عيسى إلا أقل من نصف قيمة حديث واحد صحيح. ثم أن رواية تلك الأحاديث لا مصلحة لهم في اختلاقها لأن رفع عيسى عليه السلام ونزوله مما لا يعنى الرواة المسلمين الذين اتهمهم مؤلف « حياة محمد » في الأحاديث الدالة على معجزات نبينهم الكونية بالمحابة الدينية. فلو كانوا اختلقوا هذه الأحاديث السبعين لزم أن يكون ذلك منهم تأييداً لآيات القرآن التي فهموا منها رفع عيسى ونزوله مع عدم المصلحة في هذا الفهم أيضاً. أما احتمال كون علماء الإسلام الماضين غالطين جميعاً في فهم آيات القرآن بشأن عيسى، وكاذبين في رواية الأحاديث تأييداً لهذا الغلط فهو غاية في سوء الظن بهم من ناحيتي الدراية والرواية ناشئة من ضعف صاحب الظن في هذه النواحي، وإذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه. وسيجيء منا مزيد شرح لكون الغلط في فهم الشيخ شلتوت لآيات الرفع والنزول.

الحاصل ان العصريين من علماء الدين والدنيا المتعمدين لانكار الأمور الغيبية مثل المعجزات وغيرها ذهبوا في تفسير آيات القرآن وتقويم أحاديث نبيننا مذنباً يكاد يكون ملعباً، فلا ينفعهم في تصحيح باطلهم قول الله ولا قول رسول الله على أن الله ورسوله أيضاً من الأمور الغيبية. فاذا لم تقم آيات البعث بعد الموت في كتاب الله

حجة على وقوعه عند الأستاذ فريد وجدى ، وآيات الشيطان على وجوده عند الشيخ شلتوت كشخص حى عاقل ، ولا السبعون حديثاً على نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان فأى قول الله والرسول ينفع فى إثبات أى مطلب أو قطع أى نزاع ، وأصل المسألة ان للمتعلمين العصريين من الكتاب عقيدة راسخة أرسخها فى أذهانهم العلم الحديث المادى الذى يؤمنون به فوق إيمانهم بكتاب الله وسنة رسوله وهى إنكار الأمور الغيبية مثل المعجزات والنبوة بمعناها المعروف عند الملمين فلو لم تكن فىهم هذه العقيدة ونظروا إلى قول الله ورسوله نظر المحايد غير المقيد بعقيدة مانعة عن قبول ما يخالفها لأمكننا وقمهم فى حدود قول الله ورسوله . فواجب علماء الدين اليوم غير المتفقين مع الكتاب المذكورين مكافحة عقيدتهم المانعة عن الايمان بالأمور الغيبية مكافحة علمية تبين ما فى العلم الذى بنوا عقيدتهم عليه من الجهل . وفى زماننا طائفة من علماء الدين لم ير الدين خيراً منهم تهبوا مكافحة تلك العقيدة المانعة عن تصديق الأمور الغيبية مثل المعجزة والنبوة وغيرهما ولم يتهبوا مكافحة نصوص الكتاب والسنة بتكذيب الثانية وتأويل الأولى بما يحرف الكلم عن مواضعه اه .

وقريب من كلام الحضرى هذا فى ثقته بالأجانب وعدم ثقته بعلماء الاسلام . فتوى فى مجلة المنار .

تأيد صاحب المنار اباطيل جملة المؤرخين

فى عثمان رضى الله تعالى عنه

واعذاره للقراء فى نشر رد شبلى النعمانى على جرجى زيدان
فى صفحة ٢١ من فتاوى الجزء الأول من المجلد الخامس عشر من مجلة المنار سؤال مضمونه اطلاع سائل المنار على كتاب لأحد علماء فاس انتقد فيه صاحبه ما جاء فى مقدمة شرح نهج البلاغة صفحة ٤ من طبعة الحلبي الجديدة . من نقله مذهب البغاة والخوارج ومقالة أبى القاسم البلخى فى عهد الله بن الزبير فى الصفحة نتمسها وانتقد أيضاً ما نقله الأبى فى شرح

مسلم عن بعض المؤرخين الأشياء التي نقيمت على عثمان رضي الله تعالى عنه
مستنداً في نقده على ما قاله العلامة السنوسي صاحب العقائد في اختصاره
لشرح الأبي ، انه لا يحل للأبي أن يفوه بهذا الكلام في حق عثمان رضي
الله تعالى عنه ولا أن يكتبه وحمل على الأبي إلى أن قال والواجب على من
نسخ تأليفه هذا أن لا يكتب فيه هذا المحل ومن اطلع عليه فلا يحل له أن
يفوه به ولا أن يعتقد صدقه اه . فحمل سائل المنار على المغربيين السنوسي
والفاسي حملة شعواء ، وشرح سؤاله : بهل يسوغ حظر النظر في كلام النقلة
وهل يسوغ حذف كلام العلماء من التأليف وعدم التفوه به وهل إلى
أن قال وهل هذا يؤيد ما يرمى به القطر المغربي من التعصب الذي سبب له
ما سبب مما حاق به ويحقيق وطلب من صاحب المنار أن يشرح له هذه المسألة
فأجاب صاحب المنار مؤيداً للسائل جميع ما شرحه في سؤاله وزاد : أن
السنوسي مخطيء في تحريمه التفوه بما قاله أهل السير في عثمان رضي الله
تعالى عنه وكتابتته وفي إيجابه على من نقل كتاباً فيه شيء من ذلك أن يحذفه
وقال لا يسوغ حذف كلام العلماء من التأليف ثم ناقض حضرته نفسه .
ففي صفحة ٥٨ و ٥٩ من الجزء نفسه والمجلد لما شرع ينشر تأليف صديقه
العالم المؤرخ شبلي النعماني مؤسس ندوة العلماء بلكنو (الهند) في رده على
تاريخ التمدن الاسلامي لصديقه وزميله صاحب مجلة الهلال جرجي زيدان
فقال في تمهيد قدمه على ذكر رد صاحبه المسلم الغيور النعماني على صاحبه
النصراني جرجي زيدان ما نصه : ولما كان الانتقاد من مثل هذا العالم
المؤرخ هو ضالتنا وضالة صديقنا وصديقه المؤلف بادرنا إلى نشره
معتذرين عما في أوله من شدة الحكم ووددنا لو لم يصرح به وإن أثبتته ولولا
انه طبعه لحذفناه منه اه . ثم سرد مقدمة النعماني وشدة الحكم التي زعمها في كلام
النعماني المحق وود أنه لم يصرح باسم صديقه المبطل جرجي زيدان أو اسم
كتابه ولولا أنه طبع في غير مناره وشاع وذاع لحذفها منه هي (ان جرجي
زيدان خائن في النقل محرف لكلام العلماء يجعل الحادثة الجزئية كلية عامة

يتعمد الكذب بما يفوق الحد) هذا الكلام الحق المطابق للواقع المدافع به
عن تاريخ الاسلام باطل مناوئه مشوه حقائقه جرجى زيدان هو شدة الحكم
عند حضرته التي اعتذر لقرائه من ذكرها وأباح له حذف مقدمة الرد
برمتها لولا انه طبع وشاع : فنزلة ذى النورين أمير المؤمنين وثالث الخلفاء
عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه عنده أو عبد الله بن الزبير أو أى سيد
من سادات هذه الأمة الذين نصبوا رواقها على المعمورة لا تبيح لأى إنسان
كان حذف نباح الأشرار وأباطيل أهل الأهواء والسفلة والأغمار على كواكب
أعراضهم الحصينة وحصون جبالهم المتينة ، ومنزلة زميله وصديقه النصرانى
عنده تبيح له حذف كلام صديقه المسلم فى رد باطله وكشف حاله لآخوانه
المسلمين الذين لا يعلمون غشه ودخيلة أمره فبئس بئس هذه الفتوى التي تداس
فيها كرامة رجال الاسلام ويحافظ فيها على كرامة الزميل المناوىء لهم هكذا
تكون الفتاوى والأجوبة تطبق على حسب الظروف والأحوال .

المحاضرة الثامنة

تقصيره في اقسام الوحي التي تلقاها المبعوث رحمة للعالمين وتدلّسه
قال (البعثة) الذين يختارهم الله لاصلاح الامم يلقى اليهم ما يريد أن
يبلغوه عنه بالوحي والوحي في لغة العرب أعلام مع خفاء وسرعة ومعنى السرعة
أن هذه المعلومات المتلقاة لا تكون نتيجة لمقدمات تبنى عليها تلك النتيجة
بل هي من أشبه شيء بالعلم الضروري الذي لا يتوقف على نظر واستدلال
وقد استعملت هذه الكلمة في القرآن في لسان العرب لغير أعلام الله لأنبيائه
فقال تعالى ﴿ وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن
الشجر وما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبيل ربك ذللاً ﴾
وقال ﴿ وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم
ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ وقال مخبراً
عن يوسف في صغره ﴿ وأوحينا اليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾
وكل هذا لا يعدو معنى الالهام الذى ربما شعر به كثير من الناس . أما أعلام
الله تعالى أنبيائه المختارين فان العبارة العلمية تضيق عن تحديد كنهه وغاية
ما يمكن الانسان هو أن يحوم حوله مستعيناً بما قاله الأنبياء أنفسهم فيما
نزل على ألسنتهم ليقتطف منها ما يقرب ذلك الى العقل الانسانى . هذا
الاعلام له مراتب : الأولى أن يخاطب في النوم وتلك هي الرؤيا الصادقة
وقد ورد ذكرها كثيراً في التوراة وكتابات الرسل وتعبير التوراة عنها بمثل
قولها صار كلام الرب الى ابرام فى الرؤيا قائلاً الخ، ويعبر عنها القرآن بمثل
قوله عن لسان ابراهيم صلوات الله عليه مخاطباً لابنه الذبيح ﴿ يا بنى إني
أرى فى المنام انى أذبحك ﴾ ومن هنا يقول محمد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم (رؤيا الأنبياء حق) ونحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام
قلوبنا (المرتبة الثانية أن يلقى ما يراد القاؤه على قلبه من غير وساطة وهو
يقظان وذلك هو المسمى بالإلهام واللقاء فى الروع ويسمى بعض فلاسفة
المسلمين القوة التي تحدث بالخير وتلقيه فى النفس ملكاً على العكس من

القوة التي تحدث بالشر وتلقيه في النفس فانه يسميها شيطانا وفلاسفة المسلمين غرائب في كلامهم عن الملائكة والشياطين وقد يستروحون بقوله تعالى في الكتاب ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾ . المرتبة الثالثة ان يرسل الله تعالى اليه رسولا يخبره بما يريد أعلامه إياه وهو المسمى بالملك فيحدثه ويصف القرآن هذا الرسول بقوله ﴿ انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ ويظهر هذا الملك للانبياء في التوراة كثيرا . المرتبة الرابعة ان يسمعه الله تعالى كلامه مباشرة كما حصل لموسى عليه السلام حينما سمع الصوت من العقلية المتقدمة كما عبرت التوراة وقال القرآن عن هذه الحادثة ﴿ وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودى ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك إناك بالوادى المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ﴾ هذه هي المراتب التى عرف ان الوحي يبلغ قلوب الانبياء عليها ولا تكاد تتباعد باعتماد نتيجتها وهى ركوز المعانى فى القلب بحيث يعلم المخاطب علماً ضرورياً ان ذلك من الله اه أقول ماعرف المحاضر الرسول على مقتضى ما عرفه به علماء الاسلام ولا بين كون بعثة الانبياء عليهم السلام جائزة كما هو مذهب أهل السنة والجماعة لا واجبه كما قاله المعتزلة بل أتى بعبارة جملة محتملة للمذهبيين فقال (الذين يختارهم الله لاصلاح الأمم يلقي اليهم ما يريد ان يبلغوه عنه بالوحي) وقوله (ومعنى السرعة أن هذه المعلومات المتلقاة لا تكون نتيجة لمقدمات تنبى عليها تلك النتيجة بل هى أشبه شىء بالعلم الضرورى الذى لا يتوقف على نظر واستدلال) غير صحيح فإن نزول الوحي عليه عليه السلام تقدمه تسليم الأحجار والاشجار عليه عليه الصلاة والسلام فقد ذكر ابن سحاق فى سيرته انه عليه الصلاة والسلام لما أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته ابعده حتى تحسر عنه البيوت ويفضى إلى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام

عليك يا رسول الله قال فيلتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة فكث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ما شاء الله تعالى ان يمكث ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء في شهر رمضان اه . قال الامام السهيل في روضه وفي صحيح مسلم ومصنف الترمذى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال (انى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن ينزل على) وفي بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذى كان يسلم عليه هو الحجر الاسود وهذا التسليم الاظهر فيه أن يكون حقيقة وان يكون الله أنطقه انطاقاً كما خلق الحسين فى الجذع ولكن ليس من شرط الكلام الذى هو صوت وحرف الحياة والعلم والارادة لأنه صوت كسائر الاصوات والصوت عرض فى قول الاكثرين ولم يخالف فيه إلا النظام فانه زعم أنه جسم ، وجعله الاشعري اصطكاكاً فى الجواهر بعضها لبعض . وقال أبو بكر بن الطيب ليس الصوت نفس الاصطكاك ولكنه معنى زائد عليه وللاحتجاج على القولين ولهما موضع غير هذا ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر والصوت عبارة عنه لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام والله أعلم. أى ذلك كان أكان كلاماً مقروناً بحياة وعلم فيكون الحجر به مؤمناً أو كان صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة وفى كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة ، وأما حنين الجذع فقد سمي حنيناً وحقيقة الحنين تقتضى شرط الحياة وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافاً فى الحقيقة الى ملائكة يسكنون تلك الاماكن ويعمرونها فيكون مجازاً من باب قوله تعالى ﴿ واسأل القرية ﴾ والأول اظهر وان كانت كل صورة من هذه الصور التى ذكرناها فيها علم على نبوته عليه السلام غير أنه لا يسمى معجزة فى اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدى به الخلق فعجزوا عن معارضته اه . فان قيل ما نقل عن ابن اسحاق والسهيلي هو من الرواية والتاريخ الثابت عند جميع المسلمين بل لبه فلم أعرض عنه المحاضر وزعم ان نزول الوحي

على الرسول لم يتقدمه شيء فالجواب ان هذا تاريخ متضمن أعلام نبوته ومعجزاته عليه السلام والمحاضر واضرابه لا يؤمنون بها بل ينكرونها أشد الانكار وقد تقدم تقرير هذا في قصة بحيرا الراهب ثم قال السبيلي في روضه فصل وذكر (أى ابن هشام في سيرته) نزول جبريل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال في الحديث فأتاني وأنا نائم وقال في آخره فهبت من نومي فكانما كتبت في قلبي كتاباً وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ كان في اليقظة لأنها قالت في أول الحديث. أول ما بدى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب الله اليه الخلاء الى قوله حتى جاءه الحق وهو بخار حراء. فبجاءه جبريل فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقا به لأن أمر النبوة عظيم وعمؤها ثقيل والبشر ضعيف اه .

تحقيق انواع الوحي

إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للامام السبيلي

وقد حقق في روضه أنواع الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن تحقيق قال مانصه :

١ - فمنها النوم كما في حديث ابن اسحق وكما قالت عائشة أيضاً أول ما بدى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الرؤيا الصادقة وقد قال ابراهيم عليه السلام ﴿ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ فقال له ابنه ﴿ افعل ما تؤمر ﴾ فدل على أن الوحي كان يأتيهم في المنام كما يأتيهم في اليقظة .

(١١ - تحذير العبقري)

٢ - ومنها أن ينفث في روعه الكلام نفثاً كما قال عليه الصلاة والسلام إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب . وقال مجاهد واكثر المفسرين في قوله سبحانه ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ﴾ قال هو أن ينفث في روعه بالوحي .

٣ - ومنها أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه وقيل ان ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع والتقن لما يلقي .

٤ - ومنها أن يتمثل له الملك رجلاً فقد كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة ويروى أن دحية كان إذا قدم المدينة لم تبق معصراً إلا خرجت تنظر إليه لفرط جماله وقال ابن سلام في قوله تعالى ﴿ واذا رأوا تجارة أو لهواً ﴾ قال كان اللهو نظرهم الى وجه دحية لجماله .

٥ - ومنها أن يترآى له جبريل في صورته التي خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح ينتثر منها اللؤلؤ والياقوت .

٦ - ومنها أن يكلمه الله تعالى من وراء حجاب . إما في اليقظة كما كلمه في ليلة الاسراء ، وإما في النوم كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذى : (قال أتاني ربي في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملائة الأعلى فقلت لا أدرى فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثندي وتي فتجلى لي علم كل شيء وقال يا محمد فيم يختصم الملائة الأعلى فقلت في الكفارات فقال : وما هن فقلت الوضوء عند الكريهات . ونقل الأقدام إلى الحسنات . وانتظار الصلوات بعد الصلوات . فمن فعل ذلك عاش حميداً ومات حميداً وكان من ذنبه كمن ولدته أمه وذكر الحديث .)

فهذه ستة أحوال في كيفية نزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم لم أر أحداً جمعها كهذا الجمع . وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غنية اه . قلت وبتحقيق هذا الامام مراتب الوحي ظهر تقصير الخضرى فيها

وبطلان حصره لها في أربع مراتب الذي دل عليه كلامه بقوله . (هذه هي
المراتب التي عرف أن الوحي يبلغ قلوب الأنبياء عليها) كما ظهر بعد هذا
بنحو نصف صفحة إعجابه بكلامه الأجوف وازدراؤه لابن خلدون بقوله :
(وقد عقد العلامة ابن خلدون فصلاً تكلم فيه على الوحي والرؤيا ولكن
قلما يظفر الانسان منه بطائل) كأنه أتى بطائل وحقق الوحي والرؤيا بما
لم يحققه الأولون والآخرون . مع أن ابن خلدون حقق ذلك ببيان خير
من كلامه .

وقوله : وقد استعملت هذه الكرامة (يعني الوحي) في القرآن وفي
لسان العرب لغیر إعلام الله لأنبيائه ، فقال تعالى : ﴿ وأوحى ربك إلى
النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلّي من
كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً ﴾ وقال : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى
أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه
إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ وقال مخبراً عن يوسف في صغره ﴿ وأوحينا
إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾ (وكل هذا لا يعدو معنى الإلهام
الذي ربما شعر به كثير من الناس) صحيح ، ولكن ليس معنى هذه الكلمة
مقصوراً على الإعلام الخفي والإلهام كما يشعر به كلامه ، بل استعملت في لغة
العرب حقيقة في معان كثيرة قال المجد الفيروز آبادي في قاموسه : الوحي
الإشارة والكتابة والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل
ما ألقىته إلى غيرك والصوت يكون في الناس وغيرهم ، وأوحى إليه بعثه وألهمه
ونفسه وقع فيها خوف . وقال تلميذه الحافظ بن حجر العسقلاني : الوحي لغة
الإعلام في خفاء والكتابة والمكتوب والبعث والإلهام والأمر والإيماء
والإشارة والتصويت شيئاً بعد شيء اه .

وقوله في الثلاث الآيات (وكل هذا لا يعدو معنى الإلهام) صحيح في آية
﴿ وأوحى ربك إلى النحل ﴾ وفي آية ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾
غير صحيح في قوله تعالى ﴿ وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا ﴾ فإن الراجع

في الوحي في هذه الآية وحي النبوة والرسالة ، عزاه محي السنة البغوى في تفسيره للاكثرين من المفسرين ، وكذلك الخازن وزاد ، وللمحققين والرازي للمحققين أيضاً والقرطبي إنه الأظهر .

وقوله ﴿ مخبراً عن يوسف في صغره ﴾ دعوى غير متعينة . فان للمفسرين قولين في سن بعثته عليه السلام فقيل كان بالغاً ، ويرجحه مرأودة امرأة العزيز له ، وتغليق الأبواب ، وقوله لها : ﴿ معاذ الله إنه ربى أحسن مشواى إنه لا يفاح الظالمون ﴾ وقوله تعالى ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ والمسابقة إلى الباب ، وقولها لبعليها : ﴿ ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً ﴾ وقوله عليه السلام ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾ ، وقول العزيز لما ظهرت له الحقيقة : ﴿ يوسف أعرض عن هذا واستعفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴾ .

فالمبتدأ من هذه الظواهر أنه عليه السلام كان بالغاً ، وإن جاز صدورها من الصبي المميز وقيل كان صغيراً . وعليه فبعثة الصغير جائزة عقلاً . وقد بعث الله يحيى وعيسى بن مريم عليهما السلام وهما صغيران . قال الله تعالى في يحيى عليه السلام ﴿ وآتيناه الحكم صبياً ﴾ وفي عيسى عليه السلام ﴿ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت ﴾

فان قيل : كيف بعث الله يوسف صغيراً وما فائدة هذا الوحي إليه فيه ولم يكن إذ ذاك أحد يبلغه رسالة ربه ، لأن فائدة الرسالة تبليغها إلى من أرسل إليه ؟ !

فالجواب : لا يمتنع أن يشرفه الله بالوحي ويكرمه بالرسالة في ذلك الوقت ، ثم يأمره بتبليغها في وقت الحاجة إليها . وفائدة تقديم الوحي إليه في صغره : تأنيسه وتسكين نفسه وإزالة الغم والوحشة عن قلبه .

وفي قوله تعالى ﴿ لتنبئهم بأمرهم هذا ﴾ وجهان : أحدهما . أنه أوحى إليه أنه سيلقاهم ويوبخهم على ما صنعوا ، فعلى هذا يكون الوحي إليه بعد إلقائه في الجب تقوية لقلبه وتبشيراً له بالسلامة .

الثانى : انه أوحى إليه بالذى يصنعون به فعلى هذا الوحى إليه كان قبل إلقائه فى الجب إنداراً له . وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) يعنى : بإيحاءنا إليك وأنت فى البئر بأنك ستخبرهم بصنيعهم هذا . والفائدة فى إخفاء ذلك الوحى عنهم : انهم إذا عرفوه فربما ازداد حسدهم له . وقيل إن الله تعالى أوحى إلى يوسف لتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بأنك أنت يوسف ، والمقصود من ذلك : تقوية قلبه عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير مستولياً عليهم ويصيرون تحت أمره وقهره .

وقول المحاضر فى المرتبة الثمانية من كلامه فى مراتب الوحى (ويسمى بعض فلاسفة المسلمين القوة التى تحدث بالخير وتلقيه فى النفس ملكاً على العكس من القوة التى تحدث بالشر وتلقيه فى النفس فانه يسميها شيطاناً ، وفلاسفة المسلمين غرائب فى كلامهم على الملائكة والشياطين) تدليس من ناحية عدم تصريحه باسم هذا الفيلسوف المسلم الذى عرّف الملك بأنه قوة تحدث بالخير وتلقيه فى النفس والشيطان بأنه قوة تحدث بالشر وتلقيه فى النفس وهذا الفيلسوف الذى لاندري لأى غرض أبهم اسمه هو «محمد عبده» ذكره فى تفسير سورة الناس ونقله عنه تلميذه صاحب المنار فى تفسيره فى سورة البقرة عند قوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وأطنب فى ذلك واضطرب . قال فى أول كلامه حاكياً عن شيخه : (إن الملائكة خلق غيبى لا نعرف حقيقته وإنما تؤمن به باخبار الله تعالى الذى نقف عنده ولا نزيد عليه) ثم قال بعد كلام طويل مانصه (وأقول أن غرض الأستاذ من هذا التأويل الذى عبر عنه بالإيحاء والإشارة إقناع منكرى الملائكة بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم ، وقد اهتدى به كثيرون وضل به آخرون فأنكروه عليه وزعموا انه جعل الملائكة قوى لا تعقل . فرد عليهم كتابه بما نصه بحروفه) .

وساق كتاب رده على العلماء الذين انكروا عليه ذلك برمته. ومضمونه كلام خطابي محشو بازدراء المنكرين عليه وتجهيلهم بأساليب من ضرب الأمثال لهم واستيلاء العادة والتقاليد عليهم وعبادتهم الألفاظ والذهاب بنفسه في معرفة الأسرار الكونية الى درجة لا يستطيع هؤلاء المساكين عبدة الألفاظ فهمها فضلاً عن الوصول اليها قال في أثناؤه : (لو عرفوا ذلك كله لأطلقوا لأنفسهم أن تجول في تلك الشئون حتى تصل الى مستقر الطمأنينة حيث لا ينازع العقل شيء من وساوس الوهم ، ولا تجد طائفاً من الخوف ، ثم لا يتحرجون من اطلاق لفظ مكان لفظ)

ثم قال تلميذه في آخر كلامه شارحاً كلامه (فالأستاذ الامام يقول ان التسمية وحدها لا تعطى أحداً علم الحقيقة ، وان من فهم الحقيقة لا يحجبها عنه اختلاف التسمية ، وأراد بهذا أن يحتج على الماديين ويقنعهم بصحة ما جاء به الوحي من طريق علمهم المسلم عندهم ، كما صرح به فيما مر في صفحة (٢٦٨ تفسير المنار) فأنكره عليه عباد الألفاظ وهم لا يعقلون مراده اه)
أقول : مراده بعبدة الالفاظ في كتابه الذي رد به على المنكرين عليه وحكاة تلميذه في آخر كلامه هذا الذي سقناه مقلداً له مثلذاً به بقوله : (فأنكره عليه عباد الالفاظ) جمهور الامة الاسلامية الذين قالوا : الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة كاملة في العلم والقدرة على الافعال الشاقة شأنها الطاعات ومسكنها السموات هم رسل الله تعالى الى انبيائه عليهم السلام وأمنائوه على وحيه. يسبحون الليل والنهار لا يفترون) لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) والجن أجسام لطيفة هوائية تتشكل بأشكال مختلفة وتظهر منها أفعال عجيبة ، منهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصي . والشياطين أجسام نارية شأنها القاء النفس في الفساد والغواية بتذكير أسباب المعاصي واللذات وإنساء منافع الطاعات وما أشبه ذلك .

قال الله تعالى -حكاية عن الشيطان : ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان إلا

أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم . فعلماء الأمة الإسلامية الذين سمو الملائكة والجن والشياطين بما سماهم الله ورسوله به عبدة ألقاظ في رأيه ، وهذا منتهى البذاءة ! . وكنا نظن أنه هو وأضرابه ومقلدوه من الهمازين للمازين كلهم مقلدون لشيخهم الذي سن لهم سلق أعراض العلماء أبي محمد بن حزم الذي قال فيه زاهد الاندلس في زمنه أبو العباس بن العريف : (سيف الحجاج ولسان ابن حزم في هذه الأمة شقيقان) فظهر لنا أن هؤلاء أربوا على ابن حزم بكثير ، أغاروا على الآيات الصريحة التي لا تقبل التأويل بحال . كسورة الفيل وتبت يدا أبي لهب وغيرهما بالتأويلات الفاسدة البعيدة من لغة العرب التي نزل بها القرآن ، والزيادة عما لم يقله الله في بيانه الصريح الواضح ، فكتاب الله تعالى المقبول عندهم هو المطابق لفهمهم ، وفهمهم هو المعيار الذي لا يسوغ لأحد أن يخالفه : وابن حزم رحمه الله عالم حافظ لم تبلغ به الجرأة والبذاءة الى تحريف صريح آيات القرآن والزيادة على ما لم يقله الله . والهجوم على الأمة الإسلامية جمعاء بأساليب التهكم والتجھيل . أغاروا على بيان كتاب الله (سنته) عليه السلام فحكوا عليها بالبطلان ، وعلى حملتها بالكذب والتخريف إلا ما وافق أهواءهم منها ومن روايتها . وابن حزم لم يصنع جزءاً مما صنعوه ، بل يحترم السنة كلها ويدافع عنها ويحترم جل حملتها الثقة عنده . وغاية أمره : انه لم يتأدب بآداب العلم والعلماء ووقارهما لكونه ابن وزير ووثق بنفسه ورأيه فلم يهذب حاشية منطقته نحو كثير من فقهاء الاسلام . وليس شتم عباد الله والهزاء والازدراء بهم من أخلاق العلماء الذين هم ورثة الانبياء وانما يلجأ الى هذه البضاعة من يعوزه وقار العلم ورزاة العقل ليسد بها الفراغ .

فهل تسمية العلماء لتلك المخلوقات التي لا نراها بما سماها الله به وتعريفهم لها بما ذكر مناف لكتاب الله وسنة رسوله . والمعقول يستحقون على ذلك النبز بأنهم (عبدة ألقاظ) ؟ ! وتسميته وتعريفه هو لها بأنها القوة

التي تحدث بالخير وتلقيه في النفس ، والقوة التي تحدث بالشر وتلقيه في النفس موافق لكتاب الله وستة رسوله والمعقول ؟!

وقد قال في كلامه الأول الذي نقلناه : (إن الملائكة خلق غيبي لا نعرف حقيقته وإنما تؤمن به باخبار الله الذي نقف عنده ولا نزيد عليه) فما باله ناقض نفسه ؟! فسماهم وعرفهم بأنهم قوى طبيعية ... ولم لم يقف عند اخبار الله بهم ولم يزد عليه ؟! ولم لم يبال بتسمية الله ورسوله لهم بذلك كما قال : (ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمى هذه المعانى القوى الطبيعية إذا كان لا يعرف من عالم الامكان إلا ماهو طبيعة ، أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة) .

وهل نصوص القرآن والسنة الصريحة الكثيرة في تسمية هذه المخلوقات الغيبية قاصرة غير كافية في بيان حقائقها ؟! والمسلمون كلهم لم يعلموا حقيقتها حتى جاء حضرته فبين حقيقتها ، كما قال تلميذه غير مبال بتسمية الله ورسوله وفهم علماء الاسلام منهما ذلك (فالأستاذ الامام يقول : إن التسمية وحدها لا تعطى أحدا علم الحقيقة ، وان من فهم الحقيقة لا يحجبها عنه اختلاف التسمية) فالنصوص القرآنية الكثيرة التي يصعب استقصاؤها الدالة على تسمية الله للملائكة بالملائكة واخباره تعالى عنهم بما يدل صراحة في لغة الضاد بأنهم أجسام كاملة في العلم والقدرة ، أعطاهم الله قدرة على الافعال العظيمة والتشكيل بأشكال مختلفة يخاطبون ويخاطبون ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ لا تعطى أحدا علم حقيقتهم عنده ...

بعض النصوص القرآنية

الدالة على كون الملائكة والجن والشياطين أجساما

قال الله تعالى في الملائكة عليهم السلام : ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ ﴿ ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ ﴿ والصابغ صفا ، فالزاجرات زجراً ،

فالتاليات ذكرا ، إن إلهكم لو احد ﴿ ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ﴿ ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴿ ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ﴿ ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴿ ﴿ .

وجعل منهم تعالى رسلا الى خواص بني آدم منادين بالبشارة . قال تعالى ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يبشرك بيحيي ﴿ ﴿ وإذ قالت الملائكة ، يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقتنى لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴿ ﴿

وبالبشارة والندارة متشككين بشكل الإنسان : ﴿ هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقر به اليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم . فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم . قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين ﴿ ﴿ .

ومتشككين أيضاً في صورة الانسان : ﴿ فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت إنني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً ﴿ ﴿ .

ومتشككين في صورة خصمين آدميين : ﴿ وهل أتاك نبؤ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففرع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ﴿ ﴿ وحفظة لبنى آدم كتبة لا عمالهم : ﴿ وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴿ ﴿ .

وموكلين بقبض أرواح مخلوقات الله : ﴿ الذين تفوهم الملائكة ظلمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض ﴿ ﴿ ولوترى ﴿ ﴿ (١٢ - تحذير العبقري)

إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسهم
اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن
آياته تستكبرون ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾ .

وخزنة للجنة : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا
جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين ﴾ .

وخزنة لجهنم : ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤها
فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات
ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ﴾ .

وقد أمد الله المسلمين في بدر الكبرى بخمسة آلاف من الملائكة :
﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة
منزليين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة
آلاف من الملائكة مسومين ﴾ ﴿ فالمدبرات أمرا ﴾ .

وفي الجن قال تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون
القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا
يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق
وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من
ذنوبكم ويحرم من عذاب أليم ﴾ وهؤلاء جن نصيبين كما ثبت في الحديث
والسير . وأنزل فيهم سورة مخصوصة وأخبر فيها أن منهم مؤمنين موحدين
ومنهم مشركين ومنهم من يصعد إلى السماء يسترق السمع من الملائكة فترميهم
هذه بالشهب : ﴿ ويقذفون من كل جانب دحورا ﴾ وسماهم فيها رجالا :
﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾
وقد قرنهم الله في النداء والخطاب مع الإنس في آيات كثيرة ، منها : تكرار
﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ في سورة الرحمن في نحو ثلاثين موضعا . ومنها
فيها ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ ومنها أيضا فيها ﴿ يامعشر الجن والإنس

إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴿ وسخرهم الله لسليمان عليه السلام . قال تعالى : ﴿ ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمر نأذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ﴾

وفي الشياطين إخباره تعالى عنهم بأنهم يروننا ولا نراهم : ﴿ انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ وقصة إبليس مع آدم عليه السلام في عدم امتثال أمر ربه في السجود له مع الملائكة واستكباره وقبح جوابه له لما سأله عن امتناعه عن السجود مع الساجدين بقوله : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ وحلفه لآدم وحواء كاذبا وهو أول من حلف يمينا فاجرة كما أنه أول من تكبر وأول من أعجب بنفسه وأول من حسد . فكل من اتصف بواحدة من هذه الأوصاف الذميمة فهو مقتد به . وطلبه من الله تعالى أن يؤخر أجله إلى قيام الساعة . وحلفه له بعزته حين أعطاه طلبه ليغوين جميع الآدميين الا المخلصين منهم . وإخباره تعالى بأن له ذرية وهم أعداؤنا . وتشككه . في بدر الكبرى بصورة سراقه بن مالك المدلجي أحد رؤساء بني بكر بن كنانة . وقوله لقريش : ﴿ لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ﴾ من بني بكر . قال به جمهور المفسرين : ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب ﴾

هذا بعض النصوص القرآنية التي يصعب استقصاؤها . وأمثالها كثيرة في السنة الصحيحة كلها لا تعطى أحداً علم حقيقة هذه المخلوقات الغيبية حتى يبطل صريح القرآن كله والسنة الثابتة الطافحة بذلك !! . ويقلد في رأيه الذي هو مقلد فيه لطائفة من كفره الفلاسفة .

ومن أين جاء فهم حقيقة هذه المغيبات الذي جهلته الأمة الإسلامية ؟

أمن العقل؟! ولا سبيل إلى اثباتها به. أو من السمع؟! وهو طريق اثباتها وقد أهدره!

قال العلامة السعد في شرح المقاصد: والقول بوجود الملائكة والشياطين مما انعقد عليه إجماع الآراء ونطق به كلام الله تعالى وكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وحكى مشاهدة الجن عن كثير من العقلاء، فلا وجه لنفيها كما لا سبيل إلى إثباتها بالأدلة العقلية اهـ.

وقول تلميذه: (إن غرض الأستاذ من هذا التأويل الذى عبر عنه بالايماء والاشارة إقناع منكرى الملائكة بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم) فاسد. لأن تأويل نصوص القرآن الكثيرة الدالة صراحة على أن الملائكة والجن والشياطين أجسام بالقوى فاسد بل تحريف لكلام الله ولغة التي نزل بها. وما أفاد بهذا التأويل أو التحريف إلا الملاحدة الماديين وما أقنعهم به، بل رمى بنفسه في أحضانهم لأنهم لا يؤمنون بالإله القادر الحكيم، لأنه من جملة الأمور الغيبية التي يكفرون بها ولا يؤمنون إلا بهذه المادة المحسوسة، فكان الواجب على الأستاذ إن كان عنده علم أن يقيم الحجة عليهم باثبات وجود الإله القادر الحكيم. فاذا ألزمهم بذلك فقد ألزمهم الايمان بجميع مخلوقاته الغيبية في ضمن الايمان به. فعدوله عن إقامة البرهان عليهم باثبات وجود الإله القادر على كل شيء إلى تحريف كلام الله في مخلوقاته الغائبة عنا، وزجه نفسه في تنور إلحادهم دليل على أنه عاجز عن مقاومتهم.

وقول تلميذه (وقد اهتمدى به كثيرون وضل به آخرون فأنكروه عليه) كلام موجه بوجهين، الأول: فهمه من النصوص القرآنية ان الملائكة والجن والشياطين قوى لا أجسام قد اهتمدى به كثير من الناس وكل من خالفه في فهمه هذا وأنكره عليه واعتقد أنهم أجسام فهو ضال: لا سبيل لحل كلامه على هذا الوجه إلا بهذا. وعليه فيكون فهم محمد عبده مماثلا لوحى الأنبياء لا يسوغ لأى إنسان مخالفته.

وما أشد هذا التعبير سفاهة وقبحاً وبذاءة نحو الدين وعلمائه ، وحماسة
وغلوياً في شيخه حيث وضعه في مقام النبوة .

الوجه الثاني : وقد امتدى بهذا الفهم الفاسد كثيرون وحاد به عن
طريق الاعوجاج إلى طريق الاستقامة آخرون ، وهذا الوجه هو المتعين
عندنا كما أن الوجه الأول هو المتعين عند تلميذه .

ويقال ألا تحف قرأ تفسيره بذكر بعض المهتدين بفهم شيخه من هؤلاء
الكثيرين ولو واحداً ؟ !

وقوله (وزعموا أنه جعل الملائكة قوى لا تعقل) صحيح ، وهم محقون
في هذا الزعم .

وقوله (فرد عليهم كتابه بما نصه بحروفه) تقدم شرحه . وقوله (وأراد
بهذا أن يحتج على الماديين ويقنعهم بصحة ما جاء به الوحي من طريق علمهم
المسلم عندهم) مكرر مع قوله : إن غرض الأستاذ الخ .

ثم إنا وجدنا الشيخ المجتهد مقلداً في تعريف هذه المخلوقات الغيبية بأنها
القوى لطائفة من الفلاسفة قائلين بوجود الجن والشياطين . قال السعد في
شرح المقاصد : وزعموا أن الجن جواهر مجردة لها تصرف وتأثير في
الأجسام العنصرية من غير تعلق بها تعلق النفوس البشرية بأبدانها .
والشياطين هي القوى المتخيلة في أفراد الانسان من حيث استيلاؤها على
القوى العقلية وصرافها عن جانب القدس واكتساب الكلمات العقلية الى
اتباع الشهوات واللذات الحسية والوهمية اه .

وقد نقل عنه تلميذه في الجزء الأول من تفسيره صفحة (٢٨١) ما يدل
صراحة على أن قصة آدم عليه السلام مع الملائكة عليهم السلام وابلis ،
وإخبار الملائكة بجعله خليفة في الأرض ، وتعليمه جميع الأسماء ، ومخاطبة
الملائكة له بقولهم : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك ، ﴾ ومخاطبته تعالى لهم بقوله : ﴿ إني أعلم
ما لا تعلمون ﴾ وقوله ﴿ أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، ﴾ وقولهم

(سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) وقوله لآدم :
(يا آدم أنبئهم بأسمائهم) ، وأمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم وامتناع
ابليس من ذلك ، كل هذه الحقائق قال الشيخ فيها : (أنها تصوير وتمثيل !) .
فهل بين هذا التفسير وبين مذهب الباطنية الذين أهدروا نصوص القرآن
وظواهره ، وزعموا أنها غير مرادة ، وأن المراد بها معان باطنية فرق ؟ !

وقول الخضرى : (ويسمى بعض فلاسفة المسلمين القوة التي تحدث
بالخير ملكا على العكس من القوة التي تحدث بالشر فانه يسميها شيطانا)
قلب في الكلام ، وتقويمه على رأى شيخه هكذا . ويسمى بعض فلاسفة
المسلمين ماسماه الله ورسوله والمسلمون ملكا بالقوة التي تحدث بالخير ،
وماسماه الله ورسوله والمسلمون شيطانا بالقوة التي تحدث بالشر انقلبت
المسألة على المحاضر من شدة فرحه بهذا الفيلسوف بدليل قوله (وفلاسفة
المسلمين غرائب في كلامهم على الملائكة والشياطين) فلم يحسن التعبير كما
انقلب الكلام على الاعرابى الذى ضاع جملة فلما وجده قال من شدة فرحه :
(اللهم أنت عبدى وأنا ربك) أراد أن يقول : اللهم أنت ربى وأنا عبدك ،
فانقلب عليه الكلام .

ومن التلبس المضحك تسمية المحاضر علماء الاسلام بالفلاسفة ، وزعمه
أن عندهم غرائب في الكلام عن الملائكة والشياطين . وكان الواجب عليه
حيث حشر نفسه في هذا البحث أن يصرح باسم الفيلسوف الذى رجح
رأيه ، ويصرح باسم الفلاسفة الذين لهم غرائب في الملائكة والشياطين ،
ويسرد غرائبهم ، وينتقد ولو بعضا منها ، فيكون بذلك قد أدى أمانة نقل
العلم عن العلماء كاملة وسلك جادة العلماء الباحثين ، ونزه قلمه عن جادة
التدليس والتلبس . . .

وقوله (وقد يستروحون بقوله تعالى فى الكتاب) : (نزل به الروح
الأمين على قلبك) يعنى : يجد فلاسفة المسلمين الراحة فى الاستشهاد بهذه

الآية الشريفة على أن الملائكة والشياطين ، والجن أجسام من شدة ثعبهم في فهم هذه المخلوقات التي فهم حقيقتها الأستاذ محمد عبده بأنها القوى - بسهولة - فكان علماء الاسلام ، أو فلاسفة المسلمين على تعبيره لم يجدوا عند حضرة المحاضر آية في كتاب الله يحتجون بها على مذهبهم إلا هذه الآية وتعبيره بقدر المضارع. يشعر بأن راحتهم في معرفة حقيقة هذه المخلوقات قليلة . ولا حاجة بي الى التعليق - على هذا الهراء الذي لم نستفد منه إلا اعجابه - بأكثر من هذا .

عقيدة المؤمنين بالغيب

وإذا كنا نؤمن بالإله القادر على كل شيء إيماناً صادقاً فما المانع من كون ذلك الإله خلق أجساماً نورانية تسمى الملائكة ، قادرة على التشكل ، تقطع المسافات والأرض في مدة قصيرة جداً ، وتمر أمامنا ولا نراها ، وتفعل أفعالاً تعجز عنها القوى البشرية ، والسموات مملوءة بها ؟! كما أنه تعالى أوجد أجساماً أخرى تشابه الملائكة في بعض خواصهم من الاقتدار على التشكل والاحتجاب عن الابصار والقدرة على أفعال عظيمة وتخالفهم في أنها ليست نورانية مثلهم إلى آخر مامر ، وتسمى هذه الأجسام جنا ، ويمكن أن تكون كمادة الهواء : كونها الله تعالى وجمع أجزاءها بكيفية تجعلها صالحة لتلك الخواص التي ذكرت لها ، كما كون الحيوان من العناصر الجمادية بكيفية أكسبته الحياة وجميع آلاتها من الإدراك والحركة وغير ذلك بعد أن لم يكن للعناصر شيء مما ذكر ؟!

وعدم رؤيتنا لتلك المخلوقات الغيبية إما للظافتها كالهواء ، وإما لعدم خلقه تعالى فينا رؤيتها عادة لا لإستحالة رؤيتها ، واقتدارها على التشكل جائز عقلاً ، داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى

وفي الأعمال الكيماوية التي أقدر الله تعالى البشر عليها من تحويل الاجسام الى بعضها كتحويل الكشيف لطيفاً وعكسه ما يقرب فهم تشكّل

الاجسام الغيبية الى العقول السليمة . وحيث إن تشكل تلك الاجسام كيف ما كان مسند الى عظمة قدرة الله تعالى الذي أدهشت أفعاله الافكار فيما أعطاه للحيوان والنبات من الخواص فلا غرابة فيه أصلا . ومن أمعن النظر في أعمال عواصف الرياح التي تقلع بها الأشجار العظيمة ، ويخرب بها العمران ، وأعمال القوة الكهربائية التي تعجز عنها ألوف الرجال ، لا يستغرب عمل هذه المخلوقات الغيبية أعمالا تعجز عنه القوى البشرية ، مع كونها أجساما لطيفة ، إذا كان مؤمناً بأن الذي أقدرها على ذلك هو الله تعالى الذي لا يعد ذلك بالنسبة الى عظمة قدرته شيئا صعبا .

وإذا نظرنا الى أن بعض الناس الاقوياء الابدان يحمل ويرفع الاثقال أو يكسر بقوة ذراعه الحديد أو يلويه ، وماقوة ذراعه إلا عمل أعصابه التي تنتهي أخيرا الى مخه اللطيف النحيف الذي هو مبدأ الحركة كما قالوا ، وهو لا يحتمل أدنى مصادمة من جسم غريب ، بل صعود نقطة دم زائدة على القدر اللازم اليه قد تعدمه وتعدم صاحبه الحياة ، ظهر لنا ان الله تعالى قادر على إعطاء اللطيف قوة لا توجد في الصلب الكشيف ، سبحانه من قادر قاهر ولا مانع عقلا من كون الملائكة عليهم السلام يقطعون المسافات الشاسعة بين تلك الاجرام السماوية في مدة قصيرة جداً ، لأن سرعة الحركة ليست محصورة في حد محدود ، ولا مخصوصة بمخلوق معين .

المحاضرة التاسعة

قد تحقق مما تقدم في حادثة الفيل وفي بحث الوحي انكار المحاضر للحوادث الكونية - أي دلائل نبوة الانبياء ومعجزاتهم عليهم الصلاة والسلام وللملائكة والجن والشياطين تقليداً لمحمد عبده في الأمرين ، وانكار دلائل نبوته ومعجزاته عليه السلام انكار للقرآن كله ، لأنه من جملة المعجزات التي أتى بها عليه الصلاة والسلام ، وانكار القرآن تكذيب برسالة الانبياء من الله الى الخلق ، وتكذيب أيضاً بوجود الخالق القادر على كل شيء المرسل لهم .

وحينئذ فالإيمان بالقرآن الذي هو من جملة المعجزات ، ومشمول أيضاً على خوارق ومعجزات كثيرة مع انكارها لا يعقل ، لأنه جمع بين المتناقضين : الانكار وعدم الانكار ، كما لا يخفى على اللبيب .

- وانكار كون الملائكة والجن والشياطين أجساماً ، تكذيب للقرآن الذي أثبت ذلك في آيات لا تحصى ، ولا يمكن تأويلها بحال من الأحوال وحينئذ تكون نتيجة هذا الانكار : بطلان الوحي كله ، قرآناً وسنة على مقتضى رأى المحاضر وأضرابه . لأن الوحي كله هو سيرته وتاريخه عليه السلام . الذي لم يصل إلينا الا من طريق الرواة الذين يستلزم انكار جميع ما ذكر تكذيبهم في جميع الوحي المنقول كتاباً وسنة جزماً !

فعلى أى شيء بنى المحاضر وامثاله كتابتهم في التاريخ الاسلامي والحالة هذه ؟

يمكن أن يلفق لهم عن هذا الالتزام جوابان باطلان . أحدهما : أن يقال إنما كتبوا تأليفهم من القرآن الذي تفرد رواته بنقله مجرداً عن تلك الحوادث الكونية والأجسام الغيبية - أي رواية غير خرافيين . فحينئذ يلزمهم تمييز الرواة المقبولين عندهم عن غيرهم واحداً واحداً ، وتترتب عليهم أسئلة (١٣ - تحذير المبقرى)

كثيرة على هذا ، يستحيل تخلصهم منها ، علاوة على كونهم ليسوا من أهل الرواية ، ولا علم لهم بها أصلا .

الثاني ، أن يقولوا إجمالا : إنما كتبنا عنهم ما صدقوا فيه ، وتركنا ما كذبوا فيه .

ونتيجة هذا الجواب : الجمع بين المتناقضين في جميع الرواة جزما ، يعنى أنهم صادقون كاذبون ، صادقون في غير الحوادث الكونية والأجسام الغيبية ، كاذبون في هذه . وهذا تحمك لا مبرر له من النقل ولا من العقل ، ساقط بديهية عند كل من له إلمام بالعلم .

ولكن كان الواجب على الخضرى ، مع تأليهه هواه ، أن يودى أمانة علم التاريخ الاسلامى فيذكره كله لطلبة الجامعة ، ولا يغشهم بترك شيء منه ، ولو كانوا كلهم أجاناب ، فكيف بهم إذا كانوا كلهم مسلمين أو بعضهم ؟ !

وما يؤمنه أن يقول له قائل : حيث حكمت على الرواة بأنهم كاذبون في كل التاريخ أو في جزء عظيم منه صادقون في الجزء الآخر منه ثبت عندى بمقتضى حكمك هذا : أنهم كاذبون في الكل . لأن كذبهم في جزء منه يرفع الثقة بصدقهم في الجزء الآخر ، للقاعدة المشهورة : (ما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر) وحيث يكون التاريخ الاسلامى كله لا أصل له ! .

فمحاضراته ومؤلفات أضرابه فيه على هذا كلها مبنية على الأساطير ! . فعلى أى أساس بنوا كتابتهم في التاريخ الاسلامى ؟ ! فان قيل : إن المحاضر لم يحكم على الرواة بالكذب ، فمن أين علمتم ذلك حتى ألزمتموه به ؟ ! فالجواب : علمناه من عدم وثوقه بمؤرخى الاسلام في قصة بحيرا التي تقدمت ووثوقه بمؤرخى الاجانب ومن حادثة الفيل ومن تركه جميع الحوادث الكونية - دلائل نبوته عليه السلام في كتابه هذا ، والأخبار المتعلقة بالملائكة والجن والشياطين فيه . والترك يستلزم عدم وثوقه بالرواة في هذه الامور وعدم الوثوق بهم هو عين تكذيبهم لا محالة ؟ !

وفي هذه المحاضرة من المآخذ عليه ما يأتي :-

١ - ذكر ذهابه عليه السلام الى ثقيف بالطائف يدعوهم الى الاسلام وتكذيبهم له ، وتسليطهم سفهاءهم عليه عليه السلام يرمونه بالحجارة ، قال (حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوه الى حائط لعتبة وشيبة بنى ربيعة ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه اه) . وطمس قصة ابني ربيعة مع غلامهما حين رقاله صلى الله عليه وسلم للقرابة التي بينهما وبينه لما دخل حائطهما فبعثنا اليه الغلام بقطف من عنب ، لأن فيها علماً من أعلام نبوته عليه السلام قال ابن هشام في سيرته : « فعمد إلى ظل حيلة من عنب ، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان مالمقى من سفهاء أهل الطائف . قال : فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة ومالقي تحركت له رحمهما ، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً ، يقال له (عداس) فقالا له : خذ قطعاً من العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ، ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له : كل : فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال : بسم الله ، ثم أكل ، فنظر عداس في وجهه ثم قال له : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أى البلاد أنت يا عداس وما دينك ؟ قال : نصراني وأنا رجل من أهل نينوى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح : يونس بن متى . فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك أخى ، كان نبياً وأنا نبي ، فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقبل رأسه ويديه وقدميه . قال يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك ، فلما جاءهما عداس قال له ويحك يا عداس : مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال ياسيدي : ما في الارض شيء خير من هذا ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي .. قال له : ويحك يا عداس ، لا يصرفنك عن دينك ، فان دينك خير من دينه اه . »

٢- ذكر بيعة الانصار رضى الله عنهم ، البيعة الثانية الكبرى عند العقبة ، قال : (بعد أن انتهت المبايعة أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعودوا إلى رحالهم فذهبوا إلى مضاجعهم فناموا . ولما أصبحوا كان الخبر قد بلغ قريشا ، فجاؤ رؤسائهم إلى منازل الانصار وقالوا : يا معشر الخزرج قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه من بين أظهرنا) يقال له : من بلغ قريشا ؟ ! والمبايعة كانت ليلا ، والمشركون من الأنصار وغيرهم ممن كان بمنى لم يشعروا بها فالجواب : الشيطان صرخ بعد فراغهم من البيعة بأهل منى منذراً لهم . والمحاضر طمسه لأنه لا يؤمن بوجود الشياطين ! .

قال ابن هشام في السيرة عن كعب بن مالك رضى الله عنه ، قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجبابج ! (والجبابج المنازل) هل لكم في مذمم والصبابة معه قد اجتمعوا على حربكم . قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أرب العقبة (أى شيطانها) هذا ابن أرب .

قال ابن هشام . ويقال ابن أرب استمع أى عدو الله أما والله لأفرغن لك والمحاضر حذف هذا التاريخ لأنه لا يتمشى على مذهبه كما حذف - ٣- تمثل الشيطان لقريش في دار الندوة لما تحققوا أنه عليه السلام صار له شيعة ودار ورأوا خروج أصحابه مهاجرين إلى المدينة فحذروا خروجهم عليه السلام إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها فيما يفعلونه به عليه السلام ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ فوقف لهم الشيطان في هيئة شيخ جليل على باب الدار ، فقالوا له : من الشيخ فقال : شيخ من أهل نجد سمع بالذى أتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا منه ونصحا . قالوا أجل فادخل ! فدخل معهم وإنما قال لهم انه من أهل نجد لأنهم قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة ، لأن هواهم مع محمد ، وزيف لهم الرأيين القائلين بحبسه

حتى يموت أو إخراجهم من مكة و صوب رأى أبي جهل القائل بارسال جماعة
من الشبان الأقوياء اليه ليلا يضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه .

ولا تؤاخذ الخضرى على مشيه على مذهبه في هذه المشورة ولكن
تؤاخذ به بتدليسه و غشه بقوله : فقال شيخ فيهم ما هذا لكم برأى . وساق
كلام ابليلس كما ذكره ابن هشام في السيرة تاما ، وقوله أيضا في الرأى الثانى
فقال ذلك الشيخ : ما هذا لكم برأى ، وساقه كذلك ، وحذف قول ابليلس
في رأى أبي جهل (القول ما قال الرجل هذا الرأى لا رأى غيره) واكتفى
بقوله : فكان رأيه هذا (أى أبو جهل) مقبولا عند جميعهم ، تدليسا و جريا
على مذهبه في إنكار الملائكة والجن والشیاطين .

هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

إلى المدينة

ذكر المحاضر أسماء الأماكن التي مر بها عليه الصلاة والسلام في هجرته إلى المدينة تفصيلاً . فيقال: من أين عرفها وبينه وبين الهجرة أكثر من ثلثمائة وألف سنة ، وهي - نقل محض ؟! فالجواب : عرفها معرفة قطعية من الرواة الذين وثق بهم في نقلها إليه ، ولم يشق بهم في نقل الحوادث الكونية ، وهواتف الجن التي وقعت فيها ونقلوها إليه .

(٤) قال ابن هشام في سيرته : قالت أسماء بنت أبي بكر : فكشنا ثلاث ليال وما ندرى أين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه ويسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :
جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا فأفلاح من أمسى رفيق محمد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين برصد
وحكايات الجن في أقوالهم وأفعالهم في السنة الثابتة عنه عليه السلام يصعب استقصاؤها وكذلك في أشعارهم ومحاوراتهم مع العرب جاهلية وإسلاماً لا يمكن حصرها . وقد ألف العلامة القاضي بدر الدين محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقي الحنفى المولود سنة ٧١٠ ، المتوفى سنة ٧٦٩ مجلداً حافلاً في ذلك سماه (آكام المرجان في أحكام الجان) وهو مطبوع وولخصه مع بعض زيادات الحافظ جلال الدين السيوطى وسماه (لقط المرجان في أخبار الجان) . واستحضار الأرواح الذى شاع وذاع الآن في القارتين أمريكا وأوروبا ضربة قاضية على المنكرين .
وقد طبع فيه تأليف لطنطاوى جوهرى (١) ويروى : أن قریشا

(١) والمستحضر عندنا يقينا هو القرين أى الشيطان لا أرواح الموتى ،

لما سمعت الهاتف من الجن أرسلوا إلى أم معبد وهي بخيمتها، فقالوا: هل مر بك محمد الذي من حليته كذا فقالت: لا أدرى ما تقولون، وإنما ضافني حالب الشاة الحائل .
 (٥) علم من أعلام نبوته عليه السلام طمسه الخضرى أيضاً : مر صلى الله عليه وسلم في هجرته مع رفقائه بقديد على أم معبد الخزاعية فنزلوا في خيمتها فقالوا عندها ، وكان القوم مرملين - أى نفدت أزوادهم - ومستئين - أى أصابتهم سنة جدبة - فطلبوا منها لبناً أو لحماً يشترونه ، فلم يجدوا عندها شيئاً ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم ، فسألها : هل بهامن لبن ؟ فقالت : هى أجهد من ذلك . فقال أتأذنين لى أن أحلبها ؟ ! فقالت بأبى أنت وأمى إن رأيت بها حلباً فاحلبها . فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فتفاجت ودرت واجترت ودعا باناء يشبع الجماعة ، فحلب فيه حتى ملاه ، وسقى القوم حتى رووا ، ثم شرب آخرهم ، ثم حلب فيه مرة أخرى ، ثم تركه عندها وذهبوا فجاء أبو معبد بعدهم وكان غائباً ، فلما رأى اللبن قال ما هذا يا أم معبد ؟ ! أنى لك هذا - والشاء جمع شاة عازب ، أى غائبة فى المرعى حياء ، أى لم تلتقح ، ولا حلوبة بالبيت - فقالت : لا والله ، إلا أنه مر بنا رجل مبارك . فقال صفيه يا أم معبد ! فوصفته له ، فقال : هذا والله صاحب قریش لو رأيت له لا تبعته .
 أسلمت أم معبد وهاجرت وأسلم أخوها (حبيش) ، وكان آل أنى معبد يؤرخون بذلك اليوم ، ويسمون به : يوم الرجل المبارك ، يقولون : فعلنا كيت وكيت قبل أن يأتينا الرجل المبارك ، أو بعد ما جاء الرجل المبارك .
 وروى : أن حسان بن ثابت رضى الله عنه لما بلغه شعر الجنى وما هتف به فى مكة قال يحيبه :

وقدس من يسرى اليهم ويفتدى	لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم
وحل على قوم بنور مجدد	ترحل عن قوم فضلت عقولهم
وأرشدهم من يتبع الحق يرشد	هداهم به بعد الضلالة - ربهم
عمى . وهداة يهتدون بمهتدى	وهل يستوى ضلال قوم تسفوها
ركاب هدى حلت عليهم بأسعد	وقد نزلت منه على أهل يثرب

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد

(٦) قصة سراقه بن مالك بن جعشم المدلجى . وهى أيضا علم من أعلام نبوته عليه السلام وملخصها من صحيح الامام البخارى وكتب السيرة . أن قريشا جعلت مائة ناقة لمن رد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ومثلها لمن رد الصديق . وكان هذا الاعلان منهم بهذا الجعل قد بلغ سراقه هذا . فلما رحل عليه السلام مع رفقائه من عند أم معبد بقديد رأهم رجل من بنى مدلج يمشون على الساحل ، فأتى إلى سراقه فأخبره ، فلبس سراقه سلاحه وركب فرسه ولحقهم طمعاً فى ذلك الجعل ، فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال : يا رسول الله أتيتنا ، قال : كلا ! ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائم فرسه فى الأرض إلى الركبتين بعد عشورها به مرتين قبل هذه قال فعلت انه ممنوع منى وأنه ظاهر فناداهم : أنا سراقه بن مالك ، وطلب منهم الأمان ، وقال انظرونى أكلهكم : (فوانه لا يأتىكم منى شىء تسكرهونه ، أعلم أن قد دعوتما على ، فادعوا لى ولسكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما) فوقفا له فجاءهما ، قال : (فأخبرتهما خبر ما يريد الناس بهما وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآنى) . وطلب منه عليه السلام كتاب أمان له ولقومه فأمر عليه السلام فكتب له ذلك . ولما رجع قال لقريش : قد عرفتم نظرى بالطريق وبالآثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيئا) .

ولما بلغ قريش ما لى سراقه لآمه أبو جهل على تركهم . فقال سراقه وكان شاعرا .
أبا حكم ، والله لو كنت شاهداً لأمر جوادى ، إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك : بأن محمداً رسول ببهان ، فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه ، فانى أرى أمره يوماً ستمدو معالمة
بأمر يود الناس فيه بأسرهم بأن جميع الناس طراً يسالمة
وبهذا ظهر : أن المحاضر ترك لباب تاريخ هجرته عليه السلام واشتغل
بذكر أسماء منازل طريقها .

المحاضرة العاشرة

القرآن كلام الله تعالى أعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الخالدة المعجزة - وسميت في القرآن بالبرهان والبينة والآية وهذه أكثر - فعل الله الخارق للعادة المقارن لدعوى الرسالة متحدى به قبل وقوعه غير مكذب يعجز من يبغى معارضته عن الاتيان بمثله .

فخرج عن الأول القديم ، فليس فعلا لله ، واحترز بالخارق للعادة من المعتاد فانه يستوى فيه الصادق والكاذب ، ومن المعتاد السحر ونحوه كالشعوذة وان كان سببه العادى نادراً ، ومن المعتاد ايضاً ما يوجد في بعض الأجسام من الخواص كجذب الحديد بحجر المغناطيس ، واحترز بقوله المقارن لدعوى الرسالة من الخارق المتقدم على دعوى الرسالة كحادثة الفيل ، وشق صدره عليه السلام ، وتسليم الحجر عليه ، واظلال الغمام له وغير ذلك . فان هذه الأمور وان كانت من دلائل نبوته وعلاماتها ، فانها تسمى إرهاباً - اي : تأسيساً للنبوة عند جمهور علماء الأصول .

واحترز بقوله : متحدى به قبل وقوعه مما تحدى به بعد وجوده . واحترز بقوله : غير مكذب مما إذا قال مدعى الرسالة مثلاً آية صدقي ان ينطق الله يدى فنطقت بتكذيبه ، فلا يكون نطقها في هذه الحالة معجزة له . وقوله : يعجز من يبغى معارضته عن الاتيان بمثله ظاهر ، فلو امكن المعارض ان يأتي بمثله لم يكن خارقاً جزماً . وهى دالة على صدق مدعى الرسالة من الله الى الخلق .

والمراد بخوارق العادة : أمور ممكنة في نفسها، متمتعة في العادة بمعنى أن العادة لم تجر بوقوعها . فامكانها ضرورى، وإبداؤها على يد مدعى الرسالة ليدر بأبعد من ابداء خلق السماوات والأرض وما بينهما . ووجه كونها دالة على صدق الرسول : انها عند التحقيق بمنزلة صريح التصديق له من الله لما جرت العادة به من ان الله تعالى يخلق عقيها العلم الضرورى بصدقه .

وإذا علم صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام بدلالة المعجزة وجب تصديقهم في كل ما أتوا به من عند الله ويستحيل منهم الكذب عقلاً، والمعاصي شرعاً، لأننا مأمورن بالاعتداء بهم . فلو جازت عليهم المعصية لكننا مأمورين بها ﴿ قل ان الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ .

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

أعقل الخلق على الاطلاق

وقد كان سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أعقل خلق الله على الاطلاق . وقد قطع القول فيما اخبر به عن ربه عز وجل بأنهم لا يأتون بمثل ما تحداهم به . فقال تعالى ﴿ فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾ فلو لا علمه ان ذلك من عند الله علام الغيوب ، وان لا يقع فيما اخبر عنه خلف . لم يأذن له عقله بجزم القول في شيء بأنه لا يكون وهو يكون . وهذا من احسن ما يكون في هذا المجال وأبدعه وأكمله وأبينه . فانه تعالى نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة حيث قال ﴿ ولن تفعلوا ﴾ فنفي قدرتهم في المستقبل . فلو قدروا لحيتهم فعلوا . واخبر تعالى بعجزهم قبل ظهور المناقضة منهم في اقوالهم الدالة على ذلك . صارخاً بهم على رؤوس الأشهاد، فلم يستطع احد منهم الإلمام به مع توفر الدواعي ، وتظاهر الاجتهاد وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته ، محجمون عن مماثلته ، يخادعون انفسهم بالتشغيب والتكذيب والافتراء ، يقولون ﴿ ان هذا إلا سحر يوثر ﴾ ﴿ وسحر مستمر ﴾ ﴿ وافك افتراء ﴾ ﴿ وأساطير الأولين ﴾ والمباهمة والرضا بالدينة كقولهم ﴿ قلوبنا غلف ﴾ ﴿ وفي أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ و ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ والادعاء مع العجز (لو نشأ لقلنا مثل هذا) وهذه وقاحة ومكابرة لفرط عاذهم . فلو استطاعوه مامعتهم مشيئتهم عن معارضته وقد تحداهم ، وقرعهم بالعجز بضعاً وعشرين سنة ، ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدرُوا مع استنكافهم ان يعاهاوا خصوصاً في الفصاحة ، قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الانس

والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن (لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) فذكر الاجتماع والاستظهار بالغير في مقام التحدى إنما يحسن فيما لا يكون مقدوراً للبعض ويتوهم كونه مقدوراً للكل ، فنفي تعالى استطاعة الايتان بمثله عن كل الثقلين وحيث انتفى الايتان بمثله عند التظاهر فانفتاؤه عند عدمه من باب أولى .. ثم تحداهم بعشر سور مثله فعجزوا ، ثم بأقصر سورة كذلك ورضيت هممهم السرية وأنفسهم الأبيّة - بسفك الدماء وهتك الحرم عجزا عن الايتان بما ذكر ، وعناداً بعدم الايمان به ..

هذا مع كونه عليه الصلاة والسلام بعث والعرب اكثر ما كانت شاعراً وخطيباً ، وأحكم ما كانت شاعراً وخطيباً ، واحكم ما كانت لغة وأشده ما كانت لغة ، فدعا أقصاها وأدناها الى توحيد الله تعالى وتصديق رسالته دعاهم بالحجة ، فلما قطع العذر وأزال الشبهة وصار الذي يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة حملهم على حظهم بالسيف ، فنصب لهم الحرب ونصبوا له وقتل من عليتهم وأعلامهم وأعمامهم وبنى أعمامهم وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباح مساء الى معارضته ان كان كاذباً بسورة واحدة ، أو بآيات يسيرة فكلما أراد تحديا لهم بها وتقريعا لعجزهم عنها قالوا له : انت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف ، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا ، قال فها توها مفتريات ، فلم يرم ذلك خطيب ، ولا طمع فيه شاعر . ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلفه لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجد من يستجده ويحامي عليه ويكابر فيه ، ويزعم انه قد عارض وقابل وناقض ، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستفحال لغتهم ، وسهولة ذلك عليهم ، وكثرة شعرائهم ، وكثرة من عارض شعراء أصحابه وخطباء امته . لأن سورة واحدة أو آيات يسيرة كانت أنقض لقوله ، وأفسد لأمره ، وابلغ في تكذيبه ، واسرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج عن الأوطان وانفاق الأموال وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هودون قريش والعرب في

الرأى والعقل بدرجات وقد كان لهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنشور ثم يتحدى به اقصاهم بعد ان اظهر عجز أدناهم فمحال ان يجتمع هؤلاء كلهم فى الامر الظاهر والخطاب المكشوف البين مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز وهم اشد الخلق أنفة واكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم، وقد احتاجوا اليه والحاجه تبعث على الحيلة فى الامر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة فكما انه محال ان يطيقوه ثلاثا وعشرين سنة على الغلط فى الامر الجليل المنفعة فكذلك محال ان يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل اليه وهم يبذلون اكثر منه ، فان قيل يحتمل ان محمداً عليه الصلاة والسلام حصلت له درجة فى البلاغة لم يصل اليها احد من العرب فاتى بهذا القرآن من عنده وكثيرا ما يوجد بين اهل كل صناعة من يبلغ الدرجة القصوى فيها حتى يقر له سائر اهلها بانه رئيسهم وهم عاجزون عن شق غباره فيها . فالجواب : ان صناعة البلاغة وان كانت تركز على استعداد صاحبها فى أصل فطرته ولكن لا بد لبلوغه فيها درجة سامية من ممارسة وتدرج فى طرقها من قول الاشعار وروايتها ومعاناة الخطب ودراستها ومحاوره الفصحاء ومغالبة البلغاء حتى تقوى فيه ملكتها ويصبح من رجالها الأفاضل حسب استعداده الفطرى ومهما بلغت درجتها من السمو فلا بد لها من نظير من نوعها ومثال من صنعها ولو كان دونها بدرجات والناس كلهم يعلمون يقيناً انه عليه الصلاة والسلام وان كان فى اصل فطرته مستعداً لتلك الصناعة ولكنهم جازمون جميعاً بانه عليه السلام لم يكن من اول نشأته الى بعثته فى الاربعين من عمره هذه المدة التى هى سن التحصيل والممارسة قد مارس تلك الصناعة ممارسة تستلزم له بلوغ تلك الدرجة ولم يكن له فى تلك المدة معاناة للاشعار وروايتها ، وكذلك الخطب والرسائل ولم يعرف فيها بكونه مولعاً بمحاوره الفصحاء ومغالبة البلغاء وهو بين أظهرهم لا يخفى عليهم حاله وكيف يخفى ومن يعانى تلك الصناعة يشتهر عندهم اشتهاً

الغزاة لانها من اعظم مفاخرهم ، فعندما بلغ الاربعين فاجأهم
بالرسالة من الله تعالى وتلا عليهم قرآناً خرس عند سماعه السنة بلغاهم .
وتبدلت به افكار عقلاهم وطاشت منه أحلام زعمائهم وقد تفردها القرآن
الذى أتى به عليه الصلاة والسلام من ربه في منهجه الذى سلكه في البلاغة
بما لا يوجد له نظير فلا هو كالشعر ولا الأراجيز ولا من نوع الخطب
والرسائل ولا له مثال يحتذى عليه وهذا يكون اعرق في الغرابة ، فعلى من
تعلم محمد عليه الصلاة والسلام هذه الطريقة الراقية في البلاغة التي في القرآن
وهى لم تعهد بين العرب كلهم أكان هو اول مخترع لها وبلغ فيها هذه الدرجة
التي لا تلحق كلاً ما هذه عادة المخترعين للأشياء بل عادة كل مخترع ان يصدر
عنه اختراعه كالطفل وسواه يريه حتى يبلغ الغاية التي تمكن فيه أما كون
المخترع يبلغ باختراعه الغاية القصوى التي لا تستطاع . وليس بعدها منزلة من
اول مرة فهذا شيء لم يعهد في المخترعين من البشر ولا يبالي اذاً من يحزم
بانه غير ممكن في قدرتهم حسب الاستقراء ، فعدم ممارسة محمد عليه
الصلاة والسلام لتلك الصناعة في الماضي من عمره بما يبلغه تلك الدرجة التي
لا تلحق وانفراد القرآن الذى أتى به بذلك الاسلوب الذى بلغ الغاية في
البلاغة حتى عجز الثقلان جميعاً عن معارضته دليل على بطلان هذا الاحتمال
وعلى ان القرآن كلام الله تعالى .

انكار طائفة من اهل العصر

معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام

قد انكر طائفة من اهل العصر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام
كما انكروا وجود الملائكة والجن والشياطين وزاد جماعة منهم في هذه
السنين الأخيرة تلقيب الانبياء عليهم السلام بالعقرية بدل النبوة ،
وقدوتهم الذى سن لهم هذه الامور ومهد لهم سيدها محمد عبده وكلهم
متأثرون بالماديين والمستشرقين وقد رد على هذه الطائفة رداً محكماً مدللاً

مسبباً العلامة الشيخ مصطفى صبرى التوقادى فى كتابه المسمى (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين) ، وقد اقتطفت منه ما يأتى بنصه من عدة مواضع من المجلد الرابع قال فى صفحة ٥ منه (١) وأبرز مميزات هؤلاء الكتاب والعلماء المتفقيين معهم انهم ينكرون المعجزات الكونية ، ويعتبرونها من المستحيلات ، وقد علم القارىء مما سبق كيف انكرها الاستاذ فريد وجدى بك ، وانكر معها البعث بعد الموت ، ورد جميع آيات القرآن الواردة فى كل من الموضوعين الى المتشابهات التى لا تفهم معانيها . (٢) صفحة ٥ ايضا وبعضهم يخص انكاره بمعجزات نبينا من ذلك القبيل ، ويعتبر تجرده منها ميزة له على سائر الانبياء ، (٣) صفحة ١٦ ومن مميزات الطائفة العصرية انهم لا يعولون على كتب الحديث وما فيها من الروايات المتعلقة بمعجزات نبينا ولذا جاء كتاب (حياة محمد) خلواً عن المعجزات الكونية واقره عليه فضيلة الاستاذ المراعى والشيخ رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) ، وللوصول الى هذه الغاية يطعن من يطعن منهم فى مكان كتب الحديث مطلقاً من الثقة ، ويعنى من يعنى بعنقرية سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بدل نبوته ، لكنهم متفقون فى هذه المرحلة من الدس على الاعتراف باهمية القرآن وسمو مكانه قائلين : انه المعجزة الوحيدة وقولى لهؤلاء القائلين - وهم دعاة العبقرية - إن القرآن كان معجزة وكان افضل واعظم ما وصل اليها من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو معجزة نبوته لامعجزة عبقريته ، لان العبقرية لامعجزة لها وان الذين لجؤا اليها ارادوا أن يتخلصوا من المعجزات التى تدور مع النبوات (٤) ، صفحة ٣٩ الحاصل ان المعجزات لا ينكرها الا المنكرون لوجود الله تعالى ، ومن الغرابة ان جمهورهم يتمسكون هنا بنظام العالم الذى انكروه حين انكروا وجود الله تعالى فيقولون : إن نظام العالم ناشئ من طبيعة الاشياء لا يمكن خرقه بالمعجزات . وقد علم القارىء مما سبق فى هذا الكتاب ان (بوخنز) إمام الملاحدة او بالأصح لسانهم المحامى عن مذهب الاحاد يجعل نظام

العالم عبارة عن المصادقة والفوضى ، فكيف يمكنه ان يدعى في مسألة المعجزة أنها تخالف نظام العالم مع أنه منكر لنظام العالم قبل انكاره المعجزة بحجة أنها تغيير لنظام العالم ، فإى مانع في المصادقة والفوضى يمنع تغيير شيء في مجاريها احتفاظاً بنظامها الذى هو عدم النظام. و(٥) قال في صفحة ٤٠ و٤١ و٤٢ و٤٣ : حاكيا تعريف محمد عبده للنبي والرسول معترضاً عليه ناقضاً له ما نصه : وقد يكون تصوير الانبياء كما صور اولئك الكتاب موافقاً لرأى الشيخ محمد عبده حيث قال في تعليقاته على شرح الجلال الدوانى للعقائد العضدية بعد ذكر الاقوال في تعريف النبي صفحة ٣ (اقول قد يعرف النبي بانسان فطر على الحق علماً وعملاً اى بحيث لا يعلم إلا حقاً ولا يعمل الا حقاً على مقتضى الحكمة ، وذلك يكون بالفطرة اى لا يحتاج فيه الى الفكر والنظر ، ولكن التعليم الالهى ، فان فطر ايضا على دعوة بنى نوعه الى ما قبل عليه فهو رسول ايضا والا فهو نبي فقط ، وليس برسول فتفكر فيه فانه دقيق) ، وأنا اقول ليس في تعريف الشيخ شيء من خصائص النبوة والرسالة لا وحي ولا ملك مرسل ولا كتاب منزل ولا معجزة ، وعليه فمن أين يعرف كونه (لا يعلم الا حقاً ولا يعمل الا حقاً) من اين يعرفه هو نفسه ومن اين يعرفه بنو نوعه اذا دعاهم ، نعم في تعريف الشيخ (ولكن التعليم الالهى) لكنه يمكن حمل هذا التعليم ايضا على الفطرة ، ثم يرد عليه السؤال المذكور : من اين يعرف أنه تعليم آلهى ، ويؤيد ما قلنا ان الشيخ بنى حتى دعوة بنى نوعه على الفطرة لا على امر خاص من ربه كما يؤمر به الانبياء ، حيث قال معرفاً للرسول بعد تعريف النبي (فان فطر على دعوة بنى نوعه الى ما قبل عليه) فنص في موضعين من هذه الجملة على الفطرة والجملة ثم ختم كلامه بقوله (فتفكر فيه فانه دقيق) . وتفكر انت ايها القارىء في ان النبي والرسول على تعريف الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية سابقا ليس بالنبي والرسول اللذين يعرفهما الاسلام والمسلمون بل المليون كلهم ، وانما هو رجل من أمثال الذين يشقون بانفسهم في صحة آرائهم ومبادئهم ، ويأمل

الناس فيهم الصلاح والاصلاح . ولا يكون مراد الشيخ الحاق هذه الطائفة
الممتازة من الناس بالانبياء والرسل ، بل مراده تنزيل الانبياء والمرسلين
المعروفين صلوات الله تعالى عليهم الى منزلتهم تفاديا من مؤونة الخوارق
التي تلازمهم في معجزاتهم وكيفية الايحاء اليهم ، تفكر فيه وفي صحافة
مصر المنحرفة عن الثقافة الاسلامية الى الثقافة الغربية لا تزال تشيد باسم
الشيخ قائل هذا القول والامر في خاتمته بالتفكر الدقيق ، ثم تفكر في
انكار الاستاذ فريد وجدى معجزات الانبياء جهارا نهارا على صفحات
(الازهر) اثناء مناقشته اياى في امكانها بله وقوعها ، تلك المناقشة التي
استمرت اياما وعين الاستاذ قبل انتهائها مدير (مجلة الازهر) المسماة
يومئذ (نور الاسلام) ورئيس تحريرها ، ثم تفكر في كتاب (حياة محمد)
لمعالى الدكتور حسين هيكل باشا وهو مثل فؤاد ام موسى في معجزات
نبينا الممثلة لحياته المعنوية والتي خصص لها الاستاذ الهندي كاتب حياته
صلى الله تعالى عليه وسلم قبيل الكاتب المصرى في مجلدات ، مجلدين و (٦)
صفحة ٥٤ وما اعجب عقلية الكتّاب العصريين لا يرون في انفسهم
وهم صفوة الشرق ، ولا في كتاب الغرب وهم قادتهم ، معجزة فينكرون
معجزات الانبياء ، ولا يرون في انفسهم قدرة وحماسه في حفظ احاديث
نبهم ، ولا لتدقيق ما حفظ الحفاظ . حتى ولا دافعا دينيا اليه فينكرون صحة
الاحاديث المحفوظة ، ويحطون من قيمة الدافع الديني ويعللون انفسهم
بدعوى الطريقة العلمية في تأليف الكتب من غير دليل لهم على هذه الدعوى
غير تقليد الغربيين . فان كان الغربيون المؤلفون في السيرة المحمدية يلتزمون
الطريقة العلمية وينتهجونها في تدقيق حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حين
لا ينتهجها ائمة الاسلام المحدثون وكانت الطريقة العلمية توصل منتهجها الى الحق
وكان معالى مؤلف (حياة محمد) يعتقد بكون نبوة محمد صلى الله تعالى وسلم
حقا ، لزم ان يصدق الغربيون اصحاب التأليف في السيرة المحمدية نبوة
محمد صلى الله تعالى وسلم فيسلموا او ان لا تكون الطريقة التي سلكوها
في تدقيق حياته طريقة علمية او ان لا تكون الطريقة العلمية تذهب

بسال كها الى الحق والحقيقة . فلا مندوحة من ان تكون النتيجة المنطقية للمقدمات الثلاث المذكورة احد هذه الامور الثلاثة ولا يمكن نقض هذا الانتاج المنطقي ولو حدث مائة الف (موضه) من الطريقة العلمية يتمسك بها العصريون مستخدمين بالمنطق القديم . نعم لامندوحة من احد الامور الثلاثة الاولى التي الزمناها احد الثلاثة الاخرى . وأجدر ما في تلك الثلاث بالرجوع عنه هو كون طريقة الغربيين المؤلفين في حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم طريقة علمية أقوم من طريقة علماء الاسلام اهـ .

ثم نقل العلامة التوقادى كلاما نفيسا للعلامة شبلى النعمانى الهندى من مقدمة كتاب له في حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نصه (٧) صفحة ٥٧ ثم ان كل ملة وكل طائفة من معتنقى الأديان تقدر دينها وتفضلها على دين غيرها فلو وجهنا سؤالا عاما إلى جميع أهل الأرض عن له الموجودية الفائقة من بين مؤسسى الأديان فلا شك أن الاجابة على هذا السؤال ترد مختلفة بعدد اختلاف مرسلها في الدين، ولكن إذا زدنا تفصيلا وايضاها في لفظ السؤال فقلنا مثلا : من ذا الذى ضبط جميع نصوص كتابه المنزل عليه ضبطا وثبت حريا بموقية وصداقة لم تكونا من حظ الكتب المقدسة ومن ناحية أخرى قيد ونقل جميع وقائع حياته وجميع أفعاله وأقواله وأسفاره وأخلاقه وعاداته حتى شكل لباسه وصورة تلبسه وخطوط وجهه وكيفية تكلمه ومشيه وطرز معاشرته ، وحتى أكله وشربه ونومه وتبسمه ومساغيه بجميع فروعه وتفاصيله ، فالجواب لا بد أن يكون : محمد صلى الله تعالى عليه وسلم و(٨) صفحة ١٣٨ فيا أيها المتكلمون بلسان الاسلام ، لا تحدثوا الناس من غير ميزان ولا مقياس فمن أسى ميزان الاسلام على سائر الأديان السماوية أنه ضامن لتلك الأديان أيضا فاذا دخلت شبهة في أصل واحد منها يتأثر الإسلام بها أيضا ولا يسلم من عدواها . فإياكم أن تستهينوا بمعجزات الأنبياء عند إكبار معجزة القرآن أو تستهينوا بالسنة عند اعظام شأن الكتاب فالكتاب لا يتنصل من السنة والقرآن لا يتنصل من التوراة (١٥ - تحذير العبقري)

والانجيل. فانتم تعلمون دعوى اختلاق الشعر الجاهلي بعد الاسلام ولعلكم تعلمون أيضا ما ترمى اليه تلك الدعوى من إثارة الشبهة في القرآن من ناحية الرواية بواسطة إثارة الشك في أمانة الرواة المسلمين مطلقا .

وكانت تلك الدعوى قد قوبلت بضجة في رأى العام الاسلامى بمصر ثم ظهر كتاب الوحى المحمدى فطعن صاحبه في الوحى الموسوى والعيسوى وظهر كتاب «حياة محمد» فطعن صاحبه في سنة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وظهر الطعن في الطبعة الثانية كل الظهور فلم يحرك كل من ذلك ساكنا في رأى العام وما أخل برغبة المسلمين لا سيما في الكتاب الثانى مع أن صلة السنة بالكتاب وصلة التوراة والانجيل بالقرآن أشد وأقرب من صلة الشعر الجاهلى بالقرآن . والفرق المشهود بين الحالين لا يسفر الا عما طرأ على الاسلام بمرور الزمان من ضعف في الحماسة أو ضعف في التفكير اه وقد ذكر العلامة المذكور حمل محمد عبده انفلاق البحر لموسى عليه السلام على المد والجزر الطبيعيين ، وعدم سماع تلميذه صاحب المنار نص القرآن على معجزة انشقاق القمر ، وطعنه في الأحاديث الواردة في ذلك ودفاعه مع الشيخ المراغى عن كتاب هيكل باشا (حياة محمد) وتخطب شلتوت في تأويل الآيات الدالة على رفع عيسى عليه السلام الى السماء وأبحاثا كثيرة نغمسة غير هذه اه .

انواع المعجزة التي ظهرت منه

عليه الصلاة والسلام ثلاث

أولها وأعظمها القرآن ، المعجزة الخالدة أعجز الثقلين بألفاظه ومعانيه والجمهور على أن اعجازه لكونه في الطبقة العليا من الفصاحة والدرجة القصوى من البلاغة على ما يعرفه فصحاء العرب بسليقتهم وعلماء الفرق بمهارتهم في فن البيان واحاطتهم بأساليب الكلام وهذا مع اشتماله على الإخبار عن المغيبات الماضية والآتية وعلى دقائق العلوم الالهية وأحوال المبدأ والمعاد ومكارم الأخلاق والارشاد إلى فنون الحكمة العلمية والعملية والمصالح الدينية والديوية على ما يظهر للمتدبرين ويتجلى للمتفكرين .
النوع الثاني إخبار القرآن عن الغيوب الماضية والمستقبلية .

أما الماضية : فكقصته نوح وهو ذو صالح و ابراهيم ولوط وشعيب ويوسف وموسى وعيسى وغيرهم عليهم الصلاة والسلام وفرعون وتلك الأمم التي بادت بتكذيبهم لأنبيائهم على تفاصيلها وطولها واشتمالها على كثير من معجزات أولئك الرسل الكرام من غير سماع من أحد ولا تلقن من كتاب حسبما أشار إليه القرآن الكريم بقوله ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ . وأما المستقبلية : ففنها ما في القرآن كقوله تعالى في اليهود ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ وقوله تعالى ﴿ سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ وقوله ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ، وقوله ﴿ فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾ ، وقوله ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ﴾ ، وقوله ﴿ ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح

المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ﴿١﴾ ، وقوله ﴿٢﴾ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد ﴿٣﴾ وقوله ﴿٤﴾ وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها ﴿٥﴾ ، وقوله ﴿٦﴾ قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون ﴿٧﴾ وقوله ﴿٨﴾ ليظهره على الدين كله ﴿٩﴾ ، وغير هذه كثير . ومنها ما ليس فيه كقوله عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله تعالى عنه : أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا عليُّ على هذه (يعنى قرنه) حتى يبل منه هذه (يعنى لحيته) أخرجه أحمد والحاكم بسند صحيح ، وقوله لعمار رضي الله تعالى عنه (تقتلك الفئة الباغية) أخرجه الشيخان ، وقوله (زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيلبلغ ملك أمتي مازوى لي منها) أخرجه الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه عن ثوبان مرفوعاً ، وقوله (الخلافة بعدى ثلاثون سنة) أخرجه الأئمة أحمد بن حنبل وأبو داود والترمذي والنسائي وأبو يعلى وابن حبان عن سفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكأخباره عن هلاك كسرى وقيصر وزوال ملكهما وانفاق كنوزهما في سبيل الله . وغير هذه كثير مذكور في مصنفات أئمة الاسلام المعتمدة . وقد اقترن هذا النوع كله بدعوى النبوة فيتميز بذلك عن الكرامات ، وطهارة نفسه الشريفة وأعماله الجليلة وشمائله الكريمة وعدم نظره في أحوال الكواكب وآلاتها يميزها عن السحر والسكاهة والتنجيم وأشباه ذلك .

النوع الثالث : أفعال ظهرت منه عليه الصلاة والسلام على خلاف العادة تربو على ألف رواها وجمعها أئمة الحديث الاثبات وسموها دلائل النبوة ، فمن صنفت فيها الحفاظ أبو نعيم الاصبهاني وأبو بكر البيهقي وسمى تصنيف كل منهما بدلائل النبوة بعضها ارهاصية ظهرت قبل النبوة وبعضها تصديقية ظهرت بعدها . وتنقسم إلى أمور ثابتة في ذاته وأمر متعلقة بصفاته وأمر خارجة عنهما . فالأول كولادته عليه الصلاة والسلام محتوناً مسروراً وخاتم النبوة بين كتفيه وطول قامته مع الطويل وتوسطه مع المتوسط ، ورؤيته

من خلفه كرويته من قدامه . والثاني كاستجماعه الغاية القصوى من الصدق
والأمانة والعفاف والشجاعة والفصاحة والسماحة والزهد والتواضع لأهل
المسكنة والشفقة على الأمة والمصابرة على متاعب النبوة والمواظبة على مكارم
الأخلاق وكبلوغه النهاية في العلوم والمعارف الإلهية ، وتمهيد المصالح الدينية
والدينية وكونه مجاب الدعوة - فقد دعا لابن عباس بقوله (اللهم فقّهه في
الدين وعلمه التأويل) فصار أمام المفسرين ودعا على ابن أبي لُهب بقوله
(اللهم سلط عليه كلبا من كلابك) فافترسه الأسد ، وعلى مضر بقوله (اللهم
اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف) فمنع الله
تعالى عنهم القطر سنين ، وعلى سراقه بن مالك المدلجي حين لحقه في طريق
الهجرة فساخت قوائم فرسه في الأرض وقد تقدمت قصته مفصلة . وغير
هذا من دعائه كثير مذكور في الصحاح والمسانيد . والثالث كخرو الأوثان
سجداً ليلة ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم وسقوط شرفات إيوان كسرى
وإظلال السحاب عليه . وانشقاق القمر . وتسليم الحجر . ونبع الماء من بين
أصابعه . واشباع الخلق الكثير من الطعام اليسير . وحنين الجذع حين انتقل
منه إلى المنبر ، وإخبار الشاة المشوية له يوم خيبر بأنها مسمومة ، ودور
ضرع الشاة الحائل عند أم معبد ، وتسبيح الحصى ، وغير ذلك مما لا يعد
ولا يحصى .

الاسراء والمعراج

من المعجزات القرآنية - الاسراء

الاسراء بروح وجسد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على البراق يقظة من مكة إلى بيت المقدس ثم عروجه من هذه إلى ما فوق السماء السابعة وفرض الصلاة عليه وعلى أمته ، ورؤيته من آيات ربه الكبرى ثم رجوعه إلى بيته في جزء من الليل من جملة المعجزات التي تفضل بها عليه القادر الحكيم أمر ممكن . ودليل إمكانه إما تماثل الأجسام فيجوز الخرق على السماء كما يجوز على الأرض وعروج الانسان كغيره من الأجسام العلوية . وإما عدم دليل الامتناع لأنه لا يلزم من فرض وقوعه محال . وقد ثبت بالدليل أن خالق العالم قادر على كل الممكنات وثبت أن حصول الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد في جسده عليه الصلاة والسلام ممكن فوجب كونه تعالى قادراً على هذا الممكن وقد جاء في القرآن أن الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام إلى البلدان البعيدة في الزمن اليسير قال تعالى ﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ﴾ بل الحس يدل على أن الرياح تنتقل عند شدة هبوبها من مكان إلى مكان في غاية البعد في اللحظة الواحدة وهذا يدل على أن مثل هذه الحركة السريعة ممكنة في نفسها .

ودل القرآن أيضا على أن الذي عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من أقصى اليمن إلى الشام في مقدار لمح البصر قال تعالى ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ . وإذا كان ممكنا في حق بعض الناس علمنا أنه في نفسه يمكن الوجود فادعاء استحالة المعراج باطل لأنه مبني على أصول الفلاسفة من امتناع الخرق والالتصام على السماوات والخرق والالتصام عليها جائز عند أهل الحق والقول بجواز الاسراء والمعراج وثبوتهما فرع عن تسليم

جواز أصل النبوة والقول بامتناعهما عقلا طعن في نبوة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأن المعجزات من لوازم نبوتهم ونفي لوجود القادر على كل شيء ، والأجسام العلوية والسفلية كلها متماثلة في الجسمية مركبة من الجواهر الفردة المتماثلة يصح على كل واحد منها ما يصح على الآخر بضرورة التماثل المذكور فان أمكن خرق الأجسام السفلية أمكن خرق الأجسام العلوية والله تعالى قادر على كل الممكنات فهو قادر على خرق السماوات على أن النصوص القرآنية قد نطقت بأن للسماء أبوابا تفتح وتغلق فلا عبرة بأوهام الفلاسفة ، قال المحققون دلت الآية الكريمة على الاسراء من مكة إلى بيت المقدس نصاً وصحيح الأخبار من هذه إلى السماوات استفاضة قال تعالى ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ . وتقرير الدليل أن العبد اسم للجسد والروح معاً فوجب أن يكون الاسراء حاصلًا بجميع الجسد والروح . ويؤيده قوله تعالى ﴿ أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ﴾ فلا شك أن المراد هنا مجموع الجسد والروح لأن العبد هنا هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جزماً والناهي له عن الصلاة هو أبو جهل لعنه الله ولا يعقل نهيه له عن الصلاة بروحه دون جسده . ويؤيده أيضاً قوله تعالى في سورة الجن ﴿ وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً ﴾ فالعبد في هذه أيضاً هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و ﴿ يدعوه ﴾ يعبده ليلاً يبطن نخلة لما رجع من الطائف ، بالصلاة وتلاوة القرآن ﴿ كادوا ﴾ أي جن نصيبين كما في الصحاح والسير ﴿ يكونون عليه لبداً ﴾ جماعات مزدحمين عليه حرصاً على استماع القرآن وتعجباً بما رأوه من عبادته واقتداء أصحابه به وإعجاباً بما تلاه من القرآن . ولا تعقل عبادة روح هنا دون جسد كما لا يعقل ازدحام واستماع طائفة من الجن على غير جسد ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده حال يقظته استحالة تؤذن بتأويل ، إذ لو كان مناماً لقال بروح عبده ولم يقل بعبده ، وقوله تعالى

(ما زاع البصر وما طغى) أى ما عدل عن رؤية ما أمر به من عجائب الملكوت ، وما جاوزها صريح بظاهره فى أنه بجسده يقظة لأنه أضاف الأمر إلى البصر وهو لا يكون إلا يقظة بجسده بشهادة (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) .

ولو كانت مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة خارقة للعادة ، دالة على صدقه وإن كانت رؤيا الأنبياء وحيا إذ ليس فيها من الأبلغية وخرق العادة ما فى اليقظة . قال بعض المحققين فان قيل لم أسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم أولا من مكة إلى المسجد الأقصى ثم عرج به من هذا إلى السماء ولم لم يعرج به من مكة إلى السماء رأسا؟ فالجواب : أن بيت المقدس هو القبلة الأولى وهو أحد المواضع الثلاثة التى تعمل إليها المطى فجمع له صلى الله عليه وسلم الأسراء بين القبلتين واجتمعت له الفضيلتان والجواب عن كون المعراج صار من المسجد الأقصى إلى السماء ولم يكن من مكة إلى السماء أن ذلك من الله تعالى لحكمة استأثر بها فيجب الإيمان به كما ورد به الخبر من غير تعليل . وإن قلنا إن الحكمة فى ذلك معقولة نقول والله أعلم هو أن يكون ذلك دالا على صدق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه لو عرج به من مكة لكان الكفار ينكرون ما يدعيه ولا يجد ما يستدل به عليهم ويلحق بسبب ذلك لمن ضعف إيمانه الشك ، فلما أن أسرى به إلى بيت المقدس أولا وسأله الأعداء المنكرون عن أمور فيه يعرفونها اختباراً لصدقه لانهم يعلمون أنه عليه السلام لم يدخلها قط فهو لا يعرفها قطعاً فأخبرهم فى الحال عن كل ما سألوه عنه كان ذلك أكبر آية على تصديقه عليه السلام فيما ادعاه بخلاف أن لو كان الأسراء من مكة إلى السموات رأسا فانهم يكذبونه جزما لانهم لا معرفة لهم بالعالم العلوى حتى يسألوه عنه اه .

وقريب من هذا ما قاله الخازن فى تفسيره : -

• إن فائدة ذكر المسجد الأقصى فقط دون السماء انه لو ذكر عليه الصلاة والسلام لهم صعوده إلى السماء لاشتد إنكارهم لذلك فلما أخبرهم

انه أسرى به الى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما أخبرهم به من العلامات التي سألوه عنها فيه وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك بمعراجه الى السماء فكان الاسراء كالتوطئة للمعراج اه .

قال ابن كثير في تفسيره ما نصه : قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) وقد ذكر حديث الاسراء من طريق أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه وتكلم عليه فأجاد وأفاد ثم قال : وقد تواترت الروايات في الاسراء عن عمر بن الخطاب وعلى وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبي حبة وأبي ليلي الانصاريين وعبد الله بن عمرو وجابر بن عبد الله وحذيفة وبريدة وأبي أيوب وأبي امامة وسمره بن جندب وأبي الحمراء وصهيب الرومى وأم هانئ وأسماء وعائشة ابنتى أبي بكر رضى الله تعالى عن جميعهم قال فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون اه . فهو لاء خمسة وعشرون صحابيا ، وذكر الزرقانى فى شرحه على المواهب اللدنية انه رواها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمسة وأربعون صحابيا وسرد بقيتهم منهم الخليفتان الصديقين الاكبر وذو النورين رضى الله تعالى عنهما .

تخطيطه في معجزة الاسراء والمعراج

وترجيحه القول بكونهما مناماً وابطال ذلك باسباب
اتفق المؤلفون من علماء الاسلام على إدراج حادثة الاسراء والمعراج
في مؤلفاتهم قبل الكلام على هجرته عليه السلام وقد خالفهم هذا المحاضر
فذكر الهجرة اولاً ، ثم ذكر الاسراء والمعراج بعدها وإنما ركب هذا
الشدوذ ليتسنى له التشبث بما نسب الى عائشة ومعاقبة رضى الله تعالى عنهما
من كونهما كانا مناماً لا يقظة فيتخلص بذلك من هذه المعجزة القرآنية التي
لم يمكنه حذفها من كتابه كما حذف غيرها من المعجزات التي ثبتت بسنته عليه
السلام وعادة هذا المحاضر وحزبه التي تحققنا هامتهم عدم اعتبار سنته
عليه الصلاة والسلام مهما بلغت درجتها في الصحة والشبوت بل ولو تواترت
مالم تكن موافقة لاهوائهم فاذا وجدوا في الاحاديث ما يوافق اهواءهم
فهم متمسكون به أشد التمسك ولو كان أوهى من بيت العنكبوت مصادماً
لصريح القرآن ، قال الخضرى صفحة ٨٩ (وقد اختلف المؤرخون في
الوقت الذى فرضت فيه الصلاة : فقال بعضهم إنها فرضت ليلية الاسراء
حينما عرج برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الملاء الأعلى وقال
آخرون : بل قبل ذلك اهـ) اقول اتفق علماء الاسلام على ان الصلاة
فرضها الله تعالى ليلية الاسراء والمعراج فهذا الخلاف الذى نصبه
حضرته باطل ، ومن المضحك تعبيره بقوله اختلف المؤرخون ،
كأن أمة السلف من الصحابة وغيرهم منقسمون الى مؤرخين وغير مؤرخين ،
فالمؤرخون منهم هم الذين اختلفوا في هذه المسألة العويصة او كلهم مؤرخون
لا يعرفون غير التاريخ لانه رأس العلوم وأدقها عنده ولا ندرى ما وجه
حيدته عن التعبير ب (اختلف العلماء) الذى هو اللفظ العام والطريقة
المسلوكة للمؤلفين في مؤلفاتهم . قال الخضرى : في الصفحة نفسها (وقد
اتفق المؤرخون على وقوع الحادثة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

بمسكة لان السورة مكية ولكنهم لم يعينوا وقتها بالضبط وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبرها قومه في صبح تلك الليلة فكانت مشاراً لعجبهم وسخريتهم ، وصدق بها المؤمنون وفي مقدمتهم ابو بكر الذي سمي في ذلك اليوم بالصدق ، وكذب بها المشركون وبعض الضعفاء المقتونين من المسلمين حتى إن بعضاً منهم ارتداه) يقال اذا كان العلماء اتفقوا على وقوع حادثة الاسراء والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بمسكة قبل الهجرة فلم خالفهم أنت ، وذكرتها بعدها ، وقوله ولكنهم لم يعينوا وقتها بالضبط ، لا يضر ذلك ماداموا متفقين على انها بعد البعثة وقبل الهجرة وقوله وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بها قومه في صبح تلك الليلة فكانت مشاراً لعجبهم وسخريتهم الى آخر الكلام هذا كله يدل على ان الاسراء كان يقظة لامناً ولو كان رؤيا منامية ما كان مشاراً لتعجبهم وسخريتهم ولا كان فيها مزية للمؤمنين عن المشركين بتصديقه ولا للمشركين عن المؤمنين بتكذيبه ولما امتاز بها ابو بكر في ذلك اليوم بالتسمية بالصدق بل ولا الرسول عليه الصلاة والسلام بالصادق عند المؤمنين والكاذب عند المشركين إذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنائم ولو كان رؤيا منام لما افتتن به أحد من الناس لضعيف من المسلمين ولا مشرك إذ لا يستبعد الناس عادة على نائم يرى نفسه يخرق السماوات او يطير الى نواح بعيدة من الارض او في مغارها فقد ساق حججاً دامغة لرأيه من حيث يشعر اولا يشعر . قال المحاضر (واختلف المتكلمون في امر الاسراء فروى عن معاوية بن ابي سفيان أن الاسراء كان رؤيا صاقه رآها رسول الله صلى عليه وسلم . وروى عن عائشة ان الاسراء إنما كان بروحه لان جسمه لم يزل في مكانه ، ونرى ان نتيجة القولين واحدة لان الاسراء بالروح ليس معناه ان الجسم قد مات اذ لم يقل بهذا القول احد لا عائشة ولا غيرها ، وانما تلك الروح الظاهرة اطلعها الله تعالى في حالة النوم على شيء من الآيات التي هي في جهات بعيدة عن موطنها ، والرؤيا كما قدمنا نوع من الوحي للأنبياء ويستدل

اصحاب هذا الرأي بقوله تعالى في السورة نفسها ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي
أريناك الا فتنة للناس ﴾ ، وقد قال الحسن البصرى راوى حديث الاسراء
فانزل في ذلك قوله تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا ﴾ الخ اه . اقول : القول بأن
الاسراء كان مناماً لا يقظة منسوب لعائشة ومعاقبة رضى الله تعالى عنها
وهو قول واحد مقابل لقول جمهور الامة الاسلامية الصحابة فمن بعدهم
لاقولان كما هذى به بقوله واختلف المتكلمون في امر الاسراء وبقوله
فروى عن معاوية انه كان رؤيا صادقة ، وروى عن عائشة انما كان بروحه ،
وبقوله . وبرى ان نتيجة القولين واحدة الى آخر هرائه ، وسيأتى التحقيق في
ابطال نسبة هذا القول لام المؤمنين ومعاقبة ونسأله وأمثاله الذين لا يقيمون
للرواية وزناً . من اى طريق وصل اليكم ان عائشة ومعاقبة كانا يستدلان
على ان الاسراء مناماً لا يقظة بهذه الآية ؟ وهل معناها عند المفسرين
محصور في كون الاسراء مناماً لا يقظة ؟ وجوابهم ان يقولوا نقله العلماء
عنهما فقلنا بما نقلوه فيقال لهم اذا انتم مقلدون وتقليدكم مبنى على الهواء
فان العلماء انما نسبوا اليهما القول بانه كان مناماً ولم ينسبوا اليهما انهما
احتجا بهذه الآية على رأيهما بل ثبتت عنهما كما سيأتى في كلام القرطبي في
تفسيرها ما يدل على ان الاسراء كان يقظة لامناما . عكس دعواكم فاذا
قولكم هذا عليهما كذب لأحالة ، واحتجاجكم بها على انه كان مناماً
فاسد معكوس بل هى حجة ظاهرة لعلماء الاسلام على انه كان يقظة
لان الرؤيا فيها لو كان المراد بها المنامية لما افتتن الناس بها ، والرؤيا
والرؤية تطلق كل واحدة منهما على الاخرى فى لغة الضاد كقربى وقربة .
فعلى فرض حصر نزولها فى حادثة الاسراء معناها رؤية البصر عند علماء
الاسلام وذلك لا يكون الا فى اليقظة فهى دليل لهم على ان الاسراء يقظة
كما قررنا على ان معناها ليس محصوراً فى هذا بل ذكر الرازى فيها اربعة
اقوال للمفسرين : هذا ، وقال انه الاصح وقول الاكثرين . الثانى ان الله
أرى نبيه فى النوم مصارع مشركى قريش بيدى واقصر عليه النسفى فى
تفسيره . الثالث رؤياه انه يدخل هو واصحابه مكة فلما صده المشركون

عام الحديدية كان ذلك فتنه لبعض القوم فانزل الله تعالى ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن ﴾ الخ . الرابع انه عليه الصلاة والسلام رأى في منامه بنى مروان ينزون على منبره نزو القردة فساء ذلك فقبل له انما هي الدنيا اعطوها فسرى عنه وهذا القول قاله من الصحابة سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه . والثالث والرابع ذكرهما ايضاً القرطبي والحازن في تفسيريهما والقول بان هذه السورة مكية وهذه الأحوال في الاقوال الثلاثة إنما كانت بعد الهجرة فلا تصح مجاب عنه بانه لا بعد في كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى مصارع مشركى قريش بيدى في نومته ثم تحققت رؤيته بعد الهجرة ، ورأى كذلك انه يدخل مع اصحابه مكة محرمين ثم تحققت بعد الهجرة في عمرة القضاء ، ورأى كذلك ان له بالمدينة منبراً ينزو عليه بنومروان ثم تحقق ذلك بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بدهر ، وقول الخضرى قال الحسن البصرى راوى حديث الاسراء فانزل في ذلك قوله تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا ﴾ الخ . من المضحكات فكانه ماروى حديث الاسراء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلا الحسن البصرى وكانه يعتقد صحابياً لا تابعياً ، والحسن البصرى احد المؤمنين من التابعين الذين رووه عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه خصوصاً وانس واحد من خمسة واربعين صحابيارواه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكل واحد من هؤلاء الصحابة رواه عنه امة من التابعين ورواه عن هذه الامم من التابعين اضعافهم من اتباع التابعين وهلم جراً ، ومن هنا قال أئمة الحديث : ان احاديث الاسراء متواترة ، وكلام الحسن هذا الذى احتج به المحاضر حجة عليه ، لان الحسن احتج به على كون الاسراء يقظة لامناما . قال القرطبي في تفسيره مانصه : وفي البخارى والترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في قوله تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس ﴾ قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسرى به الى بيت المقدس ، قال ﴿ والشجرة الملعونة فى القرآن ﴾ هي شجرة الزقوم .

قال ابو عيسى الترمذى هذا حديث صحيح . وبقول ابن عباس قالت عائشة ومعوية والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وابن ابى نجیح وابن زيد . وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا اسلموا حين اخبرهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه اسرى به . وقيل كانت رؤيا نوم . وهذه الآیة تقضى بفساده ، وذلك ان رؤيا المنام لا فتنة فيها ، وما كان احد لينكرها . اهـ .

قال الخضرى : (وجمهور المسلمين على ان الاسراء كان بجسمه ويستدلون على رأيهم بان الاسراء لو كان رؤیة ما كان هناك داع لاستغراب المشركين وضعفاء المسلمين لانه ما الذى يستبعد من اطلاع انسان على اقصى ما فى الارض فى رؤيا يراها اهـ) اقول لم يرد فى السنة الصحيحة ما يدل على ان الاسراء كان يقظة بجسمه وروحه معا لكانت الآیة الشريفة ﴿ سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ﴾ كافية شافية فى ذلك كل مسلم سلمت عقيدته من الزيغ ومن يحاول تأويلها بالمنام إنما هو مكذب لصريح القرآن وللغة الضاد التى نزل بها مشاق لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متبع غير سبيل المؤمنين فما ذكره المحاضر من بعض ادلة علماء الاسلام على كون الاسراء يقظة صحيح وليس استدلالهم محصورا فيما ذكره كما توهمه عبارته بقوله (ويستدلون على رأيهم الخ) ، وليست المسألة رأيا كما زعم بل اجماع بعد النص القرآنى الصريح ، ومن ادلة علماء الاسلام ان التسييح لا يكون إلا فى الامور العظيمة ولا يستعظم ما كان مناها ، ومنها أن العبد بمجموع الجسد والروح عادة ولغة ، ومنها أن مادة اسرى لا تستعمل فى لغة العرب الا فى انتقال الاجسام ، ومنها أن الرؤيا المنامية تستعمل فى الرؤیة البصرية فى لغة العرب وقد تقدم ، ومنها فى السنة الثابتة قالت له ام هانىء لا تحدث الناس فيكذبوك ويؤذوك روى الحافظ ابو يعلى وغيره عن ام هانىء انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما اخبرهم بالاسراء الى بيت المقدس ضجوا وأعظموا ذلك حتى قال له المطعم بن عدى كل امرئ قبل اليوم

كان أما غير قولك اليوم أنا أشهد أنك كاذب نحن نضرب أ كباد الابل مصعداً
شهرأ ومنحدرأ شهرأ تزعم انك قد اتيت في ليلة لا اصدقك. فقال : ابو بكر
يامطعم بئس ماقلت لابن اخيك جبهته وكذبتة أنا اشهد انه صادق، فسألوه
عن صفة بيت المقدس ولم يأتته عليه السلام قبل ذلك فوصفه لهم ، ومنها
سؤالهم له عن غيرهم فاخبرهم بها وانها تصل يوم الأربعاء يقدمها جمل
اورق عليه غرارتان فكان كما وصف ، ومنها ارشاده اصحاب العير على
مكان البعير الذي ند لهم فوجدوه وشربه من إنانهم وهو مغطى وغير هذه .
قال الخضرى (بعض المؤرخين يميلون الى رأى عائشة ومعاًوية
لا لأنهم يحيلون ان يقع للانباء امر خارق للعادة ، بل لأنهم لا يتمسكون
من هذه الخوارق الا بما شاهده رواته عيانا وصرحوا بمشاهدته في رواياتهم
ووصل اليهم من طرق مأمونة الخطأ او صرح به الكتاب اه) . اقول :
المحاضر مولع بلفظ المؤرخين قال فيها سبق وقد اختلف المؤرخون في الوقت
الذى فرضت فيه الصلاة ، وقال ايضا وقد اتفق المؤرخون على وقوع
الحادثة ورسول الله بمكة ، وهنا قال : بعض المؤرخين يميلون الخ كما انه
حذر من تعيين اسم إمامه الذى قلده في انكار الملائكة والجن والشياطين
وانكار الخوارق للعادة وهو « محمد عبده » قال فيما سبق في بحث الوحي
حاكياً عنه خطله في تعريف الملائكة والشياطين ويسمى بعض فلاسفة
المسلمين القوة الخ وقال حاكياً عنه هنا بعض المؤرخين يميلون الى رأى
عائشة ومعاًوية ، وتقدم في قصة اصحاب القيل وفي بحث الوحي انه الذى
سن لأتباعه هذه المصائب ، وقوله لا لأنهم يحيلون ان يقع للانباء امر
خارق للعادة تمويه وغش بل هم يحيلونها مطلقا نقوله موهما انهم يؤمنون
بها بهذه الشروط : بل لأنهم لا يتمسكون من هذه الخوارق الا بما شاهده رواته
الى آخر الكلام فاسد ومصيبة كبرى في حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وحق اصحابه رضوان الله تعالى عليهم وهم اس الرواة الذين حملوا الشريعة
كلها الينا . وشرحه يلزم من ظاهر كلامه هذا ان يكون كل امر خارق

لم يشاهده الصحابة منه عليه الصلاة والسلام وانما اخبرهم به مستحيلاً
اى يكون عليه الصلاة والسلام غير صادق فى اخباره نعوذ بالله من فلتات
اللسان وفساد الجنان فان كثيراً من الخوارق لم يشاهدها الصحابة منه
كخباره عن الامور الغيبية الماضية والمستقبلية وكتاب الله تعالى مملوء بذلك
وسنته عليه السلام كذلك فيلزم تكذيب القرآن ، وتكذيب القرآن يستلزم
تكذيب الآتى به ، وتكذيب الآتى به يستلزم تكذيب مرسله وهو الله
جل جلاله . ومن الخوارق القرآنية اخباره عليه السلام بحادثة الاسراء
هذه فان الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم لم يشاهدها منه ولم يصرح بها
القرآن على رأيهم فتكون مستحيلة . يجب تأويلها وقد اولوها بالمتنم وكذلك
قصة اصحاب القليل اخبر بها القرآن الذى أنى به محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم وبينها أحسن بيان لم يشاهدها الصحابة ولم يصرحوا بمشاهدتها وكذلك
جميع الآيات التى أهلك الله بها الامم السابقة والآيات التى منحها الله تعالى
لرسله وجاءت فى القرآن مفصلة واضحة . لا تقبل التأويل كسناقة صالح
واهلك قومه بالصيحة . وعاد بالريح العقيم . والقاء الخليل فى النار . وخوارق
موسى كقلب العصاحية . واليد البيضاء . وانفلاق البحر . وغيرها وخوارق
عيسى عليه السلام كبراء الاكمة والأبرص واحياء الموتى كل هذه لم
يشاهدها الصحابة ولم يصرحوا بمشاهدتها وانما اخبر بها القرآن الذى أنى
به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من عند الله واخباره تعالى ليس صريحاً
عندهم فيجب تأويلها بما يوافق اهواءهم ، وحملنا الرواة فى شرطيه الاولين
(١) ما شاهده رواه عياناً (٢) وصرحوا بمشاهدته فى رواياتهم ، على
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم هو المتعين لان التابعين - فمن بعدهم من
الرواة الى وقتنا هذا - لا تعقل مشاهدتهم للمعجزة من محمد عليه الصلاة
والسلام لانهم لم يدركوا زمنه (٣) قال : ووصل اليهم من طرق مأمونة الخطأ
أى وصل الأمر الخارق إلى الرواة من طرق مأمونة الخطأ فان فرضنا الرواة
الواصل اليهم الخارق هم التابعون فهو طعن فى عدالة الصحابة رضوان الله عليهم

الذين عدلهم القرآن واثني الله تعالى عليهم في آيات كثيرة والظعن في المعدلين
ظعن في المعدل لهم لانهم هم الذين اوصلوه الى التابعين .

فاذا كانوا غير مأمونين من الخطأ فالثقة بهم مفقودة وتعديل الله لهم
غير مجد وهذه مصيبة عظيمة ، وإن حملنا الرواة الواصل اليهم الخارق على
الصحابة أنفسهم فهو مصيبة أعظم لأن الصحابة لا يصل اليهم الخارق من
طرق وإنما يصل اليهم من الرسول عليه الصلاة والسلام بمشاهدة ذلك منه
والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أمين الله على وحيه لخلقه الصادق فيما
بلغه لهم لا يعقل أن يكون طرقا ، فان قيل يحمل هذا الشرط الثالث على
أتباع التابعين مثلا بالنسبة للتابعين المشروطة فيهم العدالة والمعنى : ووصل
اليهم أى إلى أتباع التابعين من طرق مأمونة الخطأ ، أى من التابعين العدول
الضابطين لما روه عن الصحابة . قلت هذا الاحتمال مخالف لظاهر الكلام
يلزم عليه تشتيت الضمائر لأن إرجاع ضمير اليهم في هذا الشرط إلى أتباع
التابعين الذين لم يتقدم لهم ذكر صراحة وإنما دخلوا في جنس الرواة بعد
إرجاعه في الأول والثانى إلى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بعيد ،
وبهذا ظهر فساد هذه الشروط التي اشترطوها في إيمانهم بالخوارق كما ظهر
فساد قوله . أو صرح به الكتاب ، يعنى أن إيمانهم بالخوارق يشترط فيه
ثلاثة شروط (١) مشاهدة رواته للخارق عياناً من الرسول (٢) وتصريحهم
بمشاهدته في رواياتهم ، (٣) ووصوله اليهم من طرق مأمونة الخطأ ، أو
تصريح القرآن به فانه يقوم مقام الشروط الثلاثة ، وهذا كله تمويه منهم
وذو الرماد في العيون . والحقيقة إنهم لا يؤمنون بها مطلقا وأى تصريح
يؤمنون به أوضح من سبحان الذى أسرى بعبده ، وقد أولوه بالروح
مناما وأى تصريح يطلبون فوق تصريح الله بحادثة أصحاب الفيل وقد
زادوا على نصوصها ما لم يقله الله تعالى .

وأى تصريح يطلبون فوق تصريح الله بقصة الملائكة وآدم وابليس
(١٧ - تحذير العبقري)

وقد قال إمامهم فيها انها كلها تصوير وتمثيل وأى تصريح يقصدون وقد قال أيضا في نفخ إسرافيل في الصور: إنه تمثيل لبعث الله تعالى الناس يوم القيامة بسرعة وأى تصريح يصدقون به فوق إخبار الله بتفتيح السماء أبواباً عند القيامة وانفطارها وانشقاقها، وقد قال أيضا تفتيح السماء عبارة عن تغيير نظام الكون وانفطارها وانشقاقها فساد تركيبها واختلال نظامها، وأى تصريح يطلبون فوق انفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام وقد قال فيه أيضا إنه عبارة عن المد والجزر الطبيعيين، وأى تصريح يريدون فوق ﴿ قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ وقد أولوها بمعنى ظهر الحق وأى تصريح يطلبون فوق نصوص القرآن الكثيرة الدالة على ان الملائكة والجن والشياطين أجسام وقد أولوها بقوى معنوية، فهل أبقوا في القرآن صريحا بعد هذا الخبط العظيم حتى يتمسكوا به وهل أبقوا بعد هذا الوثوب على النصوص القرآنية بالتأويلات الفاسدة للباطنية شيئا لم يوافقوهم عليه، قال الخضرى حاكيا حجج مشايخه المائلين لرأى عائشة ومعاوية رضى الله عنهما (قالوا إن إقدام عائشة ومعاوية على القول بأن الاسراء كان رؤيا صادقة يدل على أن هذا القول لم يكن بدعا في زمنهما لانه لم ينقل اليها التاريخ أن أحدا قام في وجههما رادا عليهما رأيهما، بل بالعكس رأينا ابن اسحق يقول فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن ان هذه الآية: ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أرينا كلها ﴾ الخ. أنزلت في ذلك اه.) أقول رأى عائشة رضى الله تعالى عنها هذا الذى تمسك به المنكرون للخوارق موضوع عليها قال الحافظ بن دحية في كتابه التنوير انه موضوع عليها وقال في معراج الصغير قال إمام الشافعية ابو العباس بن سريج: هذا حديث لا يصح وانما وضع ردأ للاحاديث الصحيحة، وأجاب بعض العلماء على تقدير صحته بأربعة أوجه: الأول العلة القادحة في متنه، الثانى انقطاع في سنده، الثالث راو واه في سنده، الرابع قولها بضده.

أما الاول فاضطراب الرواية عنها في رأيها هذا فقد روى عنها ما فقد جسده الشريف ولكن أسرى بروحه وعلى هذه الرواية لم تسكن حدثت به عن مشاهدة وإنما حدثت به عن غيرها وعلى هذا فلا يرجح رأيها والحالة هذه على رواية خمسة وأربعين صحابياً في مقدمتهم الخلفاء الأربعة إلا زائغ جاهل جهلاً مركباً أو معاند لا يقيم للصحابة والأمة الإسلامية جمعاء وزناً ، وروى عنها ما فقدت ببناء الفعل للفاعل وضم التاء وهذه الرواية تقتضى أن الاسراء كان بعد دخوله عليه الصلاة والسلام بها ودخوله بها إنما كان بعد الهجرة وعمرها تسع سنين وقد أجمع العلماء على أن الاسراء كان قبل الهجرة وبعد البعثة وحينئذ تحقق بطلان هذه الرواية أيضاً وظهر الاضطراب في الرأى .

٢- وأما انقطاع السند اليها فذلك ظاهر من قول ابن اسحاق حدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول الخ : فقله أن عائشة ، هذا انقطاع في السند قطعاً لان هذا البعض المنسوب لابن بكر لم يصرح بسماعه من عائشة فيحتمل على أقل تقدير أن يكون الساقط في السند بينه وبينها راوياً واحداً وقد حذفه ولم يسمه على أن هذا البعض المنسوب للصديق مجهول .
٣- وأما الراوى الواهى فهو ابن اسحاق فجمهور أئمة الرواية على أنه غير ثقة في الحديث رغم كونه إماماً في السيرة .

٤- وأما قولها بضد هذا الرأى المنسوب اليها فقد تقدم في كلام القرطبي الذى نقلناه في تفسير قوله تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ﴾ إنها هى ومعاوية والحسن البصرى رضى الله تعالى عنهم قالوا كالجهور انها رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وثبت عنها فى الصحيح من طريق مسروق انه سأها هل رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ربه ليلة الإسراء والمعراج فأنكرت ذلك أشد الانكار وقالت من زعم أن محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم القرية على الله فلو كان الإسراء والمعراج عندها مناماً كما زعموا فى هذه الرواية التى نسبوها اليها لم تنكره لان رؤيا الله تعالى فى المنام جائزة باتفاق العلماء .

فان قيل قال الله تعالى ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ فجعل ما رآه للقلب وهذا يدل على أن الاسراء كان مناماً . فالجواب ان هذا يرده امران، الاول قال المفسرون في تفسيرها: معناها لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها . الثاني: قوله تعالى ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ فانه تعالى أسند الرؤيا للبصر على أن عائشة رضى الله تعالى عنها لم تحدث بهذا الرأى المنسوب اليها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وأما معاوية رضى الله عنه فقد كان وقت الاسراء كافراً غير مشاهد له أو شاهده ولكنه كان إذ ذاك من جملة المكذبين له ، ولم يحدث به أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هو رأى رآه . فعلى فرض صحته هل يسوغ لمسلم أن يدفع به رواية خمسة وأربعين صحابيا فيهم ساداتهم : علماءهم الخلفاء الاربعة وابن مسعود وأبي ابن كعب وابن عمر وابن عباس وابن عمرو وجابر بن عبد الله وأبو زر وحذيفة وأبو سعيد وأبو الدرداء ، وفيهم أبوه أبو سفيان ؟ ! (وقول الخضرى يدل على أن هذا القول لم يكن بدعا في زمنهما لانه لم ينقل الينا التاريخ، أن أحداً قام في وجههما رادا عليهما رأيهما) تهوئش أجوف ، يقابل بالبرهان الآتى ، فيقال: ولم تكن رواية خمسة وأربعين صحابيا بدعا في ذلك الزمان ولم ينقل التاريخ أيضا أن عائشة ومعاوية حيث كانا محققين في رأيهما . انهما قاما في وجه هذا الجهم الغفير من الصحابة القائلين بأنه كان يقظة رادين عليهم . ولم ينقل التاريخ أيضا انهما نفيا الاسراء يقظة ، ولو فعلا ذلك فرضا لرد عليهما صريح القرآن ، واللغة التي نزل بها والمسلمون جميعا .

ونحن نتحدى كل متشبع بما لم يعط أن ينقل لنا هذا ، ولو عن واحد من أئمة الرواية الاقدمين . واحتجاجه بقول ابن اسحاق بقوله (بل بالعكس رأينا ابن اسحاق يقول فلم ينكر ذلك من قولهما) ساقط: لان ابن اسحاق غير ثقة في الحديث كما تقدم ولا هو من فقهاء الدين ، فلا عبرة بنقله هذا عنهما ، ولا برأيه الموافق لهما .

وقوله لقول الحسن فأُنزل الله في ذلك : (وما جعلنا الرؤيا التي) الخ صحيح . ولكن لا حجة له في استشهاد الحسن بها على مدعاه . لأنه احتج بها على الذين ارتدوا في حادثة الاسراء .

وهذا دليل على أنه كان يراه يقظة لا مناما ، وقد تقدم ذلك عنه وعن عائشة ومعاوية في كلام القرطبي .

قال الخضرى مطرباً عائشة ومعاوية رضى الله عنهما : (وعائشة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم - وإن لم تكن كذلك حين وقوع الحادثة - أدري الناس بما كان من حوادثه التي أكرمه الله بها فمن البعيد أن تكون أقدمت على هذا القول من غير توقيف منه ، والمعروف عنها انها كانت تسأله عن مشكلات القرآن فيفسرها لها . ومعاوية كان خليفة للمسلمين . فيبعد أن يظهر برأى يتفق على خلافه جمهور أمته ، خصوصاً في مثل هذه الحادثة الكبرى ، ثم لا يقوم في وجه الصحابة معارضين ، على حين أنهم كانوا يردون عليه القول رداً شديداً في أيسر الأمور . فكيف بهذا الأمر الجليل اه) .

أقول : قد تقدم بطلان هذا الرأي عن عائشة ، فقوله : وعائشة زوج النبي ، وإن لم تكن كذلك ، إلى آخر ما يتعلق بها كله هراء . . . وقوله : (وان لم تكن كذلك حين وقوع الحادثة) جواب عن قول العلماء : انها لم تكن وقت حادثة الاسراء في سن من يضبط . لأنها صغيرة ، أو لم توجد أصلاً وقولهم هذا حق . وقوله : (أدري الناس بما كان من حوادثه التي أكرمه الله بها) دعوى عريضة عليها رضى الله عنها ، لا ترضى هي أن تدعيها على أى واحد من الصحابة ، فكيف بعلمائهم ؟ ! فكيف على أيها أعلم الخلق بعد الأنبياء . لفضلها وأدبها وحيائها .

ولو قال المحاضر : عالمة من علماء الصحابة لكان أقرب إلى الحق . أما أدري الناس فيجازفة .

والحقيقة انها عالمة مبرزة خصوصاً فيما يتعلق بمسائل النساء . ولا
نكون مجازفين ان شاء الله إذا قلنا في كل واحد من الخلفاء الاربعة وابن
مسعود ، وابن عباس انه أعلم منها على أنها لو كانت أدرى الناس على الاطلاق
لا يجديه شيئاً .

وقوله : فمن البعيد أن تكون أقدمت على هذا القول من غير توقيف
منه - أى : من النبي صلى الله عليه وسلم ، جوابه أن نقول : من أبعد البعيد
أن يقدم هذا الجرم الغفير من الصحابة على القول بأن الاسراء كان يقظة من
غير توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم . وقوله : والمعروف عنها انها كانت
تسأله عن مشكلات القرآن فيفسرها لها صحيح ، هذا فيها وفي جميع علماء
الصحابة فيصح أن يقال في كل واحد منهم : انه كان يسأله عليه الصلاة
والسلام عن مشكلات القرآن فيفسرها له فلا ميزة لها في هذا على غيرها .

وقوله : (ومعاوية كان خليفة للمسلمين تقدم بطلان نسبة هذا الرأى
لمعاوية رضى الله عنه ، وإذا كان رأى عائشة الصديقة بنت الصديق التي هي
أعلم من معاوية بكثير باطلا ، فرأى معاوية أشد بطلانا . وإذا كان الترجيح
بالخلافه فلا شك أن قول واحد من الخلفاء الأربعة في هذه الحادثة يرجح
قطعاً على رأى معاوية فيها لو صح ، فكيف باتفاق الاربعة فيها ؟ . . . ولا
نظن مسلماً يبلغه اتفاقهم في مسألة من مسائل العلم دون هذه . ومخالفة أى
صحابي لهم فيها يقدم رأى ذلك المخالف لهم فيها على اتفاقهم .

وقد جاءت أحاديث كثيرة عنه عليه السلام حاثه على ملازمة الجماعة
والسواد الأعظم من المسلمين ، ومحدرة من الشذوذ لا حاجة لذكرها . منها
ما يخص الخلفاء الراشدين : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
من بعدى عضوا عليها بالنواجذ) وهو بعض حديث طويل أخرجه أبو داود
والترمذى وقال حديث حسن صحيح اه . ومنها خصوصاً في الشيخين :

(اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن حذيفة . زاد العقيلي : (واهتدوا بهدي عمار وما حدثكم ابن مسعود فاقبلوه) ورواه الروياني بلفظ (اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي - أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتعهدوا بعهد ابن مسعود) وبهذا اللفظ أخرجه الترمذي عن ابن مسعود والطبراني عن أنس . وله من حديث أبي الدرداء : (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فانهما جبل الله الممدود ومن تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها) وقوله : (فيبعد ان يظهر برأى يتفق على خلافه جمهورامته ، خصوصاً في مثل هذه الحادثة الكبرى ، ثم لا يقوم في وجهه الصحابة معارضين الخ الكلام) تهويش أجوف . وذلك ان ظهوره بهذا الرأي فرع عن ثبوته عنه ولم يثبت من أصله وعلمه باتفاق الصحابة مهاجرين وأنصارا مع تقدير ثبوته عنه يبعده كل البعد عن الشذوذ عنهم ومضادتهم وقيامهم في وجهه معارضين له مفرع عن تحديه لهم برأيه وتحديه لهم به مفرع عن ثبوته عنه ولم يثبت فلم يقع تحديه لعدم الثبوت ...

وقوله : (على حين انهم كانوا يردون عليه القول رداً شديداً في أيسر الأمور ، فكيف بهذا الأمر الجليل) صحيح يردون عليه ولكن في المسائل العظيمة لافي أيسر الأمور كما سنذكر بعضاً من ذلك . على انه لو صح عنه من الممكن ان يكون غير عالم باتفاق الصحابة المخالف له وعلى تقدير علمه باتفاقهم يمكن ان يظن انه موافق لرأيه ، وخفاء هذا على كلا الاحتمالين عليه غير بعيد .

قال العلماء : كان معاوية رضى الله عنه يرى ان النهى والتحريم في بيع الذهب والفضة متفاضلا انما هو في الدينار المضروب والدرهم المضروب ، لافي التبر من الذهب والفضة بالمضروب ولا في المصوغ بالمضروب ، حتى وقعت له قصة في خلافة الفاروق مع عبادة بن الصامت رضى الله عنه وذلك : انه غزا الروم وفي جيشه عبادة ، فغنموا غنائم كثيرة . منها أوان من فضة

فأمر معاوية ببيعها في أعطيات الناس فتنازع الناس في ذلك فبلغ عبادة ابن الصامت ذلك ، فقام وقال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والمالح بالمالح إلا سواء بسواء عينا بعين ، من زاد أو ازداد فقد أربى . فرد الناس ما اخذوا فبلغ ذلك معاوية فقام خطيباً فقال : (ألا ما بال رجال يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث قد كنا نشهده ونصحبه فلم نسمعها منه) فقام عبادة واعاد القصة ثم قال : (لنحدثن بما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وان رغم معاوية . ما ابالى ان لا أصحبه في جيشه ليلة سواداء) قال قبيصة بن ذؤيب : إن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنكروا على معاوية شيئا فقال له : لا أساكنك بأرض أنت فيها ورجع الى المدينة ، فقال له أمير المؤمنين عمر : ما أقدمك ؟ ! فأخبره فقال : (ارجع الى مكانك ، قبح الله أرضاً لست فيها يا عبادة ولا أمثالك) وكتب الى معاوية : (لا إمارة لك على عبادة !)

خرج هذه القصة الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه وغيره من أئمة الحديث . وقد وقعت لمعاوية قصة مثل هذه مع ابى الدرداء رضى الله عنه فهذا يبطل جدعة غلوه في إطراء معاوية . ولم يختلف العلماء في كون فعل معاوية في هذه القصة غير جائز ، وانه غير مستنكر ولا مستبعد ان يخفى على معاوية ما قد علمه عبادة و ابو الدرداء رضى الله عنهما وهما أعلم وأفضل منه ، فإنهما جليلان من فقهاء الصحابة وكبارهم . وقد خفى على شيخى الإسلام : الصديق الأكبر والفاروق ما وجد عند غيرهما ممن هو دونهم من الصحابة ، فعواوية أخرى .. وحيث قد أبطلت الكثير من كلامه في حادثة الاسراء ، فلا حاجة الى تتبع بقية خطله ...

قال الخضرى في آخر هذه المحاضرة : (بما شرع في آخر أيامه بمكة : الاذن له بالقتال) قلت : الاذن له صلى الله عليه وسلم بالقتال انما شرع بالمدينة في أو السنة الثانية للهجرة في شهر صفر ، فكلامه غير صحيح ...

المحاضرة الثانية عشرة

فيها في غزوة بدر ستة مأخذ على الخضرى . الأول : وعدا لله للمؤمنين باحدى الطائفتين . إما العير وإما النفير إلى : الجيش . وقد تحقق هذا الوعد في الجيش بقتل سبعين منهم واسر سبعين . قال تعالى في سورة الأنفال : ﴿ واذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ وهذا الوعد من المعجزات القرآنية الغيبية التي وقعت وتحققت كما أخبر تعالى .

الثاني : رؤيته عليه السلام مصارع القوم ببدر قبلها وتعيينها لأصحابه في محل المعركة بعد أن استشار عليه السلام أصحابه في الطريق وهو ذاهب إلى بدر ، فأجابوه بالسمع والطاعة ، وبما يقر عينه في جهاد المشركين . قال لهم عليه السلام : سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم .

أخرج الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حدثه عن اهل بدر قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس ، يقول : (هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله تعالى ، وهذا مصرع فلان غداً إن شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غداً إن شاء الله تعالى) قال عمر رضى الله عنه : فوالذى بعثه بالحق ما أخطتوا الحدود التي حدتها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثالث : تمثل الشيطان لقريش قبيل الحرب بصورة سراقه بن مالك ابن جعشم أحد رؤساء بنى بكر بن كنانة ورئيس بنى مدلج منهم ، وذلك أن بنى بكر بن كنانة كانت لهم دماء عند قريش . فلما وصلت قريش إلى بدر تذكروا الدماء التي لبني بكر عندهم فخافوا منهم أن يغيروا على مكة بعدهم ليأخذوا بثأرهم منهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقه المذكور

(١٨ - تحذير العبقري)

وقال لهم : انا جار لكم من بنى بكر بن كنانة من ان يأتىكم منهم شىء
تكر هونه . قال الله تعالى : ﴿ واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم ﴾ اى : من بنى كنانة ﴿ فلما ترآت
الفتان ﴾ اى : التقى الجمعان ، ورأى ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء
نكص على عقبيه وقال : انى برىء منكم ، رجع مدبراً هارباً ، وكانت يده
فى يد الحارث بن هشام المخزومى ، فقال له الحارث : أفراراً ياسراقه
من غير قتال ؟ فقال : ﴿ أنى أرى ما لاترون انى اخاف الله والله شديد
العقاب ﴾ .

وفى موطأ الامام مالك عن طلحة بن عبيد الله بن كرز بن أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : (مارأى الشيطان نفسه يوماً هو فيه أصغر ولا
أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه فى يوم عرفه ، وماذاك الا لما رأى من
تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام ، إلا مارأى يوم بدر) . .
قبل ومارأى يوم بدر يارسول الله؟ قال : (اما إنه رأى جبريل يزعم الملائكة)
ومعنى يزعم الملائكة يكفهم ويصفهم للقتال . والوازع هو الذى يتقدم
ويتأخر فى الصف ليصلحه .

الرابع : نزول الملائكة مدداً للمسلمين ، مقاتلين كقتال الانس . قال
تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ المستغيث هو النبي صلى الله عليه وسلم .
روى الامام مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حدثنى عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه قال : (لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ،
فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مديده فجعل يهتف بربه يقول :
(اللهم أنجزلى ما وعدتني . اللهم آتى ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة
من أهل الاسلام لا تعبد فى الأرض) ، فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى
سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه ابو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم
الزمه من ورائه وقال : يانبي الله كففاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك

ما وعدك فأنزل الله تعالى : ﴿ اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ فأمده الله بالملائكة .

قال سماك حدثني ابن عباس رضى الله عنها قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه - وصوت الفارس يقول : اقدم حيزوم ، اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السيف ، فأحصى ذلك أجمع . وجاء فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء - الثالثة . ومعنى : ﴿ مردفين ﴾ متتابعين تأتي فرقة بعد فرقة . وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال ابو بكر ان الله سينجز لك ما وعدك ، خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال : يا أبا بكر اتاك نصر الله : هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع .

وأخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب . ومن رأى الملائكة يومئذ من المشركين أبو سفيان بن الحارث ، وسهيل بن عمرو رضى الله عنهما . ومن رآهم من الصحابة أبو أسيد الساعدي رضى الله عنه ، قال بعدما ذهب بصره لأصحابه لو كنت معكم اليوم بيدى ومعى بصرى لأريتكم الشنب الذى خرجت منه الملائكة . قال الله تعالى ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون . اذ تقول للمؤمنين ألن يكفئكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ والسما العلامة .

الخامس : رميه صلى الله عليه وسلم قريشاً بكف من تراب . قال له جبريل عليه السلام : خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى به عليه السلام وجوه القوم وقال : شاهت الوجوه يعنى : قبحت الوجوه ، فلم يبق مشرك

إلا ودخل في عينه وفمه ومنخره من ذلك التراب شيء ، فأنزل الله تعالى ذلك: ﴿ وما رميت - اذ رميت ولكن الله رمى ﴾ يعني ما أوصلت التراب إلى جميع المشركين برميته ولكن الله (رمى) اى : أوصلها اليهم. فصورة الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها في المشركين صدر من الله تعالى فنفيه عنه صلى الله عليه وسلم باعتبار التأثير واثباته له باعتبار الكسب ، واثباته لله تعالى باعتبار الخلق والإيجاد فوصوله الى جميع المشركين آية من آيات الله .

السادس : قاتل عكاشة بن محص الأسدي يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جندلا اى عرجونا وقال له : قاتل به فهزه فعاد في يده سيفاً طويلاً القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديد فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى : (العون) ولم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده في زمن ردة العرب في خلافة الصديق .

هذا كله لباب من سيرة النبي . والتاريخ تركه المحاضر ... لانه لا يؤمن به وقد أشار الى الملائكة بعبارة تنطبق على رأيه بقوله : (وزادهم الله تشبيهاً حين الموقعة بما أيدهم به من الملائكة تثبت قلوبهم وتفيض عليهم الطمأنينة والثقة الخ) فالذى يقرأ عبارته هذه قراءة سطحية يظن أنه يؤمن بالملائكة ، اى : انهم اجسام ولا سيما من اولها الى قوله : (بما أيدهم به من الملائكة) ولكن اذا أمعن النظر في قوله (تثبت قلوبهم وتفيض عليهم الطمأنينة والثقة) وجد السم مدسوسا في الدسم ان الذى ثبت قلوب الصحابة وأفاض عليهم الطمأنينة والثقة هو الله عز وجل لا الملائكة الذين هم قوى طبيعية عندهم لا اجسام كما دلت عليه نصوص القرآن العبرني المبين . ومن يحاول تأويل ﴿ مردفين ﴾ و ﴿ مسومين ﴾ و ﴿ منزلين ﴾ بقوى معنوية فانه عابث بنصوصه ولغته عبثا قبيحا ، وأشد منه عبثا من يؤول ﴿ أنى بمدكم بألف من الملائكة ﴾ و ﴿ اذ تقول للمؤمنين ألن يكفـكم أن يمدكم ربكم بثلاثة

آلاف من الملائكة) و (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة).
فان المفهوم من العدد والمعدود عقلا و لغة في هذه المواضع انما هو
الذوات . فلو كان المراد بهذه المعدودات كلها قوى طبيعية لكانت هذه
النصوص إطنابا ينافي بلاغة القرآن وإيجازه ، ولكان اللزم على مذهبيهم
التعبير بالأخصر فيقال مثلا : يمددكم ربكم بقوى طبيعية، والقوى الطبيعية
لا تتوقف على عد و حد مخصوص .

وماذا يصنع هؤلاء في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا و جنوداً لم تروها) ؟! فهل يعقل
في هذه الجنود المرسلة من الله على المشركين ان تكون امورا معنوية؟! وهل
يعقل ان تقابل جنود المشركين بجنود طبيعية لم يرها المشركون والمسلمون
فان كانت هذه الجنود قوى معنوية كما زعموا فنفي رؤيتها عن الفريقين المشركين
والمسلمين حينئذ عبث أو تحصيل الحاصل وتكون هذه الجملة في كتاب
الله تعالى: (لم تروها) زائدة لا معنى لها . لأن الأمر المعنوي ليس من
شأنه أن يرى وانما تنفى الرؤية عما من شأنه ان يرى . فدللت الآية على ان
هذه الجنود المرسلة من الله على الأحزاب اجسام غير مرئية ، ولا مانع من
هذا عقلا ، وقد دل عليه السمع .

المحاضرة الثالثة عشرة

وفيها في غزوة أحد على المحاضر سبع ماخذ : الاول : صراخ إزب العقبة (شيطانها) لما قتل ابن قثم الليثي مصعب بن عمير العبدري رضي الله عنه وهو حامل لواء المسلمين فظن ابن قثم انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فصاح ألا أني قد قتلت محمداً ، مبشراً للمشركين وقيل أن الصارخ هو إبليس الأكبر وبه جزم ابن سعد ، وجزم ابن هشام في سيرته بالاول . ولا منافاة بين هذه الأقوال فالثلاثة صاحوا : ابن قثم لظنه الخائب ، وإزب العقبة وإبليس لمحاولة ما لم يصل اليه .

وصاح إبليس أيضاً كما في صحيح البخارى أى عباد الله أخرجكم ، أى احترزوا من جهة أخرجكم فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون . الثاني رؤياه صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجمعة فلما أصبح قال قد رأيت بقرأ تذبج ، ورأيت في ذباب سيفي ثلما ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة . فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون ،

وأما الثلم الذى في سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل ، وأولت الدرع الحصينة المدينة . وقد اعترف المحاضر في أنواع الوحي التى ذكرها سابقاً بأن رؤيا الأنبياء من أقسام الوحي وهى حق فتركه لهذا التاريخ العظيم هنا مع اعترافه به هناك تناقض منه ، وإنما تركه لأن فيه علماً من أعلام نبوته وهو إخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذه الأمور قبل وقوعها فوقعت كما أخبر ، وهو مع طائفته منكرون لأعلام النبوة كلها وإن كانت متواترة .

الثالث : أصيبت عين قتادة بن النعمان الأوسى رضي الله عنه بسهم يومئذ حتى وقعت على وجنته فأتى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها عليه الصلاة والسلام بيده وردها إلى موضعها وقال اللهم اكسه جمالاً ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً ، وقد وفد حفيده عاصم بن عمر بن قتادة على عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه فقال له عمر : ممن الرجل ؟ فقال عاصم :

«أنا ابن الذي سألت على الخدعينه فردت بكف المصطفى أحسن الرد،
« فعادةت كما كانت لأول أمرها فياحسن ماعين وياحسن ماخذ »
فقال عمر : « تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا ،
ووصله وأحسن جائزته .

الرابع : رمى أبو رهم الغفاري بسهم فوق في نحره (فسمى المنحور)
فبصق صلى الله عليه وسلم عليه فبرىء .

الخامس : انقطع سيف عبد الله بن جحش رضى الله عنه فأعطاه صلى
الله عليه وسلم عرجوناً فعادى يده سيفاً فقاتل به حتى قتل وكان ذلك السيف
يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى يسع من بغا التركي أحد أمراء المعتصم
بالله في بغداد بمآتى دينار ، وهذا نحو حديث عكاشة السابق في غزوة بدر
إلا أن سيف عكاشة كان يسمى العون ، وهذا يسمى العرجون .

السادس : حضور الملائكة عليهم السلام يومئذ في صورة البشر ،
أخرج الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه في كتاب المناقب عن سعد بن أبي
وقاص رضى الله تعالى عنه : قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد
يعنى جبريل وميكائيل يقاتلان عنه كاشد القتال ،

السابع : قصة قزمان . قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة
قال كان فينا رجل أتى لا يدري بمن هو يقال له قزمان وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول إذا ذكر له : انه لمن أهل النار . قال فلما كان يوم أحد
قاتل قتالا شديداً فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا بأس
فأثبتته الجراحة فاحتمل إلى دار بنى ظفر ، قال فجعل رجال من المسلمين
يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فابشر ، قال بماذا أبشر فوالله
إن قاتلت الا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت . قال فلما اشتدت
عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه اه . من سيرة ابن
هشام بالحرف .

المحاضرة الرابعة عشرة

قال الخضرى فيها فى غزوة الخندق (وجاءت غطفان حتى نزلوا بذب
نعى الى جانب أحد) . الصواب نعى بفتح النون والقاف والميم مقصوراً
وقد ترك فى هذه الغزوة من لباب سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وأعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ست مسائل مهمة لأنها لا توافق هواه
الأولى : ثبت فى الصحاح والمسائيد أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم
لما كانوا يحفرون الخندق عرضت لهم فى بعض الخندق كديبة شديدة صخرة
لا تأخذ فيها المعاول فشكوها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقام عليه
السلام وبطنه معصوب بحجر فقال بسم الله وضربها بالمعول فقطع ثلثها
وخرج منها نور أضواء ما بين لآبى المدينة وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح
الشام والله انى لا بصر قصورها الحمر الساعة ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر
فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله انى لا بصر قصر المدائن الايض
الآن .

ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر وخرج نور من قبل اليمن
فأضاء ما بين لآبى المدينة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى
لا بصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة .

الثانية : خبر الحفنة من التمر الذى جاءت به ابنة بشير بن سعد لايبها
وخالها عبد الله بن رواحة ليتغديا به فقال لها صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبتة فى
كفيه فمألهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم قال لانسان اصرخ فى أهل الخندق
أن هلم الى الغداء فاجتمعوا عليه فجعلوا يأكلون وجعل يزيد حتى صدروا
عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب رواه بن اسحاق .

الثالثة : شبع أهل الخندق من الصحابة وهم الف من صاع شعير
وعناق . أخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى

عنهما قال رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نحفر الخندق يوماً خمصاً شديداً فانكفيت إلى امرأتى فقلت هل عندك شيء فأتى رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصاً شديداً فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحها وطحنت الشعير حتى جعلت اللحم في البرمة ، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فساررتة فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعاً من شعير فتعال أنت ونفر معك ، فصاح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : يا أهل الخندق إن جابراً صنع سورافحيهلاً بكم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لجابراً لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينةكم حتى أجيء ثم جاء وأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادعى خابزة فلتخبز معك واقدحى أى اغرفى من برمتكم ولا تنزلوها ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وأن برمتنا لتخط كما هى وأن عجينا ليخبز كما هو .

الرابعة : حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما وفيه آيات عظيمة .
أخرج الامام مسلم فى صحيحه عن ابراهيم التيمى عن أبيه قال : كنا عند حذيفة فقال رجل لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت ، فقال حذيفة أنت كنت تفعل ذلك ، لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديد وقر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا رجل يأتىني بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة فسمكتنا فلم يجبه أحد فقال قم يا حذيفة فاتنا بخبر القوم فلم أجد بداً إذ دعانى باسمى أن أقوم قال : اذهب فاتنى بخبر القوم ولا تدعهم على ، قال فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشى فى حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلى ظهره بالنار ، فوضعت سهماً فى كبد القوس وأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تدعهم على ، ولو رميته لأصبتة فرجعت وأنا أمشى فى مثل الحمام ، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فألبسنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عبادة كانت
(١٩ - تحذير العبقري)

عليه يصلي فيها ، فلم أزل نائماً حتى أصبحت ، فلما أصبحت قال : قم يا نومان
وذكره ابن هشام في سيرته مطولاً .

الخامسة : قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
إذ جاء تمكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً ﴾ وهى ريح الصبا .

أخرج أحمد والشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور) (و جنوداً لم تروها)
يعنى الملائكة عليهم السلام ، ولم يقاتلوا وإنما كانوا يكبرون فى جوانب
جيش المشركين ، والريح قلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت
النيران وأكفأت القدور ، وماجت الخيل بعضها فى بعض ، وكثر تكبير
الملائكة فى جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حى يقول يا بنى فلان النجاء
النجاء هلموا إلى فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء ، فانهزموا من غير
قتال لما بعث الله عليهم من الرعب . وفى صحيح الامام البخارى عن عبد الله
ابن أبى أوفى رضى الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الأحزاب فقال : (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب أهزم الأحزاب اللهم
اهزمهم وزلزلهم) . وروى الامام احمد عن أبى سعيد الخدرى رضى
الله عنه قال :

قلنا يوم الخندق ، يا رسول الله هل من شىء نقوله فقد بلغت القلوب
الحناجر ، فقال نعم قولوا : (اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا) قال فضرب
الله وجوه أعدائنا بالريح فهزمهم بالريح .

السادسة : أخرج الامام البخارى فى صحيحه عن سليمان بن سرد والبخارى
باستناد حسن عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعد
انصراف تلك الجموع التى تحزبت عليه خائبين ، وكانوا قد جمعوا له جمعاً
كثيرة (لا يغزونها بعد هذا أبداً ولكن أتم تغزونها) فكان الأمر كما قال
عليه السلام . قال الخضرى فى قصه لغزوة الخندق ما نصه :

(وقد استفزت النعرة بعض الشبان من قریش فاقتحموا الخندق بأفراسهم)

فمنهم من وقع فيه وأندق عنقه ، ومنهم من برز له شجعان من المسلمين فقتلوه
ومنهم من فرأه) . أقول كلامه هذا مشتمل على خطأين وإيهام وإيهام
وتدليس . أحد الخطأين في قوله بعض الشبان من قریش . من أنباء إنهم
كانوا شباناً بل كانوا رجالاً وهم عمرو بن عبد ود العامري وهو كبشهم
وأسنهم وكان شيخاً منادماً لأبي طالب ولذلك قال لعلي رضي الله عنه لما
بارزه وعرفه : ارجع يا ابن أخي فان أباك كان صديقاً لي فوالله ما أحب
أن أقتلك ، فقال له علي لكني والله أحب أن أقتلك وهو المقتول وحده من
بينهم ، وهذا مما أطبق عليه كتب السير والتاريخ وهو فيها أشهر من نار على
علم . وضرار بن الخطاب القهري الشاعر وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن
أبي وهب ، ونوفل ابن عبد الله المخزوميون ، وهذا الأخير هو الذي سقط
في الخندق بعد رجوعه منهنزما مع رفقاءه لما قتل كبشهم لاني اقتحامه أولاً
كما تدل عليه عبارته وهذا هو الخطأ الثاني في كلامه . وأما الإيهام فيه : ففي
قوله (فمنهم من وقع فيه وأندق عنقه ، ومنهم من برز له شجعان من المسلمين
فقتلوه) وفي قوله (ومنهم من فرأه) وأما الإيهام فالتعبير بمن التي هي من
صيغ العموم ودالة على الجمع إلا بقريضة تعين إنها للمفرد ، ولا قريضة في
كلامه بل فيه ما يعينها للجمع وذلك في قوله (ومنهم من برز له شجعان من
المسلمين) فمقابلة قوله من برز له شجعان من مقابلة الجمع بالجمع قطعاً وحينئذ
ينحل كلامه هكذا : المقتحمون للخندق من شبان قریش اندقت أعناق جمع
منهم ، وجمع منهم برز لهم شجعان من المسلمين فقتلوه ، وجمع منهم فرأه .
وهو فاسد في الأولين كما بينا ، صحيح في الثالث فان الفارين ثلاثة . عكرمة
وابن عمه . هبيرة بن أبي وهب . وضرار بن الخطاب . وأما ارتكابه التدليس
فهو لنصبه لأمير المؤمنين حيدرة رضي الله عنه وسيأتي هذا واضحاً في
في محاضراته ولو قال مثلاً : وقد اقتحم فوارس من قریش الخندق منهم
عمرو بن عبد ود فقتله على مبارزة وفر رفقاؤه فسقط منهم في الخندق نوفل
ابن عبد الله فاندقت عنقه لكان موافقاً لأهل السير وسلم من الخطأ والإيهام

والايهام والتدليس ، وأى ضرر عليه في هذا التعبير .
قال الخضرى : (وبعد الانصراف من الأحزاب انضم إلى صفوف المسلمين قائدان عظيمان من قواد قريش وهما عمرو بن العاص السهمى وخالد بن الوليد المخزومى وذلك يدل أن الحرب قد شرعت تضع أوزارها بين الفريقين وقد كان ذلك . فانه لم تحصل مواقف مهمة بين الفريقين بعد ذلك اه) . أقول دل قوله (وبعد الانصراف من الأحزاب الخ) على أن خالداً وعمراً أسلما عقب غزوة الخندق مباشرة وهو غير صحيح على كلا القولين في وقت وقوع غزوة الأحزاب هل كانت في السنة الرابعة للهجرة كما قاله مالك الامام وموسى بن عقبة في مغازيه وغيرهما ، أو كانت في السنة الخامسة وهو قول ابن اسحق وأكثر العلماء ، وإنما أسلم عمرو وخالد بعد الحديبية وكانت هذه في السنة السادسة ، وقيل أسلما بعد غزوة خيبر وكانت في السنة السابعة أى قبل الفتح ، ويدل لهذا إنه لم يكن لهما ذكر فيها . قال الحافظ بن حجر في إصابته في ترجمة خالد : كان أحد أشرف قريش في الجاهلية وكان إليه أعنة الخيل في الجاهلية وشهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية كما ثبت في الصحيح أنه كان على خيل قريش طليعة ، ثم أسلم في سنة سبع بعد خيبر وقيل قبلها ووهم من زعم إنه أسلم سنة خمس اه) .

والذى اوقع الخضرى في هذا الخطأ اختطافه اول كلام ابن هشام في سيرته عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : (لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش الخ) وغفلته عن آخره وهو (ثم خرجت عامداً الى رسول الله صلى عليه وسلم لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة الخ) كما دل على انه لم يكن معها أحد وهو غير صحيح أيضاً . والنقل المعروف : ان خالداً وعثمان بن طلحة العبدرى خرجا من مكة مترافقين قاصدين المدينة للهجرة والاسلام فلما وصلا عسفان لقيهما عمرو بن العاص قادماً من الحبشة مسلماً على يد النجاشى وكان نزل بالساحل ولم يعرج على مكة قاصداً ما يقصدانه ، فقال

عمرو لخالد الى ابن ياأبا سليمان . قال والله لقد استقام الميسم اى العلامة اى قد تبين الأمر واستقامت الدلالة وروى بفتح الميم والنون اى استقام الطريق ووجبت الهجرة فان الرجل لنبي أذهب والله فأسلم فحى مئى ، قال عمرو قلت والله ما جئت الا لأسلم الخ . وقد لام عبد الله بن الزبيرى السهمى رضى الله تعالى عنه وهو اذ ذاك مشرك عثمان بن طلحة وخالداً على اسلامهما بأبيات مذكورة فى سيرة ابن هشام منها .

فلا تأمن خالداً بعد هذه وعثمان جاء بالدهيم المعضل وقوله : (قائدان عظيمان من قواد قریش) القائد الذى يوصف بالعظمة انما يطلق غالباً على القائد الاعظم للجيش ولم يكن عمرو بن العاص قبل اسلامه قائداً صغيراً من قواد قریش فضلاً عن كونه عظيمًا وانما كان رسولاً لهم الى النجاشى بل ولا خالد وانما كانت له اعنة الخيل كما قال ابن حجر وقائد الخيل مندرج فى طاعة القائد الأعظم للجيش . واول تولية خالد قيادة خيل المشركين فى غزوة احد ، ثم الخندق ، ثم الحديبية خرج طليعة لقریش الى مر الظهران ، ومعلوم ان القيادة العظمى لجيش قریش كانت فى بدر اول الأمر لعتبة بن ربيعة وهو من بنى عبد مناف ثم لما قتل مبارزة قبل اشتباك الحرب تولاها ابو جهل بن هشام وهو ابن عم خالد ، وفى غيرها من الوقائع الى الفتح تولاها ابو سفيان بن حرب وهو ايضا من بنى عبد مناف . وقوله : (وذلك يدل ان الحرب قد شرعت تضع أوزارها بين الفريقين وقد كان ذلك . فانه لم تحصل مواقف مهمة بين الفريقين بعد ذلك) غير صحيح فمن اين له هذه الدلالة وكانت قریش مع حلفائهم مصممين على محاربتة صلى الله تعالى عليه وسلم معتزين بقوتهم وشوكتهم حتى يوم الفتح لما جاءهم ابو سفيان رئيسهم مسلماً ناصحاً لهم مشفقاً عليهم أمراً لهم بالتسليم قائلاً أتاكم ما لا قبل لكم به ، لم يلبثفتوا اليه وخرجوا على رؤسائهم الثلاثة الى الخندمة فدهمتهم جنود الله من ثلاث جهات . فبايعوا النبى صلى الله عليه وسلم وعفا عنهم وقال اذهبوا فانتم الطلقاء ولا يلزم من كون المواقف المهمة

لم تحصل بين الفريقين بعد الخندق، ووضعت الحرب أوزارها بين الفريقين ، ولم يؤثر اسلام عمرو و خالد و عثمان في رابطتهم و شوكتهم ، و السر في كونهم لم يغزوا المدينة بعد هذه الغزوة بل المسلمون هم الذين غزوهم : إخباره صلى الله عليه وسلم المؤمنين بعد انصراف تلك الاحزاب الى ديارها بقوله : (لا يغزونكم بعدها ابداً و لكن انتم تغزونهم) فكان الامر الواقع كما اخبر عليه الصلاة و السلام ، و هذا من اعلام نبوته التي لا يؤمن بها المحاضر و أشباهه و يؤمن بها جميع المسلمين (و ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) و قد تقدم هذا الحديث في المسألة السادسة . و من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم نزوله عليه الصلاة و السلام بالحديبية على ثمد (حفرة) فيها قليل من الماء فلم يلبثه الناس حتى نزحوه و شكوا اليه عليه الصلاة و السلام العطش فانزع سهما من كنانته ثم امرهم أن يجعلوه فيه فما زال يفور بالماء حتى صدروا عنه و كانوا الفا و خمسمائة . قال الخضرى : (ولما حال الحول على عمرة الحديبية خرج عليه الصلاة و السلام بأصحابه الذين صدوا في العام الماضي ليقضوا تلك العمرة التي فاتتهم حسب عهدة الحديبية اه) . قوله ليقضوا تلك العمرة الخ غير صحيح و انما سميت عمرة القضاء قضاء للاتفاق الذي صار بين قريش و بينه عليه الصلاة و السلام و هو انه يرجع عنهم هذا العام و يأتي العام القابل ، و لا يدخل مكة بالسلاح الا بالسيوف في القرب و يمكث بها ثلاثة ايام و لا يزيد عليها ، و عمرة الحديبية تامة معتبرة في عمره الاربع عند العلماء فلا تحتاج الى قضاء و تسمى عمرة القضاء أيضاً عمرة القصاص لانهم صدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذى القعدة في الشهر الحرام من سنة ست فاقترض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منهم فدخل مكة في ذى القعدة في الشهر الحرام الذي صدوه فيه من سنة سبع ، قال السهيلي و هذا الاسم أولى بها . و من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم اخباره عن قتل امرأ جيش مؤتة الثلاثة : زيد بن حارثة مولاة و جعفر بن ابى طالب و عبد الله بن رواحة يوم الواقعة و في مغازى موسى

ابن عقبة أن يعلى بن أمية رضى الله تعالى عنه قدم بخبر اهل مؤتة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن شئت فأخبرنى وإن شئت أخبرتك قال أخبرنى فأخبره خبرهم كله ووصف له ، فقال يعلى والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم حين توجههم من المدينة : اميركم زيد بن حارثة فان قتل فاميركم جعفر ابن ابى طالب ، فان قتل فاميركم عبد الله بن رواحة ، فان قتل فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم . قال الخضرى فى صفحة ١٢٩ فى قصة معركة مؤتة بعد قتل الأمراء الثلاثة مانصه (فأخذ الراية رجل من المسلمين وطلب منهم ان يصطلحوا على أمير لهم فاتفقوا على خالد بن الوليد وفى ذلك الوقت أظهر مهارته فى تخليص المسلمين مما ورطوا انفسهم فيه ، وصار يتأخر بهم قليلا قليلا - مع حفظ نظام جيشه ولم يتبعه الروم لانهم ظنوا أنه يخدعهم حتى يرمى بهم فى الصحراء ، ثم عاد خالد بذلك الجيش الى المدينة ، وعندنا ان تلك الاعداد التى يذكرها المؤرخون لجنود الروم والعرب الذين معهم مبالغ فيها ، لان غاية ما رآه المسلمون انهم رأوا عدداً كثيراً امامهم ولا يمكن بحال ان يعطوه قدره الحقيقى له ، وثلاثة آلاف عدد قليل جداً فى جانب مائتى الف لا تمكنهم المقاومة بحال. والمؤرخون اذا عدوا من قتل فى هذه الواقعة لا يزيدون عن اثنى عشر رجلاً، ومن المحال ان يصطدم جيش عظيم القدر بجيش نسبته اليه ضئيلة ثم لا يقتل فى الميدان الا اثنا عشر نفراً ه) اقول الرجل الذى اخذ الراية بعد ابن رواحة هو ثابت بن اقرم العجلانى . وقوله فى خالد رضى الله تعالى عنه (وفى ذلك الوقت أظهر مهارته فى تخليص المسلمين مما ورطوا انفسهم فيه الى قوله حتى يرمى بهم فى الصحراء) اى انحاز خالد بالمسلمين لقتلهم وانحاز الروم عنه لظنهم ان للمسلمين كميناً غير الذى رأوه . هذا احد الاقوال الثلاثة . والقول الثانى ان المسلمين انهزموا وقتل من قتل منهم . والقول الثالث قال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة اى انهزم

المشركون وقوله اظهر مهارته في تخليص المسلمين مما وورطوا انفسهم فيه ،
تعبير قبيح وسوء ادب في حق الصحابة رضی الله عنهم يقتضى أنهم لجملهم
تهوروا وورطوا انفسهم فيما لا يستطيعونه ولولا خالد خلصهم لهلكوا .
وقوله (وعندنا ان تلك الاعداد التي يذكرها المؤرخون لجنود الروم
والعرب الذين معهم مبالغ فيها الى قوله وثلاثة آلاف عدد قليل جداً في
جانب مائتي ألف لا يمكنهم المقاومة بحال) اتهام للمؤرخين بالكذب بل
وللصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين الذين شهدوا الواقعة واحصوا
جيش الروم والعرب بمائتي الف، ورمى للصحابة ايضاً بانهم بسطاء لا يعرفون
سياسة الحروب ومكايدها من بث الجواسيس وغير ذلك وغاية امرهم عنده
انهم رأوا عدداً كثيراً من العدو أمامهم لا يمكنهم بحال ان يعطوه قدره الحقيقي
له ، ورمى للصحابة رضی الله تعالى عنهم أيضاً بالخور وانهم كغيرهم من
المشركين انما يقا تلون بكثرة العدد وقوة العدة لا بالشجاعة الفائقة على جميع
الامم الجبارة التي اكتسبها من قوة الايمان بالله وبرسوله ﴿ كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ﴾ ان الله مع الذين اتقوا
والذين هو محسنون ﴿ . اما اتهامه للمؤرخين بالكذب فهذا امر هين عنده
قد تعودناه سابقاً منه فقد كذب مؤرخى العرب في قتل الزباء لجذيمة
الابرش بحيلة التزوج بها آخذة منه بشار ابيها وقتل ابن اخته عمرو بن عدى
اللخمي لها أخذاً بشار خاله بتدبير قصير ، وصدق مؤرخى الروم في ان
الرومان حاربوها وأسروها وماتت عندهم بالقسطنطينية ، ورمى باتفاق
مؤرخى المسلمين على اثبات قصة بحيرا الراهب عرض الحائط لتنقيبه عنها
في كتب من عنوا بالبحث عن الرهبان بالشام فلم يجدوها ، والسدى يضرب
برواية خمسة وأربعين صحابياً والامة الاسلامية جمعاء معها على ان الاسراء
والمعراج كان يقظة لامناً عرض الحائط ، ويتمسك عناداً برأى مكذوب
منسوب لعائشة ومعاوية رضی الله تعالى عنهما لا يصعب عليه اتهام
الصحابة وتجهلهم في كون جيش الروم والعرب المتنصرة مائتي ألف ،

ولا يصعب عليه ايضاً اعتقاد أن ثلاثة آلاف من الصحابة لا يمكنهم مقاومة مائتي الف من الكفار بحال ، وهذه غزوات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المهمة : بدر، وأحد، والخندق ، كان المشركون فيها أكثر عدداً وأقوى عدة من المسلمين . فبدر كان المشركون فيها ألفاً والمسلمون نحو ثلثهم ، وفي أحد كانوا ثلاثة آلاف والمسلمون أقل من ربعهم سبعمائة ، وفي الخندق كانت قریش مع حلفائها عشرة آلاف وغطفان وحلفاؤها عدة آلاف والمسلمون كانوا ثلاثة آلاف . بل معظم الوقائع المهمة التي كانت بين الصحابة وبين دولتي العالم اذ ذاك فارس والروم كانت جيوش اعدائهم فيها اضعافهم في العدد وأقوى منهم في العدة ، فقد كانت جيوش الروم في اليرموك (وهي اعظم وقعة بينهم وبين الصحابة) مائتي ألف واربعين ألفاً ، وكان جيش المسلمين فيها لا يتجاوز ستة وثلاثين ألفاً . وهكذا في اجنادين وغيرها وكان جيش الفرس فيها ستين ألف متبوع كل واحد منهم يتبعه على الاقل أربعة جنود ، ومعهم ثلاثة وثلاثون فيلا محاربة عدا خيالتهم . وهكذا في جلولاء ونهاوند وهما من اعظم الوقائع التي وقعت بينهم وبين المسلمين . بل هزم اربعون رجلاً من الخوارج جيشاً مكوناً من الفين في أمارة زياد ابن ابيه لمعاوية رضی الله تعالى عنه . قال شاعرهم :

ألفاً مؤمن فيما زعمتم ويهزمهم بأسك أربعونا
وهزم شبيب الخارجي وهو في الف ، خمسين ألفاً جيشاً للحجاج أميره
عتاب بن ورقاء الرياحي ، وهزم عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس وهو
في عشرين ألفاً مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وهو في مائة وعشرين
الفاً . وهزم طاهر بن الحسين قائد المأمون وهو في أربعة آلاف عيسى بن
ماهان قائد الأمين وهو في خمسين ألفاً . وهزم السلطان آلب أرسلان
السلجوقي وهو في عشرين ألفاً . ملك الروم وهو في نحو مائتي الف . وهزم
ملك مراکش العادل يوسف بن تاشفين وهو في عشرين ألفاً لذريق ملك
(٢٠ - تحذير العبقري)

الاشبان عند اشبيلية بالاندلس وهو في أكثر من مائة وعشرين الفا وافى جيشه قتلا ونجا جريحا في شردمة من رجاله ومات كسداً بعد أيام . وهزم طارق بن زياد وهو في اثني عشر الفاً ملك الاشبان وهم في أكثر من مائة ألف . وهزم أسد الدين شيركوه الكردي عم صلاح الدين وقائد السلطان نور الدين زنكي وهو في الف الجيش المصري الذي ناف عن عشرين الفا وهزمت جيوش هذا السلطان وجيوش قائده صلاح الدين بن أيوب وهي قليلة جيوش الأوربيين في الحروب الصليبية الكثيرة الجرارة في وقائع كثيرة . فهل يصح تعليل هزيمة هذه الجيوش الكثيرة العدد والعدد كلها ، وهل يصح أن يقال في قوادها كلهم أنهم ما كانوا محنكين مدرين ، وهل يمكن تعليل غلبة الغالبين لهم مع قلة عددهم وعددهم . ومع العلم أيضا بأن نسبة من بعد الصحابة من المسلمين وقوادهم في قوة الايمان والحزم والشجاعة الى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم جزء ضئيل ، وبهذا بطل قوله (ومن المحال أن يصطدم جيش عظيم القدر بجيش نسبته اليه ضئيلة ثم لا يقتل في الميدان إلا اثنا عشر نفرأ) ويزاد فيقال له ان كان هذا المحال عقليا فهو باطل فان العقل يجوز غلبة العدد القليل للكثير بدون قتل أحد منه أو بقتل فرد أو أفراد منه كما يجوز العكس . وان كان عاديا فكذلك ، وهذا جيش الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بيد لم يتجاوز بضعة عشر رجلا وثلاثمائة وكانوا في غاية الضعف يعقب الأربعة والخمسة منهم على البعير الواحد ولم يكن معهم من السلاح إلا السهام والرماح ولم يكن معهم من السيوف إلا ثمانية ومع هذا قتلوا من قريش الذين هم أضعافهم في العدد وأقوى منهم عدة سبعين وأسروا سبعين وغنموهم ولم يستشهد منهم إلا أربعة عشر رجلا . فعلى رأيه كان اللازم قتل أكثر من هذا العدد من المسلمين . على الأقل حتى يكون مساويا لقتلي قريش لضعف شوكتهم وقلة عددهم فبم يعلل هذا .

وهذه غزوة أحد : المشركون فيها أضعاف المسلمين عددا وأقوى منهم قوة وعندهم خيل ، والمسلمون كلهم رجالة . والدائرة دارت لقريش وهم

حقوق مورتورون ومع ذلك لم يقتلوا من المسلمين إلا سبعين ولم يستطيعوا أخذ غنيمة ولا أسر أحد منهم ، وقتل منهم ثلث قتلى المسلمين تقريبا قتل منهم اثنان وعشرون رجلا فبم يعلل هذا .

وهذه غزوة الأحزاب جيش المشركين فيها ينوف على اثني عشر ألفاً والمسلمين فيها نحو ربعهم وسهام المشركين كالمنظف تنهال عليهم مدة الحصار ومع ذلك لم يستشهد من المسلمين إلا ستة ، وقتل من المشركين نصفهم فبم يعلل هذا . فالصحابه رضوان الله تعالى عليهم بمؤتة لم يقدموا على تلك الجيوش المجتمعة من الروم والعرب المنتصرة إلا بعد العلم بها والتروى والمشاورة . قال ابن هشام في سيرته ما نصه : (ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضم إليهم من لحم وجذام والقين وبهراء وبلي مائة الف منهم عليهم رجل من بلي ثم أحد إراشة يقال له مالك بن رافلة فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا نكتب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا فاما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره فمضى له ، قال فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال يا قوم : والله أن التي تكروهون للتي خرجتم تطلبون (الشهادة) وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة . ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هي إحدى الحسينين إما ظهور وإما شهادة ، قال فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس اه) . قلت على القولين القول بأن المسلمين هزموا الروم وأخذوا منهم غنيمة والقول بأن الروم هزموا المسلمين يكون استشهاد اثني عشر رجلا منهم فقط عند اشتباك الحرب ، ولم تطل فوكت الهزيمة على أحد الفريقين وأى استحالة في هذا . وعلى القول بانحياز كل من الجيشين يكون الانحياز قد حصل عقب قتل من قتل وأى استحالة فيه أيضاً وقد روى أن ذلك كان مع المساء وأن خالداً رضى الله تعالى عنه غير نظام الجيش بالليل فجعل الميمنة ميسرة . والميسرة ميمنة ، والمقدمة ساقية ، والساقية مقدمة ، فلما أصبح الروم وعانوا ذلك

ظنوا أن المسلمين جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين .
وقد كان الصحابة كلهم قادة أبطالاً سادة حكاماً نبلاءً محنكين مدربين يعرفون
من سياسة الحروب ومكايدها ما لم يعرفه غيرهم وان كانوا متفاوتين في ذلك كل
ذلك تعلموه منه عليه السلام في تلك المدة الوجيزة وقد كان الاعراب الجلف
يأتى اليه عليه الصلاة والسلام فيصبح سيداً مهذب الاخلاق محنكاً .
وترك المحاضر غزوة خيبر وهي من غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم
المهمة فلم يسردها في جملة الغزوات ولو مجردة من دلائل النبوة كما جرد
غيرها من الغزوات التي ذكرها منها ولا ندرى لأى شيء تركها . وفيها من
دلائل النبوة ثلاث ، الأولى : أخرج الامام البخارى في ثلاثياته عن يزيد
ابن أبي عبيد قال رأيت أثر ضربة بساق سلمة فقلت ما هذه الضربة ، قال
هذه ضربة أصابها يوم خيبر ، فقال الناس : أصيب سلمة ، فأثبت النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فنفت فيه ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة .
الثانية : في البخارى أيضاً والطبرانى ومسندين أبى شيبة وكتب السير عن
سلمة بن الأكوع رضى الله تعالى عنه . كان على بن أبى طالب تخلف عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في خيبر وكان أرمداً شديداً الرمد فقال أنا أتخلف
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلحق ، فلما بتنا الليلة التي فتحت خيبر في
صباحها قال عليه الصلاة والسلام (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله تعالى
ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار لا يرجع حتى يفتح الله له) وكان
عليه السلام دفع أول يوم اللواء لأبى بكر رضى الله تعالى عنه فقاتل به
قتالاً شديداً فرجع ولم يفتح له ، وفي اليوم الثانى دفعه لعمر رضى الله تعالى
عنه فقاتل به قتالاً شديداً فرجع ولم يفتح له ، فلما أصبح الناس غدوا على
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلهم يرجون أن يعطاها ، فقال أين
على بن أبى طالب فقالوا يا رسول الله هو يشتكى عينيه قال فأرسلوا اليه
فأتى به فبصق صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به
وجع فأعطاه الراية ، فقال على يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال
(أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الاسلام واخبرهم بما يجب

عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم (زاد مسلم من حديث سلمة بن الأكوع قال وخرج مرحب اليهودي فقال :

قد علمت خير أتي مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلتهب

فبرز له على رضى الله عنه وهو يقول :

انا الذى سميتنى امى حيدرته كليث غابات كربه المنظره
اكيلهم بالسيف كيل السندرته

وضرب مرحباً ففلق هامته وقتله . قال ابو رافع مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرجنا مع على حين بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم برايته فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده فتناول على باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه . ثم القاه من يده حين فرغ . فلقد رأيتنى فى سبعة معى انا ثامنهم نجهد على ان نقلب ذلك الباب فلم نقلبه .

الثالثة : قصة الراعى الأسود . وملخصها انه اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم له كان فيها اجيراً لرجل من يهود . فقال يا رسول الله اعرض على الاسلام فعرضه عليه فأسلم فلما اسلم قال يا رسول الله انى كنت اجيراً لصاحب هذا الغنم وهى امانة عندى فكيف اصنع بها قال اضرب فى وجوهها فانها سترجع الى ربها فقام الاسود فاخذ حفنة من الحصى فرمى بها فى وجوهها فقال ارجعى الى صاحبك) فوالله لا اصحبك ابداً فخرجت مجتمعة كأن سائماً يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم الى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين - فأصابه حجر فقتله وما صلى لله صلاة قط . فأتى به الى رسول صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع خفه وسجى بشملة كانت عليه فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من اصحابه ثم اعرض عنه .

فقالوا يا رسول الله لم اعرضت عنه قال ان معه الآن زوجته من الحور العين

فتح مكة وحنين

وفي فتح مكة من دلائل النبوة سبعة .

الأولى لما تهباً رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للمسير إليها دعا فقال: (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها) فاستجاب الله دعاءه فعميت عليهم الأخبار مع شدة بحشهم وخوفهم حتى وصل عليه الصلاة والسلام إلى مر الظهران .

الثانية: كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم فيه بغزو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وأرسله مع امرأة فأطلع الله نبيه على ذلك. فقال عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب والزبير والمقداد انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجني الكتاب. قالت. مامعى كتاب. فأخذناها وقتشنا حوايجها فلم نر كتاباً فقلنا لها ما كذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنلقين الشيب. فلما رأنا الجداً أخرجه من عقاصها، فأتوا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. فقال: يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل على انى كنت امرأ مملصقاً في قريش (حليفاً) ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أما إنه قد صدقكم).

الثالثة: هم فضالة بن عمير الليثى بقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أفضالة؟ قال نعم يا رسول الله. قال ما ذا كنت تحدث به نفسك.

قال لاشيء كنت اذكر الله تعالى . فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال استغفر الله تعالى ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلى منه .

الرابعة : لما حانت الظهر أمر عليه الصلاة والسلام بلالاً أن يؤذن فوق الكعبة ليغيب المشركين وقد فر جماعة من وجوه قریش وتغيبوا ، وابو سفيان وعتاب وخالد ابنا اسيد والحارث بن هشام والحكم بن ابى العاص وبعض بنى سعيد بن العاص جلوس بفناء الكعبة . فقال عتاب وخالد لقد اكرم الله اسيداً ان لا يسمع هذا فيغيظه ، وقال الحارث اما والله لو اعلم انه محق لا تبعته ان يكن الله يكره هذا فسيغيره . وقال ابو سفيان لا اقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى ، وقال الحكم بن أبى العاص هذا والله الحدث العظيم ان يصيح عبد بنى جمح على بنية ابى طاحه . وقال بعض بنى سعيد بن العاص لقد اكرم الله سعيداً ان قبضه قبل ان يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة . فأتى جبريل عليه السلام فأخبره صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج عليهم وقال قد علمت الذى قاتم واخبرهم . فقال الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك الخامسة . نصه ابى مخذورة الجمحى ، كان ابو مخذورة مع فتية من قریش خارج مكة فلما سمعوا اذان بلال اقبلوا يستهزئون ويحككون صوته غيظاً فكان ابو مخذورة من احسنهم صوتاً فرفع صوته مستهزئاً بالاذان فسمعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن انه مقتول فمسح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ناصيته وصدره بيده قال فامتلاً قلبي والله إيماناً و يقيناً وعلمت أنه رسو الله ، فألقى عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الأذان وعلمه إياه وأمره أن يؤذن لأهل مكة وعمره ست عشرة سنة فكان مؤذنهم حتى مات ، ثم عقبه بعده يتوارثون الأذان كابراً عن كابر وفى ابى مخذورة قال الشاعر :

أما ورب الكعبة المستوره وما تلا محمد من سوره
والنعمات من أبى مخذوره لأفعلن فعلة مذكوره

السادسة : خرج صلى الله تعالى عليه وسلم وأبوسفيان جالس في المسجد فقال في نفسه ما ادرى بم يغلبنا محمد . فأتاه صلى الله تعالى عليه وسلم فضرب صدره وقال بالله تغلبك . فقال اشهد انك رسول الله .

السابعة : رأى ابو سفيان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمشى والناس يطأون عقبه فقال في نفسه لو عاودت هذا الرجل القتال وجمعت له جمعا . فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ضرب في صدره وقال إذا يخزيك . فقال اتوب الى الله واستغفر الله ما يقنت انك نبي إلا الساعة ، انى كنت لأحدث نفسى بذلك .

وقد اشار المحاضر الى الأولى بقوله (كانت قريش محسبة بأنه لا بد من شيء بعد ان فعلت ما فعلت ولكن عميت عليهم الأخبار فلم يعاوموا بشيء من مسير المسلمين اه) . وما ضره لو قال - عميت عليهم الاخبار بسبب دعائه عليه الصلاة والسلام . وأشار الى الثانية بقوله - (فكتب حاطب بن ابي بلتعة كتابا الى اهل مكة يخبرهم بمسير المسلمين وارسله مع امرأة فعلم بذلك عليه الصلاة والسلام فأرسل اليها من جاء بالكتاب منهاه) ، فقوله فعلم بذلك عليه الصلاة والسلام بحمل وما ضره لو قال - فجاءه عليه الصلاة والسلام الوحي بذلك وقد اعترف بالوحي فيما سبق وجعل له انواعا اربعة وقوله (فأرسل اليها من جاء بالكتاب منها) مبهم ، وما ضره أيضا لو قال فأرسل اليها عليا والزبير والمقداد فيجاؤا بالكتاب منها ، وقوله في الذين استثناهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح من المشركين فقال اقتلوهم ولو وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة ، (فقتل اكثرهم) غير صحيح ، بل اكثرهم اسام .

وفى غزوة حنين اثنان :

الأول : لما انهزم جيش المسلمين فى بدء الأمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال شيبه بن عثمان بن أبى طلحة العبدري اليوم أدرك تارى اقبل محمدا فأدرت بر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأقتله فأقبل شيء

حتى غشي فؤادي فعلمت انه ممنوع منى ، وعند ابن أبي خيثمة : لما هممنا
به حال بينى وبينه خندق من نار وسور من حديد ، فالتفت إلى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وتبسم وعرف ما أردت فمسح صدرى فذهب
عنى الشك .

الثانى : تناول عليه الصلاة والسلام قبضة من حصى وتراب ثم قال شأهت
الوجوه أى قبحت ورمى بها فى وجوه المشركين فما من إنسان منهم إلا ملأ
عينيه من تلك القبضة .

غزوة تبوك

وفىها من دلائل النبوة ثمانية :

الأولى : تعب جمل أبى ذر فأخذ متاعه على ظهره وخرج يتبع أثر النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ماشيا فنظر ناظر من المسلمين فقال يارسول الله
إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده . فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
كن أباذر . فلما تأمله القوم قالوا يارسول الله هو والله أبوذر . فقال رحم
الله أبأ ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده . فكان كذلك لما سكن
الربذة فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنهم لم يكن معه أحد إلا امرأته
وغلامه فلما حضره الموت أوصاها أن غسلانى وكفنانى ثم ضعانى على
قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم فقولوا هذا أبوذر صاحب رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فأعينونا على دفنه فلما مات فعلا به ذلك وأقبل
ابن مسعود فى رهط من أهل العراق معتمرين فلم يرعهم إلا والجنازة
على ظهر الطريق وقد كادت الابل تطؤها ، فقام اليهم الغلام فقال هذا
أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأعينونا على دفنه
فاستهل عبد الله بن مسعود يبكى ويقول : صدق رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم تمشى وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو واصحابه
فدفنوه ثم حدثهم بحديثه هذا .

(٢١ - تحذير العبقري)

الثانية : لما مر عليه الصلاة والسلام بالحجر ديار ثمود قال لأصحابه لا تشرّبوا من مائها ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له ، ففعل الناس ما أمرهم به إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لقضاء حاجته والآخر في طلب بعيره . فأما الذي خرج لحاجته فخنق (أى صرع) في مكانها ، وأما الذي خرج في طلب بعيره فاحتماته الريح حتى طرحتة بجبلى طيء فأخبر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ألم أنهبكم ثم دعا للذي خنق على مذهبه فثني ، وأما الآخر فاهدته طيء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قدم المدينة .

الثالثة : روى الامام احمد وابنا خزيمه وحبان والحاكم عن عمر رضى الله تعالى عنه قال خرجنا الى تبوك في يوم قيظ شديد فنزلنا منزلا وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع حتى ان كان الرجل ليذهب يلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع وحتى ان كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده . فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله تعالى لنا . قال نعم . فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعها حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت فمأثوا مامعهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر .

الرابعة : لما كان عليه الصلاة والسلام ببعض الطرق ضلت ناقته القصواء فقال زيد بن اللصيت وكان منافقاً أليس يزعم محمد انه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن رجلا يقول كذا وذكر مقالته . واني والله لا أعلم إلا ما علمني الله وقد دلتني الله تعالى عليها وهي في الوادى في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتونى بها . فانطلقوا فجاءوا بها .

الخامسة : روى الامامان مالك في موطنه ومسلم في صحيحه عن معاذ ابن جبل رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال (انكم ستأتون غداً إن شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى

يضحي النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتى) قال فبجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسألهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل مسستما من مائها شيئاً، قالا نعم، فقال لهما ما شاء الله أن يقول ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شن ثم غسل صلى الله تعالى عليه وسلم به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الجيش (وهو ثلاثون ألفاً) وسقوا دوابهم ، ثم قال عليه الصلاة والسلام يامعاذ (يوشك إن طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ جناناً) أى بساتين وعمرانا .

السادسة : روى الشيخان في صحيحيهما عن عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر فاشتكى إليه الناس من العطش فنزل عليه السلام ودعاني مع علي بن أبي طالب وقال اذهبا فابتغيا الماء فانطلقنا فتلقينا امرأة بين مزادتين من ماء على بعير لها فقالا لها أين الماء ، فقالت عهدي بالماء أمس هذه الساعة ونفرنا خلوف (أى غائبون عن الحى) ، فقالا لها انطلقى إذن ، قالت الى أين ، قالا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، قالت الذى يقال له الصابىء ، قالاهو الذى تعنين فانطلقى فجاءا بها الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فاستنزلهما عن بعيرها ودعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باناء ففرغ من أفواه المزادتين ثم أوكأ أفواههما وأطلق العزالى ونودى فى الناس اسقوا واستقوا فسقى من سقى واستقى من شاء وهى قائمة تنظر الى ما يفعل بمائها وأيم الله لقد أقلع وانه ليخيل اليها انها أشد ملته منها حين ابتداء فيه . فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اجمعوا لها) فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاماً كثيراً فجمعوه فى ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها فقال لها صلى الله تعالى عليه وسلم (تعلمين ما رزئنا من مائك شيئاً ولكن الله تعالى هو الذى أسقانا) فاتت أهلها فقالت العجب لقيني رجلان فذهبا بي الى هذا الرجل الذى يقال له الصابىء ففعل كذا وكذا إنه

لا تسحر الناس كلهم أو أنه لرسول الله حقاً . فقالت يوماً لقومها ما أرى ان هؤلاء يدعونكم من الاغارة عمداً فهل لكم في الإسلام . فاطاعوها فدخلوا في الإسلام .

السابعة : روى الامام أحمد والشيخان عن أبي هريرة وسلمة رضى الله تعالى عنهما انهما قالوا : لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقال عمر رضى الله تعالى عنه ادعهم يا رسول الله بفضل أزوادهم ثم ادع الله تعالى لهم عليها بالبركة فقال نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجي بكف ذرة ويجي بالآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شيء يسير قال سلمة فحزرتة كربضة العنز فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملاءوه ، قال فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيحجز عن الجنة) ومعجزتا إيجاد الماء وتكثير الطعام القليل بدعائه عليه الصلاة والسلام تكررتا في مواطن وشهدهما الجحيم الغفير من الناس .

الثامنة : أرسل عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد في ثلاثمائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبد الملك ملك دومة الجندل وقال عليه الصلاة والسلام له إنك ستجده ليلاً يصيد البقر فتأخذه فيفتح الله لك دومة الجندل فان ظفرت به فلا تقتله وأت به إلى فان أنى فاقتله ، فانهى اليه خالد وقد خرج من حصنه في ليلية مقمرة إلى بقر يطاردها هو وأخوه حسان وكانت بقر الوحش جاءت الى حصنه وصارت تحك بقرونها باب الحصن فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط ، قال لا والله . قالت فمن يترك هذه ، قال لا أحد ولقد كنت أضمر لها الخيل شهراً ونزل فأسرج له فرسه وخرج يطاردها فشدت عليه خيل خالد فاستأسر أكيدر وقتل أخاه حسان وهرب من كان معهما فدخل الحصن ثم أجاز خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول

الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل ففعل وصالحه
على ألني بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة ربح على أن ينطلق به وباخيه مضاد
إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيحكم فيهما حكمة فلما قاضاه على ذلك
خلى سبيله ففتح الحصن فدخله خالد وأوثق مضاداً وأخذ ما صالح عليه من
الإبل والرقيق والسلاح فعزل خالد صفيه له صلى الله تعالى عليه وسلم قبل
أن يقسم ثم قسمها ثم قسم ما بقى في أصحابه فصار لكل واحد منهم خمس
قلائص، ثم قدم خالد با كيدر عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فحقن له دمه وصالحه
على الجزية وخلى سبيله فرجع إلى قريته فقال بجير الطائي رضى الله تعالى عنه
تبارك سائق البقرات إني رأيت الله يهدى كل هاد
فن يك حائداً عن ذى تموك فإننا قد أمرنا بالجهاد
فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لبجير (لا يفضض الله فاك) فأنت
عليه تسعون سنة وما تحركت له سن وهذه معجزة أخرى . وقال عليه
الضلاة والسلام مثل هذا الكلام أيضاً للناطقة الجعدى لما أنشده قصيدته
الرائية ومنها :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدر
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدر
فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يفضض الله فاك) مرتين فبقى
عمره أحسن الناس ثغرا كلما سقطت له سن نبتت أخرى وكان من المعمرين

المحاضرة السادسة عشرة

قال فيها: (الدعوة ونتائجها) (هاجر عليه الصلاة والسلام من مكة والذين دخلوا في دينه جمع من قريش ومن حلفائهم ومواليهم وقايل غيرهم من سائر العرب ثم جماعة الأوس والخزرج من سكان يثرب وهم الذين سموا بالأنصار وكاد الإسلام يعمهم لولا توقف عدد قليل منهم تشابهت عليهم الطرق أو خافوا على سيادتهم أن يزيلها الإسلام فوقفوا وتبعهم فريق ممن لهم الرياسة عليه إلا أنهم كانوا في الظاهر مشاركين المسلمين في الإسلام وأضرموا خلاف ما أظهروا فسماهم المؤمنون باسم المنافقين ، ويظهر لي أن هذا الاسم من المحدثات الدينية فإني لم أر العرب تستعمل النفاق بهذا المعنى قبل الإسلام) اهـ . أقول : نص العلماء على كراهة تسمية المدينة يثرب لما جاء من النهي عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك فقد أخرج الامام احمد وأبو يعلى عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه باسناد صحيح عنه عليه الصلاة والسلام انه قال (من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى ثلاثا هي طابة هي طابة) وما وقع في سورة الأحزاب من تسميتها به انما هو حكاية عن قول المنافقين . وما وقع في حديث الهجرة في الصحيحين من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (فذهب وهلى الى اليمامة أو هجر فاذا هي المدينة يثرب) . وفي حديث مسلم (وجهت الى أرض ذات نخل لا أراها الا يثرب) وكذا جاء بعض الاحاديث في غيرهما مجاب عنه بان ذلك كان قبل النهي وبهذا علم ما في قوله (ثم جماعة الأوس والخزرج من سكان يثرب) ولو بنى الفعل للعلوم في قوله (وهم الذين سموا بالأنصار) فقال (وهم الذين سماهم الله بالأنصار) لسلم من الابهام وحصل شرف التسمية للأوس والخزرج بكونها من الله تعالى لامن الخلقين وقوله (وتبعهم فريق ممن لهم الرياسة عليه) أى على العدد القليل مكرر مع قوله (أو خافوا على سيادتهم أن يزيلها الإسلام) ثم ان الفريق الذين لهم الرياسة على العدد القليل من المنافقين ليس جمعا كما تدل عليه عبارته بل هو شخص واحد وهو عبد الله بن أبى ريسهم .

وقوله (فسيماهم المؤمنون باسم المنافقين) غلط فاحش فان المسمى لهم بهذا الاسم هو الله تعالى عز وجل في آيات كثيرة منها في سورة التوبة ﴿ ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ﴾ وفي سورة الأحزاب ﴿ وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ﴾ وفي سورة مخصوصة بهم قال تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ﴾ الخ أعتقد أن هذا المحاضر واضرا به لا يقرأون القرآن أو يقرأونه ولكن لا يجاوز . . . أو يعتقدون أنه ليس بكلام الله تعالى بل هو من وضع المخلوقين فقد تقدم انه قال في الكعبة : (إن اسماعيل عليه السلام جعلها مطافاً يحجها أولاده) والجاعل لها هو الله تعالى في آيات كثيرة منها ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ﴾ ومنها ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين ﴾ وهنا قال في الذين سيماهم الله المنافقين لآظهارهم الاسلام وابطانهم الكفر ان المؤمنين هم الذين سموهم المنافقين وسمى الله سبحانه وتعالى مخلوقاته الغيبية بالملائكة والجن والشياطين فذم محمد عبده وتليذه الخاص علماء الاسلام قاطبة بأنهم عبدة الفاضل او عباد الفاضل لأجل ان سموا هذه المخلوقات بما سماها الله ورسوله به واذا كان الله سبحانه وتعالى هو المسمى لهذا الفريق من الناس في كتابه العزيز بالمنافقين فالتسمية لهم بهذا دينية قطعاً وحينئذ لا معنى لقوله (ويظهر لى أن هذا الاسم من المحدثات الدينية) وقوله (فاني لم أر العرب تستعمل النفاق بهذا المعنى قبل الاسلام) دعوى أن صحت لا ضير فيها مادام الله تعالى هو المسمى لهم بذلك . فان قيل قد قررت فيما سبق ان المحاضر منكر لدلائل النبوة (أى المعجزات أى الحوادث الكونية الخارقة للعادة) وقد اعترف بها في المحاضرة السابعة عشرة في صفته واخلاقه عليه الصلاة والسلام قال فيها في صفحة ١٥٤ الطبعة الرابعة مانصه (وكانت هذه الخلال مما قرب اليه النفوس وحببه الى القلوب وألان من شكيمة قومه بعد الإباء وجعلهم يدخلون في دين الله أفواجا

مناصرين مؤازرين ولولم يكن له إلا ذلك مما يشبهه التاريخ وتوידه الحوادث
لكان أعظم شاهد على صدقه فضلا عما أيده الله تعالى به من المعجزات
وقد أفاض القول فيها كتاب السير اه) فقله (فضلا عما أيده الله تعالى
به من المعجزات وقد أفاض القول فيها كتاب السير) صريح في اثباتها
فما جوابك عن كلامه هذا ؟ قلت لا يدفع القطعي بالظني ولا المتيقن بالمشكوك
فيه ولا الكثير المتقدم المجادل عنه بالترهات المتماحل له الا باطل بجملة
واحدة فلا شك أن قوله هنا (فضلا عما أيده الله به من المعجزات) ذهول منه
وفلتة فلم وتناقض عما قرره سابقا في دفعها وانكارها والمبطل لا بد أن
يتناقض وقد دفعها وتركها في خمسة مواضع حادثة الفيل وحادثة الاسراء
وقصة بحيرا الراهب وبحث الوحى والغزوات التي سردها. فقد تحقق القراء
تخطئه في حادثة الفيل وزعمه انهم هلكوا بالأمراض الثقيلة وتقوله على
ابن هشام وزعمه ان القرآن أشار اليها بقوله (وأشار القرآن الى هذه الحادثة
في سورة الفيل) وعدم مبالاته برواية الجهم الغفير من الصحابة واجماع الأمة
الاسلامية في أن الاسراء والمعراج كان يقظة وتشبته بالرأى المنسوب
لعائشة ومعاوية رضى الله تعالى عنهما كذبا في كونه متاماً وعدم مبالاته
أيضاً باتفاق مؤرخى الاسلام على اثبات قصة بحيرا الراهب ودفعها بعدم
وجدانه لها في كتب من عنوا بالبحث عن الرهبان من الأجانب وزعمه
أيضاً أن الوحى الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتقدمه شىء هذا مع
اثباته لدلائل النبوة (الارهاصات) التي وقعت له صلى الله تعالى عليه وسلم
قبل البعثة في أول كتابه (نور اليقين) في السيرة قال فيه مانصه (ما أكرمه
الله به قبل النبوة) (أول منحة من الله ما حصل من البركات على آل حليمة
الذين كان مسترضعاً فيهم فقد كانوا قبل حلوله بناديهم مجدين فلما صار
بينهم صارت غنياتهم تثوب من مرعاها وان أضرعاها لتسيل لبنا ثم اعقب
ذلك ما حصل من شق صدره واخراج حظ الشيطان منه وليس هذا
بالعجيب على قدرة الله تعالى فمن استبعد ذلك كان قليل النظر لا يعرف من

قوة الله تعالى شيئاً لأن خرق العادات للانبيا ليس بالأمر المستحدث ولا المستغرب . ومن المكرمات الالهية تسخير الغمامة له في سفره الى الشام حتى كانت تظله في اليوم الصائف لا يشترك معه أحد في القافلة كما روى ذلك ميسرة غلام خديجة الذي كان مشاركاً له في سفره . هذا ما حبه الى خديجة حتى خطبته لنفسها وتيقنت أن له في المستقبل شأناً . ولذلك لما جاءته النبوة كانت أسرع الناس إيماناً به ولم تنتظر آية أخرى . زيادة على ما علمته من مكارم الأخلاق وما سمعته من خوارق العادات ، ومن منن الله تعالى عليه ما كان يسمعه من السلام عليه من الأحجار والأشجار فكان اذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بناء ويفضي الى الشعاب وبطون الأودية فلا يمر بحجر ولا شجر إلا سمع الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ، فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً وقد حدث بذلك عن نفسه ، وليس في ذلك كبير اشكال فقد سخر الله تعالى الجمادات للانبيا قبله ، فعصى موسى التقيمت ما صنع سحرة فرعون بعد أن تحولت حية تسعى ثم رجعت كما كانت ولما ضرب بها الحجر نبع منه الماء اثنتي عشرة عينا لكل سبط من أسباط بني اسرائيل عين ، وكذلك غيره من الانبياء سخر الله لهم ما شاء من أنواع الجمادات لتدل العقلاء على عظيم قدرهم وخطارة شأنهم اه) قلت ليتأمل القراء هذا الكلام النفيس الجاري على عقيدة المسلمين في اثبات قدرة القادر الحكيم وقدر أنبيائه تعالى عنده باكرامهم بالخوارق ولينظروا في قوله (فمن استبعد ذلك كان قليل النظر لا يعرف من قوة الله شيئاً) كيف سجل على نفسه بكلامه هذا في محاضراته انه قليل النظر لا يعرف من قوة الله شيئاً كما أثبت في نور اليقين أيضاً معجزة الاسراء والمعراج وقال انها كانت قبل الهجرة وهنا في المحاضرات جعلها بعد الهجرة مراوغة وقد تقدم الرد عليه فيهما مفصلاً ولكنه جرد الغزوات كلها من المعجزات التي وقعت فيها فلم يذكرها كما لم يذكرها هنا مع انها لسيرته عليه الصلاة والسلام كما تقدم على ان اثباته للمعجزات في هذا الكلام ناقص البنيان لا يدل على انه يؤمن بها (٢٢ - تحذير العبقري)

صراحة . قال (وقد أفاض القول فيها كتاب السير) فليست المعجزات
محصورة في كتب السير كما زعم بل كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم
مملوءة بها أيضا وقد تقدم أن بعض أئمة الحديث خصها بالتصنيف كالحافظين
أبي نعيم والبيهقي ومن المتأخرين السيوطي وكتابه نور اليقين ألفه قبل أن
يترقى ويصير مدرس التاريخ الاسلامي في الجامعة المصرية فلما نال ذلك
غير رأيه فأذكرها في محاضراته كما أنكركون الملائكة والجن والشياطين
أجساما وحارب ذلك بما استطاع من التليسيات وقد تقدم هتك سترها
مفصلا بالبراهين وقد غلط في هذه المحاضرة في صحيفة ١٥٧ في جمع القرآن
فزعم أن الصديق رضي الله تعالى عنه جمعه في مصحف واحد قال مانصه :
(وكانت آياته وسوره مكتوبة إلا أنها لم تجمع في مصحف واحد في حياته
وقد تم ذلك في خلافة أبي بكر . راجع خطابنا الذي القيناه بنادى العلوم في
سنة ١٩١٠ ونشر بصحيفة النادى في تلك السنة اه) وهو غير صحيح فأبو
بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انما جمع الصحف التي كانت متفرقة بسبب
موت كثير من القراء في وقعة اليمامة بإشارة عمر رضي الله تعالى عنه خوفا
من ضياع شيء من القرآن ولم يجمعه في مصحف واحد الا ذوالنورين عثمان
ابن عفان رضي الله تعالى عنه كما غلط في الخطاب الذي القاه بنادى العلوم
ونشرته له صحيفة النادى وذكره متبجحا به كما انه مغرم بذكر التاريخ
المسيحي وهو مدرس التاريخ الاسلامي فلا يذكر التاريخ الاسلامي الذي
هو مدرسه إلا نادراً وهذه بلية وقع فيها كثير من المسلمين الآن غفلة .
وفي هذا المقدار الذي كتبه في دحض أباطيله في سيرة النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من دلائل النبوة والوحى وأنواعه ومتعلقاتهما كفاية للمسلم
المتبصر ، واشرع الآن بحول الله تعالى في دحض أباطيله في الخلافة وسيرة
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وسيرتهم جزء من سيرته عليه الصلاة
والسلام فالطعن فيهم طعن فيه عليه الصلاة والسلام وفي القرآن الذي عدلهم
واثنى عليهم لا محالة ، وهذا المحاضر قد طعن في الشريعة كلها نبوة وقرآناً
وسنة وصحابة :

فالنبوة بتخبطه في الوحي وزعمه أنه لم يتقدمه شيء إنكاراً لدلائل النبوة التي تقدمته واعترف بها في نور اليقين .

والقرآن بتخبطه في حادثة الغيل إنكاراً لها ودفعه صريح القرآن والسنة المتواترة وإجماع الأمة في معجزة الأسراء بالباطيل وقد أثبتتها أيضاً في نور اليقين .

والسنة بترك المعجزات التي وقعت في غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم وهي لب سيرته عليه الصلاة والسلام وتركه لب السيرة يدل على عدم إيمانه بها فإن قيل مجرد تركه لها لا يدل على عدم إيمانه بها، ولا على إنكارها والطعن فيها. فن أن حكمت عليه بأنه طعن فيها وأنكرها. قلت : من حادثي الغيل والأسراء وهما قرآنيان متواترتان وقد صنع فيهما ما صنع من التخبط وارتكاب الباطيل كل ذلك إنكار لهما . وطعن فيهما فما ثبت منها بالسنة يكون غير مؤمن به طاعناً فيه من باب أولى . ومن قصة بحيرا وهي ثابتة بالسنة اتفق عليها مؤرخو الإسلام باعترافه وقد طعن فيها ، والصحابة وهم دعائم الوحي (الشريعة كلها) كتاباً وسنة لم يصلنا هذا الخير العظيم إلا من طريقهم بالبهتان فيهم . فالطعن فيهم طعن في الموحى الذي عدلهم وأثنى عليهم وفي الموحى إليه أيضاً وإنكار بعض المعجزات إنكاراً لجميها وتكذيب بعضها تكذيباً لجميها كما أن التكذيب ببعض رسل الله تكذيب لجميهم فتلخص أن محاضرات هذا الإنسان نشرت من الطعن في الإسلام ما لم ينشره رسائل إخوان الصفا وتشكيكات المعري وجميع التبشير . وأثرت في عقول المسلمين وراجت عندهم أشد من تأثير ورواج تلك العوامل الهدامة باضعاف مضاعفة بدليل أنها طبعت مرات .

الصحابة رضوان الله تعالى عليهم دعائم الدين

فالطعن فيهم طعن فيه

عدالة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ثابتة معلومة لكل مسلم كتابا وسنة وإجماعا . أما القرآن : ففيه نصوص كثيرة دالة على تعديل الله تعالى لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم ووعدهم بالاستخلاف في الأرض والتكفين في الدين ووعدهم لجمعهم بالجنة وقد ذكرت في كتابي (إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة) سبع عشرة آية مطرزة مشروحة بخلاصة أقوال علماء الإسلام شرحا شافيا . اكتفى هنا بذكر خمس آيات منها . الأولى : أخباره عز وجل عن جميع أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بأنهم خير الأمم قال تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرج للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ فيدخل في خطابها وفي هذا المدح العظيم بهذه الأوصاف الفاضلة الصحابة رضوا الله عنهم قبل كل مسلم جاء بعدهم . الثانية . أخباره تعالى عنهم جميعا بأنهم متفاوتون في الفضل وأنهم جميعا في الجنة . قال تعالى ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ﴾ .

الثالثة : ثناؤه تعالى على جميع المهاجرين وتسميتهم بالصادقين ، وثناؤه على جميع الأنصار وتسميتهم بالمفلحين . قال تعالى ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، والذين تبوأوا الدار والايمن من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ .

الرابعة : ثناؤه جل وعلا على أهل السبق إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار وإخباره برضاه عنهم ورضاهم عنه وبعاداده لهم جنات تجري

من تحتها الانهار . قال تعالى ﴿ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات
تجرى تحتها الانهار خالدون فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾

الخامسة : ثناؤه تعالى عليهم جميعاً بأنهم رضوان الله تعالى عليهم
متحلون باخلاق فاضلة وانهم متصفون بها في الكتب السماوية السابقة كالطوراة
والانجيل وانه يغيب بهم الكفار ، قال تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين
معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله
ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم
في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب
الزراع ليغيب بهم الكفار ﴾ فهذه الآيات تقتضى القطع بعبد التهم ولا
يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق . فلو لم يرد في
القرآن إلا هي لكانت كافية شافية لكل من سلم من مرض القلب .

وأما السنة : فقد أخرج الشيخان وأصحاب السنن من حديث أبي سعيد
الخدري رضى الله تعالى عنه قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن
ابن عوف رضى الله تعالى عنهما شيء فسيبه خالد . فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم (لا تسبوا أصحابي فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم
مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) . المد الحفنة وهو ملء اليدين
المتوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين ، وإذا كان خالد وأمثاله ممن أسلم
قبل فتح مكة من الصحابة لو أنفق مثل أحد ذهباً لا يبلغ مد عبد الرحمن
وأمثاله من السابقين إلى الاسلام بل ولا نصفه . فكيف بمن أسلم من الصحابة
بعد الفتح وقد قال تعالى ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل
أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ﴾
فكيف بمن لم يكن صحابياً . وأخرج الترمذى وابن حبان في صحيحه
من حديث عبد الله بن مغفل رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم (الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً فمن أحبهم فبحبي

أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه) .

وأخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما رفعه (إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعنة الله على شركم) . وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) . وروى البزار فى مسنده بسند رجاله موثقون عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله تعالى اختار أصحابي على الثقيلين سوى النبيين والمرسلين) وروى الترمذى وصححه الضياء المقدسى عن بريدة رضى الله تعالى عنه رفعه (مامن أحد من أصحابي يموت بأرض إلا بعث قائد أو نوراً لهم يوم القيامة) . وأبو يعلى عن أنس رضى الله تعالى عنه (مثل أصحابي مثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح) . والامامان احمد ومسلم عن أبي موسى رضى الله تعالى عنه: (النجوم أمانة للسماء فاذا ذهبت النجوم اتى السماء ما توعد وانا امانة لأصحابي فاذا ذهبت اصحابي اتى امتي ما يوعدون) وتواتر عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) وخص عليه الصلاة والسلام جماعة منهم بمزايا ، فقد اخرج الترمذى عن انس رضى الله تعالى عنه رفعه انه عليه الصلاة والسلام قال : (ارحم امتى بامتى ابو بكر واشدهم فى امر الله عمر واشدهم حياء عثمان ، واقضاهم على واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وافرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبى بن كعب ، ولسكل قوم أمين وامين هذه الأمة ابو عبيدة ابن الجراح ، وما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق لهجة من ابى ذر اشبه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فى ورعه) قال عمر رضى الله تعالى عنه افنصرف له ذلك يا رسول الله قال نعم : فاعرفوه . وخص العشرة بالجنة فقد اخرج ابو داود والترمذى عن سعيد بن زيد رضى الله تعالى عنه انه سمع من يسب علياً بحضرة بعض الأمراء فقال ألا أرى أصحاب النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم يسبون عندكم ثم لا تنكروا ولا تغيروا . سمعته
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول واني لغني أن أقول عنه ما لم يقل فيسألني
عنه غداً اذا لقيته : (ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلى
في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد بن مالك في الجنة
وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وابو عبيدة بن الجراح في الجنة) وسكت
عن العاشر قالوا ومن هو العاشر قال سعيد بن زيد يعنى نفسه قال والله
لمشهد رجل منهم مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يغبر فيه وجهه خير من
عمل احدكم ولو عمر عمر نوح ، وخص الخلفاء الأربعة منهم عن جابر بن
عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
(ان الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى من
أصحابي أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خيراً أصحابي وفي أصحابي
كلهم خير واختار أمتى على الأمم واختار من أمتى أربعة قرون الأول والثاني
والثالث والرابع) أخرجه البزار فى مسنده حكاه عنه عبد الحق فى الأحكام
وأخرجه ابن السمان فى كتاب الموافقة مختصراً وقال (اختار أصحابي على
جميع العالمين الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين) هذه قطرة من بحر
فضائلهم الثابتة فى السنة .

وأما الاجماع فقد اتفق أهل الحق على أن جميعهم عدول على انه لو لم
يرد من الله ورسوله فيهم شيء من الفضائل لأوجبت الحال التي كانوا عليها
من الهجرة والجهاد ونصرة الاسلام وبذل المهج والأموال وقتل الآباء
والأبناء والمناصحة فى الدين وقوة الايمان واليقين ، القطع بتعديليهم ،
والاعتقاد بنزاهتهم وانهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم المعدلين الذين
جاؤا من بعدهم .

المحاضرة الثامنة عشرة

الخلافة

الخلافة رياسة عامة في أمر الدين والدنيا نيابة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في أحكام الفروع لا ينتظم أمر المسلمين إلا بحصولها يقصد الشارع تحصيلها في الجملة من غير أن يقصد حصولها من كل مسلم ولا نظامها مصالح المسلمين الدينية والدنيوية صار الحق في تولية من يصلح لها لجميع الأمة واجبا عليهم وجوبا شرعيا لا عقليا كقائما اذا قام بهذا الواجب من يعتد به ممن هو من أهل الحل والعقد من تيسر حضوره من غير اشتراط عدد، ولا اتفاق من سائر البلدان سقط عن الباقيين، بل لو تعلق الحل والعقد بواحد مطاع كفت بيعته .

والدليل على وجوبها على المسلمين شرعا، الكتاب والسنة والاجماع .
أما الكتاب : فقد أمر الشارع أمرا مطلقا باقامة الحدود وسد الشخور وتجهيز الجيوش وهذه الأمور لا تتم إلا بإمام يرجع اليه فيها .
وأما السنة فأحاديث كثيرة منها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (الأئمة من قریش) .

وأما الاجماع : فاطباق الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على بيعه الصديق في السقيفة يوم وفاته عليه الصلاة والسلام وفي اليوم الثاني البيعة العامة في المسجد قبل اشتغالهم بتجهيزه عليه الصلاة والسلام . فلو لم تكن الامامة أمرا مهما واجبا على المسلمين ما قدمها الصحابة على دفنه عليه الصلاة والسلام الذي هو أمر مهم عظيم فاذا لا بد للامة الاسلامية من امام يقيم معالم الدين والسنة وينتصف للمظلومين ويستوفى الحقوق ويضعها مواضعها والعقل يسوغ استحقاق الخلافة لكل من اجتمعت فيه شروطها لولا النص (الأئمة من قریش) .

تخبيط في الخلافة

قال فيها في ص ١٥٨ مانصه (لم ير المسلمون بدأ من إقامة من يخلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في خلافة المسلمين ولم يوجد بين هذه الأمة شيء تشعبت فيه الآراء واختلفت الكلمة بمقدار ما كان منها في الخلافة ومدار البحث كان في أمرين . (الأول) البيت الذي يكون منه الخليفة . (الثاني) : الشكل الذي به ينتخب الخليفة .

(بيت الخلافة) : من المحقق ان الكتاب لم يشر أى إشارة الى تعيين بيت أو بطن أو شعب يكون منه خليفة المسلمين . وأما الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فروى عنه (الأئمة من قريش) كما أثر عنه (اسمعوا وأطيعوا وان تأمر عليكم عبد حبشى كأن رأسه زينة) ، لم يدفن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كانت هناك فكرتان (الأولى) عدم تخصيص الخلافة ببيت من البيوت ، (الثانية) تخصيصها ، وهذه الفكرة ذات شعبتين (الأولى) : تخصيصها بالبيت القرشى على اختلاف بطونه (الثانية) تخصيصها بالقرابة القريبة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان أقرب الناس اليه وقت موته من أعمامه العباس بن عبد المطلب ومن بنى عمه على وعقيل ابنا أبي طالب ويمتاز على من بينهم بسبقه الى الاسلام وشهوده مشاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتزوجه بابنته فاطمة ، ويمتاز العباس بأنه العاصب الوحيد له إن كان هناك إرث اه) .

قوله (لم ير المسلمون بدأ من إقامة من يخلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في خلافة المسلمين) دليل على وجوب الامامة على المسلمين شرعاً . ينقض ما أتى في أثناء كلامه وفي آخره من انتقاده لها وما أخذ هذا الوجوب أدلة الكتاب المطلقة والعامه وأدلة السنة وإجماع الصحابة ، وقوله (ولم يوجد بين هذه الأمة شيء تشعبت فيه الآراء واختلفت الكلمة بمقدار ما كان منها في الخلافة) دليل على أهميتها عند جميع الطوائف المنتسبة إلى الاسلام ولم يخالف في وجوبها إلا الخوارج قالوا بجوازها وخالف بوجوبها (٢٣ - تحذير العبقري)

على الأمة الامامية والاسماعيلية فقالوا بوجوبها على الله تعالى تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً . وقال بعض المعتزلة واجبة على الأمة عقلاً وبعضهم قال عقلاً وسمعاً معاً ، وبعضهم قال واجبة في الفتنة دون الأمن ، وبعضهم عكس وكل هذه الأقوال وما تفرع عنها لا تشهد لها أدلة الكتاب والسنة فانتقاده للخلافة مطلقاً بسبب تشعب الآراء واختلاف الكلمة فيها غير صحيح لما بيناه أولاً

وليس كل خلاف جاء معتبراً إلاخلاف له حظ من النظر وقوله (ومدار البحث كان في أمرين (الأول) البيت الذي يكون منه الخليفة (الثاني) الشكل الذي ينتخب به الخليفة (يأتى تحقيق الكلام فيهما معاً . وقوله (من المحقق أن الكتاب لم يشرأى إشارة إلى تعيين بيت أو بطن أو شعب يكون منه خليفة المسلمين صحيح) ولكن حيث كانت حقيقتها نيابة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في أحكام الفروع ومصالح المسلمين الدينية والدنيوية. كفت فيها أدلة الكتاب العامة والمطلقة والمبين للناس . ما نزل اليهم قد بينها غاية البيان وعلماء الأمة الربانيون فهموا ذلك من الكتاب وأطبقوا عليه ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ . ﴿ ولو رده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ فان كانت كل مسألة من مصالحنا كهذه تتوقف على تعيين الله لها لنا كأن يقول مثلاً : الخليفة هو فلان ابن فلان من القبيلة الفلانية فأى فائدة والحالة هذه في بيان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم . وقد قال تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون ﴾ وأى فائدة حينئذ في مدحه تعالى للعلماء برد كتابه الى الرسول واليهم بالاستنباط وبالرسوخ في العلم ، فالمتطلب لتعيين الخليفة شعباً وقبيلة من كتاب الله تعالى متنطع غير واثق ببيان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولا متبع سبيل المؤمنين ، قال (وأما الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فروى عنه « الأئمة من قريش » كما أثر عنه « اسمعوا وأطيعوا وان تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » اه) أقول حديث « الأئمة من

قريش « الذي حكاه الحضري بصيغة الضعف بقوله (وأما الرسول فروى عنه) نص صريح في تعيين بيت الخلافة وهو متواتر نص الحافظ ابن حجر في فتحه في كتاب العلم في شرح قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) على انه متواتر كأحاديث المسح على الخفين ورفع اليدين في الصلاة والحوض ورؤية الله في الآخرة ومن بنى لله مسجداً وغيرها وافرده بجزء جمع فيه طرقه عن نحو أربعين صحابياً وقال في كتاب الأحكام من فتحه جزء ١٣ مانصه والى اشتراط كون الامام قرشياً ذهب جمهور أهل العلم ثم قال وقال عياض اشتراط كون الامام قرشياً مذهب العلماء كافة وقد عدوها في مسائل الاجماع ولم ينقل عن أحد من السلف فيها خلاف وكذلك من بعدهم في جميع الأمصار ولا اعتداد بقول الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة لما فيه من مخالفة المسلمين اه) .

بعض الأحاديث الدالة على خلافة الخلفاء الراشدين

رضى الله تعالى عنهم

وقد جاءت أحاديث كثيرة دالة على خلافة الخلفاء الراشدين الاربعة وعلى أفضليتهم والتمسك بسنتهم فمنها ما أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه عن العرياض بن سارية رضى تعالى عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا قال (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي) وانه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة) . ومنها ما أخرجه الامام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وأبو يعلى وابن حبان عن سفينة مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (الخلافة بعدى ثلاثون سنة) وقد اتفق العلماء على أنها تمت بمدة الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما ثلاثين

سنة . ومنها ما أخرجه البزار في مسنده من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
(ان الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من
أصحابي أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي
كلهم خير) وقد تقدم ، ومنها ما أخرجه الامام أحمد في مسنده بسند جيد
عن علي بن أبي طالب رضى تعالى عنه قال قيل يا رسول الله من تؤمر
بعدي قال (إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة
وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم ، وأن تؤمروا
علياً وما أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الصراط المستقيم) .
ومنها ما رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن حذيفة رضى الله تعالى عنه
قال قال عليه الصلاة والسلام (اقتدوا باللذين من بعدي أبا بكر وعمر) .
ومنها في الصحيح (ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر) وقوله (مروا أبا بكر
فليصل بالناس) ، وقوله للمرأة التي قالت له رأيت ان جئت فلم أجدك
قال (فان لم تجديني فأني أبا بكر) وهو شيء كثير يصعب استقصاؤه .
وحديث « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه
زبيبة » صحيح أخرجه الأئمة أحمد والبخاري ومسلم وابن ماجه وابن حبان
عن أنس مرفوعاً وتعبيره عنه بصيغة التمريض بقوله كما أثر عنه خطأ على
أن الأثر على الصحيح عند المحدثين يطلق أيضاً على كل ما روى عن السلف
وهذا الحديث محمول عند العلماء على الأمراء الذين هم دون الخليفة فلا يعارض
حديث (الأئمة من قريش) ، والمقصود منه المبالغة في الأمر بالطاعة بضرب
مثل في الحقارة وبشاعة الصورة بما لا يتصور في الوجود وقد أجمعت الأمة
على أن الامامة لا تكون في العبيد اختياراً .

غايته الفاحش

في تقسيم الخلافة

فقوله (لم يدفن صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كانت هناك فكرتان (الأولى) عدم تخصيص الخلافة ببنت من البيوت (الثانية) تخصيصها ؛ وهذه الفكرة ذات شعبتين (الأولى) تخصيصها بالبنت القرشي على اختلاف بطونه (الثانية) تخصيصها بالقرابة القرية من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخ) يعنى أن الخلافة تنقسم إلى قسمين عامة وخاصة والخاصة أيضاً تنقسم إلى قسمين خاصة بقريش كلها وخاصة ببعض بطونها تقسيم فاسد محتلق والحقيقة المنقولة في تاريخ الاسلام وهو بين أيدينا أنه لم يكن هناك إلا فكرة واحدة وهى التخصيص . فالأنصار رضى الله تعالى عنهم وأوها خاصة بهم لانهم جند الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والدار دارهم والمهاجرون كلهم رأوها خاصة بقريش كلها لانهم قرابته .

افتراؤه على الأنصار

رضى الله تعالى عنهم فيها

قال في ص ١٥٩ (رأى عدم التصخيص كان للأنصار فانهم كانوا يريدون أن يكون الخليفة منهم لما كان لهم من فضيلة النصر والايواء والمساعدات العظيمة التي قاموا بها وان لم يتيسر ذلك كان منهم أمير ومن المهاجرين أمير اه) أقول تعبيرى بهذا العنوان وهو افتراؤه على الأنصار وان كان فيه شدة . استحقه لركوبه هواه ومخالفته تاريخ الاسلام المنقول صريحاً في اجتماعهم في سقيفة بنى ساعدة واتفاقهم على ارادة بيعة سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه وخطبته الصريحة في كونها لهم خاصة وخطبة الحباب بن المنذر منهم كذلك ومحاورته للفاروق وامتناع سعد رضى الله تعالى عنه عن بيعة الصديق رضى الله تعالى عنه لما بايعه المسلمون كلهم حتى مات وكل هذا في جميع كتب التاريخ الاسلامى أوضح من الشمس في رابعة النهار ولو

كانوا رضى الله تعالى عنهم يرونها عامة ما اجتمعوا في السقيفة على سعد وما ترددوا في بيعة الصديق أبى بكر رضى الله تعالى عنه لانهم لا يشكون في كونه سيد المسلمين جميعاً ولم تقل الأ نصار رضى الله تعالى عنهم أن الخلافة يتولاها كل من كانت فيه الكفاءة والمقدرة من أى الناس كان حتى يصح للخوارج أن يأخذوا رأيهم عنهم كما سيزعمه وقد كلفنا الرد على اقتراءه كلامه وهو (فانهم كانوا يريدون أن يكون الخليفة منهم الخ) .

محامى الخوارج

قال فى الصفحة نفسها ، (وأخذ بهذا الرأى من بعدهم جميع الخوارج الذين كانوا يخرجون على الخلفاء فى أزمنة مختلفة ومختلفة ومنهم من كان يتسمى بأمر المؤمنين كقطرى بن الفجاءة وليس من قریش وإنما هو رجل من تميم وهؤلاء كانوا يرون أن القصد من إمامة المسلمين إنما هو توجيهم الى الصلاح وابعادهم عن الشر والسير فيهم بأوامر دينهم غير ناظرين فى ذلك إلى بيت أو قبيلة بل إلى ما فى الشخص من المقدرة والكفاءة ويستندون فى رأيهم إلى قاعدة وضعها القرآن وهى ﴿ إن اكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ اه . أقول ما كفته فريته على الانصار انهم يرون الخلافة عامة لا تختص بقریش حتى ضم اليها أخرى . وهى أن الخوارج أخذوا مذهبهم فى كون الخلافة عامة لا تختص بقریش من رأى الأنصار وهو باطل من أربعة أوجه (الأول) أن الانصار رضى الله تعالى عنهم يرونها خاصة بهم بدليل حججهم التى أدلى بها خطباؤهم وقد ذكر المحاضر بعضاً منها فى كلامه ولو كانوا يرونها عامة مانازعوا المهاجرين فى مبدأ أمرهم قبل احتجاج الصديق عليهم بالنص القرآنى والنص النبوى المتواتر لانهم يعترفون بفضله كما تقدم وحينئذ فبناء مذهب الخوارج على رأى الانصار بناء على غير أساس وتفريع على غير أصل . (الثانى) جل الصحابة مهاجرين وانصاراً وغيرهم ماعدا الشيخين وأفراداً قليلين كفار فى رأى الخوارج فكيف يعقل أخذهم هذا الرأى عن الكفار والعمران اللذان يقدهما الخوارج يرونها خاصة بقریش امثالاً

للنص . (الثالث) أخذهم هذا الرأي عن الانصار لا يخلو من أن يكون تقليدا لهم أو موافقة لهم في الاجتهاد وكلاهما باطل فان كان تقليدا لهم فهل يعقل تقليد من يعتقد أن الايمان انحصر فيه للكفار ، وان كان موافقة لهم في الاجتهاد فهل يعقل موافقة المؤمن في زعمه للكافر في رأيه في الاجتهاد (الرابع) على فرض صحة أن الانصار رضى الله تعالى عنهم رأوا في مبدأ الأمر أن الخلافة عامة لا تختص بقريش ولا بهم فقد رجعوا عن هذا الرأي حين احتج عليهم الصديق رضى الله تعالى عنه بالقرآن والحديث المتواتر فقال لهم ، إن الله تعالى قد سماكم في سورة الحشر بالمنفلحين وسمانا فيها بالصادقين وقد أمركم الله تعالى في سورة التوبة بأن تكونوا معنا ، قال تعالى فيها :-

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ فدل هذا على أن الخلافة فينا وسمعته عليه الصلاة والسلام يقول (الائمة من قريش) فنحن الامراء واتم الوزراء ، فأذعنوا رضى الله تعالى عنهم وبادروا إلى بيعته ، فاذا كيف يعقل أخذهم رأياً رجح عنه أصحابه . فتلخص بهذا التقرير ان رأى الخوارج هذا مبنى على الهوى لا صلة له بالانصار ولا بالوحى كله وان سلسلة اتصاهم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يزعمون انهم مؤمنون به وبما جاء به من عند الله تعالى مقطوعة كتاباً وسنة وإجماعاً وذلك لأن الوحى كله قرآنأ وسنة انما حملة الينا الصحابة الذين هم كفار في زعمهم والكافر ليس بعدل ولا ثقة ولأجل ذلك اهدروا السنة كلها ولم يأخذوا إلا بالقرآن في زعمهم وقد قال عليه الصلاة والسلام فيهم (يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم) أى لا يفهمونه ، ولهذا قال فيهم عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما (هم شرار الخلق عمدوا الى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين) ، قال الخضرى منوها بشأنهم بذكر اسم رجل منهم محاميا عنهم بذكر حجبتهم (وشبه الشيء منجذب اليه) ومنهم من كان يتسمى بأمر المؤمنين كقطرى بن الفجاءة وليس من قريش وانما هو رجل من تميم وهؤلاء كانوا يرون ان القصد الى أن قال ويستندون في رأيهم الى قاعدة

ووضعها القرآن وهي ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، الخوارج دعاة الفوضى
وعضو فاسد في جسد الامة الاسلامية تتجاري بهم الالهواء كما يتجاري
الكلب بصاحبه وهم فرق كثيرة متفقة كلها على تكفير جل الصحابة والامة
الاسلامية جمعاء، ويكفر أيضاً بعضهم بعضاً ويتبرأ منه لا بسط مسألة
وأتفه سبب. منهم البيهسية والصفرية والاباضية والازارقة وهؤلاء من
اشدهم غلواً يستحلون دماء جميع المسلمين رجالاً ونساءً وأطفالاً واحتج
شيخهم نافع ابن الازرق على ذلك بقول نوح عليه الصلاة والسلام ﴿رب
لا تذر على الارض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا
يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾، وقطرى بن الفجاءة المنوه به من هذه الفرقة
وقد حاربه القائد المخنك المهلب بين أبي صفرة وفي آخر زمن قطرى ان فصل
عنه أكثر جنده الموالي وولوا عليهم رجلاً يقال له عبد ربه وكفروه ومن
معه من العرب ثم حاربوه حرباً شديدة حتى اجلوه مع أصحابه عن البلد
الذى هم نازلون به فجاء المهلب فقاضى على هؤلاء الموالي مع أميرهم ثم تتبع
قطرياً حتى قتله مع كثير من أصحابه، فولى بقيتهم عليهم بعده عبيدة بن هلال
اليشكري فمتبعهم المهلب أيضاً حتى قطع دابرهم كلهم. وقوله (ويستندون
في رأيهم إلى قاعدة و وضعها القرآن وهي ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾
صحيح ولكنها لا تدل على مدعاهم لأنه تعالى قال (عند الله) أى لا عند
المخلوقين في الدنيا فهذه العندية والله تعالى أعلم تشير الى أن التقوى محلها
القلب كما في الصحيح (التقوى ههنا التقوى ههنا) وأشار عليه الصلاة
والسلام الى صدره، وان قيل في معناها انها مراعاة حدود الله أمراً ونهياً
والاتصاف بما أمرك أن تتصف به والتنزّه عما نهاك عنه فلا شك أن
المراعاة والاتصاف بما ذكر انما يصدران عن المضغنة التي اذا صلحت صلح
الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله وهي القلب، والقلوب بيد الله تعالى
يقبلها كيف شاء لا سيطرة للخوارج وغيرهم عليها ولا عبرة بالطاعات
الظاهرة اذا كانت القلوب خربة بدليل المنافقين المفضوحين في القرآن ولا

بكثرة العبادة والزهد بدليل قوله عليه الصلاة والسلام للصحابة في وصف الخوارج (تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) فدل حديثهم هذا على أن الظاهر لا عبرة به إذا كان الباطن الذي هو رئيس الأعضاء (القلب) قد استحوذ عليه الشيطان على انه قد لا يطرد مع الباطن بدليل قوله عليه الصلاة والسلام في الصحيح (ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس حتى ما يبقى بينه وبينها الا شبر أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار ، وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس حتى ما يبقى بينه وبينها الا شبر أو ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة اه) . وبدليل قوله عليه الصلاة والسلام أيضا (رب اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره) ، والمؤمن انما يدخل الجنة برحمة الله تعالى كما في الحديث الصحيح لا بعمله وان كان سببا في ذلك ، والشيطان المقدسان عند الخوارج لم يكونا رضى الله تعالى عنهما أكثر الصحابة عبادة وزهداً واكثرهما كانا من أشد عباد الله تعالى خوفاً منه (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) .

تقويم رأيه الثانى ونقد كلام ابن خلدون الذى اعتمد

عليه فيه

قال فى الصفحة نفسها (ورأى التخصيص بقريش كان فى ذلك الوقت رأياً للجمهور لما رواه لهم أبو بكر من ذلك الحديث المتقدم ذكره وقد بين أبو بكر طرفاً من علة هذا التخصيص بقوله ان هذا الامر ان تولته الأوس نفسته عليهم الخزرج وان تولته الخزرج نفسته عليهم الأوس ولا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش اه) .

أقول : تقدم أن التحقيق فى شأن الخلافة انه لم يكن فيها إلا فكرة واحدة وهى التخصيص فالأنصار رضى الله تعالى عنهم فى أول اجتماعهم رأوا أنها خاصة بهم والمهاجرون كلهم رأوا أنها خاصة بقريش وأجمع الصحابة (٢٤ - تحذير العبقرى)

كلهم بعد بيان الصديق البليغ على أنها في قریش لذلك بايعوه كلهم ، فقوله
(ورأى التخصيص بقریش كان في ذلك الوقت رأياً للجمهور) غير صحيح
وصواب الكلام أن يقول تخصيص الخلافة بقریش انعقد عليه الاجماع
بعد النص . وقوله (لما رواه أبو بكر لهم) تقدم أن حديث الأئمة من
قریش رواه نحو أربعين صحابياً فيكون أبو بكر من جملة رواته ، وقوله
(وقد بين أبو بكر طرفاً من علة هذا التخصيص بقوله إن هذا الأمر إلى آخر
الكلام) هذه الألفاظ التي ذكرها الخضرى من كلام أبي بكر رضى الله
تعالى عنه كلها ليست في تاريخى ابن جرير وابن الاثير والذى في ابن جرير
من جملة خطبته رضى الله تعالى عنه (فخص الله تعالى المهاجرين الاولين
من قومه بتصديقه والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم وتكذيبهم
إياه وكل الناس لهم مخالف زار عليهم فلم يستوحشوا لقلته عددهم وشنف
الناس لهم فهم أول من عبد الله في هذه الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم
أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الامر من بعده لا ينازعهم إلا ظالم)
وهو بعينه في الكامل لابن الاثير وزاد هذا من كلام الصديق ، (وإن العرب
لا تعرف هذا الامر إلا لقریش هم أوسط العرب دار ونسباً) وفي ابن
جرير من كلام عمر رضى الله تعالى عنه يخاطب الانصار رضى الله تعالى
عنهم (والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبياها من غيركم ولكن العرب
لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم) ، قال
الخضرى : (ومن هنا استنبط العلامة بن خلدون استنتاجه أن السر في
تخصيص قریش بالخلافة إنما هو ما كان لهم من العصبية والتقدم على سائر
بطون العرب . بهذا يعترف لهم الناس ولا ينكره عليهم أحد فاذا كان
الخليفة منهم لا ينتظر أن يعارضه أحد من القبائل الأخرى مهما يكن قدره
عظيماً ، وبني على ذلك انه لما كانت العلة هي العصبية التي بها يكون اجتماع
الكلمة ، فكانت عصبية قریش جاء عليها وقت فيه ضعفها حتى لم تعد قادرة
على حماية البيضة والدفاع عنها وكانت الشريعة مبنية على العلل والحكم في كل

زمان بحسبه كان من الممكن أن تكون الخلافة في غير قريش من فيهم تلك القوة والعصية المجتمعة اه) قوله ومن هنا استنبط العلامة ابن خلدون الخ الكلام أى من الكلام الذى نسبه المحاضر إلى الصديق وزعم أنه طرف من علة هذا التخصيص وهو: (ان هذا الأمر أن تولته الاوس نفسته عليهم الخزرج ، وأن تولته الخزرج نفسته عليهم الاوس ولا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش) استنباط خاطيء من ثلاثة أوجه (الاول) تقدم أن هذا الكلام لم يذكره ابن جرير وابن الاثير اللذان هما عمدة ابن خلدون فلا يصح التمسك به وجعله طرفاً من علة هذا التخصيص (الثانى) على فرض صحته لا حجة فيه لما ادعاه ابن خلدون من أن السر أو العلة في تخصيص قريش بالخلافة ما كان لهم من العصية والتقدم على سائر بطون العرب ، ولو كانت هذه الدعوى صحيحة ما نازعتهم الانصار فيها ، وقوله وكانت الشريعة مبينة على العلل والحكم ، صحيح ولكن دعواه أن السر في تخصيص قريش بالخلافة هو العصية والتقدم على سائر بطون العرب غير صحيحة (الثالث) العلة في تخصيص قريش بالخلافة هو مقام النبوة لا العصية والتقدم وهى واضحة لكل من رزق فهماً مستقيماً فى كلام الصديق الذى احتج به على الانصار، وفى كلام الفاروق أيضاً اللذين نقلناهما ، قال الصديق لهم : (فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم وتكذيبهم إياه وكل الناس لهم مخالف زار عليهم فلم يستوحشوا لقله عددهم وشفق الناس لهم فهم أول من عبد الله فى هذه الارض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الامر من بعده لا ينازعهم الا ظالم) ألا يرى القارىء تلك المزايا التى عدّها أبو بكر للمهاجرين كيف تدور كلها حول مقام النبوة ، ألا ينظر الى تصريحه بالعلة فى قوله فهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده لا ينازعهم الا ظالم.

وصرح لهم الفاروق فى كلامه بالعلة فقال : (والله لا ترضى العزب

ان يؤمروكم ونبئها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع ان تولى امرهم من كانت النبوة فيهم وولى امورهم منهم) ، وقريش كانوا فى القديم متفرقين فى قبائل العرب حول مكة غير معروفى المكانة واول من جمعهم وبوأهم بمكة وجعل لهم مكانة معروفة بين العرب قصى بن كلاب أحد أجداد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن هذه المكانة لم تقدمهم على سائر بطون العرب ولم تجعل لهم العصبية عليهم جميعاً كما زعم ابن خلدون وانما حفظوا بها كيانهم كسائر قبائل العرب ولما جاءت حادثة الفيل واهلك الله تعالى أبرهة وجيشه لما أراد هدم الكعبة الشريفة سببت لهم احترام العرب جميعاً وأكدت احترامهم لبيت الله تعالى زيادة على ما كان له من التعظيم فى قلوبهم لما دفع الله تعالى به عنه وعنهم من كيد ذلك الطاغية وجيشه الجرار لا للعصية والتقدم المزعومين لهم على سائر بطون العرب ولأجل ذلك قالت العرب فيهم (اهل الله دافع عنهم) ، وتقدم ان حادثة الفيل كانت ارهاصاً (اى دليلاً من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام)

افتراؤه على أمير المؤمنين

على بن ابى طالب كرم الله وجهه فى الخلافة

قال فى آخر صفحة ١٥٩ مانصه : (ورأى التخصيص بالقرابة القرية كان اعلى بن ابى طالب ومن شايعه وكان يرى نفسه احق بالخلافة من سواه لقرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما صرح بذلك فى حديث مع ابى بكر ولما لم يكن له مساعد يساعده على نيل ذلك الحق الذى رآه لنفسه أذعن لرأى الجمهور) ، اقول كلامه هذا باطل من اثني عشر وجهاً . (الاول) لم تذكر كتب الصحاح والمسائيد بل ولا كتب التاريخ وابرزها واقربها تناولوا لكل طالب علم ابن جرير وابن الاثير أن علياً رضى الله تعالى عنه ومن شايعه قال الخلافة مخصصة بينى هاشم لا تكون فى غيرهم من قریش فمن تنحى كل من تخصص فى التاريخ من المعاصرين واغتر

بكلامه هذا ان ينقل لنا فريته هذه عن مؤرخ اسلامي مشهور اما هو فقد مضى الى الديان وسيجازيه جزاء النواصب الأفاكين . (الثاني) روى ابن اسحق في سيرته في مرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي توفي فيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها قال (خرج يومئذ علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه على الناس من عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له الناس يا أبا حسن كيف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال اصبح بحمد الله تعالى بارئاً ، قال فأخذ العباس بيده ثم قال يا علي انت والله عبد العصا بعد ثلاث . أحلف بالله لقد عرفت المسوت في وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما كنت اعرفه في وجوه بني عبد المطلب فانطلق بنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فان كان هذا الامر فينا عرفناه وان كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس ، قال فقال له علي اني والله لا افعل والله لان منعناه لا يؤتينا أحد بعده اه) فهذه القصة صريحة في براءة علي وعمه العباس وجميع بني هاشم مما افتراه عليهم من تخصيص الخلافة بهم .

(الثالث) حكمه برأيه الفاسد على ضمائر القلوب وما في القلوب لا يعلمه الا الله بقوله (وكان يرى نفسه احق بالخلافة من سواه) ورأى هنا علمية قطعاً أي يعلم نفسه احق بالخلافة من غيره ولا سبيل للمعرفة أن عليا كان يرى نفسه إلى آخر الهراء إلا من وحي شيخه ..

(الرابع) لو فرض صحة هذا الافتراء عليه بانه كان يرى نفسه الخ لكان احتجاجه بالقرابة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله (لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم) صحيحاً لان الشيخين رضي الله تعالى عنهما قد احتجباها على الانصار رضي الله تعالى عنهم وقد تقدم صريحاً في كلامهما الذي نقلناه في محاورتهما لهم وقوله مؤيداً فريته (كما صرح بذلك في حديث مع ابي بكر) غير صحيح وعلى فرض صحة هذا الحديث من علي مع ابي بكر رضي الله تعالى عنهما هو حجة عليه وهو الوجه . الخامس - وقد ذكره ابن جرير من طريق الزهري مطولاً ومضمونه

ان عليا وبنى هاشم لم يبايعوا الصديق إلا بعد ستة أشهر بعد وفاة فاطمة
رضى الله تعالى عنها وان أبا بكر أتاهم ، وقص حديث علي الذي أشار إليه
المحاضر محتجاً به على فريته وهو حجة عليه منه ، (فقام على فحمد الله تعالى
وأثنى عليه ، بما هو أهله ثم قال أما بعد : فإنه لم يمنعنا من ان نبايعك يا أبا بكر
انكار لفضيلتك ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله اليك ولكننا كنا نرى أن لنا
في هذا الأمر حقاً فاستبددتم به علينا ثم ذكر قرابته من رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وحقهم . فلم يزل على يقول ذلك حتى بكى أبو بكر اه) فهذا
كلام واضح صريح من علي في أفضلية الصديق رضى الله تعالى عنه وكونه
مع نبي هاشم يرون لهم حقاً في الخلافة حق وصدق وصحيح فان كل بطن
من بطون قريش لهم حق فيها لأنها فيهم كلهم لقوله عليه الصلاة والسلام
« الأئمة من قريش » فليتأمل القارئ اللبيب كيف حرف كلامه (كنا نرى
أن لنا في هذا الامر حقاً) لنصبه الى اسم التفضيل فقال (كان يرى نفسه
أحق بالخلافة من سواه) والفرق بين كون الشخص يرى له حقاً في شيء
مع غيره من الناس وبين كونه يرى نفسه أحق بذلك الشيء من غيره يعرفه
صغار الطلبة فكيف بمحاضر التاريخ الاسلامي صاحب المؤلفات العديدة
ولم يكتب بهاتين الفريتين في أبي الحسن وهما كونه يرى تخصيص الخلافة
بالقراية القرية وكونه يرى نفسه أحق بها من غيره بل ضم اليهما الثالثة وهو
سعيه لنيل ذلك الحق ولكن لما لم يجد مساعداً له عليه أذعن لرأى الجمهور
قال (ولما لم يكن له مساعد يساعده على نيل ذلك الحق الذي رآه لنفسه
أذعن لرأى الجمهور) ويبتل هذه القرية . السادس - وهو أن حيدر رضى
الله تعالى عنه كان مغتبطاً بخلافة الصديق لم يسع لنفسه في نيلها وهذه كتب
التاريخ الاسلامي ترد هذه القرية فلو سعى لطلبها لنقلت ذلك ولو برواية
ضعيفة لكنها لم تنقله . السابع - وقعت لابن سفيان بن حرب شبهة القومية
فأقبل بعد بيعة أبي بكر رضى الله تعالى عنه : وهو يقول إنى لأرى عجاجة
لا يطفئها إلا دم يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم أين المستضعفان

أين الأذلان على والعباس ما بال هذا الأمر في أقل حى من قریش ثم قال لعلی
ابسط يدك أبايعك فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً ، فأبى على
رضى الله تعالى عنه عليه فتمثل بقول المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان غير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يبكى له أحد
فزجره على رضى الله تعالى عنه وقال والله انك ما أردت بهذا إلا الفتنة
وانك والله طالما بغيت للإسلام شراً لا حاجة لنا فى نصيحتك ، ووقعت
لابن عمه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو
من السابقين الى الاسلام. وهاجر الهجرتين لقي علياً وعثمان بن عفان رضى
الله تعالى عنهم جميعاً. بعد بيعة أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال يا أبا الحسن
يا بنى عبد مناف أغلبتم علياً - يعنى الخلافة - فقال له على أمغالبه ترى أم
خلافة ، فهاتان القصتان تبطلان فرياته الثلاث وتدلان على اغتباط أبى
الحسن ورضاه بخلافة الصديق مع وجود المساعدة القوي له على نيلها وبه وبغيره
من الأوجه. ظهر فساد قوله (ولما لم يكن له مساعد يساعد على نيل ذلك الحق
الذى رآه لنفسه اذ عن لرأى الجمهور) وانه قطعاً أحموقة الراضية التى
يسمونها التقية وهى رزية لا تقيه. وظهر أن المحاضر لا يبالي بتاريخ
الإسلام أن يجمه من هواه. ومن المذاهب الفاسدة. ومن آراء المستشرقين
والماديين وغيرها .

(الثامن) إن علياً رضى الله تعالى عنه قد بايع الصديق رضى الله تعالى
عنه فى ثانى يوم السقيفة ولم يفارقه فى سفر ولا حضر. وقد حضر معه قتال
الأعراب المرتدين بذى حسا والأبرق وذى القصة حقه الحافظ بن كثير
فى البداية قال وما ذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره من الأخبار
المخالفة لما فى الصحاح فهى مردودة على قائلها وناقليها اه . ويستلزم قوله
يرى نفسه أحق بالخلافة من سواه انه يرى نفسه أفضل الصحابة على الاطلاق
وسياتى ما يدل على هذا البهتان فى كلامه كله ويطلبه ثناء على رضى الله تعالى

عنه وأهل بيته على الشيخين رضى الله تعالى عنهما وتفضيلهما مع عثمان على نفسه. وتهديد من فضله عليهما بحد المفترى أى القاذف .

(التاسع) ثناؤه على الصديق الاكبر الشفاء البليغ أخرج البزار عن محمد ابن الحنفية عن أبيه على رضى الله تعالى عنه . انه خطب فقال: من أشجع الناس؟ فقالوا أنت فقال أما إني ما بارزنى أحد إلا انتصفت منه ولكنه أبو بكر لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخذته قریش فيجؤه هذا وهذا يتلقاه ويقولون له أنت تجعل الآلهة إلهاً واحداً فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول ويلكم . أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله، ثم بكى على ثم قال أنشدكم الله أمؤ من آل فرعون أفضل . أم أبو بكر . فسكت القوم فقال على . والله لساعة من أبى بكر خير منه ، ذاك رجل يكم إيمانه وهذا يعلن بإيمانه .

(العاشر) ثناؤه على عمر رضى تعالى عنه الشفاء البليغ صح عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر أن علياً رضى الله تعالى عنه وقف على عمر رضى الله تعالى عنه بعد ما مات وهو مسجى وقال: (ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أحداً . أحب إلى أن ألقى الله تعالى بصحيفته من هذا المسجى) وفى رواية صحيحة انه قال له وهو مسجى صلى الله عليك ودعا له .

(الحادى عشر) قال ابن كثير فى البداية قد ثبت عنه بالتواتر انه قال على منبر الكوفة : (ايها الناس ان خير هذه الامة بعد نبياها ابو بكر ثم عمر ولو شئت ان اسمى الثالث لسميت ثم قال وهو نازل من المنبر عثمان) وأخباره رضى الله تعالى عنه بكون الشيخين خير الامة ثبتت عنه من رواية ابنه محمد بن الحنفية وابى جحيفة العامرى وجاءت عنه من طرق كثيرة بحيث يجزم من تتبعها بصدور هذا القول من على . قال الذهبي وقد تواتر ذلك عنه فى خلافته وكرسى مملكته وبين الجرم الغفير من شيعته ثم بسط الاسانيد الصحيحة فى ذلك قال: ويقال رواه عن على نيف وثمانون نفساً وعد منهم جماعة . والرافضة وأذناهم لما لم يمكنهم انكار صدور هذا القول منه لظهوره

عنه بحيث لا ينكره الا جاهل بالآثار أو مباحث ، قالوا انما قال على ذلك تقية ، وما احسن ما ابطل به الباقر هذه التقية المشثومة لما سئل عن الشيخين فقال انى أتولاهما فقبل له انهم يزعمون ان ذلك تقية ، فقال انما يخاف الاحياء ولا يخاف الاموات فعل الله بهشام بن عبد الملك كذا وكذا اخرجه الدارقطنى وغيره ، وهشام إذ ذاك خليفة فلم يخف منه .

(الثانى عشر) ثبت عنه رضى الله تعالى عنه انه قال من فضلنى على ابى بكر وعمر جلدهته حد الفرية ، واخرج الحافظان أبو ذرى الهروى والدارقطنى من طرق ان بعضهم مر بنفر يسبون الشيخين فاخبر علياً وقال لولا انهم يرون انك تضرر ما اعلنوا ما اجترأوا على ذلك فقال على أعوذ بالله رحمهما الله ، ثم نهض فأخذ بيد ذلك المخبر وادخله المسجد فصعد المنبر ثم قبض على لحيته وهى نيضاء فجعلت دموعه تتحادر على لحيته وجعل ينظر البقاع حتى اجتمع الناس ثم خطب خطبة بليغة من جملتها ما بال أقوام يذكرون أخوى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووزيريه وصاحبيه وسيدى قریش وأبوى المسلمين وأنا برىء مما يذكرون وعليه مهاقب صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجد والوفاء والجد فى أمر الله تعالى . يأمران وينهيان ويقضيان ويعاقبان . لا يرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كرايها رأياً ولا يحب كحبهما حباً لما يرى من عزمهما فى أمر الله . فقبض وهو عنهما راض . والمسلمون راضون . فما تجاوزا فى أمرهما وسيرتهما رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره فى حياته وبعد ماته فقبضا على ذلك رحمهما الله تعالى ، فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن فاضل ولا يبغضهما ويخالقهما إلا شقى مارق ، وحبهما قرابة وبغضهما مروق ، ثم ذكر أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا أبى بكر بالصلاة وهو يرى مكان على ثم ذكر أنه بايع أبابكر ثم ذكر استخلاف أبى بكر لعمر . قال : ألا ولا يبلغنى عن أحد انه يبغضهما الا جلدهته حد المقتري اه .

(٢٥ - تحذير العبقرى)

افتراؤه ايضاً على وعلى التاريخ الاسلامي

قال في صفحة ١٦٠ (مكث الرأي الاوسط سائداً والاخير خامداً لا يجد له محركا حتى كان آخر عهد عثمان فقام بالحواضر الاسلامية دعاة له ينيهون الناس اليه ويقبحون من خالفه إذ كيف يحرم الخلافة قرابته وهذا موضع من الامة شديد الاحساس فسرعان ما تنبه وقد كان سبباً لخطوب طويلة ومصائب عظيمة ذهب في سبيلها الخليفة الثالث عثمان بن عفان ومع هذا فلم يصف الأمر للخليفة الرابع علي بن أبي طالب لأنه قام في وجهه نصف الامة قادماً اليه من الشمال غير متأثر من تلك الدعوة التي قصد منها اقرار الأمر في نصابه من بيت النبوة وكان هناك تصادم بين الرأيين وقد غلبت القوة واحسان السياسة رأى التخصيص بالقرابة حيث انتهى الحال بظفر معاوية بن أبي سفيان بالخلافة وهو من بني أمية وليس من بني هاشم اه) ، أقول هذا الهراء كله مبنى ومفرع على تقسيمه للخلافة وعلى فرياته الثلاث في علي رضي الله تعالى عنه وقد أبطلت ذلك كله بالبراهين سابقاً فلا رأى أول ولا أوسط ولا أخير .

ومسألة الخلافة انعقد عليها إجماع الأمة بأنها في قریش بعدبيعة الصديق في السقيفة فقله مكث الرأي الاوسط سائداً فاسد وكذلك قوله والاخير خامداً وقوله لا يجد له محركا إلى قوله ذهب في سبيلها الخليفة الثالث عثمان ابن عفان افتراء ايضاً على وعلى التاريخ الاسلامي فان الذين قاموا بالحواضر الاسلامية على أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه مشغبين حتى أدى ذلك إلى قتله شهيداً لم يقوموا لهذا الرأي الذي افتراه على حيدرة وكرر لوكه في مهاراته وانما قاموا عليه لاسباب واهية ترجع الى شيء واحد وهو أن النعمة أبطرتهم لانهم لا صحة لهم ولا بصائر ولا فقه في الدين وإنما هم من الاعراب والمرتدين الذين أرجعوا بسيوف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الى الدين كرها فلما شاركوا الصحابة في فتوحات

فارس والروم تناولوا بذلك على قريش كلها وظنوا أنهم فعلوا أفعالاً في الإسلام لم تقم بها قريش ولا أصحاب النبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجعت اليهم شنشنة الجاهلية التي أخذها نور النبوة . لما توفي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فظهرت تلك الجذوة التي كانت كامنة في صدورهم فطار شررها على الجزيرة كلها وتقوت بأدعياء النبوة المشعوذين فلم يثبت على الإسلام إلا أهل المدينة ومكة والطائف وقرية جوثى بالبحرين فقام أحزم الخلق وأشجعهم وأفضلهم بعد الانبياء، فقضى على المشعوذين وأرجع المرتدين إلى الدين صاغرين بعد ما كانوا يتكلمون به ويكنونه بأبي الفصيل بتلك الزمرة الفاضلة من الصحابة فاندمجوا في الجيوش الفاتحة تحت قيادة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . وكان الفاروق رضى الله تعالى عنه لا يولى على قيادة الجيوش وإمارة الأمصار إلا صحابياً وبالرغم من هذا كله فقد ظهر وميض تلك الجذوة على ألسنتهم بعد وقعة القادسية قال أحدهم .

إذا قتلنا ولا يسكى لنا أحد قالت قريش ألا تلك المقادير
وقال آخر :

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أيم

وسعد هو ابن أبي وقاص الزهري القرشي أحد العشرة المبشرين بالجنة وولاه الفاروق قائداً على جيوش المسلمين بالعراق . ومعنى البيت : يزعم أنهم رجعوا من محاربة أعدائهم وقد قتل كثير من رجالهم فتأيمت نساؤهم أي صرن أيايم ، ولم تتأيم نساء سعد لأنه لم يقتل ، وهذا رمي منه لهذا الصحابي الجليل بالجبن وقد كذب الخبيث فواقف سعد في غزوات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غرر في جبين الدهر وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وقد قال له صلى الله تعالى عليه وسلم يوم أحد : ارم سعد فذاك أبي وأمي ، قال الحاكم : رمى سعد بن أبي وقاص يوم أحد وكان رامياً عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بألف سهم لم يسقط له واحد منها . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول :

سعد بن أبي وقاص يعدد بألف فارس ، اخرجته الملاء في سيرته . وسأل
الفاروق عمرو بن معدى كرب عنه فقال : متواضع في جبايته ، عربي في نمرته
أسد في تاموره ، يعدل في القضية ، ويقسم بالسوية ، وهو لنا كالأب البر
والام المتحننة ، واذا صاح الصائح أسد في تاموره وهو مع ذلك عاتق في
حجبتها من الحياء ولم أر مثله ، فقال عمر لم أر كاليوم ثناء أحسن منه اه .
وقد ولاه الفاروق على الكوفة بعد فتحه عاصمة كسرى (المدائن) فشكاه
أهل الكوفة إلى عمر رضى الله تعالى عنه فأرسل محمد بن مسلمة رضى الله
تعالى عنه اليهم وأمره ان يدور بسعد عليهم قبيلة قبيلة ويناشدهم بالله
ما تقولون في أميركم سعد بن أبي وقاص ، فدار عليهم محمد بن مسلمة به وقال
لهم كما أمره الفاروق فكلهم أثنى عليه إلا رجلا من بني عبس يقال له اسامة
ابن قتادة فانه قام وقال : اما اذ نشدتنا فان سعداً لا يسير في السرية ، ولا
يعدل في القضية ، ولا يقسم بالسوية . فقال سعد رضى الله تعالى عنه وكان
مجاب الدعوة . اللهم ان كان عبدك هذا قام رياء وسمعة وبطراً اللهم أطل
عمره وأدم فقره وعرضه للفتن . قال بعض التابعين فلقد رأيت في شوارع
الكوفة وهو شيخ كبير يتعرض للجوارى أى الشابات يغمزهن أى يسكنهن
فاذا ليم على ذلك قال شيخ مفتون ادركتني دعوة الرجل الصالح سعد بن
أبي وقاص . ولم يقف هؤلاء الاوباش دعاة الفتنة عند هذا الحد في سعد بل
ذهب جماعة من أعراب بني أسد الى عمر وزعموا ان سعداً لا يحسن
الصلاة فعزل له عمر رضى الله تعالى عنهما فلما قدم سعد المدينة قال له عمر
كيف تصلى يا أبا اسحق قال أركد في الاوليين وأحذف الاخيرتين قال ذلك
الظن بك يا أبا اسحق فقال متأسفاً على كون الاعراب الذين ذمهم القرآن
يعرفون الصلاة وهو ذو السابقة في الاسلام يجهلها أبعد اسلامي وهجرتي
وجهادي مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أصبحت أعراب بني
أسد تعزرنى في الدين ، والقصة كلها مسطرة في صحيح البخارى
وقد مهد لهم عزل هذا السيد الجليل سبيل نشر فتنتهم ضد قریش

والخلفاء وجرأهم بعد على امير المؤمنين عمر فلم تبق له في نفوسهم
حرمة ولا هيبة فكانوا بعد هذه الجريمة التي ارتكبوها في سعد رضى الله
تعالى عنه كلما ولى عليهم امير شكوه اليه لا تفه سبب فيعزله عنهم فمن تولى
عليهم وعزل عمار بن بن ياسر رضى الله تعالى عنه حتى اضجروه واتعبوه
رضى الله تعالى عنه فدعا الله تعالى في آخر حجة حجها فقال اللهم قد كبرت
سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعتى فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مفتون ،
وقال بعد ما طعنه ابو لؤلؤة اوصى الخليفة من بعدى باهل الكوفة ان طلبوا
كل يوم عزل امير وتولية آخر ان يفعل ، وكان قتله رضى الله تعالى عنه
كسراً لباب هذه الفتنة التي كان يدرؤها ويرقع فتقها بحزمه كما في حديث
حذيفة عند الشيخين أن عمر رضى الله تعالى عنه الباب الذي بين المسلمين
وبين الفتنة وان ذلك الباب يكسر وكسره هو قتله فاذا قتل عمر رضى
الله تعالى عنه انفتح باب الفتنة بين المسلمين بالسيف ولا يغلق الى يوم
القيامة فما تولى عثمان رضى الله تعالى عنه الا وقد انتشر شر هذه الفتنة
ضد قریش و خلفائهم فانضم أهل البصرة إلى اهل الكوفة فصار العراق كله
عشاً لقادتها ثم انزوى تحت لوائها المصريون فما مضت سنون من خلافة ذى
النورين حتى اصبح لها جيش جرار شبيها بالتشغيب ضده بطراً ثم بالذهاب
اليه وحصاره بالمدينة وقتله رضى الله تعالى عنه ، وما خوارج حروراء الذين
قتلهم امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه بالنهر وان ، وكل
من خرج بعدهم على الخلفاء الاسرية من هذ الجيش وفصيلة من تلك القبيلة
وغصن من اغصان هذه الشجرة الخبيثة التي غرست في زمان عمر وبقيت
اغصانها تذبل وتيبس وتخضر وتورق بحسب الظروف وقدمات جل مصايح
الأمة وقادتها الكرام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في خلافة عثمان
رضى الله تعالى عنه فخلصت قيادة الجيش والرياسة لجل هؤلاء فوجدوا
لهم مرتعاً خصيباً فخرجوا عليه رضى الله تعالى عنه حتى قتلوه ظلماً فهم
اول الخوارج واسهم ، وبهذا ظهر اقترأوه على حيدرة وعلى التاريخ

الإسلامي ، وهذه الفرية الرابعة في حق علي رضي الله تعالى عنه . وقوله
(ومع هذا فلم يصف الأمر للخليفة الرابع علي ابن ابى طالب لانه قام في
وجهه نصف الامة الى آخر الكلام) مشتمل على (ثمان فريات) ايضاً ،
فتعليل عدم صفاء الامر لعلي بقيام معاوية في وجهه فاسد وغباوة وجهل
بتاريخ البشر ومن الذي صفت له اموره كلها من عباد الله المخلصين فهذا
سيد الخلق محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذبه جل
قومه ونصبوا له العداوة والبوا عليه العرب فلما ادخلهم في الدين الحق عام
الفتح بنتت له هو ازن ففضى عليهم ثم تلاهم اهل الطائف فلما
ثاب هؤلاء الى الحق في السنة التاسعة من هجرته صلى الله تعالى عليه وسلم
نجم مسيلمة باليامة فادعى النبوة وكتب اليه عليه الصلاة والسلام يزعم انه
شرك معه في النبوة وان له ولقومه نصف الارض ولقريش نصفها
فأغوى جل قومه ، ثم تلاه الاسود العنسي باليمن ، وطليحة بن خويلد
الاسدي قرب المدينة ، وفي الحديث الصحيح انه عليه الصلاة والسلام قال
(رأيت كأن في يدي سوارين من ذهب ففكرت هتما فلوحي الى ان انفخهما
فنفختهما فطارا فاولتها بهذين الكذابين اللذين أنا بينهما الاسود ومسيلمة)
فلقى عليه الصلاة والسلام ربه جل وعلا ، وقد جاءت البشري لصديقه
بقتل الاسود الكذاب ولكن أكثر العرب رجع الى دين الجاهلية ، فنجم
ايضا كذابان لقيط الأزدي ذو التاج بجنوب الجزيرة وسجاح بنت الحارث
في شمالها الشرقي فأصبح الصديق يعانى أمر أعجز عن حمله شوامخ الجبال فقابله
بحزم وشجاعة يعجز عنها أبطال البشر غير الأنبياء فأنفذ جيش إسامة الذي
جهزه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الشام في آخر حياته وقد عارضه
الصحابة في إنفاذه ، وهاجم المدينة ليلاً أتباع طليحة المتنبئ طمعاً فخرج
الصديق اليهم فيمن بقى من شيوخ المهاجرين والأنصار فكبسهم بذى حسا
فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وهرب بقيتهم إلى الأبرق وجاءهم مدد من قومهم
فخرج إليهم ايضاً في الشيوخ المباركين فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم عقد أحد

عشر لواء لقتال المرتدين بالجزيرة ، ولما فرغ هؤلاء القواد الكرام من العرب وفتحوا أطراف فارس والروم أتى الصديق رضى الله تعالى عنه أجله المحتوم شهيداً وكان رضى الله تعالى عنه قد أكل أكلة قبل موته بسنة مع الحارث بن كلدة الثقفي وكان هذا طيباً فقال له يا خليفة رسول الله ان هذا الطعام فيه سم سنة وأنا وأنت نموت بعد سنة فأتانا في يوم واحد فتولى الفاروق واشتغل المسلمون بآتمام الفتح الذى أسسه الصديق فكره احداث قريش عمر رضى الله تعالى عنه لمنعه لهم من الخروج من المدينة إلى الأمصار فلما تولى عثمان رضى الله تعالى عنه أذن لهم فكان أحب اليهم من عمر . ذكر المؤرخون وأهل الطبقات كابن الأثير وابن سعد فى طبقاته : أن عمر رضى الله تعالى عنه ما مات حتى ملته قريش وملها يعنى الاحداث منهم لا الصحابة وأهل السابقة . وقد أثر عنه انه قال : ما ترك الحق لعمر صديقاً . وما جاء آخر خلافته إلا وقد انقرض كثير من طبقة الصحابة فتغلبت عليهم طبقة المخضرمين والاعراب المرتدين الذين أرجعوا الى الدين كرهاً بسيف أولئك المصاييح البررة فبدأ الخلل وأحس بذلك الفاروق وبالرغم من حزمه المعروف عجز عن مداواة أهل الكوفة لكثرة شكاياتهم لأمرهم العادلين فقال : أعجب لمائة ألف من المسلمين لا يرضون عن أمرهم ما ذا أصنع لهم وتقدمت وصيته رضى الله تعالى عنه لمن يتولى بعده بتنفيذ رغبتهم ودعاؤه . وتولى ذو النورين رضى الله تعالى عنه وقد عظم شرر تلك الجنوة فى آخر خلافته بشكايات أهل مصر وأهل العراقيين لأمرهم وفى آخرها بنهوضهم إليه وحصارهم له وقتله . وهذا عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه عهد إليه ابن عمه سليمان بن عبد الملك بالخلافة . فرد المظالم المغتصبة من أبناء أعمامه لأصحابها فأرادوا القيام فى وجهه فلم يستطيعوا فسدوا عليه سمّاً فمات شهيداً ، فأى صفاء أمر حصل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولخلفائه الثلاثة وعمر بن عبد العزيز مع العبء الثقيل الذى حملوه والجهاد المستمر إلى وفاتهم حتى يقال فى على أنه لم يصف له الامر فليس من شرط

القائم بالحق عند كل من له مسكة من عقل أن يطيعه جميع الناس ويرضوا عنه والناس كلهم لم يطيعوا ولم يرضوا عن خالقهم ورازقهم بل عصاه أكثر خلقه من الثقلين وعبدوا غيره .

(الفرية الاولى) من الثمان قوله قام في وجهه نصف الامة وهذا كذب واضح يدركه كل مسلم فان أهل الشام لم يكونوا ربيع الامة التي بايعت علياً رضی الله تعالى عنه فان قيل مراده بنصف الامة الجيش فان الجيش الذي خرج به معاوية إلى على رضی الله تعالى عنهما قالوا كان تسعين ألفاً وجيش على نحو ثمانين ألفاً . قلت لا يصح إطلاق لفظ الامة على الجيش وحده على أن علياً إنما حارب معاوية بجيش أهل العراق فقط ولم يحاربه بجميع جيوش الاقطار التي بايعه أهلها كالجزيرة العربية ومنها الحرمان واليمن وحضرموت وعمان وجيوش مصر وفارس .

الثانية - قوله قادماً اليه من الشمال فان علياً رضی الله تعالى عنه توجه من المدينة إلى العراق لما بلغه ذهاب عائشة وطلحة والزيد إلى البصرة ليلتلاف أمرهم فتمت المفاهمة معهم واجتمعت كلمتهم لولا أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان رضی الله تعالى عنه فانهم كانوا موجودين في الجيشين فقال بعضهم لبعض . ان اتفق هؤلاء فانهم يتبعوننا ويقتلوننا فاتفقوا على انه اذا جاء الليل رمى بالسهم من في جيش عائشة وطلحة . منهم جيش على ، ورمي من في جيش على منهم جيش طلحة وعائشة فانشبوا الحرب بين الجيشين قالوا فما ينتصر احد الجيشين على الآخر إلا وقد وهنا جميعاً فيدسوننا ، فتمت مكيدتهم على المسلمين وكان أمر الله قدراً مقدوراً . ولما فرغ أمير المؤمنين من أهل الجبل توجه بجيش العراق إلى معاوية بعد اخفاق معالجته بالرسول من المشرق إلى المغرب وخرج معاوية من الشام إلى المشرق فالتقى عنده صفين بطرف الفرات .

الثالثة - قوله غير متأثر من تلك الدعوة الخ يقول (ان معاوية وأهل

الشام ثوجها لمحاربة على غير هائبين ولا متأثرين من تلك الدعوة التي قام بها الخوارج على عثمان بالحواضر الاسلامية وقصدوا منها اقرار الأمر في نصابه من بيت النبوة يعني ارجاع الخلافة لعلي الذي يرى نفسه أحق بها من غيره) ، وهذه فرية عظيمة على معاوية رضى الله تعالى عنه وعلى جميع أهل الشام تقتضى علم جميعهم بأن الثوار الذين قاموا على عثمان رضى الله تعالى عنه بالامصار انما قاموا كلهم لأجل الدعاية لعلي الذي يرى نفسه أحق بالخلافة من غيره فعلم جميعهم بما ذكر فرية باطلة مبنية على باطلة وهي قيام الثوار على عثمان لأجل ذلك وهذه أيضا مبنية على باطلة وهي أن عليا يرى نفسه أحق بالخلافة من غيره ومعاوية ومن معه انما امتنعوا من مبايعة علي وحاربوه من أجل الثوار على عثمان الذين كثير منهم في جيشه ، فطلبوا منه تسليمهم اليهم ليقبضوا منهم ثم . بعد ذلك يبايعوه فقال لهم رضى الله تعالى عنه ادخلوا فيما دخل فيه المسلمون ثم بعد ذلك حاكموهم إلى ، لامن أجل هذه الفريات وهذه كتب التاريخ الاسلامي كلها ناطقة بهذا .

الرابعة والخامسة - قوله وكان هناك تصادم بين الرأيين ، يعنى رأى على وهو تخصيص الخلافة بالقرابة القرية وانه أحق بها من غيره على زعمه ، ورأى معاوية وهو أنها في قریش كلهم لا يختص بها على ، وكفى بهذا البهتان عليهما وقاحة وقلة حياء ، وفي موطأ الامام مالك من كلام النبوة الأولى (اذا لم تستح فاصنع ما شئت) .

السادسة والسابعة والثامنة - قوله (وقد غلبت القوة واحسان السياسة رأى التخصيص بالقرابة حيث انتهى الحال بظفر معاوية بالخلافة وهو من بنى أمية وليس من بنى هاشم اه ، تكذيب التاريخ الاسلامي لوقاحته وسوء أدبه في هذه الفريات الثلاث وهي قد غلبت القوة واحسان السياسة، وظفر معاوية بالخلافة أوضح من الشمس فان التاريخ نقل ان جيش معاوية مع كونه أكثر عدداً من جيش على رفعوا المصاحف على الرماح يدعون إلى كتاب الله تعالى مكيدة لما أشرفوا على فضيحة الهزيمة الكبرى (٢٦ - تحذير العبقري)

وأن القتل فيهم أكثر منه في جيش علي ، قتل منهم خمس وأربعون ألفاً ،
وقتل من العراقيين خمس وعشرون ألفاً ، ولم يقل مؤرخ ينتمي
الى الاسلام ان علياً كان مسيئاً في سياسته ولم يقل مؤرخ مسلم ان معاوية
ظفر بالخلافة وتسمى بها على المسلمين عموماً مدة حياة علي رضي الله تعالى
عنه بل ولا مدة ابنه الحسن ، وهذا المحاضر لا يستحي من كثرة الكذب
والبهتان ، والحياء من الايمان ، ولا شك ان الذي يكذب على الله وعلى
الرسول ويسفه الامة الاسلامية جمعاء كما تقدم في حادثتي الفيل والاسراء
وغيرهما لا يصعب عليه الكذب والبهتان على الخلفاء والتاريخ الاسلامي ،
ثم بنى على فريته في علي انه يرى تخصيص الخلافة بالقرابة القرابية وانه
احق بهامن غيره عقيدة الشيعة وخروج بعض ذريته على الملوك فثر بكلام
كثير منه . (مازال ابناء علي يرون هذا الحق لهم ارثاً لا ينازعهم فيه الا ظالم
وتتمنى قلوب شيعتهم أن ينالوا هذا الحق فيحملون الواحد منهم بعد الواحد
على الخروج فيخرجون وتكون العاقبة قتلاً وتمثيلاً) فبب ان الشيعة
كانوا يعتقدون وجوب تخصيص الخلافة بعلي واولاده كما يعتقدون فيه
غير هذه كثيراً من الاباطيل التي نسبوها اليه والى الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم كاعتقادهم انه وصى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على الخلافة بل
تغالوا فيه الى ان الهوه وكفروا الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وخطوا مقام
النبوة وخونوا جبريل عليه السلام في الرسالة ، فهل يقول عاقل أن علي على
تبعة خباثتهم هذه ، وقد كان كثير من عوام الشام - يعتقدون في ملوك بني امية
انهم هم قرابة الرسول لا غيرهم وانهم معصومون ويلعنون علياً على
المنابر قالوا حتى ترك اهل حران من حمقهم صلاة الجمعة خلف امام لم
يلعن علياً ، وقد نقل التاريخ غلب بعض امرائهم كاللجج وخالد بن عبد الله
القسري فيهم وفي الخط من علي ما تقشعر له الا بدان ، فهل علي بن امية
ذنب وتبعة بسبب هذه العقائد الفاسدة اذا لم يأمر وهم بها وبالرغم من ذهاب
دولتهم ومجيء الدولة العباسية بقي فيهم بعض العقائد وهي تفضيل معاوية
على علي ، فقد جاء الرملة بعد الثلاثمائة الامام المحدث النسأى المشهور

فسأله أهلها عن أيها أفضل ، فقال لهم أما يرضى معاوية أن يساوى علياً حتى
يفضل عليه فداسوه بالأقدام حتى ذهب ضحية تعصبهم شهيداً رحمه الله
تعالى ، فقوله مازال أبناء علي إلى آخر الكلام فرية أيضاً على الأبناء
الخارجين على الملوك مبنية على فرياته في أيهم وقد أبطلتها وحكم فاسد
منه على ضمائر قلوبهم ومن أين له أنهم كانوا يعتقدون ذلك الحق الذي
اقتراه على أيهم وعليهم فيخرجون لأجله وإن شيعتهم هم الذين يحملونهم
على الخروج، وهذا التاريخ الإسلامي يكذبه يدل على أن شدة الحيف
عليهم هي التي ربما تحمل بعضهم على ذلك . فهم كغيرهم من الناس
خروج من خرج منهم فأخفق وقتل ونجاح من نجح منهم فصارت له دولة
في الشرق أو في الغرب ليس مبنياً على افتراءه وإنما هو عادة بشرية
لا يستنكرها إلا جاهل بتاريخ البشر . وقد خرج كثير من الناس غيرهم
على العباسيين فأخفق بعضهم ونجح البعض فصارت لهم دول ، وهذا في
التاريخ الإسلامي أشهر من نار على علم وعلى تقدير صحة خروجهم
لاعتقادهم أن الخلافة خاصة بهم أي وزر على أيهم في هذا الاعتقاد الفاسد
وقد قال تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ فهو بريء منه كبراءة الذئب
من دم يوسف عليه السلام .

والناس من يلقى خيراً قائلون له ما يشتهي وإلام المخطيء الهبل

وفيها أيضاً قال : (ولكن بنو العباس جدت عندهم فكرة الدعوة إلى
انفسهم بعد وفاة أبي هاشم بن محمد بن علي عن غير عقب فزعموا أنه أدلى
بالامر إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس اه) قوله في أبي هاشم عبد الله
ابن محمد المشهور بابن الحنفية ابن علي أنه توفي عن غير عقب غير صحيح
بل له عقب . وقوله زعموا أنه أدلى بالامر يعني الخلافة إلى محمد بن علي
ابن عبد الله بن العباس هذا أمر محقق وليس بزعم وقد نقله التاريخ قالوا
وفد أبو هاشم من المدينة إلى الشام على سليمان بن عبد الملك فأكرمه
وقضى حوائجه ورأى من علمه وفصاحته ما حسده عليه فوضع عليه من

وقف على طريقه وهو راجع إلى الحجاز، فسمه في ابن فلما أحس أبو هاشم بالشر قصد قرية الحيمة من أرض الشراة وبها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فنزل عنده حتى مات وأعلمه أن هذا الأمر صائر إلى ولده وعرفه كيفية بث الدعوة .

انتقاده الخلافة مطلقاً

قال المحاضر في آخر صفحة (١٦١) (هذا كان شأن الاختلاف، في البيت الذي يكون منه خليفة المسلمين ، شكل الانتخاب لم يرد في الكتاب أمر صريح بشكل انتخاب خليفة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم الا تلك الأوامر العامة التي تتناول الخلافة وغيرها مثل وصف المسلمين بقوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) ، وكذلك لم يرد في السنة بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة إلا بعض نصائح تبعد عن الاختلاف والتفرق كان الشريعة أرادت أن تنكل هذا الأمر للمسلمين حتى يحلوه بأنفسهم ولو لم يكن الأمر كذلك لمهدت قواعده وأوضحت سبله كما أوضحت سبل الصلاة والصيام وغيرهما اه) . أقول يريد بقوله هذا كان شأن الاختلاف في البيت الذي يكون منه خليفة المسلمين ، الاختلاف الذي حصل بين بني هاشم وبني أمية وبين بني العباس والعلويين من بني هاشم على الخلافة والملك وباب الاختلاف بين المسلمين بالسيف والفتنة قد فتح بقتل الفاروق رضى الله تعالى عنه كما في حديث حذيفة بن اليمان في الصحيح وقد تقدم بل هو مسألة طابها عليه الصلاة والسلام من ربه فلم يعطها كما في الحديث (سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني الثالثة سألته أن لا يهلك أمتي بالخسف أو المسخ فأعطانيها ، وسألته أن لا يسלט عليهم عدواً من غيرهم حتى يستأصلها فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها) وحينئذ فالتنازع بين المسلمين مفروغ منه بل هو سنة كونية مهيودة في بني آدم منذ النشأة ، وقوله شكل الانتخاب لم يرد في

الكتاب إلى قوله وأمرهم شورى بينهم، تقدم الجواب عنه في صدر بحث الخلافة، وقوله وكذلك لم يرد في السنة بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة إلى قوله والتفرق تقدم الجواب عنه أيضاً بما يشفي ويكفي غير المنتطع وقوله كأن الشريعة أرادت أن تكل هذا الأمر للمسلمين حتى يحلوه بأنفسهم ، غير صحيح فان أدلة الشريعة العامة والمطلقة كتاباً وسنة قد أرشدت الأمة إليه وقد تقدم ذكرها. نعم تعيينه بشخصه موكول إلى أهل الحل والعقد منهم حيث ان الامام حق واجب عليهم لمصالحهم الدينية والدنيوية وقوله ولو لم يكن الامر كذلك لمهدت قواعده وأوضحت سبله كما أوضحت سبل الصلاة والصيام وغيرهما مبني على نفيه وورود شكل الانتخاب في الكتاب وورود بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة في السنة يعني لو لم يكن أمر الخلافة كما قلت من عدم ورود شكل انتخابها في الكتاب وعدم ورود بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة في السنة بل ورد فيهما مانقيته لمهدت قواعده إلى آخره وهو فاسد من خمسة أوجه . (الأول) الخلافة من مسائل الفروع وليست من الأصول والقواعد وقد جعلها بجملها من القواعد كالصلاة والصوم. بقوله ولو لم يكن الأمر كذلك لمهدت قواعده وأوضحت سبله . (الثاني) هي حق واجب على الأمة لمصالحهم فيكفي في اثباتها أدلة الكتاب العامة والمطلقة ودليل السنة المتواتر المعين لها قبيلة ، فشكل انتخاب الخليفة والنظام الخاص به اذا موكول لاهل الحل والعقد من الأمة، وقد أوضحته وعينته ونظمته سنة الخلفاء الراشدين المهديين وجماعة المسلمين ، فالنافي شكل انتخابها من الكتاب وبيان نظام خاص بها في السنة خاطيء خطأ قبيحاً منتطع غير واثق بأدلة الكتاب العامة والمطلقة ولا ببيان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وغير متبع سبيل المؤمنين . (الثالث) حيث ثبت أنها من مسائل الفروع فحلها بتعيين الكفء لها من حق الأمة أهل الحل والعقد فاناطة تعيين ذلك بالكتاب والسنة عبث واهدار لمواهب عقول الأمة التي مدحها الله تعالى في كتابه العزيز في

آيات كثيرة والكتاب والسنة لم ينصا على كل فرعية تقع للمكلفين في الكون ومن يدعى ذلك فهو كاذب معاند، وإذا كانت كل فرعية كهذه تتوقف على تعيين الله تعالى وتعيين الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فأى فائدة حينئذ في مدحه تعالى للعلماء المستنبطين والراسخين في العلم. (الرابع) مضى على هذه الامة المرحومة المبرزة على جميع الامم بكثرة العلماء والمؤلفين الفوثلاثمائة وثلاثة وسبعون عاما ولم يقل مؤرخ منها أو غير مؤرخ ان شكل انتخاب الخليفة لم يرد في الكتاب وكذلك لم يرد في السنة بيان نظام خاص لانتخابه على اختلاف مذاهبهم فيها. (الخامس) يلزم من منطوق كلامه هذا الطعن في الاجماع اجماع الصحابة على خلافة أبي بكر واجماعهم على خلافة الفاروق بعد استخلاف الصديق له واجماعهم على خلافة ذى النورين واجماعهم على خلافة حيدرة من باب أولى ولا يقال انه اعترف بالاجماع لأنه قال (كان الشريعة أرادت ان تكل هذا الأمر للمسلمين حتى يحلوه بأنفسهم) لأننا نقول هذا الكلام متضارب متناقض فاسد وبيانه انه قال كأن الشريعة أرادت ان تكل هذا الأمر للمسلمين الخ ومقصوده بالشريعة الكتاب والسنة فصار حل المسلمين لها أى اجماعهم ليس من الشريعة بمنطوقه ، وقد اتفق المسلمون على أن أصول الشريعة أربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس . وقد جمع هذا المحاضر كتابا في أصول الفقه على هذه الاربعة طبعه انتقد في مقدمته عموم الاصوليين وخصوصا منهاج البيضاوى وجمع الجوامع لابن السبكي وتحرير ابن الهمام، وزعم انه لم يعن أحد بالكتابة في الاصول التي اعتبرها الشارع في التشريع ، وان أحسن من رآه كتب في ذلك أبو اسحق الشاطبي في موافقاته وانه كلف في سنة ١٩٠٥ م ان يملى دروسا في أصول الفقه على طلبة كلية غردون الذين يربون ليكونوا قضاة بمحاكم السودان الشرعية قال (وان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده لما زارهم أشار عليه بمطالعة كتاب الموافقات وصاحب الموافقات وان أجاد في الإسلوب الذي ابتكره في أصول الفقه إلا أن ارتباط كلامه

بعضه ببعض واسمها به خرج بكثير من مسائله عن الفن الى التفسير
كالسائلة لا يستطيع الخضرى ولا من هو أكبر منه ان يقتصر عليه دون
كتب هذا الفن فى تحصيله أو التأليف فيه على أن أبا اسحق وفق
بكتابه هذا الذى أشاد بمدحه هو وشيخه بين مذهبي الامامين مالك وأبي
حنيفة وما كان متبخاخا ولا متوقفا على عباد الله ولا مزديا لعلماء الاسلام
وتأليفه فيه انما هو مرتب ومستفاد من تلك الكتب التى ذمها واذم أصحابها وهذا من
نكران الجميل وأصله الإعجاب بالنفس وقدورته من شيخه محمد عبده وقد كان هذا
وكثير من تلامذته يذمون فقه المذاهب الأربعة يزعمون أنه حال بين المسلمين
وصلتهم بالكتاب والسنة حيث يأخذون دينهم بأصوله وفروعه منهما
ولكنهم يحتاجون اليه فيما يهونونه من المسائل والفتاوى وهم دائما محتاجون
اليه والى أتباعه وان ذموه وذمهم ومن منعهم من أخذ دينهم منهما مباشرة
وهم أحرار وكتب المذاهب المدونة وأتباعها ليس لديهم مدافع وقنابل حالوا
بها بينهم وبين كتاب الله وسنة رسوله . فالطريق واسع أمامهم مأمون
فليخرجوا من هذه الكتبية وليفهموا منهما دينهم فهما لا يناذ لغة الضاد
والسواد الأعظم . ولو وقف هؤلاء فى ثقهم بأنفسهم واعجابهم بها عند
العلماء وفقه المذاهب لكانت علينا المصيبة ولكنهم ترقوا إلى الطعن فى
الصحابة حملة الدين والدنيا الينا وتحريف كتاب الله تعالى بالتأويلات الفاسدة
والطعن فى سنته عليه الصلاة والسلام وانكارها ما لم توافق أهواءهم ثم
ذكر المحاضر طرائق الخلافة الثلاث التى سنها الخلفاء الراشدون وأجمع
عليها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . (١) انتخاب الصديق لها قال فيها
(وقد أثر عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال كانت بيعة أبى بكر فلتة وقى
الله شرها ، قال ذلك لما علم أن بعض الناس قال لو أن أمير المؤمنين مات
لبايعت فلانا : مضت هذه البيعة من غير أن يتبين للناس البيئة التى لها الحق
فى انتخاب الخليفة إلا أنها سنت الانتخاب من حيث هو) قوله وقد أثر
عن عمر رضى الله تعالى عنه إلى قوله وقى الله شرها معناه وقاهم مافى العجلة
غالبا من الشر لأن العادة أن من لم يطلع على الحكمة فى الشيء الذى يفعل

بلغته لا يرضاه وقد بين عمر رضى الله تعالى عنه سبب إسرارهم ببيعة أبي بكر لما خشوا أن يبائع الانصار سعد بن عباد رضى الله تعالى عنهم قال أبو عبيد عاجلوا ببيعة أبي بكر خيفة انتشار الأمر وأن يتعلق به من لا يستحقه فيقع الشر ، والمراد أن أبا بكر ومن معه من المهاجرين تفلتوا في ذهابهم إلى الانصار فبايعوا إيا بكر بحضرتهم وفيهم من لا يعرف ما يجب عليه من بيعته فقال منا أمير ومنكم أمير ، فالمراد بالفلتة ما وقع من مخالفة الانصار وما أرادوه من مبايعة سعد بن عباد رضى الله تعالى عنه في بدء الأمر ، فابتدأوا ما كان من غير ملاء كثير والشئ إذا كان كذلك يقال له الفلتة فيتوقع فيه ما لعله يحدث من الشر بمخالفة من يخالف في ذلك عادة فكفى الله تعالى المسلمين الشر المتوقع في ذلك عادة ، لا أن بيعة أبي بكر رضى الله تعالى عنه كان فيها شر وقوله قال ذلك لما علم إلى آخر المقول صحيح ولكن لا دلالة فيه على أن بيعة الصديق رضى الله تعالى عنه غير تامة وقد وضحت معناه ولا حجة أيضا في قول ذلك القائل لو أن أمير المؤمنين مات لبايعت فلاناً حتى على ما قاله المسلمون في تعريفها أنها حق واجب على المسلمين وجوباً شرعياً كقائياً إذا قام بهذا الواجب من يعتد به ممن هو من أهل الحل والعقد من تيسر حضوره من غير اشتراط عدد ولا اتفاق من سائر البلدان سقط عن الباقي بل لو تعلق الحل والعقد بواحد مطاع كفت بيعته ودل كلام الفاروق هذا الذى نقل المحاضر بعضه وكله منقول فى الصحاح والتاريخ على ان هذا القائل غير مطاع بل هو من المتمنين المنسرعين، وعلى رأى المحاضر الذى يشترط فى صحة بيعة الخليفة اتفاق رأى جميع الحواضر الاسلامية كما سيأتى فى نقده خلافة حيدرة لا حجة فيه من باب أولى وقوله (مضت هذه البيعة من غير أن يتبين للناس البيئة التى لها الحق فى انتخاب الخليفة الا انها سنت الانتخاب من حيث هو ،) باطل فان المسلمين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، قد تبين لهم وعلو أن أهل الحل والعقد الذين تنعقد بهم بيعة الخليفة لا يتقيدون ببيئة مخصوصة لأن المبايعين

له في السقيفة جماعة من الانصار ولم يحضرها جلهم ومن المهاجرين القرشيين
عمر وابو عبيدة فقط ولم يقل شخص ينتسب الى الاسلام ان هذه البيعة
ناقصة غير تامة ولا ان هذا الانتخاب ناقص لانه (لم يتبين فيه للناس
البيئة التي لها الحق في انتخاب الخليفة) ماعدا الرافضة ومبايعته رضى الله
تعالى عنه في اليوم الثاني بالمسجد البيعة العامة انما هي مؤكدة للاولى
وليحضرها من كان بالمدينة من المسلمين ، هكذا يتخبط هذا المحاضر في
ابطال اجماع سادات هذه الامة الصحابة على بيعة الصديق رضى الله تعالى
عنه بما يميله عليه الشيطان فقال سابقاً (١) لم يرد في الكتاب امر صريح
بشكل انتخاب الخليفة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال (٢) لم يرد
في السنة بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة وقال هنا (٣) مضت هذه البيعة
من غير أن يتبين للناس البيئة التي لها الحق في انتخاب الخليفة الا انها سنت
الانتخاب من حيث هو (٢) وقال في الطريقة الثانية ان يعهد الخليفة الموجود
الى شخص آخر بعده بالخلافة وهى الطريقة التي كان بها انتخاب عمر بن الخطاب
حيث اختاره ابو بكر وقد قال للناس (هل رضيتم من اخترته فقالوا نعم)
أقول أن الصديق رضى الله عنه أمر عثمان رضى الله عنه بكتابة العهد بالخلافة
لعمر وهو مريض ولم يقل للناس شيئاً ولم يقو لولا له شيئاً فقول له (وقد قال للناس
- هل رضيتم من اخترت فقالوا نعم) افتراء عليه وعلى التاريخ وهو بين أيدينا
قال ابن الأثير في كامله ودخل طلحة بن عبيد الله على ابى بكر فقال: استخلفت
على الناس عمر وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه فكيف به اذا
خلا بهم وانت لاق ربك فساءلك عن رعيتك ، فقال ابو بكر: أجلسوني
فأجسوه فقال أبالله تخوفنى اذا لقيت ربى فساءلتى قلت استخلف على
اهلك خير أهلك . والمقصود من ذكر هذه القصة ابطال كذبه اتفاق قریش
والمسلمين كلهم على خلافة الفاروق ورضاهم بها وان كان طلحة رضى الله
تعالى عنه اغتبط بعد ذلك بخلافة الفاروق ورضى بها كما اغتبط ورضى بها
المسلمون وهذه القصة وكلام الرجل الذى تقدم ذكره في خلافة عمر قال
(٢٧- تحذير العبقرى)

لومات أمير المؤمنين يعنى عمر لبايعت فلانا وقصة ابى سفيان بن حرب التى تقدمت حين بويع الصديق فى إتيانه علياً وارادته مبايعته وزجر على له كملها تدل على أن اتفاق المسلمين كلهم على مبايعة شخص ورضاهم به احدى المستحيلات .

افتراؤه على الفاروق

فى تنقيص ستة الشورى دفعتين وتكذيب التاريخ له

قال فى الطريقة الثالثة وهى الطريقة التى انتخب بها عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه (فان عمر رضى الله تعالى لما ضرب واحس بالموت خاف أن يترك المسلمين بدون خليفة لئلا يختلفوا ولم يكن أمام نظره من لو استخلفه يكون مطمئن النفس من قبله فلم يشأ أن يتحمل أمر المسلمين حياً وميتاً فاختار ستة من كبار الصحابة وعن يرى انه لا يتطلع لأمر الخلافة غيرهم اه) لا يبالي هذا المحاضر بكثرة التهجم فى الحكم على قلوب أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الطاهرة ولا بكثرة الكذب والافتراء على تاريخهم المجيد ولا يشعر بما يقع فى كلامه من التضارب وسيد الخلق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى لم يحكم على قلوب الناس بل قال (أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر) وقال (أيها الناس انما أنا بشر وانكم تتحاكمون الى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأحكم له على ما أرى فأقطع له قطعة من نار فليأخذها أو ليدعها) بل عامل عليه الصلاة والسلام أخبث الكفار المنافقين على ما تظاهروا به من شعائر الاسلام مع علمه بحالمهم والقرآن فضحهم وهتك سترهم فى آيات كثيرة وفى سورة مخصوصة ، وقال لمولاه ووجه اسامة بن زيد موبخاً له لما قتل الاعرابى الذى مع المشركين بعد ما قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ظننا منه انه انما قالها خوفاً من السيف (هلا شققت عن قلبه حتى تعلم أنه قالها لذلك) فقد حكم هذا المحاضر على قلب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى هذا الكلام مرتين وافتري عليه وخان فى التاريخ المنقول عنه فى ثنائه على ستة الشورى ، فالقرية

الأولى عليه فيه قوله : (ولم يكن أمام نظره من لو استخلفه يكون مطمئن النفس من قبله) . والثانية قوله : (ومن يرى انه لا يتطلع لأمر الخلافة غيرهم) وإذا لم يكن على زعمه أمام نظره من لم تطمئن نفسه اليه من الصحابة لو استخلفه على المسلمين فكيف ساغ له اختيار من لم تطمئن نفسه اليه وإذا لم تطمئن نفسه لهؤلاء الستة وهم نخبة الصحابة فعدم اطمئنانها لبقية الصحابة من باب أولى وينحل هذا الهراء هكذا الصحابة كلهم في نظر عمر غير موثوق بهم للخلافة ، وقد بلغ بهذا الاقتراء على الفاروق من الطعن فيهم وتنقيصهم الغاية القصوى في الحث والوقاحة ولم يكتبف بهذه القرية عليه بل ترقى منها الى أخرى وهى أن عمر يرى أى يعلم انه لا يتطلع لأمر الخلافة غيرهم وهذه الثانية مشتملة على ثالثة. وهما علمه بالمتطلعين للخلافة وحصرهم فى الستة ، وقد كذبه التاريخ الثابت عن عمر رضى الله تعالى عنه فى الشناء عليهم ، قال ابن الاثير فى كامله قال عمر رضى الله تعالى عنه بعد ما طعن ، (عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم من أهل الجنة) (يعنى الستة) فليختاروا منهم رجلا فاذا ولوا والياً فأحسنوا موازرتة وأعينوه) . وقال الحافظ الفقيه المحدث محب الدين الطبرى فى كتابه الرياض النضرة فى مناقب العشرة فى آخر مناقب عمر رضى الله تعالى عنه (ذكر تزكيتة أهل الشورى لماطعن عليهم) وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال (لما طعن عمر وأمر بالشورى دخلت عليه حفصة ابنته فقالت يا أبت ان الناس يزعمون ان هؤلاء الستة ليسوا رضى ، فقال اسندونى فلما أسندوه قال فما عسى أن يقولوا فى على بن أبى طالب سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : (يا على يدك فى يدي تدخل يعنى يوم القيامة حيث أدخل) ، ما عسى أن يقولوا فى عثمان سمعت رسول صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (يوم يموت عثمان يصلى عليه ملائكة السماء) قلت يا رسول الله عثمان خاصة أم الناس عامة قال عثمان خاصة ، ما عسى أن يقولوا فى طلحة بن عبيد الله سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

يقول ليلة وقد سقط رحله (من يسوى رحلي وهو في الجنة) فبدر طلحة بن عبيد الله فسواه حتى ركب فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام ويقول أنا معك في أهوال يوم القيامة حتى أنجيك منها) ما عسى أن يقولوا في الزبير رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد نام فجلس الزبير يذب عن وجهه حتى استيقظ فقال له يا أبا عبد الله لم تنزل فقال لم أزل بأبي أنت وأمي قال (هذا جبريل يقرئك السلام ويقول أنا معك يوم القيامة حتى أذب عن وجهك شرر جهنم) ما عسى أن يقولوا في سعد. سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر وقد أوتر قوسه أربع عشر مرة فيدفعها له ويقول (أرم فداك أبي وأمي). ما عسى أن يقولوا في عبد الرحمن بن عوف رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في منزل فاطمة والحسن والحسين يبكيان جوعاً ويتضوران فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من يصلنا بشيء فطلع عبد الرحمن بصحفة فيها حيس ورغيفان بينهما إهالة فقال صلى الله عليه وسلم كفاك الله أمر دنياك وأما آخرتك فأنا لها ضامن (خرجته الحافظ أبو الحسن بن بشران والحافظ أبو القاسم الدمشقي في الأربعين الطوال اه .

وقال الطبري أيضاً في رياضته (ذكر إخباره رضي الله عنه عن موته بسبب رؤيا رآها واعتذاره عن الاستخفاف وأخباره أيضاً بأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفي وهو راض عن الستة أهل الشورى وذم الطاعنين عليهم واشهادة الله تعالى على أمراء الأمصار وعلى ما ولاهم عليه ووصيته بالمهاجرين والأنصار وثناؤه عليهم وبالعرب وأهل الذمة .) عن معدان بن أبي طلحة أن عمر رضي الله تعالى عنه خطب يوم الجمعة وذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر أبا بكر ثم قال (اني رأيت كأن ديكا أحمر نقرني ثلاث نقرات واني لا أراه الا لحضور أجلي وإن أقواماً يأمرنني أن أستخلف وأن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته ولا الذي بعث به نبيه فان عجل بي أمر. فالخليفة شوري بين هؤلاء الستة الذين توفي

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عنهم راض ، واني قد علمت
أقواما يطعنون في هذا الأمر أنا ضربتهم بيدي هذه على الاسلام فان فعلوا
ذلك فأولئك أعداء الله الضلال ، ثم قال اللهم اني أشهد على أمراء
الأمصار فاني إنما بعثتهم عليهم ليعبدوا وليعلموا الناس دينهم وسنة
نبيهم ويقسموا بينهم فيشتم ويرفعوا إلى ما أشكل عليهم من
أمرهم) قال فما كان إلا الجمعة الاخرى حتى طعن ، قال فأذن للمهاجرين
من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأذن للأنصار ثم أذن لاهل
المدينة ثم أذن لأهل الشام ثم أذن لأهل العراق فكنا آخر من دخل
عليه قال فاذا هو قد عصب جرحه ببرد أسود والدم يسيل عليه قال فقلنا
اوصنا ولم يسأله الوصية احد غيرنا قال (اوصيكم بكتاب الله فانكم لن
تضلوا ما تبعتموه . واوصيكم بالمهاجرين فان الناس يكثرون ويقولون
واوصيكم بالانصار فانهم شعب الاسلام الذي لجأ اليه . واوصيكم
بالاعراب فانهم اصلكم ومادتكم . واوصيكم باهل الذمة فانهم ذمة نبيكم
ورزق عيالكم قوموا عني) اخرجاه (يعنى الحديث) الامامان البخاري ومسلم .
فقوله رضى الله تعالى عنه في الحديث الاول ماعسى ان يقولوا في علي ،
ماعسى ان يقولوا في عثمان ، ماعسى ان يقولوا في طلحة الخ : اى اى شىء
يطعنون به في هؤلاء الستة وقد مدحهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
واثنى على كل واحد منهم بما ذكر .

وفي الحديث الثانى قال رضى الله تعالى عنه توفى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وهو عنهم راض . وقال انى قد علمت أن اقوماً يطعنون
في هذا الامر أنا ضربتهم بيدي هذه على الاسلام فان فعلوا ذلك فأولئك
اعداء الله الضلال ، فعلمه رضى الله تعالى عنه بالطاعنين في هذا الامر
يعنى استخلاف الستة ، وقوله انا ضربتهم بيدي هذه على الاسلام وقوله
فان فعلوا ذلك (اى طعنوا فيهم) فأولئك اعداء الله الضلال دليل على أن
هؤلاء الطاعنين في سادات الامة ليسوا من ذوى البصيرة والفقهاء في الدين

وانهم من شرر تلك الجذوة التي اخمدتها الوية الصديق رضى الله تعالى عنه
تحت ستار الاسلام كما تقدم.

فهذان الحديثان وغيرهما من التاريخ الصحيح يدلان على ابطال فريته
على الفاروق كما يدلان على ابطال فريته على علي رضى الله تعالى عنه (بانه
كان يرى الخلافة خاصة بنسبى هاشم وانه احق بها من كل صحابي وان رأيه
هذا بقى خامداً لا يجد له محرماً حتى كان آخر عهد عثمان فقام بالحواضر
الاسلامية دعاة له ينبهون الناس اليه ويقبحون من خالفه) . وقد تقدم
ابطال هرائه هذا مسهباً فلو كانت هذه الفرية صحيحة لما طعن فيه هؤلاء
الطاعنون وكان طعنهم قاصراً على اخوانه ورفقائه الخمسة ولو كانت
صحيحة لبادر شيعته لمبايعته وقد وجدوا الفرصة لذلك وهي قتل عمر رضى
الله تعالى عنه ولم يؤخروا تحريكها لآخر خلافة عثمان رضى الله عنه ولما اتفق
اهل المدينة بعد اخذ عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهم جميعاً
على ترجيح عثمان في البيعة عليه الا اعماراً والمقداد ، نقل ابن الاثير كلاماً
كثيراً عن عمر رضى الله تعالى عنه في قصة اصحاب الشورى منه ، وما
أظن يلى إلا أحد هذين الرجلين على او عثمان فان ولى عثمان فرجل فيه لين،
وان ولى على ففيه دعاة واحرى به ان يحملهم على طريق الحق ، وان
تولوا سعداً فاهله هو . والا فليستعن به الوالى . فاني لم اعزله عن ضعف
ولا خيانه ونعم ذو الرأى عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا منه واطيعوا ،
وعنه رضى الله تعالى عنه انه قال حين طعن وأوصى ، إن ولوها الاجلح
(والاجلح الأصلح) سلك بهم الطريق المستقيم يعنى علياً اخرجهم
ابو عمر . وعن عمرو بن ميمون قال كنت عند عمر اذ ولى الستة
الامر فلما جاوزوا أتبعهم بصره ثم قال لئن وليتم هذا الاجلح ليركبن بكم
الطريق يعنى علياً اخرجهم ابن الضحاك . وفي لفظ : - ان ولوها الاصيلح
يحملهم على الحق وان كان السيف على عنقه . وفي رواية : لله درهم ان ولوها
الاصيلح كيف يحملهم على الحق وان كان السيف على عنقه ، قال محمد فقلت

أتعلم ذلك منه ولا توليه . فقال ان اتركهم فقد تركهم من هو خير مني ،
خرجه القلعي . فعلم بما تقدم ان الزمرة الفاضلة من المسلمين وهم جمهور
الصحابة انتقل اكثرهم الى الدار الآخرة وصار جمهور المسلمين من
المخضرمين والراجعين الى الاسلام بعد ردتهم والاعراب . فبدأ الاسلام
يرق بفتح باب الفتنة بين المسلمين وهو قتل عمر رضى الله تعالى عنه
وصدقت فيه فراسة أبي عبيدة بن الجراح أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى
الله تعالى عنه ، قال محب الدين الطبرى فى رياضه (ذكر ايثار أبي عبيدة
الموت قبل موت عمر) عن ابي عبيدة رضى الله تعالى عنه انه قال ان مات
عمر رقى الاسلام . ما أحب ان يكون لى ماتطلع عليه الشمس أو تغرب . وانى
أبقى بعد عمر فقال له قائل ولم قال سترون ما أقول ان بقيتم ان ولى بعده
وال فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به . لم يطعه الناس وان ضعف عنه
قتلوه اه .

قال المحاضر فى آخر تقرير هذه الطريقة الثالثة مانصه (لا ينكر أنها
طريقة شورية ناقصة لأنه لم يكن القصد منها أخذ رأى الجمهور فيمن يكون
خليفة عليهم وانما المقصود ان تؤخذ كلمة المرشحين للخلافة لأحدهم حتى
لا يجد محبوب الخلافة . مجالا للخلاف ، ويظهر لنا ان عمر كان محسباً بأن كلا
منهم يتطلع لأن يكون خليفة . وخاف على الامة الشقاق من بعده فعهد اليهم
عهده اه) . قوله لا ينكر الى قوله للخلاف مشتمل على غش واقتراء على
التاريخ الاسلامى ، فقوله لا ينكر الى قوله لأحدهم غش للمسلمين
واقتراء على التاريخ - وبيانه هكذا : كون هذه الطريقة شورية ناقصة
معروف عند المسلمين لا ينكره احد منهم ، لأنه لم يكن القصد الخ الهراء
ولاشك أن هذا غش واقتراء على التاريخ ، فلم يقل أحد من مؤرخى الاسلام
ان هذه الطريقة شورية ناقصة وحينئذ فهذا المعروف الذى قال (لا ينكر)
منكر وغش واقتراء وقوله لأنه لم يكن القصد منها أخذ رأى الجمهور الخ
اقتراء على الصحابة رضى الله عنهم فضحه وكذبه التاريخ فان

كتبه ناطقة بان عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير وهم من ستة الشورى تنازلوا عن حقهم في الخلافة لابن عبد مناف عثمان وعلي ، وعبد الرحمن الذي وكل اليه ابرامها. مكث ثلاثة أيام حتى أخذ رأى جمهور المسلمين (أهل المدينة) وهم أهل الحل والعقد فانفتحت كلمتهم على تقديم عثمان على علي إلا المقداد وعماراً ، وجاء طلحة بعد مبايعة عثمان وكان غائباً وهو أحد الستة فبايع عثمان مغتبطاً راضياً . وقوله (حتى لا يجد محبوبو الخلافة مجالاً للخلاف) افتراء مكرر تقدم ابطاله . وإن فرض أن الستة كانوا يتطلعون للخلافة ويحبونها أو يطلبونها بالسنتهم وهم أهل لها فلا يعيهم بما ذكر إلا ناقص شائء . فان يوسف صديق الله عليه السلام قال لملك مصر (اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم) فطلب هذه الوظيفة لانه لم يكن في مصر من هو أكفأ منه فيها وقد قال العلماء من طلب للقضاء في بلدة ولم يكن احد فيها أعلم منه به وجب عليه قبوله . وهؤلاء الستة سادات المسلمين والصحابة وفضلهم على الاطلاق كل واحد منهم كفء لها فإى عيب يلحقهم اذا طلبوها بالسنتهم كما طلب يوسف عليه السلام تلك الوظيفة فكيف اذا لم يحصل منهم الا مجرد التطلع اليها والمحبة القلبية كما افترى . وقوله ويظهر لنا الى آخر الكلام ظهور فاسد وافتراء على عمر وعلي الستة مكرر تقدم ابطاله .

طعنه في طرق الخلافة الثلاث

وتحامله على على رضى الله عنه ايضا

قال في صفحة ١٦٣ (لم يكن في طريقة من هذه الطرق الثلاث حل لتلك المسألة المتشابهة الاطراف لان الطريقة الاولى لم يبين فيها من لهم حق الانتخاب الذين يكون صوتهم محترماً أهم الامة بأسرها ، ام هم افراد مخصوصون ، وان كانوا مخصوصين فمن هم ! وغاية ما امسكن شراح هذه القاعدة ان يقولوه ، أن قالوا هم أهل الحل والعقد وليكن من هم أهل الحل

والعقد اهم ولاية الامصار أم قواد الجيش ام أعيان الامة ، كل ذلك لم يبين فالمتطاع للخلافة يجد مجالاً واسعاً للتأويل كما حصل عند استخلاف على . والطريقة الثانية وهي طريقة العهد ليس فيها ضمان لاختيار من يحبه الناس ويكون قادراً على حماية مصالحها وان يسكن من الممكن في بعض الاحيان ان يكون الشخص المختار لولاية العهد خير الناس كما حصل في انتخاب عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز . والطريقة الثالثة في حقيقة الامر كالثانية اذ اقتصر فيها على الشكل الذي رآه عمر لانها عبارة عن عهد الى واحد غير معين من افراد محصورين يختارهم الامام ، لذلك لما جاء دور على قام جماعة من اهل المدينة والثوار من الآفاق فبايعوه بالخلافة وهو بالمدينة ولم يؤخذ في ذلك رأى غيرهم من المسلمين في الحواضر الاسلامية كأن اهل المدينة وحدهم هم الذين ينتهى اليهم أمر انتخاب الخلفاء وليس لغيرهم معهم رأى ولو كانوا من اهل الحل والعقد في الامة متى كانوا بعيدين عن الحاضرة الكبرى كان بمن يترقب الخلافة ويرى نفسه لها اهلاً معاوية بن ابي سفيان فقام بأهل الشام معلناً انه مخالف لان بيعة على رضى الله عنه ليست بصحيحة وحصل اصطدام بين الطرفين في سهل صفين فلما عضتهم الحرب بناها عمدوا الى شىء سموه تحكيمياً اه) .

اقول قوله لم يكن في طريقة من هذه الطرق الثلاث حل الى قوله كما حصل عند استخلاف على رضى الله عنه طعن في خلافة الصديق رضى الله عنه مكرر بصورة اوسع في التشكيك من السابق . فقوله لم يكن في طريقة من هذه الطرق الثلاث حل لتلك المسألة المتشابهة الاطراف صحيح ولكنه عنده فقط لا عند المسلمين الذين يحترمون اجماع الصحابة وسنة الخلفاء الراشدين ، وقوله لأن الطريقة الاولى لم يبين فيها من لهم حق الانتخاب الى قوله فالمتطاع للخلافة تهويش وتشكيك في الاجماع تقدم جوابه . واقول ايضاً ان اهل الحل والعقد المنتخبين للخليفة لا يشترط فيهم أن يكونوا جميع الامة أو بيعة مخصوصة أو أفراداً مخصوصين أو ولاية (٢٧ - تحذير العبقري)

الأمصار أو قواد الجيوش أو أعيان الأمة ولا أن يكونوا من جميع هذه الطوائف التي هوش بتعدادها فعلماء الأمة الإسلامية قد تبين واتضح لهم من لهم حق في انتخاب الخليفة (وهم أهل الحل والعقد) من بيعة الصديق رضى الله عنه في السقيفة فقد حضرها جمع من الأنصار وإثنان من المهاجرين مع أبي بكر وهما الفاروق وابو عبيدة بن الجراح والذين حضروها من الطائفتين فيهم أعيان وهم صالحون لولاية الأمصار ولقيادة الجيوش وقد حصل ذلك لبعضهم في خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة ولم يكونوا من بيئة مخصوصة وفيهم غير هؤلاء وانعقدت بجمعهم بيعته والذين لم يحضروها وهم المهاجرون كلهم إلا من ذكرنا وأكثر الأنصار وجميع من كان قريباً من المدينة كبنى أسلم وغفار فيهم أيضاً أعيان وفيهم من تولى قيادة الجيوش وولاية الأمصار وفيهم غير هؤلاء كثيرون والذين لم يحضروا بيعته أصلاً بل أذعنوا لما بلغهم ذلك كاهل مكة والطائف فيهم أيضاً جميع من ذكرنا فأخذ علماء الأمة من بيعة السقيفة لمن له حق الانتخاب وصفاً عاماً جامعاً مانعاً وهو كونه من أهل الحل والعقد سواء كان متصفاً بالأوصاف المذكورة كلها أو ببعضها أو لم يكن متصفاً بشيء من ذلك حيث تقرر وثبت أن الخلافة نيابة عامة عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في أحكام الفروع حق من حقوق الأمة كلها واجب عليها وجوباً كفايماً إذا قام به من له الحل والعقد ولو واحداً سقط عن الباقيين. وبهذا بطل تهويشه كله . ومنه قوله وغاية ما أمكن شراح هذه القاعدة أن يقولوه الخ الهراء فجعلها أصلاً وقاعدة بجعله وقد أبطلت خلطاً مثله سابقاً ، كما أبطلت سابقاً قوله فالمتطلع للخلافة يجد مجالاً الخ الهراء . وقوله (والطريقة الثانية وهي طريقة العهد ليس فيها ضمان لاختيار من يحبه الناس ويكون قادراً على حماية مصالحها . فاسد لتركه من شرطين اشترطهما حضرته في الذي يعهد اليه بالخلافة أحدهما فاسد وهو محبة الناس له . والثاني صحيح وهو كونه قادراً على حماية مصالح الأمة وهذا الشرط هو الذي عبر عنه علماء الاسلام بعبارة أخصر وابلغ

من تعبيره الطويل الذيل وهو (الكفاءة) والمركب من الفاسد والصحيح فاسد إذ محبة الناس كلهم لشخص أو رضاهم به إحدى المستحيلات كما تقدم فعلماء الاسلام قاطبة حين قالوا شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة : المذكورية، والورع والعلم، والكفاءة، ونسبة قریش ، قصرُوا في رأيه حيث لم يزيدوا هذا الشرط المستحيل الذي زاده عليهم بقوله : ليس فيها ضمان لاختيار من يحبه الناس ويكون قادرًا على حمايته مصالحها وقوله (وإن يكن من الممكن في بعض الاحيان أن يكون الشخص المختار لولاية العهد خير الناس كما حصل في انتخاب عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز) صحيح في عمر ابن الخطاب، غير صحيح في عمر بن عبد العزيز فإن في القرشيين من إذا لم يكن أفضل منه لا ينقص عنه في ذلك كسالم بن عبد الله بن عمر وهو من مشايخه والقاسم بن محمد بن أبي بكر وأبي جعفر الباقر. وقوله (والطريقة الثالثة في حقيقة الامر كالثانية إذا اقتصر فيها على الشكل الذي رآه عمر لانها عبارة عن عهد إلى واحد غير معين من افراد محصورين يختارهم الامام) . طعن مكرر تقدم انه زعم ان هذه الطريقة شورية ناقصة وقد ابطلته هناك . وأفول هنا في تقويم اعوجاج هذا الكلام : قد عهد عمر رضى الله تعالى عنه الى واحد غير معين من الستة عين ذلك الواحد أهل الحل والعقد الذين أخذ رأيهم في ثلاث ليال عبد الرحمن ابن عوف رضى الله تعالى عنه الذى فوض اليه عقدها وتنازل الثلاثة الموجودون بالمدينة عنها لعثمان ، وعلى ، فرجع أهل الحل والعقد الذين استشارهم عبد الرحمن تقديم عثمان على على رضى الله تعالى عنهما وبهذا تحقق ان طريقة الفاروق هذه محكمة البنيان قوية الاركان لأنها مركبة من العهد ومن انتخاب أهل الحل والعقد مركبة من انتخاب الصحابة للصديق ومن عهد الصديق له فلا يقول فيها أنها ناقصة إلا ناقص .

تحامله على رضى الله تعالى عنه ايضا

وكذبه على معاوية وعلى التاريخ وتدليسه

قال (لذلك لما جاء دور على قام جماعة من أهل المدينة والثوار من الآفاق فبايعوه بالخلافة وهو بالمدينة) . اقول قوله قام جماعة من أهل المدينة والثوار الخ كذب وتدليس، قال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب اجتمع على بيعته المهاجرون والانصار وتخلف عن بيعته منهم نفر . فلم يهجم ولم يكرههم وسئل عنهم فقال أولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل .

وقوله (ولم يؤخذ في ذلك رأى غيرهم من المسلمين في الحواضر الاسلامية كأن أهل المدينة وحدهم هم الذين ينتهى اليهم أمر انتخاب الخلفاء وليس لغيرهم معهم رأى ولو كانوا من أهل الحل والعقد في الامه متى كانوا بعيدين عن الحاضرة الكبرى) اشتمل هذا الكلام على غش وتهوئش . فالغش في قوله ولم يؤخذ في ذلك الى قوله الحواضر الاسلامية فان الحواضر الاسلامية لما بلغهم مبايعته بايعوا إلا أهل الشام مع معاوية وطائفة من المصريين وقد تقدم ان بيعة الخليفة فرض كفاى إذا قام بها طائفة من أهل الحل والعقد في المسلمين سقطت عن باقى الامه ووجب عليهم طاعته وقد انتقد وطعن فى أصل الخلافة فى طرقها الثلاثة وسياتى طعنه فيها فى آخر كلامه فى بحثها فاشترطه هنا أخذ رأى الحواضر الاسلامية لا معنى له إلا التذبذب والتخبط والنصب لحيدرة رضى الله تعالى عنه واذا كان أخذ رأى جميع الحواضر الاسلامية شرطاً عنده فخلافة الثلاثة قبل على رضى الله تعالى عنهم غير صحيحة على زعمه لأن بيعة الصديق لم يؤخذ فيها رأى أهل مكة وأهل الطائف وجوآئى بالبحرين وبيعة الفاروق كذلك وقد اتسعت المملكة الاسلامية عند بيعته . وبيعة عثمان من باب أولى لأن الحواضر الاسلامية قد اتسعت فيها أكثر . وقوله كأن أهل المدينة وحدهم الى آخر

الهرء تناقض وتهوئش لأنه قال قريياً (لما جاء دور على قام جماعة من أهل
المدينة الخ وهذا يقتضى أن أهل المدينة كلهم لم يبايعوه وإنما بايعه منهم
جماعة ، وقوله هنا كأن أهل المدينة الى آخره يقتضى أنهم كلهم بايعوه كما
قال ابن عبد البر إلا نفراً قليلاً وهذا عين التناقض. نعم أهل المدينة إذ ذاك
وحدهم هم أهل الحل والعقد لأنهم بقايا سادات هذه الأمة فيهم
البدريون والأحاديون وأهل بيعة الرضوان والاسلام الكامل ممثل
فيهم وجميع الحواضر الاسلامية يذعنون لهم ويعترفون لهم بذلك
حتى معاوية ومن معه وقد بايعته الحواضر الاسلامية سواه فبيعته رضى الله
عنه مجمع عليها وقوله (كان بمن يترقب الخلافة ويرى نفسه لها أهلاً معاوية
ابن أبى سفيان فقام بأهل الشام معلناً أنه مخالف لأن بيعته على ليست
بصحيحة. وحصل اصطدام بين الطرفين فى سهل صفين فلما عضتهم الحرب
بناها عمدوا إلى شىء سموه تحكيميا) حكم على ضمير معاوية رضى الله عنه
وكذب عليه وعلى التاريخ الاسلامى وتدليس. فمن أين له أن معاوية كان
يترقب الخلافة ويرى نفسه لها أهلاً وقد ثبت عن الفاروق الذى يقدرسه
هذا المحاضر دون سائر الصحابة أنه قال : إن الخلافة لا تحل للطلاق ولا
لا بنائهم، وإنما هى فى أهل السبق إلى الاسلام من قريش ومعاوية وأبوه
رضى الله عنهما من الطلقاء فقوله فقام بأهل الشام معلناً أنه مخالف صحيح
وقوله لان بيعته على ليست بصحيحة ، كذب عليه وعلى التاريخ . وهو بين
أيدينا. فان معاوية رضى الله تعالى عنه لم يقل لعلى كرم الله وجهه بيعتك غير
صحيحة . ولم ينازعه فيها وإنما شبهته التى تمسك بها عن الامتناع من البيعة
قتلة عثمان الذين كثير منهم فى جيش على فطلب تسليمهم اليه ليقصص منهم
وليسوا نفراً واحداً ولا غنما سائبة حتى يمكن علياً رضى الله تعالى عنه
تسليمهم اليه بل هم مئات من الناس كل واحد منهم وراءه عشيرته وقبيلته
يتعصبون له . وقد اجتمع الناس على معاوية بعد تنازل الحسن بن على رضى
الله تعالى عنهما عن الخلافة له وكثير منهم هو جودون مصريون وكوفيون

وبصريون فغض طرفه عنهم ولم يهجمهم فدل سكوته رضى الله تعالى عنه على أن شبهته واهيته . وقوله (فلما عضتكم الحرب بناها عمدوا إلى شيء سموه تحكيماً) تدليس فان الذين عضتكم الحرب بناها لما أشرفوا على الهزيمة الكبرى فرفعوا المصاحف على الرماح داعين إلى تحكيم كتاب الله مكيدة . هم معاوية وجيشه وهذا في التاريخ أشهر من الغزاة ، ثم هو تعبير فيه إساءة أدب في حق الطائفتين معاً .

ترجيحه معاوية على علي

رضى الله تعالى عنهما وإبطاله

قال في ص ١٦٤ ما نصه (واستقر الامر لمعاوية بفضل قوته وسياسته ويسميه التاريخ بالخليفة المتغلب وفي نظرنا أن خلافته وبيعته - لم تنقص في الشكل عن بيعة علي بقطع النظر عن التعرض لما في كل منهما من الصفات والامتيازات الدينية لان معاوية بايعه فريق من الناس وعلى بايعه فريق آخر من الضروري أن يتغلب أقوى المتنازعين وليس هناك حدود معينة في الشريعة يقال إن أحدهما تعداها إلا إن سرنا على رأى من يقول إن علياً معين للخلافة بالنص عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا أمر لم يتأكد الصحابة من صحته اه) أقول اشتمل هذا الكلام كله على ترجيح معاوية على علي رضى الله عنه وعلى الكذب على معاوية وعلى التاريخ الاسلامى وعلى جهل ، فقوله (واستقر الامر لمعاوية بفضل قوته وسياسته) ترجيح لمعاوية وطعن مكرر في علي بوقاحة تقدم أبطاله وكذب على التاريخ وأقول هنا أيضاً : أن معاوية رضى الله تعالى عنه لم يستقر له الأمر في مدة على رضى الله تعالى عنه بل ولا في مدة ابنه الحسن أما في مدة على فقد نطق التاريخ بان جيش على ظهر على جيش معاوية فلما أشرف أهل الشام على الهزيمة الكبرى لجأوا إلى رفع

المصاحف على الرماح مكيدة ليتنفسوا من هذا الضغط الهائل وبعد التحكيم اشتغل أمير المؤمنين بخوارج حروراء فقتلهم بالنهر وان ثم شرع يتجهز لمعاوية رضى الله تعالى عنه فعاجلته منيته شهيداً . ولما بويع ابنه الحسن تجهز لمعاوية بجيش جرار فخاف معاوية رضى الله تعالى عنه واشفق على فناء الجيش الاسلامى من الطائفتين فارسل الى الحسن رضى الله تعالى عنه يطلب منه الصالح والتنازل له عن الأمر وليشترط ما شاء فى مقابلة تنازله ، فى صحيح الامام البخارى عن الحسن البصرى قال : استقبل والله الحسن ابن على رضى الله عنها معاوية بكتائب امثال الجبال ، فقال عمرو ابن العاص انى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل اقرانها ، فقال معاوية وكان والله خير الرجلين اى عمرو ان قتل هؤلاء هؤلاء هؤلاء هؤلاء من لى بامور الناس ، من لى بذسائهم ، من لى بضيعتهم فبعث اليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر فقال اذهبوا الى هذا الرجل فاعرضوا عليه اى الصلح وقولا له واطلبوا اليه فأتياه فدخلوا عليه فذكرا له ذلك ، فقال لهما إنا بنى عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وإن هذه الامة قد عاثت فى دماءها ، قالوا فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك قال فمن لى بهذا قالوا نحن اه . وفى كامل ابن الاثير : ان معاوية ارسل رسوله المذكورين قبل وصول كتاب الحسن اليه ومعهما صحيفة بيضاء مختوم على اسفلها وكتب اليه معاوية . ان اكتب الى فى هذه الصحيفة التى ختمت اسفلها بما شئت فهو لك اه . وبهذا علم كذبه على التاريخ وواقته على حيدررة وسوء ادبه معه فإى أمر استقر لمعاوية مع ما ذكرنا . وای قوة وسياسة فضل بها علياً ، وغاية امره انه كان ممتنعاً امتناعاً مهدداً بالخطر لا يدري قضاء الله المبرم يكون له او عليه بدليل كلامه لعمر بن العاص .

وقوله (ويسميه التاريخ بالخليفة المتغلب ، كذب على التاريخ ايضاً فانه لم يسمه خليفة فضلاً عن كونه متغلباً فقد اتفق اهل السنة والجماعة على ان معاوية فى مدة على وابنه الحسن لم يكن خليفة وانما كان من الملوك

وإنما اختلفوا في تسميته بالخليفة بعد تنازل الحسن له عنها واجتماع -
المسلمين عليه فقبل صار خليفة وقيل لا لقوله عليه الصلاة والسلام في
حديث سفينة مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الخلافة بعدى ثلاثون
سنة ثم تكون ملكاً عضواً) وقد اتفقوا على انها تمت بمدة الحسن .
اخرجه ابوداود والترمذى والنسائى والامام احمد وابو يعلى وابن حبان
ومن ذكر هذا الاتفاق والاختلاف الكمال بن الهمام في مسائره .

وقوله بنون العظمة (وفي نظرنا ان خلافته وبيعته لم تنقص في
الشكل عن بيعة على الى قوله لان معاوية بايعه فريق من الناس وعلى
بايعه فريق آخر) نظر فاسد وكذب ايضا على التاريخ وغش
للقرءاء ، اما كونه كذباً على التاريخ فان الصحابة ومن بعدهم من علماء
الاسلام اجمعوا على تقديم على في الخلافة وعلى افضليته بعد الثلاثة
الخلفاء قبله ، ومن نقل هذا الاجماع ابن الهمام ايضا ، قال العلامة السعدنى
شرح المقاصد : وبالجملة انعقدت خلافته بالبيعة واتفاق اهل الحل والعقد
وقد دلت عليه احاديث كقوله عليه الصلاة والسلام (الخلافة
بعدى ثلاثون سنة) وقوله عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه
(انك تقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين) وقوله عليه الصلاة والسلام لعمار
(تقتلك الفئة الباغية) وقد قتل يوم صفين تحت راية على رضى الله تعالى عنه
ومن المتكلمين من يدعى الاجماع على خلافته . لأنه انعقد الاجماع زمن
الشورى على أن الخلافة لعثمان أو على وهو اجماع على انه لولا عثمان فهى
لعلى ، فحين خرج عثمان من البين بالقتل بقيت لعلى بالاجماع اه . وهذا
كلام نفيس وتوجيهه ان ستة الشورى الذين عينهم واختارهم الفاروق لها
تنازل الاربعة منهم عن حقهم فيها لعلى وعثمان فصار تقديم أحدهما لها
موكولاً لأهل الحل والعقد من الصحابة بالمدينة فاتفقوا على تقديم عثمان
فيها على على فأطبق أهل الامصار على بيعته بعدهم فصار تقديم على في
الخلافة على جميع الصحابة بعد عثمان بهذا الاتفاق والاطباق بجمعاً عليه

اجماعاً سابقاً فبيعته رضى الله تعالى عنه بعد قتل عثمان رضى الله تعالى عنه
اجماع لاحق مؤكداً للسابق وقال السعد أيضاً قال امام الحرمين لا اكثرث
بقول من قال لا إجماع على امامة على رضى الله تعالى عنه فإن الامامة لم
تجد له وإنما هاجت الفتن لأمر أخرى اه . قلت لقد حقق وصدق
أبو المعالى فان الصحابة الذين حاربوه كطلحة وعائشة ومن معهما ومعوية
ومن معه لم يدفعوا امامته وإنما حجة طلحة ومن معه المبادرة الى القصاص
من قتلة عثمان قبل كل شيء ، وحجة معاوية ومن معه دفعهم لهم ليققتصوا
منهم لأن كثيراً منهم فى جيشه ، وأمير المؤمنين رضى الله عنه رأى تأخير
أخذ القصاص منهم لأنه لا يمكنه ولا يمكنهم أيضاً أخذه فى مبدأ الخلافة وهيجان
الفتنة حتى يستوثق الامن بالبيعة العامة فيجرى القضاء عليهم حينئذ بالحق
لأنهم ليسوا أفراداً قليلين بل هم مئون من أمصار مختلفة فلو حاول القود
منهم حالاً لتعصبت لهم قبائل كثيرة وصارت حرباً ثالثة وقد حصل ذلك
للزبير وطلحة وعائشة رضى الله تعالى عنهم ، لما حاولوا ذلك فى البصرة
فقط خرجت عنهم من ربيعة عبد القيس فى أربعة آلاف مع رئيسهم عمرو
ابن المرجوم وخرج غير هؤلاء من قبائل ربيعة وغضبت ستة آلاف سيف
من بنى سعد بن تميم لخر قوص بن زهير لما طلبوه فاعتزلوا عنها واتسع الخرق
عليهم فكان رأيه رضى الله تعالى عنه فى هذه الكارثة أسد وأصوب منهم
جميعاً واصلاً اقتبس علماء الاسلام من مشكاته - فاتفقوا على انه يجوز
للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك الى اثاره الفتنة أو تشتيت الكلمة ،
وذكر يحيى بن سليمان الجعفي أحد شيوخ الامام البخارى فى تأليفه فى صفين
بسند جيد عن أبى مسلم الخولانى انه قال لمعاوية أنت تنازع علياً فى الخلافة
أو أنت مثله ، قال لا وأنى لا علم انه أفضل منى وأحق بالأمر ولكن أستم
تعلمون ان عثمان قتل مظلوماً وأنا ابن عمه ووليه اطلب بدمه فأتوا علياً
وقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان ، فأتوه فكلموه ، فقال يدخل فى البيعة ويحاكمهم
الى ، فامتنع معاوية فخرج اليه على فى أهل العراق فى سبعين الفاً فيهم تسعون
(٢٩ - تحذير العبقري)

بدرياً وسبعمائة من أهل بيعة الرضوان، وأربعمائة من سائر المهاجرين والانصار وخرج معاوية في أهل الشام في خمسة وثمانين ألفاً ليس فيهم من الانصار إلا النعمان ابن بشير ومسلمة بن مخلد . فالتقى الجمعان بصفين فتراسلوا فلم يتم لهم أمر فوق القتال ودامت الحروب مائة يوم وعشرة أيام فقتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ، ومن العراق خمسة وعشرون ألفاً ، وآل الأمر في معاوية ومن معه إلى طلب التحكيم، ثم رجع على إلى العراق فخرجت عليه الحرورية فقتلهم بالنهروان ومات بعد ذلك رضى الله عنه اه .

وظهر بقتل عمار مع على أنه المصيب . فقد روى الحافظ ابن عساكر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (يا على ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحق فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني) قال الامام عبد القاهر الجرجاني في كتاب الامامة أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريق أهل الحديث والرأى منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة والاوزاعي والجمهور الأئمة من المسلمين والمتكلمين . على أن علياً مصيب في قتاله لأهل صفين كما هو مصيب في أهل الجمل وأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له لكن لا يكفرون ببيعتهم . وقال الامام أبو منصور الماتريدي : أجمعوا على أن علياً كان مصيباً في قتال أهل الجمل طلحة والزبير وعائشة بالبصرة ، وأهل صفين معاوية وعسكره . وفي روض السهيلي أن عاملاً لعمر رضى الله تعالى عنه قال لعمر رضى الله عنه : رأيت الليلة كأن الشمس والقمر يقتتلان ومع كل نجوم فقال له عمر مع أيهما كنت ، قال مع القمر ، قال كنت مع الآية الممحوة اذهب لا تعمل لى عملاً أبداً وعزله فقتل بصفين مع معاوية ، واسم ذلك العامل حابس بن سعد . وقال عليه الصلاة والسلام لعمار : تقتلك الفئة الباغية ، رواه الشيخان ، قال العلماء وحديث عمار متواتر قال القرطبي ولما لم يقدر معاوية على إنكاره قال إنما قتله من أخرجه . فأجابه على بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قتل عمه حمزة حين أخرجه قال بن دحية وهذا من الالزام المفحم الذي لا جواب عنه، ووجه لا اعتراض عليها .

قال القرطبي فرجع وتأوله على الطلب وقال نحن الفئة الباغية أى الطالبة لدم عثمان من البغاء بضم الباء والمد وهو الطلب . قال الأبي في شرحه على صحيح مسلم : البغى عرفاً الخروج عن طاعة الامام مغالبة له ولا يخفى بعد التأويلين أو خطؤهما والاوول واضح وكذا الثاني لان ترك على القصاص من قتلة عثمان الذى قاموا بطلبه ورأوه مستند اجتهادهم ليس لانه تركه جملة واحدة وإنما تركه لما تقدم أى حتى يدخلوا فى الطاعة ثم يدعوا على من قتل . قال وأيضا عدم القصاص منكر قاموا لتغييره والقيام لتغيير المنكر إنما هو ما لم يؤد الى مفسدة أشد وأيضا المجتهد انما يحسن به الظن اذا لم يبين مستند اجتهاده أما اذا بينه وكان خطأ . فلا والله در الشيخ يعنى ابن عرفة حيث كان يقول الصحبة حصنت من حاربها يا ااه من الجزء السابع من شرح الزرقانى على المواهب اللدنية فى باب أنبائه عليه الصلاة والسلام بالمغيبات .

أقول تحقق مما تقدم أن خلافة على رضى الله عنه يتعلق بها ثلاثة اجماعات . اجماع الامة الاسلامية على أنه أفضل الصحابة بعد الثلاثة الخلفاء واجماعهم على بيعته واجماعهم على أنه مصيب فى اجتهاده فى حربه ومحاربه من الصحابة رضوان الله عليهم مخطئون فى ذلك ، وأربعة اجماعات قبله : اجماع الامة الاسلامية على أن الاسراء كان يقظة بالروح والجسد معاً ، واجماعهم على بيعته أبى بكر رضى الله عنه واجماعهم على بيعته الفاروق رضى الله تعالى عنه ، واجماعهم على بيعته عثمان رضى الله تعالى عنه ، فهذه سبعة اجماعات لم يقم لها هذا المحاضر وزنا وسياقى اجماع ثامن على خلافة ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما يهدره كذلك هذا مع كونه جمع كتاباً فى أصول الفقه ذكر فيه الاجماع الذى هو رابع أركان الشريعة واعترف به ، فان قيل عدم مبايعة معاوية رضى الله تعالى عنه ومن معه عليا يقدر فى الاجماع على بيعته رضى الله عنه . قلت معلوم أن من معه تابعون له فى الاجتهاد فصار الجميع مجتهداً

واحدًا ومخالفة الواحد لا تقدر في الاجتماع وقد خالف سيد الخزرج سعد ابن عبادة رضي الله عنه أبا بكر فلم يبايعه ولم تقدر مخالفته في اجتماع الأمة على بيعة الصديق رضي الله عنه . والتفاوت العظيم في الأفضلية بين سعد ومعاوية رضي الله عنهما بنص القرآن معلوم لكل مسلم وتحقق مما تقدم أيضاً فساد كلامه وغشه للقراء في قوله « وفي نظرنا أن خلافته وبيعته لم تنقص في الشكل عن بيعة علي إلى آخر قوله ، من الضروري أن يتغلب أقوى المتنازعين في شكل لمعاوية وحده يعتبر به مشاكلاً لبيعة جمهور الأمة الإسلامية . علياً وأي فريق له يعتبر به في مقابلتها إذا كان من معه تابعاً له علي أن مبايعته - بالخلافة بعد مبايعة علي بها لو صحت باطله لما أخرجه الإمام مسلم ابن الحجاج في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) وأخرج أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما أنه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : (ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنقه الآخر) ومن حديث عرفة (فاضربوه بالسيف كأننا من كان) قال العلماء وهذا الحديث أدل دليل على منع إقامة إمامين لأنها تؤدي إلى المخالفة والشقاق وحدوث الفتن والحكمة في منع تعدد الإمام منافاة التعدد لمقصود الإمامة من اتحاد كلمة الإسلام واندفاع الفتن ، ويقتضى لزوم امتثال أحكام متضادة قالوا إلا إذا تباعدت الاقطار جداً كخراسان والاندلس فيجوز تعدده . فمعاوية رضي الله تعالى عنه لم يدع الإمامة التي ادعها المحاضر له بدليل صريح كلامه السابق لأبي مسلم الخولاني (اني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر) وحيث تقرر هذا فقوله (وليس هناك حدود معينة في الشريعة يقال ان احدهما تعداها باطل بالاجماع الذي قررتة على بيعة علي وجهله حضرته ولم يعبأ به لمخالفته لهواه وبنص حديث الامام مسلم الذي ذكرته وجهله جهلاً مركباً جراًه علي نفي حدود معينة في الشريعة لخلافة علي وبطلان بيعة معاوية رضي الله تعالى عنهما .

وقوله (إلا أن سرنا على رأى من يقول ان عليا معين للخلافة بالنص
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا أمر لم يتأكد الصحابة من
صحته) هو احموقة الرافضة واقترأؤهم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بعد العصور الخيرية بدهر بأنه أوصى بالخلافة لعلي وعينه لها وقد كفى
أهل الحق في ابطال هذا الافتراء على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علي
نفسه ، فقد اخرج الامام البخارى في صحيحه في كتاب الديات عن
أبي جحيفة رضى الله تعالى عنه قال قلت لعلي رضى الله تعالى عنه هل عندكم
شئ مما ليس في القرآن أو مما ليس عند الناس فقال : (والذى فلق
الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهما يعطى رجل في كتابه
وما في الصحيفة . قلت وما في الصحيفة قال (العقل) وفكك الأسير
وأن لا يقتل مسلم بكافر اه) . فلو كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
أوصى له بالخلافة وعينه لها ما خفى ذلك على الصحابة ولبادروا لبيعته
لطاعتهم العظيمة لله ولرسوله وللرحمة التى وصفهم الله بها في كتابه العزيز
(رحماء بينهم) ولم يبائعوا الصديق رضى الله تعالى عنه ولما سكت على
عن حقه الموصى له به وببيع أبا بكر راضياً مغتبطاً فهذا الحديث حجة
يلقم به فم كل من تقول على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه فى الوصية
بالخلافة له والنص عليه . وقوله (وهذا أمر لم يتأكد الصحابة من صحته)
يقتضى أن افتراء الرافضة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى حيدرة
فى الوصية بالخلافة له وتعيينه لها بعده قد ورد عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ولكن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لم يتأكدوا صحته وهو فاسد
لان عدم تأكد الصحابة من صحته فرع عن وروده عن الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم ولم يرد من أصله بل هو افتراء محض وضعوه بعد العصور
الخيرية بدهر كما قررتة . فعدم تأكد الصحابة من صحته باطل واقترأ عليهم
رضى الله تعالى عنهم . مبنى على باطل واقترأ على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم .

عدم اعتباره خلافة ابن الزبير وكذبه على التاريخ فيها

قال في ص: ١٦٥ (وعهد يزيد إلى ابنه معاوية إلا أن الرجل لم يقدر على تحمل ذلك العبء في وسط هذه الظلمات الخالصة فاعتزل وترك جبل الأمة على غاربها في تلك الظروف كانت الفتن تموج موجاً حتى استقر الأمر بغلب مروان بن الحكم) ، أقول لم تبق الأمة بلا راغ ولم تتموج الفتن كما زعم بل بايع جل الأمة الإسلامية عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما . بايعه أهل الحرمين واليمن والعراق ومصر والمشرق وجبل أهل الشام ما عدا أهل الأردن ، فخلافته بجمع عليها وهذا اجماع ثامن أهدره أيضاً لمخالفته هو وهارون وابنه باغيان متغلبان كما قال ذلك الإمام مالك وجميع أئمة الدين ، قال الحافظ بن حجر في فتحه : وقد بايعه يعني ابن الزبير جميع أهل الامصار ما عدا أهل الاردن من أهل الشام اه وبهذا يعلم القارىء عدم اكترائه بخلافة ابن الزبير وكذبه على التاريخ فيها .

تخييل فاسد

قال في ص ١٦٧ (تناول العلماء في الدولة العباسية مسألة الخلافة وأدخلوها ضمن العقائد الدينية ويخييل الينا أن أول من وضعها هذا الموضوع كان يرى رأى الشيعة فان الخلافة عندهم من أمور الدين ثم جر اليه المتكلمين وصار أمرها موضوعاً جديلاً كغيره من المسائل الدينية اه)

أقول نص المتكلمون على أن مباحث الامامة ليست من العقائد بل هي من المتممات ، وبيان ذلك أن مباحث الامامة من الفقه بالمعنى المتعارف لأن القيام بها من فروض الكفاية وذلك من الأحكام العملية دون الاعتقادية ومحل بيانها كتب الفروع وهي مسطورة فيها وانما كانت متممة في علم الكلام لأنه لما شاعت في الامامة من أهل البدع اعتقادات فاسدة مخلة بكثير من القواعد الاسلامية مشتملة على قدح في الخلفاء الراشدين

رضوان الله تعالى عليهم أدرجت في علم الكلام لشدة الاعتناء بالمنافسة
عن الحق فيها تسميا لفائدة علم الكلام ، ووجه ادخالها فيه : ان من
مباحثها ما هو اعتقادي لا عملي كاعتقاد أن الامام الحق بعد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، واعتقاد انهم
في الفضل كذلك وما هو فيه متمم اعتقادي غير هذه التوبة فانها من مباحث
الفروع أيضاً وعلما الاسلام الذين تناولوا مسألة الخلافة بالبحث في الدولة
العباسية وأدخلوها ضمن العقائد الدينيه لم يكونوا من الشيعة بل كانوا من
أهل السنه والجماعه والتخيل (في هؤلاء الأئمة أبي منصور الماتريدي والاشعري
وعبد القاهر الجرجاني والباقلاني وأبي اسحق الاسفرايني وغيرهم كثير
من وضعها في علم العقائد في الدولة العباسيه من أهل السنه بأنهم بمن يرى
رأى الشيعة، أو وضعها الشيعة وجازت عليهم مع ذكأهم المفرط فأدروها
في مصنفاهم في العقائد) فاسد جاهل صاحبه بطبقات العلماء ونحلهم وبما
حقته ظهر للقارئ فساد كلامه هذا كله .

خاتمة هذه المحاضرة في طعنه في الخلافة ايضاً

قال في آخر ص ١٦٧ : (والخلاصة ان مسألة الخلافة الاسلاميه
والاستخلاف لم تسر مع الزمن في طريق يؤمن فيه العثار بل كان تركها
على ما هي عليه من غير حل محدد ترضاه الامة وتدفع عنه ، سبباً لاكثر
الحوادث التي اصابت المسلمين وأوجدت ما سيرد عليكم من أنواع
الشقاق والحروب المتواصلة التي قلما يخلو منها زمن سواء كان ذلك
بين بيئتين او بين شخصين اه) اقول هذا الطعن في الخلافة مكرر
قد تقدم ابطاله كرره هنا باسلوب آخر ليظن البسطاء أنه أتى برأى
سديد لا يقبل النقض وهو آخر سهم في جعبة سهام باطله ختم به
هذه المحاضرة وفساده عند كل عاقل اجتماعي مطلع على تاريخ البشر
منذ نشأتهم الى زماننا هذا بدهى البطلان ، وذلك من وجهين :

(الاول) اشترطه في صحة خلافة النبوه سيرها مع الزمن في طريق يؤمن فيه العثار اى لا يعارضها ولا يخرج عليها احد ابدأ وهذا الشرط واضح من فحوى كلامه، (ان مسألة الخلافة الاسلامية والاستخلاف لم تسر مع الزمن في طريق يؤمن فيه العثار) ولم يشترطه مسلم ولا كافر فلم يقل عاقل من بنى آدم يشترط في صحة خلافة النبوة أمنها في سيرها مع الزمن من معارض يعارضها أو خارج يخرج عليها وعليه فلا وجود للخلافة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام في الارض وهو فاسد بديهية لتكذيبه للواقع والتاريخ وصريح القرآن فخلافة الصديق رضى الله تعالى عنه لم تسر مع الزمن في طريق يؤمن فيه العثار لان جل العرب بعد وفاة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم رجعوا الى دين الجاهلية فحاربهم حتى ارجعهم الى دين الحق صاغرين ولا يستطيع أحد ان يثبت رضى هؤلاء عن أبى بكر ولو بعد رجوعهم الى الاسلام، وخلافة الفاروق رضى الله تعالى عنه تنغصت في آخرها بتشغيب الكوفيين بكثرة شكاياتهم لامرأهم العدول فإى رضى عنه ومحبة له لهؤلاء مع حالتهم هذه وبكراهة كثير من احداث قریش له لمنعه لهم من الخروج الى الامصار وقد تقدم قوله رضى الله تعالى عنه ما ترك الحق لعمر صديقا، وخلافة ذى النورين تنغصت عليه ايضا في آخرها بخروج مئين من قبائل شتى من الامصار عليه بطراً حتى ادى الى قتله رضى الله تعالى عنه شهيداً مظلوماً فالواقع دل على ان رضى الامة كلها عن كل واحد من هؤلاء الخلفاء الثلاثة ومحبتهم له احدى المستحيلات ولا يقدر هذا الواقع في كمال خلافتهم كما لا يقدر فيها تكفير الراضة لهم ولجل الصحابة، وتكفير الخوارج لذى النورين وحيـدرة وجمهور الصحابة، ولم يقل مؤرخ مسلم منسب لأهل الحق أن الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً لم يكونوا خلفاء لأن الامة الاسلامية كلها لم تتفق على محبتهم والرضا عنهم وتكذيبه لصريح القرآن في وعده تعالى لعباده المؤمنين بالاستخلاف في الارض والتمكين قال تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً ﴿ بل يلزم من هديانه هذا أيضاً تكذيب الواقع والتاريخ في كل قائم بالحق في الارض من خواص عباده رسله الى خلقه بالهدى والبيئات لان الناس كذبوهم وآذوهم بل قتلوا بعضهم . فهذا ابونا الاكبر آدم عليه السلام جعله الله خليفة في الارض فعقه ابنه قاييل وعصى ربه وقتل اخاه هابيل وكفر هو وذريته فيلزم من شرطه هذا عدم صحة خلافة آدم لانها لم تسر مع الزمن في طريق يؤمن فيه العثار لأن اولاده لم يتفوقوا كلهم على طاعته والرضا بخلافته ، ويلزم منه ايضاً ان الله تبارك وتعالى لم يحل خلافة آدم عليه السلام حلاً محدداً رضيه جميع اولاده، نعوذ بالله من فلتات اللسان وفساد الجنان ويطرد هذا الالزام في كل قائم بالحق من رسل الله أو غيرهم

الثاني اشتراطه في الخليفة محبة الناس له في كلامه السابق في نقده ، الطريقة الثانية طريقة استخلاف الصديق للفاروق وهو شرط لم يشترطه عاقل من بنى آدم وهنا زاد في تعريف الخلافة شرطاً آخر وهو ان تحل حلاً محدداً رضاه الامة وتدفع عنه ، قال (بل كان تركها على ما هي عليه من غير حل محدد رضاه الامة وتدفع عنه سبباً لاكثر الحوادث التي اصابت المسلمين) . فنتيجة هذا الكلام في التارك للخلافة على ما هي عليه من غير حل محدد رضاه الامة وتدفع عنه ، دائرة بين كونه الشارع وبين كونه الامة ، ويؤيد كونه الشارع قوله من غير حل محدد رضاه الامة فانه يقتضى ان الحال للخلافه حلاً محدداً مقابلاً برضى الامة هو غير الامة وليس هو الا الشارع وحمله على بعض الامة اهل الحل والعقد وان كان ممكناً بعيداً لان المتبادر في أل في الامة حملها على الجنس الاستغراقي اى جميعها ويؤيد كونه الشارع ايضاً استخلاف الله لآدم عليه السلام فان الله تعالى لم يحلها على رأيه هذا حلاً محدداً رضى به اولاده كلهم ، ويؤيد كونه الامة قوله سابقاً (٣٠ - تحذير العقبرى)

(وليس هناك حدود معينه في الشريعة يقال إن احدهما تعداها)،
وقوله ايضا (كأن الشريعة ارادت ان تكل هذا الامر للمسلمين حتى
يحلوه بانفسهم) فينحل هكذا، ترك الشارع والامة الخلافة الاسلامية
من غير حل ترضاه الامة وتدفع عنه سبب اكثر الحوادث
التي اصابت المسلمين وبذرت بينهم انواع الشقاق والحروب المتواصلة
فخلاصة هذه الخلاصة تحميله مسؤولية اهمال الخلافة على الشارع والامة
معا، نعوذ بالله من فلتات اللسان وفساد الجنان وتنتجتها أيضا أن الامة
الاسلامية بعد وفاته عليه الصلاة والسلام صارت في فوضى متواصلة
الى قيام الساعة لعدم وجود خلافة محددة معينة ترضاها الامة وتدفع
عنها، وخلاصة هذه المحاضرة طعنه في الخلافة عموماً وفي خلافة علي
خصوصاً وفي ستة الشورى تصریحاً وفي بقية الصحابة تلويحاً وتصريحاً،
وبعد فالذي اجزم به أنا ويجزم به كل عاقل اطلع على محاضراته بامعان
- أنه لا يخلو من أن يكون جاهلاً أو متأثراً بالأجانب تقليداً أو تأجييراً
وأوهنا مانعة خلوتجوز الجمع.

تحقيق عالم اصولی كبير

في خلافة الخلفاء الأربعة رضی الله عنهم

قال الحافظ أبو بكر بن العربي الاشيبلي في أحكامه في تفسير قوله تعالى
(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض)
الخ ما نصه فيها خمس مسائل . (المسألة الأولى) في سبب نزولها روى
أن بعض أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شكى اليه ما هم فيه من العدو وتضييقه
عليهم وشدة الخوف وما يلقون من الاذى فنزلت هذه الآية بالوعد الجميل
لهم فأنجزه الله تعالى وملكتهم ما وعدهم وأظهرهم على عدوهم . وروى أبو
العالية قال مكث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين خائفاً يدعو
إلى الله سرّاً وجهراً ثم أمر بالهجرة إلى المدينة فمكث بها وأصحابه خائفين

يصبحون في السلاح ويمسكون ، فقال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع
عنا السلاح. فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلمة معناها لا تعبرون إلا
يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبياً ليس بيده حديدة وأنزل
الله هذه الآية: (المسألة الثانية) قال مالك نزلت هذه الآية في أبي بكر وعمر
(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) إلى آخرها ، وقال علماءنا
هذه الآية وعد حق وقول صدق يدل ذلك على صحة إمامة الخلفاء الأربعة
لأنهم لم يتقدمهم أحد في الفضيلة إلى يومنا هذا فأولئك مقطوع بامامتهم متفق
عليهم وصدق وعد الله فيهم وكانوا على الدين الذي ارتضى لهم واستقر الأمر
لهم وقاموا بسياسة المسامحة وذبوا عن حوزة الدين فنفذ الوعد فيهم وصدق
الكلام فيهم وإذا لم يكن هذا الوعد بهم ينجز وفيهم نفذ وعليهم ورد
ففيهم يكون إذاً. وليس بعدهم مثلهم إلى يومنا هذا ولا يكون فيما بعده
قام أبو بكر بدعوة الحق واتفق الخلق وواضح الحجة وبرهان الدين
وأدلة اليقين فبايعه الصحابة ، ثم استخلف عمر فلزمت الخلافة ووجبت
النيابة وتعين السمع والطاعة . ثم جعلها عمر شورى فصارت لعثمان
بالنظر الصحيح والتبجيل الصريح والمساق الفسيح جعل الثلاثة أمرهم
إلى ثلاثة ، ثم أخرج عبد الرحمن نفسه بشرط أن يكون إلى من اختاره
من الرجلين فاختر عثمان وما عدل عن الخيار وقدمه وحقه التقديم على
على رضى الله عنهما . ثم قتل عثمان مظلوماً في نفسه مظلوماً جميع الخلق
فيه فلم يبق إلا على أخذاً بالافضل فالافضل وانتقالاً من الاول إلى الاول
فلا إشكال لمن جنف عن المحال أن التنزيل على هؤلاء الأربعة وعد الله في
هذه الآية ثم كملت الحال لابى بكر فاتحة وخاتمة ، ثم كملت لعمر وكسر
الباب فاختلفت الخشكار بالباب وانجرت الحال مع عثمان واضحة للعقلاء
معتزلاً عليها من الحمقى ، ثم نفذ القدر بقتله ايثاراً للخلق منه على نفسه
وأهله ، ثم قام على أحسن قيام لو ساعده النقص والابرام ولكن وجد
الأمر شرراً وما رام رتق خصم إلا انفتق عليه خصم ولا حاول طي منتشر

الا عارضه عليه أشر . ونسبت اليه أمور هو منها برىء براءة الشمس من
الدينس والماء من القبس وطالبه الاجل حتى غلبه فانقطعت الخلاقة وصارت
الدنيا ملكا تارة لمن غلب وأخرى لمن خلب حتى انتهى الوعد الصادق
ابتداؤه وانتهائه أما الابتداء فهذه الآية ، وأما الانتهاء فيحديث سفينة ،
قال سعيد بن جهمان عن سفينة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك من يشاء ، قال سعيد قال لى
سفينة أمسك عليك أبو بكر سنتين وعمر عشرأ وعثمان اثني عشر وعلى
كذا. قال سعيد قلت لسفينة إن هؤلاء يزعمون أن عليا لم يكن خليفة قال
كذبت استاه بنى الزرقاء يعنى بنى مروان زاد فى رواية أعدد أبو بكر كذا
وعمر كذا، وعثمان كذا، وعلي كذا. والحسن ستة أشهر. فهؤلاء ثلاثون سنة
وقد روى الترمذى وغيره أن رجلا قام الى الحسن ابن على بعد ما بايع
معاوية فقال له يا مسود وجوه المؤمنين. فقال لا بأس رحمك الله تعالى فان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أرى بنى أمية على منبره فساء ذلك فنزلت
(انا أعطيناك الكوثر) ونزلت (انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك
ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) يملكها بعدك بنو أمية يا محمد
قال القاسم راوى الحديث فعددناها فاذا هى ألف شهر لا تزيد ولا تنقص
وفى الحديث الصحيح ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أجلس الحسن فى
حجره على المنبر وقال ان ابنى هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين
فئتين عظيمتين من المسلمين . (المسألة الثالثة) فان قيل هذا الوعد يصح
لكم فى أبي بكر وحده ، فأما عمر فأى أمن معه ، وقد قتل غيلة ، وعثمان
قد قتل غيلة . وعلى قد نوزع بالجنية والجلية . قلنا هذا كلام جاهل غبى أو
متهاون يكن على نفاق خفى ، أما عمر وعثمان فيجاءهما أجلهما فماتا ميتتهما
التي كتب الله لهما وليس فى ضمن الامن السلام من الموت. بأى وجه وقع
وأما على فلم يكن نزاله فى الحرب مذهبا للأمن فليس من شرط الامن رفع
الحرب انما من شرطه ملك الانسان لنفسه باختياره وسلامته عن الغلبة

المشحونة بالذلة كما كان أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة فاما بعد ما صاروا الى المدينة فقد آلوا الى الامن والعزة ، في الصحيح عن خباب بن الارت رضى الله تعالى عنه قال شكونا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا فقال (كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له في الارض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحم من عظم وعصب وما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون) وحققة الحاء انهم كانوا مقهورين فصاروا قاهرين وكانوا مطلوبين فعادوا طالبين وهذا نهاية الامن والعز.

(المسألة الرابعة) قال قوم ان هذا وعد لجميع الامة في ملك الارض كلها تحت كلمة الاسلام كما قال صلى الله عليه وسلم (زويت لى الارض فأريت مشارق الارض ومغاربها وسيلبغ ملك أمتى ما زوى لى منها) قلنا لهم هذا وعد عام فى النبوة والخلافة واقامة الدعوة وعموم الشريعة بنفاذ الوعد فى كل أحد بقدره وعلى حاله حتى فى المفتين والقضاة والأئمة وليس للخلافة محل تنفيذيه هذه الموعدة الكريمة الا من تقدم من الخلفاء الاربعه .

المحاضرة التاسعة عشرة

تمسكه بالرواية الضعيفة في تأخر علي عن مبايعة أبي بكر
وكذبه على التاريخ في محاربة أبي بكر للمرتدين

قال في صفحة ١٧٠ منها : (ولم يزل علي بن أبي طالب ممتنعاً عن مبايعة
أبي بكر ستة أشهر حتى ماتت فاطمة رضي الله تعالى عنها وكانت لعلي من
الناس وجهة حياة فاطمة فلما ماتت استنكر وجوه الناس فاتمس مصالحة
أبي بكر فأرسل إلى أبي بكر أن أئمتنا ولا يأتنا معك أحد كراهية محضر عمر
ابن الخطاب فقال عمر لأبي بكر والله لا تدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر
وما عساهم أن يفعلوا بي والله لا يتنهم فدخل عليهم أبو بكر فتشهد علي ثم قال
إلى آخر الهراء) .

أقول هذا الهراء باطل غير صحيح قد تقدم إبطاله في بحث الخلافة
بتحقيق الحافظ ابن كثير في بدايته قال إن علياً بايع أبا بكر في ثاني يوم
السقيفة ولم يفارقه في سفر ولا حضر وقد حضر معه قتال الأعراب
المرتدين بذى القصة والأبرق .

وقال في ص ١٧٤ منها في حديثه عن خروج أبي بكر لقتال الأعراب
المرتدين لما هاجموا المدينة مانصه (فلما جاءته الأخبار مكث ينتظر بعث
أسامة لأنه كان فيه معظم القوة وكان جيران المدينة من عبس وذبيان قد
اجتروا عليها يريدون مهاجمتها فلما قدم بعث أسامة استخلف أبو بكر أسامة
على المدينة وكان قصده بذلك أن يرتاح جنده ويريحوا ظهورهم وهم بالخروج
فيمن معه من الجند وحرس المدينة لحرب عبس وذبيان فقال له المسلمون
نشذك الله يا خليفة رسول الله ألا تعرض نفسك فانك إن تصب لم يكن
للناس نظام ومقامك أشد على العدو فابعث رجلاً فان أصيب بعثت آخر
فقال والله لأفعل ولأواسينكم بنفسى فخرج في تعبته حتى نزل على أهل
الريذة بالأبرق فاقتتل جنده مع بني عبس فهزم العبسيون وأخذ الخطيئة

الشاعر أسيراً وأقام أبو بكر بالابرق أياماً (هـ).

أقول قد تحققنا عقيدة هذا المحاضر في جميع الصحابة رضوان الله عليهم أنهم عنده كسائر الناس إنما يقاتلون بالعدد والعدة غير مبال بما ميزهم به التاريخ المقطوع به كلام الله تعالى من الأخلاق العالية والصفات الكاملة التي منها الشجاعة الفائقة التي بزواياها الأمتين الجبارتين فارس والروم فدكوا عروشهم في آيات كثيرة تقدم ذكر بعضها في مقدمة بحث الخلافة. أظهر عقيدته هذه وجعلها قاعدة مطردة غير مبال أيضاً بتكذيب التاريخ الإسلامي الذي ألف فيه إذا خالفها سابقاً في غزوة مؤتة. فقد قال فيها (إن ثلاثة آلاف من الصحابة عدد قليل جداً في جانب مائتي ألف «أى من الروم» لا تمكثهم المقاومة بحال) ومدح خالداً فقط بالمهارة وأساء الأدب في تعبيره مع هؤلاء السادة الثلاثة الآلاف بقوله (وفي ذلك الوقت أظهر «أى خالد» مهارته في تخليص المسلمين مما ورطوا أنفسهم فيه) وما شعر أن هذه المهارة اكتسبها خالد بالقوة الروحية قوة الدين الذي دخل فيه وأن أكثر أفراد هذا العدد القليل الذى استطاع مقاومة مائتي ألف كل واحد منهم أقوى من خالد فيها وبها أدخلوه في الإسلام طائعاً بعد مشاهدته صدماتها الهائلة، وقد أفضت الكلام في دحض باطله هناك وعلى هذا الرأى الذى جعله قاعدة جبن أحزم الخلق وأشجعهم بعد الأنبياء الصديق الأكبر وجرين الصحابة الذين بقوا معه في المدينة بعد خروج أسامة رضى الله تعالى عنه بمعظمهم إلى الشام، وكذب على التاريخ المنقول نقلاً أوضح من الشمس هنا أيضاً دفعتين فمنطوق قوله (فلما جاءته الأخبار مكث ينتظر بعث أسامة إلى قوله فلما قدم بعث أسامة استخلف أبو بكر أسامة على المدينة) صريح في أحجام الصديق ومن معه عن الخروج إلى محاربة الأعراب مع قريتهم من المدينة حتى جاءه أسامة وجيشه من الشام فاذ ذاك تشجع وخرج إليهم فهزمهم بالابرق وعلل هذا الأحجام في قوله مكث ينتظر بعث أسامة بقوله لأنه كان فيه معظم القوة ولا شك أن هذا التعليل رعى له ولمن معه بالجبن ودليل على رأيه أن

الصحابة إنما يقاتلون بالعدة والعدد لا بالقوة الروحية وكذب على التاريخ
 الإسلامى فى هذه الدفعة ، والدفعة الثانية فى قوله : (وكان جيران المدينة
 من عبس وذبيان قد اجترءوا عليها يعنى « المدينة » يريدون مهاجمتها يعنى ولم
 يهاجموها بالفعل وهو غير صحيح فقد هاجموها ليلا فدحرهم الصديق
 ومن معه بنى حسا واتبعهم إلى ذى القصة قبل رجوع أسامة وجيشه من
 الشام وإلى القراء ملخص ذلك من كامل ابن الأثير (كان طليحة بن خويلد
 الأسدى قد تنبأ فى حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوجه إليه عليه
 الصلاة والسلام ضرار بن الأزور عاملا على بنى أسد وأمرهم بالقيام على
 من ارتد فضعف أمر طليحة حتى لم يبق إلا أخذه فضر به بسيف فلم يصنع
 فيه شيئاً فظهر بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه فكشتر جمعه ومات النبي
 صلى الله تعالى عليه وسلم وهم على ذلك فتبعه قومه وغطفان ولقيف من
 العرب فلم يحملهم المكان الذى هم فيه فأقامت طائفة منهم بالأبرق وسارت
 فرقة إلى ذى القصة وأرسلوا إلى المدينة وفدأ يبذلون الصلاة فى زعمهم
 ويمنعون الزكاة ، فقال أبو بكر والله لو منعوني عقلا لجاهدتهم عليه فرجع
 وفدهم وأخبروهم بقله من فى المدينة وأطمعوهم فيها وجعل أبو بكر بعد
 رجوع الوفد على أنقاب المدينة « أطرافها » التى يخشى دخول العدو منها
 علياً وطلحة والزبير وابن مسعود وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف
 الغارة من العدو لقربهم منها فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقت المدينة غارة
 مع الليل وخلفوا بعضهم بنى حسا « المعروف الآن بأبيار على » ليكونوا
 لهم رداء فوافوا ليلا الانقاب وعليها المقاتلة فمعوهم وأرسلوا إلى أبى بكر
 الخبىر فخرج فى أهل المسجد على التواضع فردوا العدو واتبعوهم حتى
 بلغوا ذاحسا فخرج عليهم رداء الأعراب بأنحاء قد نفخوها وفيها الجبال ثم
 دهدوها على الأرض فنفرت أبل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم إلى
 المدينة ولم يصرع مسلم وظن الكفار بالمسلمين الوهن فبعثوا إلى أهل ذى
 القصة بالخبىر فقدموا عليهم وبات أبو بكر يعبى الصحابة وخرج على تعبيته يمشى ،

وعلى ميمنته النعمان بن مقرن ، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن وعلى أهل الساقفة سويد بن مقرن فما طلع الفجر إلا وهم والعدو على صعيد واحد فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار . وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتل منهم رجال واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة وكان أول الفتح ووضع به النعمان بن مقرن في عدد ورجع إلى المدينة فذل له المشركون ، وبعد هذا بأيام قدم أسامة وجيشه من الشام فاستخلفه الصديق على المدينة مع جنده ليستريحوا ويرحوا ظهرهم وخرج أبو بكر فيمن كان معه إلى الأبرق فقاتل من به من الأعراب فهزمهم شزيمة إلى آخر بقية كلامه الذي ساقه (وهذا ظهر فساد نصف كلامه وكذبه على التاريخ وتجيئنه لأبي بكر ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم ، وفيها أيضاً غلط في وقت إدعاء مسيلة النبوة ص ١٧٨ قال . (كانت بنو حنيفة قد وفدت على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في حياته وأسلمت وكان فيهم مسيلة فلما شاع مرض الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم تنبأ مسيلة ودعا الناس إلى اتباعه اه) أقول مسيلة ادعى النبوة قبل مرضه عليه الصلاة والسلام بمدة وكسب إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتاباً يزعم فيه إنه شرك معه في النبوة وأن له ولقومه نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قریشا قوم يظلمون ، فأجابه عليه الصلاة والسلام بأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولقبه الكذاب . وفي الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : رأيت كأن في يدي سوارين من ذهب ففكرتهما فأوحى إلى أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأواتهما بهذين الكذابين اللذين أنا بينهما مسيلة والاسود العنسي .

المحاضرة العشرون

قال في آخر ص ١٩٣ وأول ص ١٩٤ منها (في أثناء الموقعة « يعني وقعة اليرموك ، جاء بريد المدينة وفيه خبر وفاة أبي بكر وخلافة عمر بن الخطاب وعزل خالد عن إمارة الجيش وتولية أبي عبيدة قائداً عاماً مكانه فأخذ خالد الكتاب وأسره إلى أبي عبيدة ولم يذعه لثلاثهن قوة الجنود وأخذ الكتاب فوضعه في كسنته حتى انتهت الموقعة بهذا النصر فسلم الكتاب إلى أبي عبيدة وسلم عليه بالامارة اه) . أقول هذا الكلام كله غير صحيح فعمّر رضي الله تعالى عنه إنما كتب لابن عبيدة ولم يكتب إلى خالد أصلاً لأنه كان عليه ساخطاً في خلافة أبي بكر كلها لوقعته بابن نويرة وما كان يعمل في حربه وأول ما تكلم به عزل خالد وقال لا يلي لي أبداً وكتب إلى أبي عبيدة بتوليته قائداً عاماً على الجيوش كلها . وقال في ص ١٩٤ أيضاً (فرحم الله خالداً فقد كان زينة في تاريخ أبي بكر وإلى هنا انتهت الاعمال الكبرى التي حدثت بين المسلمين وبين دولتي الروم والفرس في أيام أبي بكر وقطبها خالد بن الوليد المخزومي اه) . أقول قواد الصحابة كلهم كانوا زينة في تاريخ أبي بكر وأقطاباً في تلك الحروب وفي ص ١٩٥ قال (وفي عهده « أي أبي بكر » كتب القرآن لأول مرة في مصحف واحد بجمع سورته كلها وكان قبله محفوظاً مرتباً في الصدور ومكتوباً آيات وسوراً ليست مجتمعة فلما حصلت حروب الردة وكان قد قتل فيها كثير من القراء رأى أبو بكر أن يجمع القرآن في مصحف واحد إلى آخر الهراء اه) . أقول قد تقدم لإبطاله بأن أبا بكر إنما جمع القرآن المتفرق في صحف بسبب موت كثير من القراء في وقعة اليمامة ، والذي جمعه في مصحف واحد إنما هو ذوالنورين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهم .

المحاضرة الخامسة والعشرون

تنسكبه عن جادة الصواب وكذبه على أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه
في عزله بعض عماله

قال في ص ١٢ من الجزء الثاني مانصه : (وقد استحضر عمر إليه كثيراً من العمال الذين لهم أعظم فضل وأكبر عمل بشكاية قدمت إليه من بعض الأفراد فقد استحضر سعد بن أبي وقاص وهو فاتح القادسية والمدائن ومصر الكوفة وكان الذي شكاه ناس من أهل عمله بالكوفة فجمع بينه وبينهم فوجده بريئاً ، واستحضر المغيرة بن شعبة وهو أمير البصرة والمغيرة من الصحابة ومن ذوى الأثر الصالح في الفتوح الإسلامية وكان بعض من معه بالبصرة قد اتهمه بتهمة شنيعة فوجه إليه ذلك الكتاب الموجز الذي جمع في كلمة قليلة أن عزل وعاتب واستحث وأمر (أما بعد فقد بلغني نبأ عظيم فبعثت أبا موسى أميراً فسلم ما في يدك والعجل العجل) فقدم على عمر مع الشهود الذين شكوه ولم تثبت التهمة عليه عند عمر فعاقب شهوده بالحد الذي فرضه الله لمثلهم . وشكى إليه عمار بن ياسر وكان أميراً على الكوفة وهو من السابقين الأولين شكاه قوم من أهل الكوفة بأنه ليس بأمر ولا يحتمل ما هو فيه. فأمره أن يقدم عليه مع وفد من الكوفة فسأل الوفد عما يشكون من عمار فقال قائلهم إنه غير كاف ولا عالم بالسياسة وقال قائل منهم إنه لا يدري على ما استعمل ، فاخبره عمر في ذلك اختباراً يدل على سعة علم عمر بتلك البلاد فلم يحسن الإجابة في بعضه فعزله عنهم ثم دعاه بعد ذلك فقال أساءك حين عزلتك فقال والله ما فرحت به حين بعثتني وقد ساءني حين عزلتني ، فقال لقد علمت ما أنت بصاحب عمل ولكني تأولت قوله تعالى ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ﴾ ولم يرض عامل زمن عمر موثقاً به من عمر في كل أيامه إلا القليلين وفي مقدمتهم أبو عبيدة عامر بن الجراح اهـ . أقول اشتمل هذا الكلام إجمالاً على تدافع وطعن وتقصير وكذب على أمير المؤمنين عمر

رضى الله تعالى عنه . وبيانه ملخصاً من ابن الأثير وغيره قصة سعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه مع أولئك الأوباش الذين طعنوا فيه تقدم كثير منها في بحث الخلافة ، وأقول هنا أيضاً : ثار بسعد قوم سعوا به وألبوا عليه وكان ممن تحرك في أمره الجراح بن سنان الأسدي في نفر فبعث عمر محمد بن مسلمة يقتص آثار شكاية سعد فطاف بسعد على أهل الكوفة يسأل عنه فما سأل عنه جماعة إلا أثنوا عليه خيراً سوى من مالا الجراح الأسدي فانهم سكتوا ولم يقولوا سوءاً ولا يسوغ لهم حتى انتهوا إلى بني عبس فسألهم فقال أسامة بن قتادة : اللهم أنه لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية ولا يغزو في السرية . فقال سعد : اللهم إن كان قالحا رياء وكذباً وسمعة فاعم بصره وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن ، فعمى واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها فإذا ليم على ذلك قال دعوة سعد الرجل المبارك . ثم دعا سعد على أولئك النفر فقال اللهم إن كانوا خرجوا أشرا وبطراً ورياء فاجهد بلاءهم فجهدوا فقطع الجراح بالسيوف يوم بادر الحسن بن علي رضى الله تعالى عنهما ليغتاله بساباط وشدخ قبيصة بالحجارة وقتل أربد بالوجع ونعال السيوف وقال سعد رضى الله تعالى عنه أنى أول رجل أهرق دماً من المشركين ولقد جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه وما جمعهما لأحد قبلى ولقد رأيتنى خمس الإسلام ، وبنو أسد تزعم أنى لأحسن أصلى وأن الصيد يلينى . وخرج محمد بن مسلمة بسعد وبهم معه إلى المدينة فقدموا على عمر فأخبروه الخبر ، فقال كيف تصلى يا سعد . قال أطيل الأوليين واحذف الآخرين . فقال هكذا الظن بك يا أبا اسحاق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بيناً . وقال من خليفتك يا سعد على الكوفة . فقال عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقره .

وهمية المغيرة بن شعبة التي أشار إليها شهادة أبي بكره وأخيه لأمه زياد ابن أبيه ونافع بن كعدة وشبل بن معبد البجلي عليه بالزنا بامرأة عامرية وكانت دار أبي بكره مقابلة لدار المغيرة بينهما الطريق ولكل منها كوة مقابلة

للأخرى ففتح الريح باب كوة أبي بكرة فقام يسدها فبصر بالمغيرة وقد
فتحت الريح باب كوة مشربته وهو بين رجلي امرأة فقال للنفر قوموا
فانظروا فقاموا ونظروا فآتم الثلاثة الشهادة عليه بشروطها عند عمر . ولم
يتمها زياد فحد الثلاثة حد القذف ، وقال المغيرة لعمر عند حده للثلاثة
اشفني من الاعداء ، فقال له عمر اسكت أسكت الله نامتك والله لو تمت
الشهادة لرجمتك بأحجارك ، وكان عمر يقول لأبي بكرة وكان صحابياً جليلاً
تب أقبل شهادتك فيأبى حتى مات .

فقوله في سعد فوجده بريئاً متدافع مع قوله في آخر كلامه (ولم يمض
عامل زمن عمر موثقاً به من عمر في كل أيامه) وكذب علي عمر رضى
الله عنه فكيف يكون بريئاً عند عمر وغير موثق به عنده أيضاً في كل
أيامه . وهل هذا إلا الجمع بين المتناقضين ، ويطله أيضاً ثناء عمر عليه في كلام
ابن الاثير بقوله (هكذا الظن بك يا أبا اسحق ولولا الاحتياط لكان
سبيلهم بيناً) ، وثنائه أيضاً عليه مع بقية رجال الشورى ووصيته من يتولى
الخلافة بعده بتولية سعد . وقال فاني لم أعزله عن خيانه ، والمغيرة بن شعبة
ولاه عمر بعد عزله عن البصرة للتهمة المحكية على الكوفة بعد عزل أبي
موسى عنها فلو كان غير موثق به عنده ما ولاه مرة أخرى ووثق به وقد
ولاه أيضاً قبل هاتين على البحرين فكرهوه وشكوا منه فعزله فخافوا
أن يعيده عليهم فجمعوا مائة ألف فأحضرها الدهقان إلى عمر فقال إن
المغيرة اختان هذه فأودعها عندي فدعاه عمر فسأله ، فقال كذب انما كانت
مائتي ألف فقال وما حملك على ذلك قال كثرة العيال ، فسقط في يد الدهقان
فحلف وأكد الايمان انه لم يودع عنده قليلاً ولا كثيراً ، فقال عمر للمغيرة
ما حملك على هذا ، قال انه افترى على فأردت أن أخزيه ، وتوليته الثالثة
على الكوفة بعد عزل عمار عنها استمر فيها الى أن قتل عمر ، فأقره عثمان
ثم عزله فلو كان غير موثق به عنده ما ولاه ثلاث مرات على ثلاثة امصار
واستمر في الثالثة عاملاً حتى قتل عمر ، وقد قال المحاضر ان عمر رضى الله

عنه استحضر اليه كثيراً من العمال الذين لهم أعظم فضل وأكبر عمل ولكنه قصر فلم يذكر إلا سعداً وعماراً والمغيرة بن شعبة ، ومن العمال الذين استحضرهم اليه أيضاً أبو هريرة رضى الله عنه وولاه على البحرين فقدم بعشرة آلاف ، فقال له عمر استأثرت بهذه الاموال فمن أين لك ، قال خيل نتجت وأعطية تتابعت وخراج رقيق لى ، فنظر عمر فوجدها كما قال ثم دعاه ليستعمله أيضاً فأبى فقال لقد طلب العمل من كان خيراً منك قال انه يوسف نبي الله ابن نبي الله وأنا ابو هريرة ابن أميمة . فهذا أبو هريرة لما وجده الفاروق بريئاً بعد التحقيق معه عرض عليه العمل مرة ثانية فأبى واعتذر بما قاله فلو كان غير موثوق به عنده ما عرض عليه العمل مرة أخرى .

وروى عن عمر انه لما عزل خالداً عن قيادة الجيوش بالشام والمثنى ابن حارثة عن قيادة جيوش العراق قال انما عزلتهما ليعلم الناس ان الله نصر الدين لا بنصرهما وان القوة لله جميعاً ، فقد صرح الفاروق بعزله في عزل هذين القائدين العظيمين بانه لم يعزلهما عن خيانه واثنى على خالد ثناء عظيماً وصرح بندمه على عزله .

وقصر أيضاً في عدم ذكر أبي موسى الأشعري رضى الله عنه فقد وولاه الفاروق على الكوفة بعد عمار بطلب منهم له ، قال لهم عمر من تريدون فقالوا أبو موسى الأشعري ، فأقام أميراً عليهم سنة ، ثم شكوه إلى الفاروق وزعموا أن غلامه يتجر . فعزله عنهم وخلا عمر في ناحية المسجد فأتاه المغيرة بن شعبة فحرسه حتى استيقظ فقال : ما فعلت هذا يا أمير المؤمنين إلا من عظيم . فقال وأى شيء أعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير ، وأتاه أصحابه فقالوا : ما شأنك؟ فقال : إن أهل الكوفة قد عضلوني واستشارهم فيمن يوليه وقال ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوى مسدد . فقال المغيرة : أما الضعيف المسلم فان إسلامه لنفسه وضعفه عليك وأما القوى المسدد فان سداده لنفسه وقوته للمسلمين ، فولى المغيرة الكوفة فبقى عليها حتى

مات وذلك نحو سنتين وزيادة . وقال له حين بعثه يا مغيرة ليا منك الأبرار
وليخفك الفجار ، ثم أراد عمر أن يبعث سعداً على عمل المغيرة فقتل
قبل ذلك . وولى أبا موسى على البصرة بدل المغيرة وأمره بلزوم السنة
فقال أعنى بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم في
هذه الأمة كالمح فقال له خذ من أحببت قال فاخذ معه تسعة وعشرين رجلاً
منهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر ، فافتتح أبو موسى
الأنهواز وأصبهان وبقي أميراً عليها حتى قتل عمر وأقره عثمان عليها قليلاً
ثم عزله عنها وولى عليها عبد الله ابن عامر . فلو كان أبو موسى غير موثوق
به عند عمر ماواه مرة ثانية على البصرة بعد عزله عن الكوفة وقد قال
في أول كلامه (استحضر عمر إليه كثيراً من العمال الذين لهم أعظم فضل
وأكبر عمل) .

ثم قصر بمقام سعد وعمار عن المغيرة فقال فيه (وهو من الصحابة
ومن ذوى الأثر الصالح فى الفتوح الإسلامية) ، واكتفى فى سعد بقوله
(وهو فاتح القادسية والمدائن ومصر الكوفة) وقد تقدم شىء من مناقبه
وأثاره الصالحة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . واكتفى فى عمار
بقوله (وهو من السابقين الأولين) وسعد وعمار من السابقين الأولين
لو لم يكن لهما من الآثار فى الإسلام إلا جميع المشاهد مع رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم لكفاهما ، ولو لم يكن لهما من المشاهد معه إلا بدر
وأحد والخندق لكفاهما ذلك والمغيرة يعد بالنسبة إليهما وإلى جميع السابقين
فى الدرجة الثالثة لأنه أسلم قبل الحديبية ، وعمار وأبوه وأمه كانوا ممن عذب
فى الله ، فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمر عليهم فيقول صبراً آل
ياسر موعدكم الجنة . واتفق العلماء على أن قوله تعالى ﴿ إلا من أكره
وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ نزلت فيه . وعن على رضى الله تعالى عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : (إن عماراً ملىء إيماناً
إلى مشاشه) أخرجه الترمذى وابن ماجه وسنده حسن . وأخرج الترمذى

أيضاً والحاكم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (ان الجنة لتشتاق إلى ثلاثة
علي وعمار وسلمان) وعن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه قال كان بيني
وبين عمار كلام فأغلظت له فشق كاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجاء خالد
فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه وقال : (من عادى عماراً
عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله) . قال خالد فما زلت أحبه من
يومئذ . وفي الترمذى عن عائشة مرفوعاً (ما خير عمار بين أمرين إلا اختار
أيسرهما) . وعن حذيفة رفعه (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر
واهتدوا بهدى عمار) أخرجه الترمذى وقال حسن وابن ماجه . وتواترت
الاحاديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أن عماراً تقتله الفئة الباغية) .
وأبلى يوم بدر بلاء حسناً وشهد اليمامة فأبلى فيها بلاء حسناً وقطعت فيها
أذنه . قال ابن عمر رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف
يصبح يامعشر المسلمين أمن الجنة تفرون أنا عمار بن ياسر هلموا إلى
وأنا أنظر إلى أذنه وقد قطعت فهي تذبذب وهو يقاتل أشد القتال . وكتب
عمر إلى أهل الكوفة لما استعمله عليهم (إنه من النجباء من أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم) . وقد نقض المحاضر ثناءه عليه في قوله (من العمال
الذين لهم أعظم فضل وأكبر عمل) فطعن فيه بقوله (شكاه قوم من أهل
الكوفة بأنه ليس بأمير ولا يَحتمل ما هو فيه إلى آخر الهراء) تقليداً لابن
جرير وهذا وإن كان ثقة فتاريخه كثير الروايات الباطلة ، وهذا الطعن
في عمار باطل رواية ودراية ، أما بطلانه رواية فإن إسناده يدور
على ثمانية رجال اتفق أئمة النقد من المحدثين على عدم اعتبارهم :
(١) سيف بن عمر الضبي مصنف الفتوح والردة يروى عن خلق كثيرين
من المجهولين قال ابن نمير كان سيف يضع الحديث وقد أتهم بالزندقة ، وقال
أبوداود ليس بشيء وقال أبو حاتم متروك ، وقال ابن عدى عامة حديثه
منكر . (٢) شعيب بن ابراهيم الكوفي مجهول . (٣) اسماعيل بن خالد
الكوفي أيضا مجهول ، (٤) زكريا بن سياه أيضا مجهول . (٥) خليل بن

ذفرة أيضا مجهول . (٦) وأبوه كذلك ، (٧) هشام بن عبد الرحمن الثقفي
مجهول أيضا . (٨) مجالد بن سعيد الهمداني قال ابن معين وغيره لا يحتج به ،
وقال أحمد ليس بشيء ، وقال النسائي ليس بالقوى ، وقال الدارقطني ضعيف
وقال البخاري كان يحيى بن سعيد يضعفه . وكان بن مهدي لا يروى عنه ،
وبهذا ظهر بطلان هذا الخبر رواية ، وأما بطلانه دراية فمن ثلاثة أوجه
الأول حسن جوابه لعمر حين سأله أساءك العزل ، فقال ما سرني حين
استعملت ولقد ساءني حين عزلت ، فهذا الجواب جواب ذكي يدري
ما استعمل عليه فلو كان غير كاف ولا عالم بالسياسة ولا يدري على
ما استعمل كما زعم المشغبون . لم يحسن من عمر سؤاله وأى فائدة - يستفيدها
من مستحق للعزل بسؤاله غير العيب به وحاشا الفاروق من العيب باخوانه
الصحابة مطلقاً . فكيف بأعيانهم وبهذا ظهر فساد قوله (فاخبره
عمر في ذلك اختباراً يدل على سعة علم عمر بتلك البلاد فلم يحسن الاجابة
في بعضه فعزله عنهم) ، الثاني : دل هذا الخبر المختلق على عمار وعمر على أن
واضعه غبي لم يحكم وضعه يريد أن يطعن في عمار ويمدح عمر ولم يشعر
بأنه ذمهما وطعن فيهما معاً بل طعنه به في عمر أشد وأولى من طعنه به
في عمار . وذلك في زعمه عن عمر أنه قال لعمار (لقد علمت ما أنت بصاحب
عمل ولكني تأولت قوله تعالى ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض
ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ﴾) ، وإذا كان عمر يعلم أن عماراً ليس
بصاحب عمل أى لا يصلح لولاية الامصار فتوليته له على مصر سكانه
ينوفون عن مائة الف غير ما يتبعه من الرساتيق والقرى والمزارع الواسعة
لا تخلو من أن تكون غشاً لاهل هذا الاقليم العظيم أو عبثاً بكرامتهم
وكلاهما محال على ابن حفص فقد برأه الله تعالى في التاريخ المقطوع به
وبرأه التاريخ المنقول نقلًا اوضح من الشمس في سيرته العاطرة
من الغش . لرعيته والعيب بكرامتهم وهل يعقل تأوله الآية الواردة في قصة
فرعون مع بنى اسرائيل على تولية شخص لا يصلح للولاية وهل هذا
(٣٢ - تحذير العبقري)

التأويل فيه مع علمه بعدم كفاءته الا عبث ثان . الثالث : تقدم أن الفاروق كتب الى أهل الكوفة لما ولى عليهم عماراً يثني عليه بقوله (إنه من النجباء من اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فشأوه عليه بالنجابة والصحة يناقض قوله المختلق عليه (لقد علمت ما أنت بصاحب عمل ولكني الخ) فلو صح هذا المختلق عنه لكان طعناً فيه قبل عمار وبطل ثناؤه عليه بالنجابة لكنه لم يصح فثبت ثناؤه عليه وثبت به ان الذين شكوه لعمر ظالمون مشغبون عليه وتحقق بما قررته أن هؤلاء الصحابة الاجلاء الذين عزههم الفاروق سعداً وعماراً وأبا موسى الاشعري، والمغيرة بن شعبة، و ابا هريرة، وخالداً، والمثنى بن حارثة، كلهم عدول براء موثوق بهم عند الفاروق ابتداء ودواماً وان الذين شكوا كل واحد من الثلاثة الاول عصبة من اهل الكوفة وان اهل الكوفة هم اول الامصار التي قامت على الخلفاء - بشكاية أمرائهم بطراً ثم تلاهم اهل البصرة والمصريون في خلافة عثمان وظهر للقراء فساد قوله (ولم يمض عامل زمن عمر موثوقاً به من عمر في كل ايامه الا القليلين) .

لا صحة لما يشاع عن عمر رضى الله عنه

انه كان يشاطر عماله اموالهم

قال في ص : ١٣ ج ٢ ما نصه وقد شاطر عمر بعض العمال ما في ايديهم حين مارأى عليهم سعة لم يعلم مصدرها ولم يفعل هذا الفعل الا قليلاً وربما وجد هذا العمل مجالاً للانتقاد من الوجهة النظرية الدينية ولكن عمر كان يعرف من عماله من يستحق أن تقع به تلك العقوبة اذا ما ذا يعمل برجل ولاه وهو يعرف مقدار عطائه ورزقه ثم يراه بعد ذلك قد أثرى ثروة لو جمعت أعطياته ما بلغتها : لم ير عمر امام ذلك الا هذه المصادر وقد اكتفى بان يشاطر العامل ما يملك ولست اريد ان احسن هذه الطريقة . ولى عتبة بن ابي سفيان على كنانة فقدم معه بمال فقال عمر ما هذا يا عتبة

قال مال خرجت به معي واتجرت فيه قال ومالك تخرج هذا المال معك في هذا الوجه فسيره في بيت المال ، وكانت التجارة هي التسكأة التي يتكئ عليها بعض العمال في ثروتهم وكان عمر يمنعهم عن التجارة منعاً باتاً وعلى الجملة فشدت عمر على عماله رفعت الرعية اه). قوله وقد شاطر عمر بعض العمال الى قول ولي عتبة بن أبي سفيان باطل لا صحة له وقد تقدم تقرير غزله رضى الله عنه لخسة من عماله وقائدين واضحاً وهم سعد بن أبي وقاص وعمار بن ياسر والمغيرة بن شعبة وابوموسى الاشعري وابوهريرة وخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة ، وثبتت براءة جميعهم عنده ، ولم يثبت في التاريخ أنه أخذ درهماً من واحد منهم وهؤلاء أحد عشر عاملاً له أيضاً من الصحابة . العلاء بن الحضرمي ، سعيد بن عامر بن حذيم ، عمير بن سعد الانصارى ، عتاب بن أسيد ، نافع بن عبد الحارث الخزاعى ، قدامة بن مظعون ، عمرو بن العاص ، يزيد بن أبي سفيان ، أخوه معاوية - يعلى بن منية ، عثمان بن أبي العاصى الثقفى . الجميع مترجمون في طبقات الصحابة مذكورون في التاريخ الاسلامى لا يستطيع أى انسان أن ينقل عن الفاروق انه أخذ درهماً واحداً من مال واحد منهم فضلاً عن أخذه شطر ماله وكيف يخون عمر من عدلهم الله وأثنى عليهم فيأخذ شطر أموالهم وقد شاركوه في صحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمآثر الصالحة وكثير منهم شاركوه في السبق إلى الاسلام بل بعضهم سبقه اليه كسعد وعمار وقدامة بن مظعون ولا حاجة بنا بعد هذا إلى أبطال هرائه هذا جملة جملة . وقوله ولي عتبة بن أبي سفيان على كنانة الى آخر قصته قلد فيها بن جرير وهى باطلة أيضاً من ثلاثة أوجه .

(الأول) ابن جرير رواه باسناد رواته مجهولون .

(الثانى) كنانة قبيلة أهل عمود كانوا ساكنين حول مكة فهم تابعون

لامارتها فليست بلدة حتى تحتاج الى أمير خاص بها .

(الثالث) عتبة بن ابي سفيان ولد في آخر العهد النبوي وعليه يكون عمره في آخر خلافة عمر أربعة عشر سنة على أكبر تقدير فلا يصح تولية الفاروق من كان في هذا السن وقد ذكره الحافظ بن حجر في اصابته في القسم الثاني من حرف العين فيمن لم يره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يرد انه سمع منه لصغره قال في ترجمته مانصه: عتبة بن ابي سفيان بن حرب بن أمية الأموي أخو معاوية لأبويه: قال ابن منده ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاه عمر بن الخطاب الطائف (قلت) لم أر له بعد التبع الكثير ذكرا قبل شهوده الدار حين قتل عثمان رضى الله تعالى عنه ولم أر في ترجمته عند ابن عساکر ما يدل على أنه ولد في العصر النبوي وهو محتمل وانما ولاه الطائف أخوه معاوية اه وبهذا ظهر بطلان هذه القصة كما ظهر أيضا بطلان قوله (وكانت التجارة هي التسكأة التي يتسكء عليها بعض العمال في ثروتهم إلى آخر الهراء) .

تأوله كلام الفاروق بتأويل فاسد

وكذبه عليه وعلى التاريخ وحذفه منه ما لا يوافق هواه

قال في ص ١٨ ج ٢ (رأى عمر في الاجتماعات) (كان عمر يميل إلى أن تكون مجتمعات الناس عامة يهوى إليها جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وكان يكره اختصاص الناس بمجالس لأن ذلك يدعوهم إلى أن تكون لهم آراء متفرقة متباينة . روى ابن عباس أن عمر قال لناس من قريش بلغني أنكم تتخذون مجالس لا يجلس اثنان معاً حتى يقال من صحابة فلان من جلساء فلان (حتى تحوميت المجالس) وأيم الله أن هذا لسريع في دينكم سريع في شرفكم سريع في ذات بينكم ولكأني بمن يأتي بعدكم يقول هذا رأى فلان قد قسموا الإسلام أقساماً أفيضوا مجالسكم بينكم وتجالسوا معاً فانه أدوم لالفتكم وأهيب لكم في الناس) وفي الحق أن ابتعاد الخاصة عن عامة الناس واختصاصهم بأفراد يجلسون إليهم مضيق كثيراً لما ينتظر

من تربية الخاصة للعامة . ومفيد فأداة كبرى وهى نقل أقوالهم غير محرقة ولا مشوبة بما يطمس حقيقتها ثم أن كثرة المجالس تدعو بدون ريب إلى كثرة الاختلاف فى المسائل التى تعرض لهم فتكثر الأقوال المتباينة فى الدين والذى خافه عمر على الناس وعلى من يأتى قد وقع فكثرت الآراء المنقولة من أفراد ذلك العصر ودعا ذلك إلى اختلاف الناس فى الدين اختلافا عظيما اه) .

أقول هذا الخبر عن عمر رضى الله تعالى عنه رواه ابن جرير هكذا :
(حدثنى عمر حدثنا على عن ابن داب عن أبى معبد الأسلمى عن ابن عباس أن عمر النخ) وهو باطل لأن عمر فى أول السند مجهول وعلى كذلك فإن كان على هذا هو على بن سهل المدائنى أحد شيوخ ابن جرير فهو أيضاً مجهول الحال وبينه وبين بن داب انقطاع وابن داب كذبه أبو زرعة وبينه وبين أبى معبد أيضاً انقطاع فلا تصح روايته عنه ، وإنما يروى عن صفوان بن سليم ، وأبو معبد مولى ابن عباس ثقة ولكنه لم يوصف بالأسلمى وهذا وصف بذلك فهو إذاً غير مولى ابن عباس فهو مجهول أيضاً وإضافته لابن عباس لا ترعه فقد أضاف الناس ونسبوا اليه إلى سيد الرسل وإلى غيره . وقد اعتمد المحاضر على هذا الخبر الواهى وتصرف فيه بثلاث تصرفات قبيحة (الأول) حمله له على عموم الناس وهو خاص . (الثانى) تأوله نبيه لذلك الفريق من قریش عن المجالسة الخاصة بسبب كثرة أقوالهم المتباينة فى الدين وظاهره فى غيرها (الثالث) حذفه منه ما لا يوافق هواه ، أما الأول فمنطوق قول ابن عباس أن عمر قال لناس من قریش بلغنى إلى آخر الكلام ينادى بأنه لم يقل هذا الكلام لجميع المسلمين بالمدينة . بل ولا لجميع الصحابة . مهاجرين وأنصاراً . بل ولا لجميع قریش . وإنما قاله لناس مخصوصين من قریش ولعلمهم إن صح بعض الأحداث منهم وحيثئذ فحمله له على عموم المسلمين فى قوله (رأى عمر فى الاجتماعات . كان عمر يميل إلى أن تكون مجتمعات الناس عامة يهوى إليها جميع الناس على اختلاف طبقاتهم) وعلى أن عمر

كان يكره اختصاص الناس بمجالس في قوله (وكان يكره اختصاص الناس بمجالس لأن ذلك يدعوهم إلى أن تكون لهم آراء متفرقة متباينة) تصرف قبيح وكذب على عمر وعلى التاريخ فإنه لم ينقل عنه رضى الله تعالى عنه أنه نهى ناساً مخصوصين عن المجالس المخصوصة بالمذاكرة في العلم فضلاً عن عموم المسلمين ، وأما الثانى فظاهر هذا الخبر لا يدل على النهى عن المجالس العلمية التى تكثر فيها الأقوال المتباينة فى الدين كما زعم . ولا يقال يدل عليها قوله (ولكأنى بمن يأتى بعدكم يقول هذا رأى فلان قد قسموا الإسلام أقساماً) ، فقوله (قد قسموا الإسلام أقساماً دليل عليها لأن معناه قد قسموا مسائل الإسلام أقساماً لأننا نقول معناه قد قسموا رجال الإسلام أقساماً وليس تقدير أحد المضافين أولى من تقدير الآخر على أن تقديره رجالاً يؤيده قوله بعده (أفيضوا مجالسكم بينكم وتجالسوا معاً فإنه أدوم لافتكهم وأهيب لكم فى الناس) فهو أولى وتقسيم رجال الإسلام معناه تشيع كل جماعة لشخص منهم وهذا لا يلزم منه حصر النهى فى كثرة الاختلاف فى مسائل الدين فقد يتشيعون له لسخائه أو شجاعته أو حلمه أو خلق من أخلاقه الفاضلة . وقد زاد المحاضر فى طنبور هذا الخبر الواهى نعمتين : تعميمه فى جميع المسلمين وهو خاص بناس من قریش ، وحمله على المجالس العلمية ومسائل الدين وقد شرح هذا الجمل بقوله (وفى الحق أن ابتعاد الخاصة عن عامة الناس واختصاصهم بأفراد يجلسون إليهم إلى آخر ثرثرته) وهى باطلة من ثلاثة أوجه : الاول مسائل العلم والدين ليست محصورة فى قریش كلها فضلاً عن إناس منهم مخصوصين بمجالس فنهيه لهؤلاء المخصوصين عن مجالس العلم الخاصة لا يصح بل نهى قریش كلها عن ذلك لا يصح . (الثانى) لو كان المراد بنهيه هذا عن المجالس الخاصة ما يحصل فيها من كثرة الاختلاف فى مسائل الدين ، لنهى جميع المسلمين بالمدينة عن ذلك ولا سيما الانصار رضى الله عنهم فان العلماء فيهم كثيرون وكان لكل واحد منهم تلامذة يسمعون منه ، منهم أبى بن كعب سيد القراء وعبادة بن

الصامت وأبو سعيد الخدرى وأبو أيوب وجابر بن عبد الله وزيد بن أرقم
وزيد بن ثابت والبراء ابن عازب ورافع بن خديج وغيرهم (الثالث)
لو كان عمر رضى الله عنه يجب أن تكون مجتمعات الناس للمذاكرة في
العلم عامة ويكره المجالس الخاصة فيه لافضائها إلى كثرة الاختلاف في
مسائل الدين لا وصى علماء الصحابة الذين بعثهم إلى الامصار لتعليم الناس
بأن يجتمع علماء كل مصر ويعلموا الناس ولا يختص واحد منهم بمجلس.
والتاريخ لم ينقل هذا عنه ولا عن أولئك العلماء أنهم كانوا يجتمعون كلهم
في مجلس واحد لتعليم الناس فدل على أن فهمه من هذا الخبر الواهي ماثرثر به
كذب على الفاروق وعلى جميع علماء الصحابة ، فقد بعث عمر إلى الشام منهم
عبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل وأبالدرداء وغيرهم وكان الناس يأتون
كل واحد منهم على انفراد فيسمعون منه ، وهكذا في الكوفة فقد بعث
إليها جماعة منهم أبرزهم ابن مسعود فكان له تلامذة مختصون به مبرزون ،
وهكذا في البصرة فقد تقدم أنه لما ولى عليها أبا موسى الأشعري قال له
أعنى يا أمير المؤمنين بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم
في هذه الأمة كالمالح فقال له خذ من أحببت فاختر منهم تسعة وعشرين
صحابوه إليها منهم عمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر فقوله
(فقد كثرت الآراء المنقولة من أفراد ذلك العصر ودعا ذلك إلى اختلاف
الناس في الدين اختلافاً عظيماً) فاسد وكذب على السلف الصالح إن أراد
بكثرة الآراء المنقولة من أفراد ذلك العصر الآراء المتباينة في أصول الدين
وهو ما دل عليه كلامه السابق على هذا وهو (ثم إن كثرة المجالس تدعو بدون
ريب إلى كثرة الاختلاف في المسائل التي تعرض لهم فتكثر الأقوال
المتباينة في الدين) واللاحق له وهو (ودعا ذلك إلى اختلاف الناس في
الدين اختلافاً عظيماً) ، فان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بل وجمهور
التابعين واتباعهم كانوا كلهم على عقيدة واحدة بيضاء نقية وأول بدعة حدثت
في آخر عصر الصحابة بدعة القدر وأول من أشاعها وجادل عليها غيلان ،

وإن أراد بكثرة الآراء المنقولة من أفراد ذلك العصر كثرة اختلافهم في مسائل الفروع فهو صحيح وإن كان غير مقصود من سياق كلامه واختلاف اجتهاد الصحابة في مسائل الفروع ليس اختلافاً في الدين ولا مذموماً عند العقلاء بل لا بد منه حتى يتميز الفقيه في كتاب الله وسنة رسوله من الافقه والراسخ في العلم عن غيره وقد دل عليه كتاب الله تعالى (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وكثير من سنة الرسول الثابتة منها قوله عليه الصلاة والسلام (رب مبلغ أوعى لها من سامع - ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) وهذه صحاح ومسانيد ومعاجم أئمة الحديث والفقه ومصنفات علماء الإسلام مملوءة بمسائل اجتهاد علمائهم في الفروع المتخالفة وفيها أيضاً كثير من مناظراتهم فيها (الثالث) قد حذف المحاضر من هذا الخبر الواهي كلاماً لا يوافق هو اه محله بعد قوله، وأهيب لكم في الناس مباشرة (اللهم ملوني وملثهم وأحسست من نفسي وأحسو امنى ولا أدري باينايكون الكون وقد أعلم أن لهم قبيلة منهم فاقبضني اليك اه) فعلى تقدير صحة هذا الخبر يكون هؤلاء الذين ملثهم وملوه فدعا الله أن يقبضه اليه هم الذين نهاهم عن المجالس الخاصة من قريش في قول ابن عباس (أن عمر قال لناس من قريش الخ) وهم أيضاً الذين منعهم من الخروج إلى الأمصار لأنهم ليسوا ذوى بصائر وفقه في الدين فر بما يتكلمون بكلام يكون مؤداه الطعن في سيرة الخلفاء العادلين فيترتب عليه الضرر بالسياسة العامة وإنما حذفه لزعمة في بحث الخلافة أن المسلمين اتفقوا على الرضى بخلافة عمر ومحبه ، وملثهم له نتيجة كراهتهم لسيرته ، وكراهتهم لسيرته تنا في محبتهم له ورضاهم به . ولقد كان من واجب أمانة نقل العلم عليه حيث اعتمد على هذا الخبر الواهي فعده في مناقب عمر رضى الله عنه ألا يتصرف فيه بفهمه ولا يحذف منه شيئاً مع أنه إلى مثابة عمر أقرب منه إلى منقبته ولكن عذره في تشييد مناقب الفاروق بالأباطيل ضيق حوصلة إيمانه عن استساعة مناقب الصحابة عموماً وخصوصاً الخلفاء الأربعة الثابتة تواتراً الواسعة العظيمة ولذلك أسس محاضراته من أولها على الأباطيل ومن المستغرب ارتكابه لها في الضدين المناقب والمثالب ، المناقب للفاروق خاصة والمثالب ، لجل الصحابة ولا سيما حيدرة وقد تقدم كثير منها في الطرفين مفصلاً وسيأتى كثير .

المحاضرة السادسة والعشرون

طعنه في كعب الأحبار ورميه للغاروق وجميع الصحابة بالتغفيل
وأبطال ذلك

قال في ص ٢٠ ج ٢ (فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار فقال يا أمير المؤمنين أعهد فانك ميت في ثلاثة أيام ، قال وما يدريك ، قال : أجد في كتاب الله التوراة ، قال عمر أنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ، قال اللهم لا ولكن أجد صفتك وحليتك وإنه قد فني أجلك وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً ، فلما كان من الغد جاءه كعب فقال يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان ثم جاءه من غد الغد فقال قد ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك إلى صبيحتها ، ولو صحت هذه الحكاية وكنت ممن يحقق هذه القضية ما ترددت لحظة في أن لكعب يداً في مقتل عمر أو أنه كان عالماً بما تم عليه الاتفاق بين المؤتمرين على عمر وربما يقال لو كان كذلك فماذا يدعو كعباً إلى أنباء عمر بهذا النبأ والجواب على ذلك سهل فانه ينال بذلك بين المسلمين مركزاً عظيماً فان كثيراً منهم يرون بعد ذلك أن توارته فيها علم كل شيء وانه صادق في كل ما يخبر به فلا يتردد سامعه لحظة في تصديقه بما يوحى إليه وكعب هذا بمن أفاض علينا ثروة من الأخبار الإسرائيلية التي لا ندرى حقيقتها ولا ريب أن فيها شيئاً كثيراً هو كذب محض لأن التوراة بأيدينا وليس فيها ما أنبأ به ذلك الرجل عنه اه) .

أقول قصة كعب الأحبار هذه مرتبة على مجيء أبي لؤلؤة المجوسى أو النصرانى غلام المغيرة بن شعبه لعمر وشكايته له كثرة الخراج الذى وضعه عليه سيده ، وقوله للأمير المؤمنين إن عشت لأعلمن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ثم انصرف عنه فقال عمر : لقد توعدنى العبد أنفا ثم انصرف عمر الى منزله فلما كان من الغد جاءه كعب الى آخرها . وقد طعن المحاضر فيه بأمرين : الأول فى دينه على تقدير صحة هذه

الحكاية ، والثاني في عدالته ورمى الفاروق والصحابة رضوان الله عليهم على كليهما بالبلادة والتغفيل ، فأما الأول فقوله (ولو صحت هذه الحكاية وكنت الى قوله وكعب هذا) هو حكم صريح منه عليه بأنه غير مسلم حقيقى لو صحت هذه الحكاية عنه لأنها لو صحت وكان حضرته بمن يحقق فيها ما تردد لحظة في أن لكعب يداً في مقتل عمر أو أنه كان عالماً بما تم عليه الاتفاق بين المتآمرين على قتله فلا شك أن الذى له يد في مقتل سيد المسلمين أوله علم بما تم عليه الاتفاق بين المتآمرين على قتله ليس بمسلم حقيقى عنده وقد أورد على نفسه سؤالا مبنيا على تقدير صحتها فقال (وربما يقال لو كان كذلك فماذا يدعو كعباً الى أبناء عمر بهذا النبأ) أى لو كان لكعب يد في مقتل عمر وأنه عالم بما تم عليه الاتفاق بين المتآمرين على قتله فماذا يدعو الى أبناء عمر بهذا النبأ ، وهو سؤال صحيح قوى مبنى على باطل أما كونه صحيحاً قوياً فالعادة المعروفة الغالبة في بنى البشر تمنع كل واحد من الجماعة المتفقين على قتل شخص من أعيان الناس عن التفوه بسر ما تفقوا عليه بعد قتله فكيف به قبله وعليها فاخبار كعب لعمر بأنه ميت في ثلاثة أيام مع كونه له يد في قتله أو عالماً بالمتآمرين عليه مستحيل عادة ، فاما كونه مبنيا على باطل فان زعمه جماعة متآمرين على قتل عمر باطل تاريخاً علاوة على كونه رمياً له ولجميع الصحابة بالبلادة والتغفيل حيث تكونت هذه العصابة المجرمة في قلب عاصمة الخلافة لقتل سيد المسلمين ولم يعلموا بها وهم الأذكياء النبهاء وخفيت على الفاروق الأعمى الأحوذى الذى قال لست بحب ، والخب لا يخد عني ، وقد كان يدري كثيراً من خبايا رعيته بالأمصار النائية بالتفقد لها بكثرة السؤال وقد غربل المدينة كلها بذلك وبكسر الحراسة فكيف جهل مع جميع المسلمين حال هذه العصابة وهم معه في عقر داره بل أتاه أحد رجالها فأخبره بانه ميت في ثلاثة أيام فجهل ولم يفهم أنه منها ، فهل هذا الا عين الطعن فيه وفي اخوانه المسلمين بمنتهى الغباوة والتغفيل وجوابه السهل في زعمه عن سؤاله فاسد من ثلاثة أوجه (الأول) رمية لكثير من المسلمين صحابة وغيرهم بالتغفيل في

فطرهم ويترتب عليه .

(الثاني) وهو غلو اعتقادهم في التوراة بأن فيها علم كل شيء وفي كعب بأنه صادق في كل ما يخبرهم به وهذان الوجهان ظاهران من قوله (فإنه ينال بذلك بين المسلمين مركزاً عظيماً فان كثيراً منهم يرون الخ الهراء) .

(الثالث) لو كان كثير من المسلمين كما رماهم به من التغفيل وغلو العقيدة في التوراة لاستغنوا في علمها ببعض علماء الصحابة الذين يعلمونها كزيد بن ثابت وعبد الله بن سلام ولما احتاجوا إلى كعب بن ماتب التابعي الذي أسلم في خلافة عمر على أن هذه الحكاية لو صححت عن كعب لدلت على صدقه و غزارة علمه وفضله فان هذه الأمة المحمدية وخصوصاً الصحابة رضوان الله عليهم لم يزل ذكرها معظماً في الكتب السماوية ولذلك قال الامام مالك رحمه الله تعالى بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام قالوا والله ل هؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وقد دلنا صريح القرآن على وجود صفات جميع الصحابة . لا عمر فقط في التوراة والانجيل قال تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم (أي صفتهم) في التوراة ومثلهم (أي صفتهم) في الانجيل ﴾ ، فهذا كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قد مدح الصحابة رضوان الله عليهم وأخبرنا بأن صفاتهم السامية موجودة في التوراة والانجيل . فهل يقول عاقل ان إخبار كعب لأمير المؤمنين عمر بانقضاء أجله في ثلاثة أيام لأنه وجد صفته وحليته في التوراة . بذلك يدل على أن له يدأ في مقتل عمر أو أنه عالم بما تم عليه اتفاق المتأمرين على قتله ، وهل يتردد مسلم في صدق إخباره تعالى بوجود صفاتهم فيهما في صريح كتابه العزيز وبهذا تحقق أن المحاضر جاهل بمناب الصحابة حتى المصرح بها في القرآن الذي هو مندرج تحت رايته جهلاً مركباً . وأما الثاني وهو طعنه في عدالته فقوله (وكعب هذا من أفاض علينا ثروة من

الأخبار الإسرائيلية التي لاندري حقيقتها الخ هرائه) . وهو باطل من ثمانية أوجه .

الأول : دعواه الكثرة الهائلة في الاخبار الإسرائيلية التي حدث بها كعب المسلمين واستفدنا ذلك من لفظتى (أفاض) و (ثروة) ولم يبرهن على هذه الدعوى ولو بمثال واحد من هذه الثروة يدل على كذب كعب .

الثانى : تناقضه وتذبذبه فى دعواه قال (لاندري حقيقتها) فلا يخلو معنى هذه الجملة من كونه لا يدري صدق هذه الثروة كلها أو كذبها كلها أو صدق بعضها وكذب البعض الآخر أولاً يفهم معانى هذه الثروة وعلى كل فقد اعترف بأنه لا يدري حقيقة هذه الاخبار فكيف درى بأنه أفاض علينا ثروة فدرايته بافاضه الثروة علينا تدل على كذب كعب فيها كلها عنده وتنافى عدم درايته بحقيقتها وعدم درايته بحقيقتها ينافى درايته بكثرتها وتدل على جهله بها وبحال كعب فكيف يحكم عليه بأنه كذاب .

الثالث : تذبذبه أيضاً فى هذه الدعوى قال (ولا ريب أن فيها شيئاً كثيراً هو كذب محض) يعنى ان فى تلك الثروة من الاخبار الإسرائيلية التي حدثت بها كعب شيئاً كثيراً هو كذب محض يعنى - والقليل منها ليس يكذب محض - وقد كان عليه أن يتحف القراء على الأقل بمثلين مثال للكذب الكثير المحض ومثال للقليل الغير المحض .

الرابع : حصره هذه الثروة التي أفاضها علينا كعب من الاخبار الإسرائيلية فى التوراة قال (لان التوراة بأيدينا وليس فيها ما أنبأ ذلك الرجل عنه) وهو غير صحيح فان الاخبار الإسرائيلية ليست محصورة فيها فقد أثار الكثير منها عن أنبيائهم وعليه فمن الغباوة القول (بأن التوراة بأيدينا وليس فيها ما أنبأ ذلك الرجل عنه) .

الخامس : قد أخبرنا الله فى كتابه العزيز انه تعالى استحفظ بنى اسرائيل كتابهم فحرفوه وما حرفوه منه رجم الزانى المحصن وعليه فمن الغباوة أيضاً

الاعتقاد بأن نسخة كعب من التوراة لم تحرف وهى التى بقيت حتى
صارت بايدينا .

السادس : ما كفاه تهجمه على مالا يحسنه من تاويل كتاب الله تعالى
بالتاويلات الفاسدة والزيادة فيه على ما لم يقله ومن التاريخ الاسلامى
بالطعن فى الصحابة رضوان تعالى عليهم بهواه وبالروايات الباطلة حتى جعل
نفسه فى مصاف أئمة الرواية الناقلين لها ولرجالها فرمى كعبا بالكذب وقد
محص أئمة الرواية المبرزون جميع الآثار والرجال فما جاءت المائة الرابعة الا
وقد فرغوا منها ولم يتركوا فيهما مقالا لقائل وقد انقطعت سلسلة حفاظ
الرواية من المائة الثامنة .

السابع : التحديث عن بنى إسرائيل فيما يرجع إلى القصص والمواضع .
ونحوهما جائز والدليل عليه قوله عليه الصلاة والسلام (حدثوا عن بنى
إسرائيل ولا حرج) أخرجه الامام البخارى عن عبد الله بن عمرو بن
العاص وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنهم .

الثامن : روى عن كعب من أجلاء الصحابة ابن عمر ، وأبو هريرة وابن
عباس ، وابن الزبير ، ومعاوية ، وأثنى عليه أبو الدرداء ومعاوية رضى الله
عنهم . فقال أبو الدرداء ان عند ابن الحميرية لعلماء كثيراً ، وقال معاوية ألا
إن أبا الدرداء أحد الحكماء ، ألا إن كعب الأخبار أحد العلماء ان كان عنده
لعلم كالبحار وان كنا فيه لمفرطين . ولقيه عبد الله بن سلام عند أمير
المؤمنين عمر رضى الله عنه فقال له يا كعب . من العلماء قال الذين يعملون
بالعلم . قال فما يذهب العلم من قلوب العلماء ، قال الطمع وشره النفس وتطلب
الحاجات إلى الناس ، قال صدقت . وروى عنه أصحاب الصحاح الستة . قال
الشيخ النووى فى تهذيب الاسماء واللغات فى كعب : اتفقوا على كثرة علمه
وتوثيقه . فان كان المحاضر لا يدري هذا كله فهى مصيبة وجرأة غير مستنكرة
على أمثاله الكثيرين الذين طعنوا فى هذا العصر فى صميم الشريعة قرآنا
وسنة . وطعنوا فى أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفى حملة سنته

عليه الصلاة والسلام العدول ، فالظعن في كعب بالنسبة لهذا الجرم العظيم الذي ارتكبه هين جدا ، وكثرة الجهل في المسلمين من علامات الساعة فقد صح في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال (يقل العلم ويكثر الجهل ويكثر الهرج والمرج ويقل الرجال ويكثر النساء) وان كان يدري ، فالمصيبة أعظم وهي غير مستنكرة أيضا على الكثيرين من أمثاله وعلى كلتا المصيبتين ثبت بما قررته في الوجهين رميه للفاروق ولجميع الصحابة ولجميع المسلمين في جيلهم ولجميع الاجيال التي بعدهم إلى عصر أئمة الرواية أصحاب الكتب الستة وغيرهم بالتغفيل حيث لم يشعروا بكعب هذا أنه عدو الاسلام وأنه كذاب وهم أولوا النهي الجحاجة ولم يتنبه له علماء الاسلام أيضا بعد هؤلاء الى هذا العصر .

وفيهما قال في ص ٢٤ ، ج ٢ في مبايعة علي لعثمان رضى الله عنهما مانصه :
(ولما رأى ذلك على تأخر وهو يقول سيلبغ الكتاب أجله ، ثم أقبل الناس يبايعون عثمان ورجع على يشق الناس حتى بايع عثمان اه) وهو غير صحيح بل بايع أولا راضيا من غير ان يقول شيئا كما حققه ابن كثير في البداية ، قال (وبايعه على بن ابى طالب أولا ويقال آخرا وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون ان عليا قال لعبد الرحمن خدعتى وانك انما وليته لانه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه وانه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن (ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما) الى غير ذلك من الاخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهى مردودة على قائليها وناقليها والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة واغبياء القصاص الذين لا تميز عندهم بين صحيح الاخبار وضعيفها ومستقيمها وسقيمها ومبادهها وقويمها اه .

ادعاؤه مشاركة اشخاص لأبي لؤلؤة

في دم الفاروق وإبطال ذلك

قال في ص ٢٥ ج ٢ (أول قضية نظر فيها أي عثمان رضي الله تعالى عنه شاع عقب ضرب عمر أن قتله لم يكن عمل أبي لؤلؤة وحده بل كان هناك أشخاص شركوا في دمه فقد قال عبد الرحمن بن أبي بكر غداة طعن عمر مرت علي أبي لؤلؤة أمس ومعه جفينته والهرمزان وهم نجى فلما رهقهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه فانظروا بأى شيء قتل فجاءوا بالخنجر الذى ضرب به أبو لؤلؤة فاذا هو على الصفة التى وصفها عبد الرحمن وكان رجل من تميم قد اتبع أبا لؤلؤة فقتله وأخذ منه الخنجر فلما رأى ذلك عبيد الله بن عمر أمسك حتى مات عمر ثم اشتمل على سيفه فأتى الهرمزان فقتله ثم مضى حتى أتى جفينته وكان نصرانياً من أهل الحيرة أقدمه سعد بن أبي وقاص إلى المدينة ليعلم بها الكتابة فعلاه عبيد الله بالسيف ولما سمع بذلك صهيب وهو القائم مقام الخليفة أرسل إليه من أتى به وأخذ منه السيف وسجنه حتى يتم أمر الاستخلاف وينظر فى أمره فلما بويع عثمان جلس فى المسجد ودعا بعبيد الله بن عمر ثم قال لجماعة المهاجرين والأنصار أشيروا على فى هذا الذى فتح فى الاسلام ما فتح. فقال على أرى أن تقتله ، فقال بعض المهاجرين قتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم فقال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفأك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك ، قال عثمان أنا وليهم وقد جعلتها دية واحتملتها فى مالى وكان ذلك حلاً حسناً لتلك المشكلة اه) . أقول كلامه هذا باطل بوجهين . (الأول) قوله شاع عقب ضرب عمر أن قتله لم يكن عمل أبي لؤلؤة وحده بل كان هناك أشخاص شركوا فى دمه هذا الشيعون من زياداته لم يقله المؤرخون . (الثانى) قوله فقد قال عبد الرحمن بن أبي بكر النخبر باطل رواية ودراية

رواه ابن جرير هكذا ، كتب إلى السري عن شعيب عن سيف عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر إلى قوله وجاءوا به إلى صهيب . فأما بطلانه رواية فان السري مجهول وشعيب بن ابراهيم الكوفي مجهول أيضا . وقد اتفق أئمة النقد على أن سيفاً لا يروى إلا عن المجهولين وعلى طرحه . وزاد ابن حبان وابن نمير أنه متهم بالزندقة وزاد الثاني منهما أنه كان يضع الأحاديث فنسبته هذا الهراء الذي وضعه إلى العدول يحيى بن سعيد وسعيد ابن المسيب وعبد الرحمن بن أبي بكر لا ترقعه بل هو اقتراء عليهم وإذا كان وضع الاخبار الكثيرة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سهلا على الوضاعين فالوضع على الصحابة والتابعين يكون أسهل . وقد تصرف المحاضر في هذا الخبر بالحذف والزيادة فحذف منه كلاماً كثيراً من ذلك (١) قول الهرمزان لما عضه السيف لا اله الا الله ، ومنها في جفينة بعد قوله وكان نصرانيا من أهل الحيرة (٢) (ظئرا) لسعد بن مالك ، ومنها بعد قوله فلما علاه بالسيف (٣) (صاب بين عينيه) ، ومنها بعد قوله صلب بين عينيه كلاماً كثيراً أبدله بما ذكره (٤) وبلغ ذلك صهيباً فبعث إليه عمرو ابن العاص فلم يزل به وعنه ويقول السيف بأبى وأمى حتى ناوله إياه وثاوره سعد فأخذ بشعره وجاءوا إلى صهيب ، هذا آخر الخبر وزاد فيه سجن صهيب له ، وأما بطلانه دراية وتاريخاً فمن خمسة أوجه : (الأول) قوله وكان رجل من تيمم قد اتبع أبا لؤلؤة فقتله وأخذ منه الخنجر غير صحيح والمعروف في التاريخ أنه قتل نفسه لما احتضنه رجل قال ابن كثير في بدايته فالقى عليه عبد الله بن عوف برنساء فانتحر نفسه . (الثاني) قوله فلما رأى ذلك عميد الله بن عمر أمسك حتى مات عمر ثم اشتمل الخ غير صحيح أيضا بل قتل من قتل وأبوه حى . (الثالث) قوله لما سمع بذلك صهيب وهو القائم مقام الخليفة أرسل إليه من أتى به وأخذ منه السيف وسجنه ، غير صحيح في السجن بل الذى سجنه أبوه عمر . قال ابن كثير وقد كان عمر قد أمر بسجنه ليحكم فيه الخليفة من بعده . وأما الذى أخذ

منه السيف فقيل عمرو بن العاص بسياسة، وقيل ثاوره سعد بن أبي وقاص
 فاخذه منه بالقوة وهو الصحيح . (الرابع) قول أمير المؤمنين عثمان رضی
 الله عنه أشيروا علي في هذا الذي فتق في الاسلام ما فتق . (الخامس)
 ثبت في التاريخ أن عبيد الله قتل أيضا بنت أبي لؤلؤة فثبت بهذه الأوجه
 بطلانه وبطلان دعواه المبينة عليه وتحقق ان عبيد الله قتل ثلاثة معصومي
 الدم الهرمزان وهو مسلم وقد ثبت في الصحيح انه عليه الصلاة والسلام
 وبخ مولاه اسامة بن زيد لما قتل في دار الحرب ذلك الأعرابي بعد ما قال
 لا اله الا الله علي قتله توبيخاً شديداً ، وهذا قتل في عاصمة الاسلام مسلماً،
 وجفينة وبنت أبي لؤلؤة ذميان . وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه
 أوصى باهل الذمة كما صح عنه عليه الصلاة والسلام النهي عن قتل نساء
 الكفار وصبيانهم في دار الحرب فكيف به إذا كان لذمية في دار الاسلام
 بدون حجة تبيح له ذلك . فلو كان لهم مشاركة في دم أبيه ما حبسه وما اهتم
 بها ذو النورين فجعلها أول قضية حكم فيها وما جمع لها أعيان الصحابة
 مهاجرين وأنصاراً وما قال لهم أشيروا علي في هذا الذي فتق في الإسلام
 ما فتق ، وما تحمل دياتهم في ماله ، وما قال علي أرى أن تقتله ، وما قال
 عمرو بن العاص إن الله قد أعفأك أن يكون هذا الحدث ولك على المسلمين
 سلطان . وقد روى ابن جرير أيضاً في قتل عبيد الله للهرمزان خبراً معارضاً
 لهذا عن ابن الهرمزان وهو باطل أيضاً فكان من اللازم على المحاضر أن
 يعتمد عليه أيضاً جرياً علي قاعدته في التمسك بالأباطيل أو يطرحهما معا
 ويعتمد في هذه الحادثة على التاريخ الصحيح فاعتماده فيها على أحد الباطلين
 دون الآخر تحكّم . وقوله في آخر كلامه (وكان ذلك حلاً حسناً لتلك
 المشكلة) ينقض دعواه أن الهرمزان وجفينة شاركا أبا لؤلؤة في دم عمر ،
 فيقال له إذا كانا مشاركين له كما ادعيت فقتل عبيد لهما سائغ لا أشكال فيه
 حتى يحتاج إلى حل .

المحاضرة السابعة والعشرون

طعنه في أعيان مهاجري قريش من الصحابة

برواية الطبري وابطاله بستة عشر وجها

ص: ٣٠٠ ج ٢ قال الأحوال الداخلية والفتن. الأحوال الداخلية لا بد أن نبسط القول فيما كانت عليه أحوال المسلمين في الأمصار المختلفة خصوصا البصرة والكوفة ومصر لأن الفتنة الكبرى قد استخدم لها العامة من هذه الأمصار الثلاثة. روى الطبري عن الحسن البصري قال كان عمر بن الخطاب قد حبر على أعلام قريش من المهاجرين. الخروج في البلدان إلا باذن وأجل فشكوه فبلغه فقال: إلا أني سننت الإسلام سن البعير يبدأ فيكون جذعا، ثم ثنيا ثم رباعيا ثم سديسا ثم بازلا. ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان ألا وان الإسلام قد نزل ألا وان قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده ألا فأما وابن الخطاب حى فلا، أني قائم دون شعب الحرة آخذ بمحلامي قريش وحجزها أن يتهافتوا إلى النار - فلما ولي عثمان لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر فانساحوا في البلاد فلما رأوها ورأوا الدنيا ورآهم الناس انقطع من لم يكن له طول ولا مزية في الإسلام فكان مغمورا في الناس وصاروا أوزاعا اليهم وأملوهم وتقدموا في ذلك فقالوا يملكون فنكون قد عرفناهم وتقدمنا في التقرب والانقطاع اليهم فكان ذلك أول وهن دخل على الإسلام وأول فتنة كانت في العامة. وقال الشعبي لم يمت عمر حتى ملته قريش. وقد كان حصرهم بالمدينة فامتنع عليهم وقال إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد فان الرجل يستأذن في الغزو وهو ممن حبس في المدينة من المهاجرين ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة، فيقول قد كان لك في غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبلغك وخير لك من الغزو اليوم ألا ترى الدنيا ولا تراك.

فلما كان عثمان خلى عنهم فاضطربوا في البلاد وانقطع اليهم الناس فكان

أحب إليهم من عمر . وروى الطبري بسنده قال لم تمض سنة من اماره عثمان حتى اتخذ رجال من قريش أموالا في الأمصار وانقطع إليهم الناس اه) أقول : قد تحققنا أن المحاضر لا معرفة له بكتب الرواية ومناقب الصحابة وطبقاتهم ولم يعرف من تواريخ الاسلام إلا تاريخ ابن جرير ولا استحسانه الأباطيل مطلقا عول عليه فيها خصوصا ما يمس بكرامة الصحابة رضوان الله عليهم غير شاعر بدسائسها وتناقضاتها التي يدركها كل من له إلمام بالعلم وقد مهد لهذا الخبر الذي استحسنته منها في الطعن في إعلام مهاجرى قريش بمقدمة علمها بقوله (لأن الفتنة الكبرى قد استخدم لها العامة من هذه الأمصار الثلاث) فطعنه في سادات المهاجرين بهذا الكلام الخبيث ، وهو أنهم محرکوا الفتنة الكبرى التي قد استخدموا لها العامة في الأمصار الثلاث واضح . وخبر الطبري هذا الذي اعتمد عليه المحاضر ، قد جزأه إلى أربعة أسانيد محورها واحد وهو باطل بستة عشر وجها : (الأول) يدور على سيف بن عمر الوضاع المتهم بالزندقة المتفق على أنه لا يروى إلا عن المجهولين ومعه فيه خمسة كلهم مجهولون شعيب وعمارة بن القعقاع ومحمد وطلحة وعمر ووسبته للتابعين الجليلين : الحسن البصرى والشعبي ثم للفاروق اقتراء عليهم رضى الله عنهم .

(الثانى) الصحابة كلهم مهاجرين وغيرهم شاركوا عمر في الثناء العظيم العام من الله تعالى عليهم في محكم كتابه ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ وشاركه أهل السابقة منهم في رضا الله عنهم ورضاهم عنه ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ فحبسه لهم بالمدينة وخوفه على أهل الأمصار

من فتنتهم لهم إذا انتشروا في البلاد ينأى ثناء الله عليهم وعليه والخبر المنأى لثناء الله عليهم باطل ولو كان صحيحا لأنه ظني وثناء الله عليهم قطعي والظني لا يعارض القطعي فلو صح هذا الحجر على إعلام قريش منه لكان منأفيا لثناء الله عليه وقدحاً في دينه لا محالة وقد برأه الله تعالى من هذا الهراء .

(الثالث) القرآن قد فاوت بين جميع الصحابة في الدرجات وأخبر أن جميعهم في الجنة قال تعالى ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ﴾ فلا يعقل حجره على سادات الصحابة من مهاجري قريش ويقول لهم (إني قائم دون شعب الحرة آخذ بحلأقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا إلى النار) ويقول لهم أيضا (إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد) وفسح مسلبة الفتح الذين هم دونهم بدرجات بالانتشار في الأمصار وكيف يأخذ بحجز أهل السابقة والدين المتين خوف تهافتهم في نار جهنم ويخاف أشد الخوف على الأمة الإسلامية من انتشارهم في البلاد ، ولا يأخذ بحجز الذين هم دونهم بمراتب ولا يخاف أشد الخوف على الأمة الإسلامية من انتشارهم في البلاد بل يفسح لهم بالذهاب حيث شأؤوا فهل هذا إلا قلب للأوضاع الإلهية وللمعقول بين العقلاء

(الرابع) جميع الصحابة سابقين ولاحقين لهم منزلة عظيمة عنده لا يلحق شأؤهم فيها غيرهم والدليل عليه أمران (الأول) تقدم أنه كان من سيرته رضى الله تعالى عنه أن لا يولى على قيادة الجيوش وأمارة الأمصار إلا أصحابيا (الثاني) كان أبو بكر رضى الله عنه يسوى بين الصحابة وغيرهم في العطاء فكان الفاروق رضى الله تعالى عنه يعارضه في ذلك فيقول كيف تسوى بين أهل السبق للإسلام والجهاد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين غيرهم فيجيبه الصديق بأنهم تساؤوا في الإسلام وسيجازى الله أهل السبق والجهاد على ذلك ، فلما دون الدواوين وجعل لكل مسلم مرتبا في بيت مال المسلمين رتبهم بحسب القرابة من الرسول والسابقة والجهاد ، فبدأ بالعباس

ابن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه ففرض له خمسة وعشرين ألفاً وقيل
اثنى عشر ألفاً ، ثم الأقرب فالأقرب ، ثم فرض للبدرين خمسة آلاف لكل
منهم وألحق بهم أربعة الحسن والحسين وأبا ذر وسليمان . ثم فرض لمن بعد
البدرين إلى الحديدية أربعة آلاف لكل واحد ، ثم فرض لمن بعد الحديدية إلى
رجوع المرتدين إلى الاسلام وحضور من حضر الايام التي قبل القادسية
ثلاثة آلاف لكل واحد ، ثم فرض لأهل القادسية ولمن حضر معارك
الشام ألفين ألفين ، ولاهل البلاء منهم ألفين وخمسمائة . ألفين وخمسمائة
وأنى رضى الله عنه بأموال فتح مدائن كسرى فأفرغت على الانطاع
في المسجد واجتمع الصحابة فبدر إليه الحسن بن علي فقال يا أمير المؤمنين
أعطني حتى مما أفاء الله على المسلمين ، فقال بالرحب والكرامة وأمر له بألف
درهم ، ثم بدر إليه الحسين بن علي فقال يا أمير المؤمنين أعطني حتى مما
أفاء الله على المسلمين فقال بالرحب والكرامة وأمر له بألف درهم ، ثم بدر
إليه ابنه عبد الله فقال يا أمير المؤمنين أعطني حتى مما أفاء الله على
المسلمين فقال له بالرحب والكرامة فأمر له بخمسمائة درهم فقال يا أمير
المؤمنين أنا رجل مشتمد أضرب بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم - والحسن والحسين طفلان يدرجان في سكك المدينة تعطيهم ألفاً
ألفاً وتعطيني خمسمائة ، قال نعم اذهب فأتيني بأب كأبيهما وأم كأمهما وجد
كجدهما وجدة كجدتهما وعم كعمهما وخال كخالهما فانك لا تأتني به أما
أبوهما فعلى المرتضى وأما أمهما ففاطمة الزهراء وجدتهما محمد المصطفى
صلى الله تعالى عليه وسلم وجدتهما خديجة الكبرى وعمهما جعفر بن أبي طالب
وخالهما ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ابن السمان
في الموافقة .

(الخامس) من اعتناء الفاروق بأهل السابقة كتابته لأهل الكوفة في
عمار لما ولاه عليهم : إنه من النجباء من أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
(السادس) من اعتناؤه بعموم الصحابة توليته أبا موسى الأشعري

على البصرة بعد عزله عن الكوفة فقال له أبو موسى أعني يا أمير المؤمنين
بعده من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم في هذه الأمة كالملمح
فقال له خذ من أحببت ، فأخذ أبو موسى منهم معه تسعة وعشرين منهم
عمران بن حصين وهشام بن عامر وأنس بن مالك فاطلاقه له أخذ من أحب
منهم دليل على بطلان هذا الخبر عنه فلو كان صحيحاً لقال له خذ من شئت
منهم من غير مهاجرى قريش .

(السابع) من اعتنائه أيضا بالصحابة توليته المغيرة بن شعبه مرة ثالثة
على الكوفة بعد عزله عن البحرين ثم عن البصرة .

(الثامن) من اعتنائه بالصحابة أيضا عرضه الولاية على أبي هريرة
مرة ثانية بعد عزله عن البحرين .

(التاسع) من اعتنائه بعموم رعيتيه وبالصحابة أيضا بعثه طائفة من
علمائهم لتعليم المسلمين بالأمصار .

(العاشر) قد خرج جماعة من أعلام مهاجرى قريش للجهاد وقيادة
الجيوش وولاية الأمصار . منهم الزبير وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص
وقدومه بن مظعون وسعيد بن زيد ولم يوقت لهم عمر ذلك باجل . فقد حضر الزبير
اليرموك وفتح مصر وكانت موافقه فيهما غررا في تاريخ الاسلام ، وولى
الفاروق أبا عبيدة قائدا عاما لجيوش الشام وبقى بها حتى مات في طاعون
عمواس ، وولى سعد بن أبي وقاص قائدا عاما لجيوش العراق ثم ولاه على
الكوفة ثم عزله لما شكاه أو باشهم وأوصى من يتولى الخلافة بعده بتوليته
وقدامة بن مظعون على البحرين ثم عزله بعد مدة .

(الحادى عشر) قد خرج إلى الأمصار أيضا من مهاجرى قريش
وأعلامهم للجهاد في خلافة الصديق خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى
الله عنهما . خالد قائدا على جيوش العراق ثم أحد قواد الشام في خلافة
الفاروق ثم عزله وتوطن حمص حتى مات بها فلو كان هذا الخبر صحيحاً
لرده عمر إلى المدينة وحبسه مع إخوانه الذين يخاف على الأمة من انتشارهم

في البلاد ، وعمرو بن العاص أحد القواد الذين ولاهم الصديق على جيوش الشام فأقره عمر ثم ولاه على مصر لما افتتحها وبقى أميراً عليها حتى مات عمر فأقره ذو النورين عليها مدة ثم عزله وولى عليها ابن أبي سرح فلو كان صحيحاً لرده عمر إلى المدينة وحجر عليه للعلة المزعومة في الخبر .

(الثاني عشر) من التهاوت والكذب الواضح في هذا الخبر قوله (قد حجر على أعلام قریش من المهاجرين الخروج في البلدان إلا باذن واجل فشكوه فبلغه فقال إلا أني الهذيان) فالأعلام ليس فوقهم في المنزلة إلا الذي أخذ بحلقتهم وحبسهم في المدينة فلمن يشكونه للذين هم دونهم في المنزلة والمكانة عنده ، هذا لا يعقل لأنه لا جدوى لهم في هذه الشكوى .

(الثالث عشر) من الحكم على ضمائر القلوب والكذب على التاريخ قوله (قال الشعبي لم يمت عمر حتى ملته قریش إلى قوله فكان أحب إليهم من عمر فمن أين له أن مهاجري قریش ملوا عمر لحبسه لهم بالمدينة . وأحبوا عثمان لتخليته لهم بالانسياح في البلاد والتاريخ المنقول في الأوجه السابقة وفي غيرها يكذب المنع من عمر والفسح من عثمان فلا منع ولا فسح ومحل المحبة القلب ولا يطلع على ما في هذا الاعلام الغيوب الذي يقربها كيف شاء ولم يسم واضع هذا الإفك في أعيان الصحابة ولو واحداً من هؤلاء الذين منعهم الفاروق فملوه وفسح لهم عثمان فأحبوه حتى يعلمه الناس ويحققوا أمره ، ولكن الحياء من الايمان والذي نزع منه الحياء لا يبالي بما يقوله في أنبياء الله فكيف بأصحابهم .

(الرابع عشر) من تمام هذا الإفك المفصوح تاريخاً قوله وروى الطبري بسنده (قال لم تمض سنة من إمارة عثمان حتى اتخذ رجال من قریش أموالاً في الأمصار وانقطع إليهم الناس) فقوله لم تمض سنة إلى آخره افتراء على التاريخ من ثلاثة أوجه (الأول) يدل على أن المدينة عاصمة الخلافة الإسلامية ليست صالحة لاتخاذ الأموال بها زراعة وتجارة وإنما هي مركز الدين فقط . (الثاني) يدل على أنه لم يكن لهؤلاء المتخذين

الاموال بالامصار أموال قبل هذا التاريخ أو كانت لهم أموال ولكن كانوا كائزین لها فرقاً من الفاروق الذى ضيق خناقهم وكلا الامرین باطل وكذب على التاريخ وطعن فى هؤلاء السادة بقوة شرهم فى الدنيا وفى الفاروق نفسه بحظره لهم ما أحله الله لهم من ابتغاء فضله بالبيع والشراء (الثالث) لم يعین واضع هذا البهتان للقراء هؤلاء المتخذین الاموال بالامصار ولو واحداً حتى يعرض على محك التحقيق ولكنه جرى على طريقة التليس والابهام المسلوكة للزنادقة الكائدين للاسلام لانها تجوز على البسطاء والعامه فالمدينة معروفة فى التاريخ من زمن الجاهلية بأنها بلدة زراعة وتجارة يقصدها العرب كما يقصدون خيبر وخصوصاً فى شراء التمر فانها غنية بكثرة نخيلها ولا حاجة إلى سوق الشواهد الكثيرة على ذلك فانها مسطرة فى التاريخ ، وهؤلاء اعلام مهاجرى قريش الذين طعن فيهم هذا الزنديق ولم يصرح بأسمائهم هم خلاصتهم العشرة المبشرون بالجنة فى حديث واحد كانوا كلهم يشتغلون بالتجارة فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبالزراعة وغيرها وإن كانوا متفاوتين فى كثرة اليسار وقتله فقد كان عبد الرحمن بن عوف أغنى الصحابة وبعده ذو النورين كما كانوا قائمين بوظائف الدين أكمل قيام فهم لا يريدون بها بديلاً ولو أعطوا الدنيا بحذافيرها وعلاوة على هذا فان الاموال تجبى إليهم من الامصار من الفئ والخراج والاحماس على يد الفاروق الذى يصدقها عليهم على مراتبهم فأى حاجة بهم إلى اتخاذها فى الامصار على انهم لو اتخذوها فيها لا يقدر ذلك فيهم لانها كانت فى أيديهم لا فى قلوبهم فقد كانوا يواسون ذوى الارحام والمحتاجين مواساة من لا يخشى الفقر وهى مع هذا منهالة عليهم ، وتلك آثارهم على ذلك مسطرة فى كتب سيرهم والتاريخ الاسلامى . وقد صح فى التاريخ أن الزبير رضى الله تعالى عنه لما مات ترك من جملة تركته دوراً بالبصرة ومصر علاوة على دوره بالمدينة وأرضه العظيمة بها التى هى الآن صحراء قاحلة خلف جبل أحد من شماله وهى الغابة وقد اشتراها

الزبير رضى الله عنه بسبعين ألف درهم ومائة ألف درهم . وباعها ابنه عبد الله فى تركته بألف ألف وستمائة ألف . وقد حرر شراح صحيح الامام البخارى فى باب بركة الغازى فى ماله حيا وميتا ، تركته بستين مليون درهم إلا مائتى ألف ، وكان أوصى بثلك ماله بعد قضاء دينه وكان مدينا بمليون درهم ومائتى ألف . وروى الحميدى فى النوادر أنه أوصى إليه عثمان والمقداد وابن عوف وابن مسعود وغيرهم فكان رضى الله تعالى عنه يحفظ أموالهم وينفق على أولادهم من ماله . وزاد الزبير بن بكار . ومطيع بن الأسود وأبو العاص بن الربيع . وروى يعقوب بن سفيان أن الزبير كان له ألف مملوك يؤدون الخراج إليه فكان لا يدخل بيته منه شيئا يتصدق به كله .

(الخامس عشر) ولى عثمان رضى الله تعالى عنه سعيد بن العاص على الكوفة بعد عزل الوليد بن عقبة عنها فلما قدمها صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال والله لقد بعثت إليكم وإني لسكاره ولكنى لم أجد بدا إذ أمرت أن أتممر ألا إن الفتنة قد اطلعت خطمها وعينها ووالله لأضربن وجهها حتى أقعها أو تعينى وإني لرائد نفسى اليوم ، ثم نزل وسأل عن أهل الكوفة فعرف حال أهلها فكتب إلى عثمان : إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والغالب على تلك البلاد ووادف قدمت وأعراب لحقت حتى لا ينظر إلى ذى شرف وبلاء من نابتها ولا نازلتها اه) . فلو كان أعلام مهاجرى قرىش هم محركى هذه الفتنة وقادتها واستخدموا لها العامة كما زعم المحاضر لما خفى ذلك على سعيد بعد أن سبرهم وهو من رجال قرىش نبلا وعقلا وشجاعة وكرما ثم هو من قرابة عثمان ، ولما كان صرح له فى كتابه بأن محركى هذه الفتنة هم إخوانك رؤساء المهاجرين ، وهذا الكتاب رواه ابن جرير عن سيف أيضا . وقد ذكره المحاضر بعد هذا بقليل غير شاعر بأن هذه الفتنة قد أسست للتمرد على قرىش والخلفاء فى زمن الفاروق وظهر وميضها فى الكوفة فيه وشب ضرامها فى آخر خلافة عثمان وقد قرره سابقا فى بحث الخلافة مبسوطا .

(السادس عشر) روى ابن جرير أيضا عن سيف المذكور أن عثمان رضى الله عنه لما شاعت تلك الكتب التي من أهل الأمصار إلى بعضهم بعضها وإلى أهل المدينة بتحريك عبد الله بن سبأ يتظلمون من ولايتهم بعث رجلا يثق بهم بإشارة الصحابة إلى الأمصار وفرق رجلا أيضا عليها ليسبروا له أحوالها ، قال فرجعوا كلهم إلا عمارا وقالوا ما أنكرنا شيئا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم وقالوا جميعا الأمر أمر المسلمين ، وزعم أن عامل مصر ابن أبي سرح كتب لعثمان يقول أن عمارا قد استماله قوم بمصر منهم عبد الله بن سبأ وخالد بن مليح وفلان وفلان أقول دل هذا الخبر مع كذبه على عمار على بطلان زعم المحاضران أعلام مهاجرى قريش حركوا الفتنة على عثمان واستخدموا لها العامة فى الأمصار فلو كان صحيحا لكان الذين وثق بهم عثمان فى كشف حقيقة هذه الفتنة لما رجعوا إليه قالوا له إن قادة تحريك هذه الفتنة عليك هم اعلام مهاجرى قريش الذى معك فلان وفلان ولم يقولوا له ما أنكرنا شيئا الخ . وقد بنى المحاضر على هذا الخبر الذى وضعه الزنادقة فى الطعن فى سادات الصحابة جميع ما يأتى من الطعن فيهم . قال فى ص : ٢١ ج ٢ (كانت عامة المسلمين حتى آخر حياة عمر لا يعرفون الاختلاف بينهم اذ أن دواعى الاختلاف كانت مفقودة واكبر داعية لنزوع الشر من العرب ان يختلف رؤسائهم ثم لا توجد يدقوية شديدة تقف بالمختلفين عند الحد الذى لا ينبغى ان يتجاوزوه . كانت روح عمر تخيف الرؤساء وذوى الرؤوس النابغة فلا يجدون سبيلا الى نزاع او شر الى ما وقر فى انفسهم من الالفة الاسلامية ومتى أمن اختلاف الكبراء فلا معنى للشقاق بين الرعية وظل العدل وارف فوق رؤسائها) . قوله كانت عامة المسلمين حتى آخر حياة عمر لا يعرفون الاختلاف بينهم ، غير صحيح فأول من سن الاختلاف والشقاق على الخلفاء وعمالهم العدول من اهل الأمصار اهل الكوفة على الفاروق واول شرهم وشقاقهم طعنهم فى الصحابي الجليل

سعد بن ابي وقاص فقد ذمه وشكاه أو باش منهم لعمر واثني عليه جلهم
فعرله عنهم فلما عبدوا طريق الشر به هان عليهم سلوكه على من بعده من
الولاية فلذلك ثنوا بعمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه فشكاه ايضاً طائفة
منهم فيهم بعض اعيان العرب ، ثم ثلثوا بأبي موسى الاشعري وقد طلبوه
بانفسهم ، فنام عمر في المسجد فأتاه المغيرة بن شعبه فقال ما فعلت هذا
ياأمير المؤمنين الامن عظيم ، فقال واى شىء اعظم من مائة الف لا يرضون
عن امير ولا يرضى عنهم امير ، وقال لخواص الصحابة ان اهل الكوفة قد عضلوني ،
واوصى من يتولى الخلافة بعده بأهل الكوفة ان طلبوا كل يوم عزل امير
وتولية آخر ان يفعل كما اوصى بتولية سعد بعده وقد تقدم هذا مبسوطا
فهل يقول عاقل ان اختلافهم فى سعد وشكايتهم من بعده من الولاية لا
يعد اختلافاً بين عامة المسلمين وانهم لا يعرفون الاختلاف وهل شذوذهم
بهذا الشقاق الذى اعضلوا به الفاروق رضى الله عنه ولم يرضوا به عن امير
ولم يرض عنهم امير عن بقية امصار المسلمين الوادعة الراضية بولاتها لا
يعد اختلافاً بين عامة المسلمين بالنسبة لتلك الامصار الاخرى، وبهذا ظهر
فساد كلامه. وقوله واكبر داعية لنزوع الشر بين العرب أن يختلف رؤساؤهم
الى قوله عند الحد الذى لا ينبغى ان يتجاوزه ، باطل مبنى على زعمه السابق
من ان الفتنة الكبرى التى قامت على عثمان حركها عليه أعلام مهاجرى
قريش واستخدموا لها العامة فى الامصار الثلاث وقد ابطلته باسباب ،
وقوله كانت روح عمر تخيف الرؤساء الى آخر الهراء كذب على عمر وطعن
خبيث فيه وفى سادات الصحابة مبنى على ما تقدم . اما كونه كذباً على عمر
وطعناً فيه فان الله سبحانه وصفه مع جميع اخوانه الصحابة بالرحمة بينهم
والشدة على الكفار واذا كانت روحه تخيف الرؤساء فهو موصوف
بضد ما وصفه القرآن به فهو جبار طاغية غشوم يخاف من سطوته
الرؤساء فكيف بالمرؤسين ولا شك ان هذا طعن فيه واقتران
عليه رضى الله تعالى عنه . وقد ذكر هذا المحاضر فى سيرته انه

قال مرة في خطبته : ايها الناس ان احسنت فأعينوني وان صدفت
فقوموني ، فقال له رجل من اخريات المسجد لو رأينا فيك اعواجا
لقومناك بسيفنا فسرره ذلك . وفي صحيح الامام البخارى أن أبا موسى
الاشعري جاء إلى بيت أمير المؤمنين عمر فسلم واستأذن ثلاث مرات فلم
يؤذن له فانصرف وكان عمر مشغولاً فخرج إليه بعد الثالثة فوجده مولياً
فقال له عبد الله بن قيس قال نعم قال ولم رجعت قال سمعت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول إذا استأذتم ثلاثاً فلم يؤذن لكم فارجعوا فقال له لتأتيني
بشاهد معك على هذا وإلا أوجعتك فأتى أبو موسى مجلساً من مجالس
الأنصار فيه أبي بن كعب فأخبرهم بقصته معه فقال له أبي بن كعب والله
لا يقوم معك إلا أصغرنا سناً قم يا أبا سعيد فجاء معه أبو سعيد إلى عمر
فقال له أنا سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ذلك فقال
أمير المؤمنين عمر تواضعاً لقد شغلني الصفق بالأسواق عن تعلم هذا وقابله أبي
ابن كعب بعد هذا فقال له يا ابن الخطاب لا تكن عذاباً على أصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم كلما قالوا لك شيئاً عن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم تقول لهم ائتوني بشاهد على هذا وإلا أوجعتكم ، فقال له إنما أردت أن
أستثبت يا أبا المنذر . وقصة المرأة التي ردت عليه حين خطب فبهى عن
المغالاة في مهور النساء فقالت له قول الله أصدق من قولك يا ابن الخطاب ،
الله أغلانا فقال ﴿ وآتيتهم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ﴾ وأنت تريد
أن ترخصنا فقال رضى الله عنه أخطأ عمر وأصابت امرأة ، مشهورة .

وطعنه في سادات الصحابة واضح في قوله (فلا يجدون سبيلاً إلى نزاع
أو شر) وفي قوله (ومتى أمن اختلاف الكبراء فلا معنى للشقاق بين الرعية)
ولا طعن فيهم أخبث من هذا وإذا كانت نفوس رؤساء الصحابة وذوى
الرؤوس النابغة منهم ميالة إلى النزاع والشرب وبث الشقاق بين الرعية لولا
روح عمر التي تكبحهم عن ذلك وتخيفهم فهم إذاً والعياذ بالله ضدمامدحهم
به القرآن ووصفهم من الأخلاق العالية وأمير الميالين لذلك مثلهم كما تكونوا

يولى عليكم سبحانه هذا بهتان عظيم . وقوله (إلى ما وقر في أنفسهم من
الالفة الاسلامية) ينقض هذا الهراء ، وإذا كانت روح عمر تخيفهم فأى
رأسه لهم وعلى من يترأسون ومن رأسهم . إن هؤلاء السادة الذين يقصدهم
هذا المحاضر بطعنه الكثير الخبيث كانوا سمع عمر وبصره وأحب
الخلق إليه لا يستغنى عنهم كانوا كلهم رضى الله تعالى عنهم روحا
واحدا ، لما هاجت الفرس بالقادسية بأمر يزيدجرد وقيادة رستم خرج
أمير المؤمنين عمر من المدينة حتى عسكر بصرار وبعث على مقدمته طلحة
ابن عبيد الله وعلى مجنبيه الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ، فاستشار
الناس جميعاً فى المسير بنفسه إلى العراق ، فقال له العامة سر وسر بنا معك
فدخل معهم فى رأيهم وقال أغدوا واستعدوا فانى سائر الا أن يحىء رأى
هو أمثل من هذا ، ثم جمع وجوه أصحاب رسول الله صلى تعالى عليه وسلم
وأرسل إلى على بن أبى طالب وكان استخلفه على المدينة وإلى طلحة فرجع
إليه وإلى عبد الرحمن والزبير فحضرا ثم استشارهم فاجتمعوا على أن يبعث
رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمده بالجنود وتفقوا
على أن ذلك الرجل هو الأسد عاديا سعد بن أبى وقاص وكان على
صدقات هو ازن فبعث إليه عمر وولاه قيادة جيوش العراق ثم جمع عمر
الناس وخطبهم فقال لهم إني كنت عزمتم على المسير حتى صرفى ذوو
الرأى منكم وقد رأيت أن أقيم وابعث رجلا .

طعنه فى الصحابيين الجليلين

سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما

قال فى آخر ص : ٣١ ج ٢ (ولى عثمان سعد بن أبى وقاص الكوفة
وكان معه عبد الله بن مسعود على الخراج فاقترض سعد من ابن مسعود
مالا لا أجل ولما حل الأجل جاء ابن مسعود يتقاضاه فلم يتيسر لسعد السداد
فارتفع بينهما الكلام حتى استعان ابن مسعود بأناس من الرعية على استخراج

المال ، واستعان سعد بأناس على استنظاره فافترقوا وبعضهم يلوم بعضا ،
يلوم هؤلاء سعدا ويلوم هؤلاء عبد الله بن مسعود ، بلغ هذا الشقاق عثمان
فغضب على الرجلين فعزل سعداً عن أمانة الكوفة وأبقى ابن مسعود على
الخراج اه).

أقول الصحابة رضی الله تعالى عنهم محفوظون وليسوا بمعصومين فصدور
الذنوب منهم من التخاصم فيما بينهم وغير ذلك وإن كان جائزاً قليلاً
منهم ، فالواجب على المتدين أن يستصحب لهم ما كانوا عليه في عهد رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فإن نقلت عنهم هنات فليتدبر العاقل النقل
وطريقه فإن ضعف رده وإن ظهر فلا يعدو كونه آحاداً وهذه لا تقدر
فيما علم من عدالتهم تواتراً وشهدت به النصوص قرآناً وسنة وعليه فهذا
الخبر الذي اعتمد عليه المحاضر في هذين الصحابين الجليلين رواه ابن جرير
عن سيف المشهور ، فعلى تقدير صحته يكون خبر آحاد مجرداً عن العلاوة
الملصقة به وهي استعانة كل واحد منهما بأناس من أهل الكوفة فمنازعتهما
هذه جزئية خاصة بهما لا تتجاوز إلى الشقاق وبذر الفتنة بين العامة كما زعم
وكل منهما محق فيها ، فطلب ابن مسعود لهذا الدين الذي حل أجله وهو
مال المسلمين أمين عليه ظاناً يسار سعد وإمكانه تسديده حتى ، وامتناع سعد
عن أدائه لغسره لا لمطل ، وقد أمر الله تعالى بانظار المعسر ﴿ وإن كان
ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ﴾ حتى ، فأى فتنة في تخاصم رجلين في حق مالى
تسرب به إلى العامة ، وعلى تقدير صحته مع العلاوة فاستعانة كل منهما
بأناس على دعواه دليل على فضلهما ولوم كل أناس منهما للآخر دليل على
تعصب كل لصاحبه والتعصب من الجهل والجهل ليس من الدين والمروءة
في شيء فثبت به أن هؤلاء المتعصبين جميعاً من دعاة الفتنة التي أسست في
عهد الفاروق وإذا كانوا اتخذوا مخالصة السيدين عاملاً من عوامل بث
فتنتهم كعادتهم من قبل فلا تبعه ولا لوم على الخيرين في مقصدهم السيء
وتحسينهما ظنهما بهم في الاستعانة بهم على الوئام بينهما فتشغيبهم باللوم خاص

بهم عائد أئمه عليهم فلو كانوا حكماء عقلاء لو فقهوا بينهما واحترموهما الاحترام اللائق بهما كما اخترتهما هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وكان حاضراً منازعتهم فقال لهما (انكما لصاحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليكما) ولم يتعصب لعمه، وعلموا أنهما بشر يجوز عليهما ما يجوز على البشر، ثم ذكر المحاضر ولاية الوليد بن عقبة على الكوفة بعد سعد وأنه كان محبباً إلى الناس رفيقاً بهم وهو كذلك، قال ابن الأثير بقي كذلك خمس سنين وليس لداره باب ثم شرعوا بعدها في التشغيب عليه على عادتهم مع الولاية وليس الوليد الذي هو من سلسلة الفتح بأكرم عليهم وأعظم خطراً من اجلاء الصحابة سعد وعمار وأبي موسى وقد أهانوهم، ولكن المحاضر تمسك برواية الطبري الباطلة في تبرئة الوليد من شرب الخمر.

تبرئته للوليد من شرب الخمر

ولمزه لعلو وإبطال ذلك

قال في صفحة : ٣٢ ج ٢ (ولم يكف ذلك أولئك القوم بل صمموا على الذهاب إلى دار الخلافة وشكوى الوليد والشهادة عليه بشرب الخمر فقدم من اتدبا للشهادة على عثمان ومعهم نفر يعرفهم عثمان بمن قد عزل الوليد عن الأعمال فأخبروه الخبر فقال من يشهد فقالوا فلان وفلان فسألها كيف رأيتم، قالوا كنا من غاشيته فدخلنا عليه وهو يقيء الخمر فقال عثمان ما يقيء الخمر إلا شاربها فأرسل عثمان إلى الوليد فأقدمه المدينة فأقنى على بوجوب حده فحدوه حد شارب الخمر وعزله عثمان اه) .

أقول : تشغيب هؤلاء على الولاية لم ينزع منهم صدقهم ومروءتهم العربية الإسلامية رأساً على أن المشغيب على الخلفاء وولاتهم بعض أهل الكوفة فكلامه هذا الدال على أن القوم تحاملوا وافتروا عليه في شهادتهم عليه بشرب الخمر باطل تاريخياً بوجهين (الاول) أن الوليد سكر وصلى الصبح بأهل الكوفة أربعاً ثم التفت إليهم وقال أزيدكم، فقال له ابن مسعود

ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم وشهدوا عليه بذلك عند عثمان (الثاني) حيث ثبت عند أمير المؤمنين عثمان شربه للخمر بشهادة كثيرين أمر علياً بجلده فأمر علي عبد الله جعفر فجلده . أخرج الامام مسلم في صحيحه عن حزين بن المنذر أن عثمان رضى الله تعالى عنه أمر علياً بجلد الوليد بن عقبة فأمر علي عبد الله بن جعفر فجلده أربعين ، وفي صحيح الامام البخارى في كتاب المناقب في مناقب عثمان رضى الله تعالى عنه من روايه عبيد الله بن عدى ابن الخيار : أن عثمان أمر علياً بجلد الوليد ابن عقبة حيث ثبت عليه شرب الخمر بعدة شهود ذكر أسماءهم الحافظ . ابن حجر في فتحه وذكر أسيات الخطيئة في ذلك . قال الحافظ بن عبد البر في استيعابه قصة صلاته الصبح بالناس أربعاً وهو سكران مشهورة مخرجة وقصة عزله بعد أن ثبت عليه شرب الخمر مشهورة أيضاً مخرجة في الصحيحين قال وهى مشهورة منقولة برواية الثقات من أهل الحديث والأخبار . وقال في رواية الطبرى التى اعتمد عليها الخضرى انها غير صحيحة عند أهل الحديث ولا لها عند أهل العلم أصل ، وبهذا ظهر فساد لمزه لعلى . وقوله (وأقى على بوجوب حده) فلم يفت على ولا ذنب له في ذلك وإنما هو مأمور وثبت هذا على الوليد لا يقدر في عدالته والصحابة ليسوا بمعصومين فوقع ما ينافى الكمال منهم نادر ، وإذا وقع بادروا إلى الانابة وقد شرب الخمر من لا يدانيه الوليد في الفضيلة قدامة بن مظعون أحد المهاجرين السابقين وجماعة من فضلاء الصحابة فيهم ضرار بن الأزور فحدهم الفاروق رضى الله عنه وشربها في زمان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم نعيان الانصارى رضى الله عنه وأمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه لا يضره اقتراف عامل من عماله ذنباً صح عنه كما لا يضر الفاروق شرب أولئك الأجلاء من الصحابة لها وثبوتها عن الوليد لا يحط من مقام صحبته شيئاً كما أن دفعه بالرواية الباطلة لا يزيد فيه شيئاً . ثم ذكر ولاية سعيد بن العاص بعد الوليد على الكوفة وخطبته على أهلها وكتابه إلى عثمان رضى الله تعالى عنه بحالهم وقد ذكرته في

الوجه الخامس عشر محتجاً به على أبطاله زعمه تحريك أعلام قريش
الفتنة على عثمان واستخدامهم العامة لها بالأمصار وأسهب في تشغييهم
على هذا أيضاً وهو غير مستكثر عليهم ولا مستنكر منهم مع ما فعلوه
بسلفه الوليد وما فعلوه بسعد وعمار وأبي موسى في عهد الفاروق ، نعم
عظمت فتنتهم وصار لها جيش جرار في خلافة ذى النورين وكانت نتيجة
تشغييهم على سعيد عزله عنهم وتولية أبي موسى الأشعري عليهم بطلبهم
له وهذه المرة الثانية يتولى الأشعري عليهم والأولى طلبوه من الفاروق
بدل عمار ثم شخبوا عليه وشكوه له فعزله عنهم وولى عليهم المغيرة بن
شعبة . قال الحافظ ابن عبد البر كتب أهل الكوفة إلى عثمان رضى الله عنه
لا حاجة لنا في سعيدك ولا وليدك ، وقال بعض شعراء الكوفة :

فررت من الوليد إلى سعيد كأهل الحجر إذ جزعوا فباروا
يليننا من قريش كل عام أمير محدث أو مستشار
لنا نار نخوفها فنخشى وليس لهم فلا يخشون نار
وهذا شبيه بقول القائل منهم في زمن الفاروق بعد وقعة القادوسية
إذا قتلنا ولا يبكى لنا أحد قالت قريش ألا تلك المقادير

فقد ظهر للقراء من تاريخ هذه الفتنة ان القلوب التي باحت أسننتها بما تنكته
لقريش كلها في العصرين منطوية على شر عظيم نحوهم وتحقق لهم ان هؤلاء
المتمردين على الخلفاء العاشرين بولاتهم قادة فتنة محنكون مستقلون بأنفسهم
ليسوا بمستخدمين لأحد ، قالوا كان سعيد هذا من فصحاء قريش ورجالهم
شريفاً جواداً بطالاً حليماً وقوراً وكان أحد الذين كتبوا المصحف بأمر
عثمان ، وفتح طبرستان وجرجان لما ولى على الكوفة وكان في جيشه كبار
الصحابة وأبناءؤهم ، قدم محمد بن عقيل بن أبي طالب على أبيه فقال له من
أشرف الناس قال . أنا وابن أمي يعنى علياً وحسبك بسعيد بن العاص ،
وقال معاوية كريمة قريش سعيد بن العاص . ثو في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وعمره تسع سنين ومات بقصره بالعقيق سنة ثلاث وخمسين ، ومن محاسن
(٣٦ - تحذير العبقري)

كلامه لا تُمَازح الشريف فيحقد عليك ولا تُمَازح الدنيا فتَهون عليه ،
ومن كلامه موطنان لا اعتذر من العي فيهما إذا خاطبت جاهلا أو طلبت
حاجة لنفسى .

قال المحاضر في ٢٤ و ٣٥ ج ٢ : (وفي البصرة التي هي الحاضرة الثانية
للعراق لم تكن الحال خيرا من ذلك ففي سنة ٢٩ هاج أهلها على أبي موسى
الأشعري عاملهم واستعفوا عثمان منه فعزله عنهم وولى بدله عبد الله بن
عامر وكان له في أعمال الفتح بالكوفة أثر جيد وكانت إمارته تشمل أعمال
البصرة وأعمال البحرين ولثلاث سنين من إمارته بلغه أن في عبد القيس
رجلا نازلا على حكيم بن جبلة وكان حكيم لصا إذا قفلت الجيوش خنس
عنهم فسعى في أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد في
الأرض ويصيب ما يشاء ثم يرجع. فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان
فكتب إلى ابن عامر يأمره بحبس حكيم ومن كان مثله بالبصرة فلا يخرج
منها حتى تأنسوا منه رشدا فكان لا يستطيع أن يخرج منها فلما قدم ذلك
الرجل المسمى عبد الله بن سبأ ويكنى بابن السوداء نزل عليه وكان يلقى إلى
الناس في السر تعاليم خبيثة وأصل هذا الرجل يهودى أظهر الإسلام ليضل
الناس فصار يقول لهم عجبتم ممن يقول برجة المسيح ولا يقول برجة محمد
فيقبل منه الناس ذلك ويقول لهم عجبنا لكم أيها المسلمون يكون فيكم أهل
بيت نبينا ثم يقصون عن أمركم إلى ما يماثل هذا الكلام الذي يسهل قبوله
لأنه جاءهم من قبل تعظيم نبيهم ورفع مقامه على سائر الأنبياء ثم ما هو
قريب من ذلك من استهجان ترك آله وإقصائهم عن أمر خلافتهم فبلغ شيء
من خبره عبد الله بن عامر فأحضره وسأله من أنت ، فقال رجل من أهل
الكتاب رغب في الإسلام ورغب في جوارك فقال ما يبلغني ذلك فأخرج
عني ، فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها فسار إلى مصر وهناك وجد مهده
بعد أن نفت ما نفت بالعراق اه) . قوله وفي البصرة إلى قوله فعزله عنهم
وولى بدله عبد الله بن عامر صحيح وعبد الله بن عامر العيشمي ابن خال

عثمان رضى الله تعالى عنه ولد في آخر العهد النبوى وكان جوادا شجاعا ميمونا ضم عثمان إلى عمله بالبصرة وما يتبعها فارس أيضا وكانت هذه انتقضت على المسلمين بعد موت عمر وتجمعوا الحربهم واستعدوا فغزاهم عبد الله بن عامر وفتح بلادهم كلها فتحاً جديداً ووطئهم وطأه شديدة ذلوا لها بعدها فلم تقم لهم قائمة وافتتح خراسان وسجستان وكرمان وغيرها حتى وصل إلى أطراف غزنة وقتل في أيامه يزيد جرد ملك الفرس في بيت طحان وبهذا ظهر تقصيره في فتوحات ابن عامر والخلل في قوله (وكان له في أعمال الفتوح بالكوفة أثر جيد) ثم أحرم ابن عامر بعد فراغه من هذا الفتح العظيم بعمره من ينسابور شكراً لله تعالى وقدم بأموال عظيمة فرقاها في قریش والأنصار . وقوله (وكان حكيم رجلاً لصاً إلى آخر الطعن فيه) اقتراء عليه بل هو رجل شريف في قومه ، قال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب فيه : حكيم بن جبلة العبدي من عبد القيس أدرك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أعلم له رواية عنه ولا رؤية ، كان رجلاً صالحاً له دين مطاعاً في قومه بعثه عثمان رضى الله تعالى عنه إلى السند فنزلها ثم قدم على عثمان فسأله عنها فقال ماؤها وشل واصلها بطل وسهلها جبل إن كثر الجند بها جاعوا وإن قلوبها ضاعوا فلم يوجه عثمان إليها أحداً حتى قتل ، ثم كان حكيم بن جبلة هذا ممن يعيب عثمان من أجل عبد الله بن عامر وغيره من عماله اه فعيب حكيم لعثمان من أجل عماله لا يبيح للمحاضر ان يقول فيه مالم يقله التاريخ الصحيح ونزول عبد الله بن سبأ عنده إن صح لا يدل على تأثره بضلاله . وقال في ابن سبأ هذا صفحة ٣٥ أيضا (أما الأمر في مصر فقد كان أشد مما في العراق فان ابن سبأ لما جاءها ألقى إلى الناس تعاليمه ومن ضمنها أنه كان لله ألف نبي ولكل نبي وصى وكان على وصى محمد ثم قال محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الاوصياء ثم بعد ذلك من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووثب على وصيه وتناول أمر الامة ثم قال بعد ذلك إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدؤوا بالظن على امرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر فبث دعائه وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبديون فيقول أهل كل مصر إننا لنفي عافية مما ابتلى به هؤلاء الناس إلا أهل المدينة فانه جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فاتوا عثمان فقالوا يا أمير المؤمنين آياتيك عن الناس الذي ياتينا فقال لا والله ما جاءني إلا السلامة فاخبروه فأشاروا عليه أن يبعث إلى الأمصار من يستقي أخبارها ويعلم علم ما فيها فندب لذلك رجلا سيرهم إلى الأمصار ، فسير محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة وعبدالله بن عمر إلى الشام وعمار ابن ياسر إلى مصر ، وفرق رجلا سواهم في البلاد الأخرى فأقبل جميعهم إلا عمارا ، فقالوا أيها الناس ما أنكرنا شيئا ولا أنكروه أعلام المسلمين ولأعوامهم أعمار فقد ورد إلى عثمان كتاب من عبدالله بن سعد بن أبي سرح أمير مصر يخبره أنه قد استماله قوم بمصر وانقطعوا إليه ، منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر اه) .

أقول لقد أعظم المحاضر شأن ابن سبأ هذا حتى جعله قائد زعماء الفتنة التي قامت في وجه عثمان وهو عند من سبر التاريخ الاسلامي الصحيح أقل وأذل من هذا كله وقد قدمت أن فتنة التيجني على الخلفاء تأسست في الكوفة في عهد الفاروق وعظم شررها وطار إلى الأمصار بعد مضي ست سنين من خلافة عثمان والكثير من قادتها كانوا متبوعين مطاعين في عشائرهم فليست بهم حاجة في شبها إلى ابن سبأ فمن المحال جواز ضلالاته عليهم

وتأثيرها في جمهورهم الأذكياء وأقصى ما يقال في هذا الضال أنه انضم إلى المشغبين على عثمان بمصر فصار من جملتهم يمكنه أن يثبت سموه لبعض الأغبياء ولادليل في التاريخ على أن الكتب التي بثت في الأمصار من بعضهم لبعض وللمدينة على أن مصدرها ابن سبأ بل المتعين في مصدرها إن صححت هم قادة الفتنة في الأمصار من قبل هذا الشقي حتى في مصر التي هي مستقره ويدل لهذا لفظ جميع الأمصار له ما عداها ويدل له أيضا ما سياتي في ابن أبي حذيفة أنه القائد الأعظم لها بمصر ، وقد أسهب المحاضر في شأنه معتمداً على رواية ابن جرير عن سيف المعروف ، وهي مشتملة إجمالاً على رمي جميع العرب والصحابة وعثمان وعماله بالتغفيل وفيها من التدافع ما هو ظاهر للعاقل. فنه قال كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فاسلم في زمن عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر. فاذا كان معروفاً إسلامه في زمن عثمان ونسبه وبلده عند العرب الذين هم أذكي الأمم إذ ذاك فهل يعقل استقلاله بهذه الفتنة العظمى في جميع الأمصار وقد ثبت من قبله وهل يعقل انخداعهم به وانقيادهم له مع حاله هذه .

وقوله تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم يدل على تنبهم له وعدم التفاتهم إليه .

وقوله فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فاخرجوه يقتضي أنه قدر على ما يريد في الحجاز والبصرة والكوفة وهو غير صحيح ولم يستقر فيها إن كان وجد مر تعاخصياً لبث سموه فيها وقد أخرجته الكوفتان كما أخرجته الشام . وأما المدينة التي فيها سادة الأمة النبلاء فلا مطمع له فيها أبداً ومنه وأوسعوا الأرض إذاعة مع قوله فيقول أهل كل مصر إننا لقي عافية مما ابتلى به هؤلاء الناس إلا أهل المدينة فانهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فكيف يقول أهل كل مصر إننا لقي عافية مما ابتلى هؤلاء الناس ثم يكتب

جميعهم لأهل المدينة بما هم فيه من البلاء وكيف تأتي هذه الكتب التي تحمل
البلاء من جميع الأمصار لأهل المدينة كلهم أو جلهم كما هو ظاهر إطلاقه ولم
يعلم بها الخليفة عثمان حتى أتوه وقالوا له يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس
الذي يأتينا فقال لا ، والله ما جئني إلا السلامة . فمن المحال والحال هذه عدم
علمه بها قبل إخبارهم له بها . فان كانت هذه الكتب جاءت لأهل المدينة أو
لأعيان الصحابة منهم فلم لم يسم من المكتوب إليهم ولو واحدا أو يبين
كونها موقعة أو غير موقعة فان كانت موقعة فلم لم يسم أسماء موقعيها من
الأمصار الثلاثة ، ولو ثلاثة أشخاص . على الأقل ، ولم لم يخبر أهل المدينة
الذين جاءتهم هذه الكتب من الأمصار عثمان بأسماء مرسلها وهو من تمام
إخلاصهم له حيث جاءوا فأخبروه بها وأشاروا عليه بأن يبعث إلى الأمصار
من يستقى له أخبارها ويعلم علم ما فيها ، وإن كانت غير موقعة يعلمون من
أول الأمر أنها مفتعلة مراد بها الفتنة فيسأرون على كل حال بأخبار عثمان
بها قبل هذا ، وإن كان مراده بأهل المدينة الذين جاءتهم هذه الكتب من
الأمصار أعلام مهاجري قریش عليا وطلحة والزبير وسعدا وغيرهم على
زعمه سابقا أنهم هم الذين حركوا هذه الفتنة على عثمان واستخدموا لها
العامية في الأمصار (وقد أبطلته بالبراهين مفصلا) فلا يعقل إتيانهم إليه
وإخباره بها وإشارتهم عليه بأن يبعث إلى الأمصار من يستقى أخبارها إلا
إذا كان على سبيل النفاق والغش له (وقد أعادهم الله من ذلك) وبرأهم
التاريخ المتواتر والمسلمون جميعا من ذلك . ومنه أيضا قوله
وأوسعوا الأرض إذاعة أي ابن السوداء وأتباعه ملأوا الأمصار
كلها بإذاعة فتنتهم هذه فكيف يتفق هذا مع قول الذين بعثهم عثمان إلى
الأمصار ليسبروا أحوالها لما رجعوا إلى المدينة . أيها الناس ما أنكرنا
شيئا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم فان أوسع هذا الشقي وأتباعه
الأمصار النائية عن مركزه إذاعة فصر التي هي مركزه تكون كلها
على مقتضى كلامه مملوءة بها من باب أولى وحينئذ كيف لم يتنبه له ابن أبي

سرح عامل مصر إلا بعد مجيء عمار منتخباً من الخليفة لسبر أحوالها هذا لا يعقل وقد كذبه التاريخ فيها وفي غيرها من الأمصار ، وكيف خيب عمار ثقة الخليفة به فخانه واستماله أو باش لا خلاق لهم ولا دين فان فرض انه خان خليفته الذى وثق به وانقلب مع الثائرين عليه فلم ينضم إلى القائد الأعظم لهذه الفتنة بها ابن أبى حذيفة وهو قرشى من قرابة عثمان فيكون تأثيره معه على عثمان أشد من انضمامه لابن السوداء ولم لم يستمله وينقطع إليه ابنا أبى بكر وحذيفة لمكانته فى الإسلام ومجامعته لهما فى القرشية ولا غنى لهما عنه وكيف تركا من لا خلاق له يستمله وهما البارزان المطاعان فيها هذا افتراء على عمار لا يعقل ، هذا التدافع والتخبط والطعن فى الصحابة قد استقريناه فى كل خبر يرويه ابن جرير عن سيف بن عمر المتهم بالزندقة الذى لا يروى إلا عن المجولين .

وقال فى صحيفة ٣٦ (وكان من أشد المؤلبيين على عثمان بمصر رجلان محمد بن أبى حذيفة وكان الذى دعاه إلى ذلك انه كان يتيما فى حجر عثمان فكان عثمان والى أهل بيته ومحتمل كلهم قسال محمد عثمان العمل حين ولى فقال يا بنى لو كنت رضى ثم سالتنى العمل لاستعملتك ولكن لست هناك قال فاذن لى فلا أخرج فلا طلب ما يقوتنى قال اذهب حيث شئت وجهزه من عنده وحمله وأعطاه فلما وقع إلى مصر كان فيمن تغير عليه أن منعه الولاية ، والثانى محمد بن أبى بكر وقد كان من الإسلام بالمحل الذى هو به وغره أقوام فطمع وكانت له دالة فلزمه حق فاخذته عثمان من ظهره ولم يداهن فاجتمع هذا إلى هذا فصار كما يقول سالم بن عبد الله بن عمر مذمماً بعد ان كان محمداً وإنما مال إليهم عمار بن ياسر لأنه كان كذلك حاقدآ على عثمان فقد قال سعيد بن المسبب انه كان بينه وبين عباس بن عتبة بن أبى لهب كلام فضر بهما عثمان وكان قذفاً اه ،

أقول : محمد بن أبى حذيفة ولد بارض الحبشة كان أبوه من السابقين الاولين : استشهد باليمامة فضم عثمان محمداً هذا إليه ورباه فلما كبر واستخلف

عثمان استأذنه في التوجه إلى مصر فاذن له فكان أشد الناس تألياً عليه
وصار عميد الفتنة بها. قالوا كان يكتب الكتب على السنة أزواج النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم في الطعن على عثمان وكان يأخذ الرواحل فيحضرها
ثم يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث بذلك معهم فيجعلهم على ظهر بيت
في الحر فيستقبلون بوجوههم الشمس ليلوحهم تلويح المسافر ثم يأمرهم أن
يخرجوا إلى طريق المدينة ثم يرسلوا رسلاً ليخبروا بقدمهم فيأمر بتلقيهم
فاذلقوا الناس قالوا لهم ليس عندنا خبر الخبر في الكتب فيتلقاهم ابن أبي حذيفة
ومعه الناس فيقول لهم الرسل عليكم بالمسجد فيقرأ عليهم الكتب من أمهات
المؤمنين إنا نشكوا اليكم يا أهل الإسلام كذ وكذا من الطعن على عثمان
فيضج أهل المسجد بالبكاء والدعاء، ولما توجه ابن أبي سرح عامل مصر إلى
عثمان حين طلب عمال الأمصار ليستكشف منهم أمر هذه الفتنة العظيمة
التي قامت عليه ويشاورهم استتاب عليها السائب بن هشام العامري فوثب
ابن أبي حذيفة على هذا فخلعه وتأمر على مصر ولما رجع ابن أبي سرح إلى
مصر منعه ابن أبي حذيفة من دخولها فرجع إلى الرملة فمكث بها حتى مات
سنة ست وثلاثين. وقد جهز ابن أبي حذيفة جيش المصر بين الذين ذهبوا
إلى عثمان وحاصروه حتى قتلوه ثم سار إليه معاوية في جيش كثيف قبل
ذهابه إلى صفين فقتله بحيلة.

ومحمد بن أبي بكر ولد عام حجة الوداع ونشأ في حجر علي لأنه تزوج
أمه بعد وفاة الصديق حضر مع علي الجمل وصفين وولاه على مصر بعد قيس
ابن سعد بن عباد فجهز إليه معاوية جيشاً فقتل سنة ثمان وثلاثين ولما
بلغ قتله عائشة رضى الله عنها حزنت عليه جداً وتولت تربيته ولده القائم
فنشأ في حجرها فكان من أفضل أهل زمانه وصار أحد فقهاء المدينة السبعة
المشهورين. وقوله (فصار كما يقول سالم بن عبد الله بن عمر مذمماً بعد إن
كان محمداً) لا فائدة فيه لقائله إن صح عنه ولا لحاكميه ولا لعثمان رضى الله
تعالى عنه سوى الغيبة ومن الجائز في قدرة القادر الحكيم إرضاء عثمان رضى

الله عنه يوم القيامة عن جميع خصمائه أهل لا إله إلا الله إلا من استحل
قتله فضلاً عن ابن الصديق . وقوله (وإنما مال إليهم عمار بن ياسر لأنه
كذلك حاقداً على عثمان) غير صحيح فقد كان راضياً عنه فقد روى أبو
الزناد عن أبي هريرة أن عثمان لما حوَّصر ومنع الماء قال لهم عمار سبحان الله
قد اشترى بئر رومة وتمنعه ماءها خلوا سبيل الماء ثم جاء إلى علي وسأله
إنفاذ الماء إليه فأمر براوية ماء ، وقد روى أيضاً انه رضى الله عنه لما
أنصفه بحسن الاعتذار رضى عنه . فما للبتدعة والوضاعين ومقلديهم
لا يرضون وما مثلهم في هذا إلا كما قيل رضى الخصمان ولم يرض القاضى .
وقوله (فقد قال سعيد بن المسيب الخ) لم أعر على صحة هذا السلام
الذى وقع بين عمار وعباس بن عتبة ولا على تفصيله والمحاضر نقله
من التاريخ على علاقته مبهما كعادته محقبا دينه غيره فعلى تقدير صحته
لا يقدح في عدالة عمار وصحبه كما تقدم في قصة الوليد بن عتبة ولا يلزم
من ضرب عثمان له بقاؤه حاقداً عليه بعده .

طعنُه في أبي ذر

وإبطال ذلك بوجهين

قال أيضاً في صفحة : ٣٦ و ٣٧ منه أما الحال في الشام فقد كانت
أحسن الأحوال لما عرف به معاوية من الخزم والضبط إلا أنه كان
فيها حادثة استعملها أولئك الضالون في التشنيع على عثمان وعماله وذلك أن
ابن السوداء لما أتى الشام جاء أبا ذر فقال يا أبا ذر ألا تعجب من معاوية
يقول المال مال الله إلا أن كل شيء لله كأنه يريد أن يحتجته دون المسلمين
ويمحو اسم المسلمين فأناه أبو ذر فقال ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين
مال الله ، قال يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه
والأمر أمره ، قال فلا تقله ، قال فإني لا أقول انه ليس لله ولكن سأقول
مال المسلمين . ثم أتى ابن السوداء أبا الدرداء . فقال له أبو الدرداء من
(٣٧ - تحذير العبقري)

أنت أظنك يهوديا، ثم أتى عبادة بن الصامت فتمعلق به وأتى به معاوية
فقال هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر . ثم قام أبو ذر بالشام وجعل يقول
يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء بشر الذين يكتنون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله بمكوا من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء
وحتى شكوا الأغنياء ما يلقون من الناس فكتب معاوية إلى عثمان بذلك فأمره
عثمان أن يجيز إليه أبا رز فأرسله إليه فلما قدم عليه ورأى المجالس في أصل
سليق قال بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكور ولما دخل على عثمان
قال يا أبا ذر ما لأهل الشام يشكون ذرب لسانك فأخبره أنه لا ينبغي
أن يقال مال الله ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا، فقال يا أبا ذر على أن
أقضى ما على وآخذ ما على الرعية ولا أجبرهم على الزهد وأن أدعوهم إلى
الاجتهاد والاقتصاد وكان هذا الرأي الاشتراكي متمكنا من أبي ذر وقد وجد
الخليفة أنه رأى فائل فأمر أبا ذر أن يخرج إلى الربذة فيقيم بها ويقال أن
أبا ذر هو الذي طلب منه ذلك فسيره وأجرى عليه رزقا وعلى رافع بن
خديج مثله ، وقد توفي أبو ذر بالربذة سنة ٣٢ وكان من السابقين إلى الاسلام
أما الحال في المدينة فقد كانت تلك الكتب التي يرسلها السبثيون سببا لكثرة
الحديث في عمال عثمان وفشو القالة حتى تأثرت بذلك نفوس الكثير منهم
وفيهم من هو حاقد على عثمان لاسباب تخصه ، وقد بلغ الحال أن بعضهم
واجه عثمان بما يسوءه من الكلام فكان يتحمل ذلك بصبر (اه . أقول هذا
الكلام المتعلق بقصة أبي ذر مع معاوية بالشام خبر مطول رواه ابن جرير
عن سيف المعروف في ص ٢٢٥ و ٢٢٦ ج ٢ من الطبعة الجديدة وقد تصرف
فيه المحاضر بالحذف والزيادة ، فحذف من وسطه بعد قوله فكتب معاوية
إلى عثمان بذلك ما نصه : فكتب إليه عثمان أن الفتنة قد أخرجت خطمها
وعينها فلم يبق إلا أن تثب فلا تنكأ القرح وجهر أبا ذر وابعث معه
دليلا وزوده وارفق به وكفكف الناس ونفسمك ما استطعت فانما تمسك

ما استمسكت، فبعث بأبي ذر ومعه دليل فلما قدم المدينة الخ: ومن آخره بعد قوله وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد قال فتأذن لي في الخروج قان المدينة ليست لي بدار، فقال أو تستبدل بها إلا شرا منها، قال امرني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا قال فانفذ لما أمرك به، قال فخرج حتى نزل الربذة فخط بها مسجدا واقطعه عثمان صرمة من الابل وأعطاه مملوكين وأرسل اليه أن تعاهد المدينة حتى لا ترد أعرايا ففعل. هذا آخر الخبر وزاد فيه قوله (فامر أبا ذر أن يخرج إلى الربذة. وزاد فيه أيضا قوله وعلى رافع بن خديج مثله. وزاد عليه قوله أما الحال في المدينة فقد كانت تلك الكتب إلى آخر الكلام وبعد فهذا الكلام المسوق للطعن في أبي ذر رضى الله تعالى عنه، بالتغفيل والانخداع بابن سبأ ووصم المحاضر له بالاشتراكية كله باطل بوجهين: الأول روى ابن جرير أيضا ص ٣٧٨ ج ٣ الطبعة الجديدة عن سيف ابن عمر بطل الروايات المتدافعة الطاعنة في الصحابة رضوان الله عليهم خبراً مطولا مناقضاً لهذا يدل صراحة على أن ابن السوداء لم يستطع بث ضلاله في الشام أصلا ونص الحاجة منه من أوله قال كان عبد الله بن سبا يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فاسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فاخرجه حتى أتى مصر، وقد قررته قريبا، فقد صرح سيف في هذا الخبر الذي رواه ابن جرير عنه في حوادث سنة خمس وثلاثين أى في السنة التي قتل فيها عثمان بان ابن السوداء لم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فاخرجه، وفي هذا الخبر الذي أنا بصدد نقضه الذي رواه ابن جرير أيضا عنه في حوادث سنة ثلاثين للهجرة ص ٣٣٥ ج ٣ صرح بان ابن السوداء قدر على ما يريد عند واحد من أهل الشام وهو أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا تناقض ظاهر في الخبرين والأول أضرب عنه المحاضر صنفا لما ذكر سابقا ما عمله ابن

سبأ في مصر فلم يصرح به لعدم موافقته لهواه وهو الطعن في الصحابة
وصرح بهذا الثاني لموافقته لهواه .

الثاني الصحيح في قصة أبي ذر مع معاوية ما رواه الامام البخارى في
صحيحه عن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة فاذا بأبي ذر فقلت ما أنزلك
هذا المنزل، قال كنت في الشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية ﴿والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ الخ
فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب ، فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني
وبينه في ذلك كلام فكتب إلى عثمان يشكوني ، فكتب إلى عثمان أن أقدم
المدينة فقدمتها فكثير على الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك
لعثمان ، فقال ان شئت تمحيت فكننت قريبا فذاك الذي أنزلني هذا المنزل
ولو أمر على عبد حبشي لسمعت وأطعت اه .

والقول بأن الآية المتناظر فيها نزلت في أهل الكتاب تفرد به معاوية
والقول بانها نزلت فينا وفيهم قال به جمهور الصحابة قال القرطبي وهو
الصحيح وعليه فالمعروف من مذهب أبي ذر رضى الله تعالى عنه الذى خالف
فيه الجمهور أنه يوجب على المسلم إخراج ما زاد على قوت يومه وهذا
المذهب مندرج تحت قواعد الشرع وغايته ترك التوسع في المباح من المال
والاخذ منه بقدر الضرورة وهو المسمى بالعزيمة وهذا لا يعاب على من
قواه الله على ذلك ووفقه بل يمدح عليه ودليله متين وهو ما أخرجه الامام
البخارى في صحيحه عنه قال قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ياأبا ذر قلت لبيك يا رسول الله ، قال : (أرأيت جبل أحد) فظننت أنه
يريد أن يرسلني في حاجة وقد مالت الشمس للغروب (ما أحب أن يكون لى
مثله ذهبا يبيت عندى منه دينار واحد إلا دينار أرصده لاهلى) ومن أدى
حق الله فى ماله ثم ترفه فيه بالافتناء والتوسعة على نفسه وعلى أهله فهو آخذ
بما أيسح له شرعا غير ملوم ، وعلى مذهبه هذا فى الزهد فى الدنيا وشدة
التقشف طائفة من أجلاء الصحابة منهم عمر وعلى وأبو عبيدة وسلمان
رضى الله تعالى عنهم .

وقد ورد في فضل أبي ذر رضى الله تعالى عنه أحاديث كثيرة من أشهرها ما رواه الامام أحمد والترمذى وابن ماجه والطبرانى بسند جيد عن عبد الله بن عمرو مرفوعا (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء بعد النبيين امرأ أصدق لهجة من أبي ذر) . وله شاهد أخرجه العسكرى عن أبي الدرداء بلفظ (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبي ذر) وأخرج أبو داود بسند جيد عن علي رضى الله تعالى عنه أنه قال فيه : وعاء مليء علما ثم اوكله عليه ، قالوا كان يوازى ابن مسعود في العلم ولم يشهد بدرا ولكن الفاروق أحقه بالبدرين في العطاء وعلى هذا فمن الجهل والوقاحة لمزه بالاشتراكية والتكهن فيها في قوله (وكان هذا الرأى الاشتراكي متمكنا من أبي ذر) ، والذي يحاول تحليل الربا وما تأخذه البنوك من الارباح كما رد عليه بذلك الشيخ إبراهيم السمنودى المنصورى برسالة سماها سيف أهل العدل على نحر من نازعوا في زماننا في تحليل ربا القرض والفضل ومحصلها أن هذا المحاضر وعبد العزيز جاويش وإسماعيل خليل المحامى قاموا يخطبون في دارالعلوم أمام جمهور من الناس حاولوا في خطبهم تحليل الربا بتمويهات لا يستغرب منه اطلاق الاشتراكية التي هي صفة الاباحية الملاحدة على عظيم من عظماء أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله : أما الحال في المدينة فقد كانت تلك الكتيب التي يرسلها السبئيون سببا لكثرة الحديث في عمال عثمان وفشو القالة إلى آخر الهراء غير صحيح فلا دليل في التاريخ يدل على ثبوت اتيانها لاهل المدينة من زعماء الفتنة بالامصار فضلا عن كونها من السبئيين ، وتأثر نفوس كثير منهم بها مفرع عن ثبوت اتيانها اليهم واتيانها اليهم غير ثابت ، وقد التزم المحاضر دائما ركوب جادة الابهام والتدليس التي سنها الوضاعون الكائدون للاسلام مستسمنا لها قال (حتى تأثرت بذلك نفوس الكثير منهم) (وفيهم من هو حاقده على عثمان لاسباب تخصه) (وقد بلغ الحال أن بعضهم واجه عثمان بما يسوءه من الكلام فكان يتحمل ذلك بصبر) الأسمى ولو واحدا من هذا الكثير الذين تأثرت

نفوسهم بتلك الكتب إن كانت صحيحة ، الأسمى ولو واحدا من هؤلاء الحاقدين على عثمان لأسباب تخصهم إن كان الأمر صحيحاً . الأسمى ولو واحداً من هذا البعض الذي واجه عثمان بما يسوءه من الكلام حتى يبحث في نقله بحثاً علياً .

ثم ذكر المحاضر سبعة أمور نقمها الثائرون على عثمان رضى الله تعالى عنه وهي أكثر من هذه فقد ذكر محب الدين الطبرى فى (الرياض النضرة فى مناقب العشرة) فى مناقبه رضى الله تعالى عنه تسعة عشر خصلة وأجاب عنها كلها جواباً شافياً ، والكثير منها مختلف عليه . ثم قال (وأحسن ما يقال فى الجواب عن جميع ما ذكر دعاة أهل البدع أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخبر عن وقوع فتنة عثمان وأخبر أنه على الحق على ما تضمنه حديث كعب بن عجرة وفى رواية أنه على الهدى . خرجه أحمد والترمذى وقال حسن صحيح وأخبر أنه يقتل ظلماً على ما تضمنه حديث ابن عمر من حديث الترمذى والبعغوى وأمر صلى الله تعالى عليه وسلم باتباعه عند ثوران الفتنة على ما تضمنه حديث مرة بن كعب من حديث أبى حاتم وأحمد ومن شهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه على الحق وأنه يقتل ظلماً وأمر باتباعه كيف يتطرق إلى الوهم انه على باطل ثم قد ورد فى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخبره أن الله تعالى يقيمصه بقميص وأن المنافقين يريدونه على خلعه وأمره ألا يخلعه وأكده عليه الأمر ألا يخلعه ، وفى بعض الطرق انه توعد على خلعه وأمره بالصبر فامتثل أمره وصبر على ما ابتلى به وهذا من أدل دليل انه كان على الحق وما ذا بعد الحق إلا الضلال فمن خالفه يكون على الباطل كيف وقد وصف صلى الله تعالى عليه وسلم الذين أرادوا خلعه بالنفاق فعلم بالضرورة أن كل ما روى عنه مما يوجب الطعن عليه دائر بين مفترى عليه ومختلف وبين محمول على تقدير صحته على أحسن التأويلات ليسكون معه على الحق تصديقاً لحبر النبوة المقطوع بصدقه اه) .

ثم قال المحاضر بعد ذكره جواب عثمان عن السبعة الامور ، (فاكثفي عثمان بهذا الدفاع عن نفسه ولم يفعل شيئا مع ذلك الوفد بل أعادهم إلى أمصارهم اه) . أقول أى شيء يفعله معهم أكثر من إجابتهم عن مسألتهم التي زعموا أنه جار فيها وهم جمهور من الناس وراءهم في الأمصار الثلاثة مئون يؤيدونهم على ضلالهم ولو كان الفاروق بدله ما زاد على هذا وقد أعضله طائفة من أهل الكوفة حين كانوا وحدهم قائمين بالتشغيب على الخلفاء من أجل عمالهم واتضح له افتراء تلك الشرذمة منهم على سعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه ولم يؤدبهم خشية تآثر قلوب عشائرتهم والمواليين لهم على قریش فيزداد تشغيبهم عليها انتشارا في القبائل بل اكتفى بعزل سعد عنهم ورضى باسقاط حق نيلهم من عرضه الشريف . لذلك قال لسعد (هكذا الظن بك يا أبا اسحاق ولولا الاحتياط لكان سييلهم بينا) فإى احتياط غير توقعه رضى الله عنه توسع هذه الفتنة التي ظهر له ويصها في أخيه سعد مع أنها إذ ذاك كانت ضئيلة محصورة في الكوفة فإذا كان رضى الله عنه معذورا في تركه تأديب تلك الشرذمة التي تبين له سييلها فعثمان رضى الله تعالى عنه يكون أعذر منه في تركه تأديب جمهور من الناس وراءهم ألوف في الأمصار الثلاثة ، وبهذا ظهر فساد كلامه هذا . ثم ذكر في ص : ٤٠ ج ٢ خروج أهل مصر إلى عثمان وعددهم ما بين الستائة والالف وخروج أهل الكوفة في مثل عددهم وأهل البصرة كذلك ثم قال (وكانت أهواء أهل الأمصار الثلاثة مختلفة فاهل البصرة كانوا يريدون طلحة لأن ضياعه كانت ببلدهم ، وأهل الكوفة كانوا يريدون الزبير ، وأهل مصر كانوا يريدون عليا لتعاليم ابن السوداء ووجود ابن أبي بكر وهو ربيب على وابن أبي حذيفة بينهم اه) قوله فاهل البصرة كانوا يريدون طلحة لأن ضياعه كانت ببلدهم غير صحيح فلو كانوا كلهم يريدونه ما افترقوا لما جاءهم هو والزبير وعائشة على ثلاث فرق فرقة انضمت اليهم وفرقة حاربتهم وفرقة اعتزلت الجميع ، ولو كان أهل الكوفة كلهم يريدون الزبير لبادروا

اليه لما وصل الى العراق مع طلحة وعائشة قبل علي ولما نهضوا كلهم مع أمير المؤمنين علي ونصروه ، ولو كان المصريون كلهم يريدون عليا ما انقسموا أيضا الى فرقتين. فرقة وهم الاكثرون انضموا الى جماعة المسلمين وبايعوه وفرقة امتنعت من بيعته . فقولته لتعاليم ابن السوداء ووجود ابن أبي بكر وهو ريبب علي وابن أبي حذيفة بينهم فاسد لان تعاليم ابن السوداء التي ملأ بها الارض كلها اذاعة (كما زعم سابقا) كافية في أضلال المصريين كلهم واتفاقهم على بيعة علي لا تحتاج الى انضمام ابن أبي حذيفة وابن أبي بكر اليه في التشغيب فانقسامهم الى فرقتين دل على أن ابن السوداء هذا أقل وأذل من أن يؤثر ضلاله في العرب العادية كما تقدم . وابن أبي حذيفة الذي هو القائد الاعظم لهذه الفتنة وابن أبي بكر ما كانا يدعوان المصريين لموالاة علي وبغض عثمان . وانما كان منهما مجرد التشغيب على عثمان وتبغيضه لهم وأول تكلمهما في عثمان سنة احدى وثلاثين في غزوة الصواري ، أظهر اعيه وما غير وما خالف به أبا بكر وعمر ويقولان استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد أباح دمه ونزل القرآن بكفره وأخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قوما أدخلهم ونزع أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستعمل سعيد بن العاص وابن عامر ففسد الناس بقولهما وتكلموا مالم يكونوا ينطقون به . زاد ابن جرير عن ابن أبي حذيفة فيقول للرجل منهم أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقا. فيقول الرجل وأى جهاد فيقول عثمان بن عفان فعل كذا وكذا وفعل كذا وكذا حتى أفسد الناس فقدموا بلدهم وقد أفسدهم فأظهرا من القول مالم يكونوا ينطقون به ، وهذه كتب التاريخ ناطقة بذلك مع كون هذا أقرب إلى عثمان من علي وكون ابن أبي بكر ريبب علي لا يلزم منه دعوتهم إلى علي ومن فهم منه هذا فقد افترى عليه وعلى حيدرة وعلى التاريخ الاسلامي .

جمهله لتاريخ مجيىء الشوار للمدينة

وحصارهم لعثمان وتحامله على على وإيضاح ذلك

قال فى ص ٤٠ و ١٤٠ (ولما كانوا من المدينة على ثلاثة تقدم ناس من أهل البصره فنزلوا ذا خشب وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص وجاءهم هناك ناس من أهل مصر وتركوا عامتهم بذى المروة وينظروا هل وصل المدينة خبرهم لأنهم كانوا يخافون أن يستعد لهم أهل المدينة بحرب فأرسلوا لذلك رجلين فلما دخلا المدينة كلما عليا وطلحه والزبير وقالوا إنما نأتم هذا البيت ونستعفى هذا الوالى من بعض عمالنا ماجئنا إلا لذلك واستأذناهم للناس بالدخول فكلهم أبى ذلك عليهما فرجع الراءدان إلى قومهما وأخبراهم الخبر فاجتمع من أهل مصر نفر أتوا عليا، ومن أهل البصرة نفر أتوا طلحة ومن أهل الكوفة نفر أتوا الزبير، فسلم المصريون على على وعرضوا له بالأمر فرد عليهم رداً شديداً. وكذلك فعل طلحة والزبير بمن جاءهم فخرج القوم وأروهم انهم راجعون حتى انتهوا إلى عسا كرههم وهى على ثلاث مراحل كى يفترق أهل المدينة ثم يكرروا راجعين فافترق أهل المدينة لخروجهم فلما بلغ القوم عسا كرههم كروا بهم فبغتوهم فلم يفجأ أهل المدينة إلا والتكبير فى نواحيها فنزلوا مواضع عسا كرههم وأحاطوا بعثمان وقالوا من كف يده فهو آمن فلزم الناس بيوتهم فأتاهم على فكلهم وقال ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم، فقال المصريون أخذنا مع البريد كتابا بقتلنا، وقال الكوفيون والبصريون جئنا ننصر أخواننا كما كنا كانوا على ميعاد. فقال لهم على كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتهم مراحل ثم طويتم نحونا. هذا والله أمر أبرم بالمدينة قالوا فضعوه كيف شئتم لا حاجة لنا فى هذا الرجل ليعتزلنا، ثم قالوا لعلى ان الله قد أحل لنا دم هذا الرجل قم معنا اليه قال والله لا أقوم معكم الى أن قالوا فلم كتبت لنا، فقال على والله ما كتبت لكم كتابا فنظر بعضهم الى بعض (٣٨ - تحذير العبرى)

(تأملوا كيف استعمل المفسدون اسمه ليهيجوا الناس) ثم تركهم على وخرج من المدينة ، ثم دخلوا بالكتاب على عثمان فقالوا كتبت فينا بكذا وكذا ، فقال انما هما اثنتان أن تقيموا على رجلين من المسلمين أو يميني بالله لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمليت ولا علمت وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرجل وقد ينقش الخاتم على الخاتم فقالوا قد والله أحل الله دمك ونقضت العهد والميثاق فتركهم عثمان وكان القوم يحاولون منه أن يخلع نفسه من الخلافة وهو يأبى وكان لا يزال يصلى بهم ثم منعوه من الصلاة في المسجد وحصروه في داره اه) .

أقول : قد طمس وحذف بعض الحقائق من تاريخ فتنة الخوارج مع أعلام الصحابة وعثمان في مجيئهم اليه وحصارهم له وتحامل علي على رضى الله تعالى عنه وقد كان عليه أن يوضحها ولا يخل بشيء منها وأنا أنقل بعضاً من التاريخ الذى تركه من كامل ابن الأثير ، فقله (فسلم المصريون على علي إلى قوله فخرج القوم وأروهم) فيه طمس واسقاط لبعض الكلام ، قال ابن الأثير : (فأتى المصريون علياً وهو فى عسكر عند أحجار الزيت متقلداً سيفه وقد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع اليه ، فسلموا عليه وعرضوا عليه (أى الخلافة) فصاح بهم وطردهم وقال لقد علم الصالحون أن جيش ذى المروة وجيش ذى خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانصرفوا عنه ، وأتى البصريون طلحة فقال لهم مثل ذلك وكان قد أرسل ابنه إلى عثمان ، وأتى الكوفيون الزبير فقال لهم مثل ذلك وكان قد أرسل ابنه عبد الله إلى عثمان . وفى قوله (فأتاهم على فكلمهم وقال ما ردكم بعد ذهابكم الخ) نقض فى الكلام قال ابن الأثير : وأتاهم أهل المدينة وفيهم على فقال لهم ما ردكم بعد ذهابكم فقالوا أخذنا مع بر يد كتابا بقتلتنا ، وأتى طلحة الكوفيين فسألهم عن عودهم فقالوا مثل ذلك ، وأتى الزبير البصريين فقالوا مثل ذلك ، وكل منهم يقول نحن نمنع اخواننا وننصرهم كأنما كانوا على ميعاد . فقال لهم على كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل

البصرة إلى قوله ليعتزلنا وقوله (ثم قالوا لعلي إن الله قد أحل لنا هذا الرجل قم معنا إليه قال والله لا أقوم معكم) من زيادته لم أقف عليه وعلى كل حال هو مختلق وكيف يقولون له أن الله قد أباح لهم دم ابن عمه فيسكت ولا يجيبهم كأنه راض بقولهم وهو الهمة المنطوق ويستحيل أن يقول لهم والله لا أقوم معكم لو صح كلامهم هذا ، وقوله (إلى أن قالوا فلم كتبت لنا فقال علي والله ما كتبت لكم كتابا فنظر بعضهم إلى بعض) تاملوا كيف استعمل المفسدون اسمه ليهيجوا الناس . طمس أيضا للتاريخ وخيائه فيه وتحامل علي على تقليداً لرواية ابن جرير ، قال ابن كثير في بدايته وذكر ابن جرير . أن الصحابة كتبوا إلى الآفاق من المدينة يأمرون الناس بالتقدم على عثمان ليقاتلوه ، وهذا كذب على الصحابة وإنما كتبت كتب مزورة عليهم ، كما كتبوا من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج كتباً مزورة عليهم أنكروها . وهكذا زور هذا الكتاب على عثمان أيضاً فإنه لم يأمر به ولم يعلم به أيضاً أهـ قلت وبهذا علم جهله للتاريخ وخيائه وتبين فساد قوله بين قوسين (تاملوا كيف استعمل المفسدون اسمه ليهيجوا الناس) ، وإذا كان الخوارج قد زوروا كتباً على لسان أعيان الصحابة ومنهم أمهات المؤمنين وقد تقدمت قصة تزوير ابن أبي حذيفة عليهن فأى ذنب عليهم جميعاً في ذلك . وأى ذنب على علي وحده حتى خصه بهذا الهراء فكلامه هذا علاوة على ما ذكرنا فيه نصب محض . وقوله فنظر بعضهم إلى بعض يدل على أن الثائرين على عثمان قسماً : خادعون وهم رؤساء الفتنة الذين زوروا الكتب على لسان علي وغيره من الصحابة ، ومروءسون مخدعون قرئت عليهم تلك الكتب المزورة على لسان الصحابة فلما حلف علي أنه ما كتب لهم تحير المخدعون فيه كيف يكتب لهم ويحلف أنه ما كتب لهم وربما غلب علي ظنهم صدقه في يمينه لذلك نظر بعضهم إلى بعض ولذلك عقبوا نظرهم كما ذكر ابن جرير بقولهم ، لهذا تقاتلون أو لهذا تغضبون ، وقول ابن كثير (وهكذا زور هذا الكتاب على عثمان أيضا

فانه لم يامر به ، ولم يعلم به أيضا) إشارة الى الكتاب الذى قال المصريون أنهم وجدوه بعد انصرفهم عن المدينة راجعين الى بلادهم مع البريد. فيه الأمر بقتلهم وقد طمس المحاضر كاتبه على لسان عثمان أيضاً فلم يعينه لكونه من مسلمة الفتح المقدسين عنده أعظم من الصحابة وهو مروان كما ذكر التاريخ قال ابن كثير فى بدايته ، (وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه باسائده أن المصريين لما وجدوا ذلك الكتاب مع البريد الى مصر فيه الأمر بقتل بعضهم وصلب بعضهم وبقطع أيدي بعضهم وأرجلهم وكان قد كتبه مروان ابن الحكم على لسان عثمان متأولا قوله تعالى ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ وعنده أن هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه من جملة المنفسدين فى الأرض ولا شك أنهم كذلك لكن لم يكن له أن يفتات على عثمان ويكتب على لسانه بغير علمه ويزور على خطه وخاتمه ويبعث غلامه على بغيره بعد ما وقع الصلح بين عثمان وبين المصريين على تأمير محمد بن أبى بكر على مصر بخلاف ذلك كله اه) .

ويمكن تزوير الثأرين له على لسان عثمان ويحتمله جوابهم للصحابة ولعلى رضى الله تعالى عنهم لما قال لهم هذا والله أمر أبرم بالمدينة فقالوا (فضعوه كيف شئتم لا حاجة لنا فى هذا الرجل) . وجزم به المعلق على كتاب العواصم والقواصم قائلًا ، أيها المسلمون فى هذا العصر وفى كل عصر إن الايدى المجرمة التى زورت الرسائل الكاذبة على لسان عائشة وعلى وطلحة والزبير هى التى زورت الرسالة المزعومة على لسان أمير المؤمنين عثمان الى عامله فى مصر فى الوقت الذى كان يعلم فيه انه لم يكن له عامل فى مصر اه) . وأنا موافق له على تزوير الخوارج الكتب على لسان أعيان الصحابة وأممات المؤمنين جميعا لا عائشة فقط كما جاء فى التاريخ وقد تقدم تزوير بن أبى حذيفة الكتب عليهن رضى الله تعالى عنهن ولكن جزمه بتزويرهم الكتاب

عليه الى عامله في الوقت الذي كان يعلم فيه انه لم يكن له عامل في مصر ،
فيه نظر وذلك لانه اذا كان يعلم انه لا عامل له في مصر فلا حاجة له في
اجابتهم عن هذا الكتاب بمحضر جماعة من أعيان الصحابة ، لما قالوا له
الكتاب عليه خاتمك بقوله أن الرجل قد يزور على خطه وخاتمه قالوا فانه
مع غلامك وعلى جملك فقال والله لم أشعر بشيء من ذلك فحلف
لهم بالله العظيم وهو الصادق البار الرشيد انه ما كتبه ولا أملاه
على من كتبه ولا علم به . لا حاجة له الى هذا كله لانه يكفيه أن يقول
لهم . أتمتعون أنه لا عامل لي الآن بمصر فلمن اكتب ، ويكون
هذا الجواب أيضا على القول بأن مروان هو الذي كتبه على لسانه
لانه من المحال علم الخليفة بانه لا عامل له اذ ذاك في مصر وجهل
ابن عمه وبطانته الخاص به مروان ذلك فتكون نتيجة كتابة هذا الكتاب
على مقتضى علم عثمان بما ذكر على كلا القولين العبث والعبث لا يحتاج إلى
ذلك الجواب الطويل العريض منه رضى الله عنه قال المعلق (ولا يعقل أن
يكون تدبير هذا الدور التمثيلي صادرا عن عثمان أو مروان أو أى إنسان
يتصل بهما لأنه لا مصلحة لهما في تجديد الفتنة بعد أن صرفها الله) نعم
لا يعقل صدوره من عثمان رضى الله تعالى عنه ، أما مروان فيعقل صدوره
منه والمصلحة له فيه اعتقاده طاعة أكثرية المصريين لعثمان وهؤلاء الخوارج
أقلية يمكن الأمير أن ينفذ فيهم هذا العقاب بسهولة لأن الأكثرية معه
تؤيده على ذلك . وقد كتب عثمان رضى الله تعالى عنه في السنة التي قتل فيها
إلى ولاية الأمصار الثلاثة عبد الله بن عامر أمير البصرة ومعاوية بن أبي
سفيان وعبد الله بن أبي سرح أن يقدموا عليه فقدموا فوعظهم وشاورهم
في شأن هذه الفتنة الذائعة وكان ابن أبي سرح عامل مصر قد استتاب عنه
ابن عمه السائب بن هشام العامري وقيل عقبة بن عامر ، فوثب ابن أبي
حذيفة على نائبه فغلبه واستولى عليها وجهز جيشا من الثأرين إلى عثمان ففى
ذهاهم إلى المدينة كان ابن أبي سرح قد رجع الى عمله فلما وصل الى حدودها

منعه ابن أبي حذيفة من دخولها فمضى الى عسقلان وقيل الى الرملة فمكث بها حتى مات. وعلى هذا من أين علم عثمان أنه لا عامل له بمصر ومدة وفادة ابن أبي سرح عليه واستنابته وتغلب ابن أبي حذيفة وبعثه ذلك الجيش لعثمان ورجوع ابن أبي سرح لعمله وجيزة ، ولم ينقل التاريخ أن عثمان رضى الله عنه علم بأنه لا عامل له في مصر وقت مجيء الثوار إليه منها ولو نقل ذلك لكفاه في الاحتجاج في دفع ذلك الكتاب المزور عليه وإن جاز تزوير الثوار على خط عثمان وخاتمه ، وباختلاس جملة فغلامه لا يمكنهم تسخيرهم والتزوير به ولو تناهى في الغباوة ، وعلى إمكانه بالغلام أيضا إن كان هو الحامل له أما إن كان الحامل لهذا الكتاب أبا الأعور السلمي كما قال ابن كثير في بدايته (وروى ابن جرير من طريق محمد بن اسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار : أن الذي كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلمي على جمل لعثمان) فلا يعقل تزوير الخوارج له به بل يتعين أن يكون المزور له مروان لأن أبا الأعور حليف بنى أمية فهو من أنصار عثمان جزما وقد كان من قواد معاوية بصنفين وقوله (ثم تركهم على وخرج من المدينة) كذب لم يخرج على من المدينة إذ ذاك وذكر ابن الأثير كلاما كثيرا في هذه القصة ملخصه : أن عثمان جاء إلى علي في بيته لما نزل المصريون ذا خشب فطلب منه أن يردهم عنه فقال علي على أى شيء أردتم عنك قال علي أن أصير إلى ما أشرت إليه ورأيت لي فقال علي إني قد كلمتك مرة بعد أخرى فكل ذلك نخرج ونقول ثم ترجع عنه وهذا من فعل مروان وابن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد فانك أطعتهم وعصيتني قال عثمان فانا أعصيتهم وأطيعك فأمر الناس فركب معه من المهاجرين والأنصار ثلاثون رجلا فأتوا المصريين فكلموهم وكان الذي يكلمهم علي ومحمد ابن مسلمة فسمعوا مقالتهما ورجعوا إلى مصر ورجع علي ومن معه إلى المدينة فدخل علي عثمان فأخبره برجعهم ثم خرج من عنده فمكث عثمان ذلك اليوم وجاءه مروان بكرة الغد فقال له تكلم وأعلم الناس أن أهل مصر

قد رجعوا وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلا قبل أن يجيء الناس إليك من أمصارهم ويأتيك ما لا تستطيع دفعه ففعل عثمان وخطب الناس فقال له عمرو بن العاص اتق الله يا عثمان فانك قد ركبت أموراً ركبناها معك فتب إلى الله نتب ونودي من ناحية أخرى تب إلى الله فرفع يديه وقال اللهم انى أول تائب، وذكر أيضاً كلاماً كثيراً مضمونه أن علياً لما رجع من عند المصريين بعد رجوعهم إلى عثمان قال له تكلم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليك فان البلاد قد تمخضت عليك فلا آمن أن يجيء ركب آخر من الكوفة والبصرة فتقول يا على اركب اليهم فان لم أفعل رأيتنى قد قطعت رحمك واستخففت بحقك، فخرج عثمان فخطب وأعطى الناس من نفسه التوبة وقال لهم اذا نزلت فليأتنى أشرافكم فليروا فى رأيهم الى أن قال فيها فوالله لأعطينكم الرضا ولأنحين مروان وذويه ولا أحتجب عنكم فرق الناس وبكوا وبكى هو أيضاً فلما نزل وجد مروان وسعيدا ونفرا من بنى أمية فى منزله لم يحضروا خطبته وأن مروان استأذنه فى الكلام فقالت له نائلة امرأة عثمان لا بل اصمت فانهم والله قاتلوه انه قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها فزجرها مروان ونال من أبيها فأجابته فاستأذن عثمان فى الكلام فأذن له فلامه على خطبته وقال له قد اجتمع بالباب أمثال الجبال من الناس فقال عثمان فأخرج اليهم فكلمهم فانى أستحي أن أكلهم فخرج فشتهم وقال جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنا والله لئن رمتونا ليرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا الى منازلكم فإننا والله ما نحن بمغلوبين على ما فى أيدينا فرجع الناس وأخبر على بهذا فقال لعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث أحضرت خطبة عثمان قال نعم قال أحضرت مقالة مروان للناس قال نعم فقال على أى عباد الله يا للمسلمين إني إن قعدت فى بيتى قال لى تركتني وقرابتى وحقى وان تكلمت فجاء ما يريد يسوقه مروان حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقام مغضبا فدخل على عثمان فقال له أما رضيت من

مروان ولا رضى منك الا بتحرفك عن دينك وعقلك والله ما مروان بذى رأى فى دينه ولا نفسه وأيم الله انى لأراه يوردك ولا يصدرك وما أنا عائد بعد مقامى هذا لمعايتك أذهب شرفك وغلبت على رأيك ، فدخلت عليه امرأته نائلة بعد ما خرج على فقالت قد سمعت قول على لك وليس يعاودك وقد أطعت مروان يقودك حيث يشاء ، قال فما أصنع ، قالت تتقى الله وتتبع سنة صاحبك فانك متى أطعت مروان قتلك وليس له عند الناس قدر ولا هبة ولا محبة وانما تركك الناس لمكانه فأرسل الى على فاستصلحه فان له قرابة وهو لا يعصى ، فأرسل عثمان الى على فلم ياتته وقال قد أعلمته أنى غير عائد ، فبلغ مروان مقالة نائلة فيه فجلس بين يدى عثمان فقال يا ابنة الفرافصة فقال عثمان لا تذكرها بحرف فاسود وجهك فهى والله أنصح لى فكف مروان ، وأتى عثمان الى على بمنزله ليلا وقال له انى غير عائد وانى فاعل ، فقال له على بعدما تكلمت على منبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأعطيت من نفسك ثم دخلت بيتك فخرج مروان الى الناس يشتمهم على بابك ويؤذيهم فخرج عثمان من عنده وهو يقول خذلتى وجرأت الناس على ، فقال على والله انى لأكثر الناس ذبا عنك ولكنى كلما جئت بشيء أظنه لك رضا جاء مروان باخرى فسمعت قوله وتركت قولى اه . فهذا التاريخ الذى سقته عن ابن الأثير كله يدل على مدافعة الصحابة عن عثمان رضى الله تعالى عنه وعنهم فى هذه الفتنة وخصوصا طلحة والزبير وعليها وخصوصا هذا ، ومروان يزيدا استعارا .

افتراؤه على عثمان وتمسكه فى لمز على

بالأباطيل وحكمه على ضمائر الصحابة

قال فى صفحة ٤١ و ٤٢ ج ٢ (وكان عثمان بدون ريب يفكر وهو محصور ان على بن أبى طالب لم يفعل ما يمكنه لرد هؤلاء الناس فكانت بينهما المراسلات يطلب اليه فيها أن يجتهد فى تخفيف هذا الحصار عنه ومن

ذلك مارواه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في كتابه الكامل ابن عثمان كتب الى علي وهو محصور (أما بعد فقد بلغ السيل الزبي وجاوز الحزام الطبيعي وبلغ الأمر أشده ثم تمثل بهذا البيت :

فان كنت ما كولا فكن خيرا كل والا فأدركني ولما أمزق

وكانت حاشية عثمان من بني أمية ترى أن لعلي ضلعاً في هذا الأمر فكانت الوجوه تتقابل عابسة وتبدي عما في القلوب العيون فلم يكن هناك سبيل لعمل صالح في مصلحة المسلمين وقد أدت الحال الى أن ترك علي المدينة رأساً في هذه الفتنة التي نطن أنه لم يكن في امكانه قمعها الا أنه كان هناك شيء واحد في هذا الوقت الحرج وهو تناسي كل ما في النفوس لأن الأمر كان أعظم من أن يذكر كل فريق عيب صاحبه ولا يغيب عن الفكر أن رؤوس المسلمين لو كانت متفقة تماماً لأمكنهم أن يقاوموا هذا السيل الذي أقبل عليهم ولكن القلوب كانت قد انصدعت ألفتها فغلب السفهاء على الأمر وفعولوا مافعولوا ، لو كان هناك نظر بعيد لرؤوس المسلمين الذين كانوا بالمدينة وفيهم القواد العظام والأئمة الاعلام لما كان لسفهاء الأمصار مهما كثر عددهم أن ينفذوا رغبتهم التي فرقت كلمة المسلمين اه) .

أقول قد تقرر عند العلماء قاطبة ان التاريخ نقل محض لا يبني على النظريات العقلية والباطيل والهوى ، وانما يبني مطلقاً على الروايات الموثوق بها فالجسارى في تأليفه أو تقريره علي واحدة من الـ ثلاث أو علي جميعها ليس من علم التاريخ في شيء لأنه في واد والتاريخ في واد آخر وهذا المحاضر لم يكتب من أول محاضراته الى آخر ما يتعلق بالصحابة فيها التاريخ الموثوق به وانما كتب هواه والباطيل وتخيلاته الفاسدة وزاد عليها بجرأته الحكم على ضمائر الصحابة التي لا يطلع عليها إلا اعلام الغيوب وقد تقدم له هذا في عدة مواضع وقد حكم هنما أيضا على قلب عثمان وافترى عليه وعلى حيدرة في قوله (وكان عثمان بدون ريب يفكر الى قوله ومن ذلك مارواه أبو العباس) ولم يكتب بمجرد جرأته في حكمه على ضمير ذي النورين بل (٣٩ - تحذير العبقري)

بالغ فجزم به بقوله. وكان عثمان بدون ريب يفكر البخ الهراء لبغضه لعلي الذي أصمه وأعماه وجعله يتخبط في دياجير جهله وهواه ، ولقد رمى عثمان رضى الله عنه بهذا الافتراء بالخور وضعف اليقين والثقة بالله فجعله لا يفكر مدة الحصار الا في كون علي لم يفعل ما يمكنه لرد هؤلاء الناس عنه وقد تحقق رضى الله تعالى عنه أنه مقتول بخبر الذي لا ينطق عن الهوى له بذلك وتبشير له بالجنة على بلوى تصيبه وانه شهيد كما في الأحاديث الصحيحة المستفيضة ولذلك صبر واستسلم لقضاء الله المبرم وعزم على الصحابة جميعاً أن يكفوا أيديهم ويلزموا بيوتهم كراهة أن تهاق دماء المسلمين في بلد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسببه. والتاريخ الاسلامي الذي نبذه المحاضر ومشى على هواه مستفيض بهذا ، وقد جاء زيد بن ثابت فقال ان هؤلاء الانصار بالباب يقولون ان شدت كنا انصار الله (مرتين) فقال عثمان لا حاجة لى في ذلك كفوا ، وقال له أبو هريرة اليوم طاب الضرب معك ، قال عزم عليك لتخرجن ، وكان الحسن بن علي آخر من خرج من عنده فانه جاء مع أخيه الحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان فعزم عليهم في وضع سلاحهم وخروجهم ولزوم بيوتهم ، فقال له ابن الزبير ومروان نحن نعزم على أنفسنا لا نبرح ففتح عثمان بنفسه الباب ودخلوا عليه في أصح الأقوال فقتلوه ، وقد روى عبد الله بن عامر بن ربيعة قال كنت مع عثمان في الدار فقال اعزم على كل من رأى أن عليه سمعاً وطاعة إلا كنف يده وسلاحه ثم قال قم يا ابن عمر - وعلى ابن عمر سيفه متقلداً به - فأخبر به الناس . وقد ترقى فزاد على هذا الافتراء على عثمان وحيدرة بأن المراسلات (في مدة الحصار) كانت جارية بينهما يطلب الاول فيها من الثاني أن يجتهد في تخفيف هذا الحصار عنه وهذه المراسلات الكثيرة التي عبر عنها بصيغة الجمع مفتعلة لا وجود لها في تاريخ الاسلام حتى في كتابي ابن جرير الذي هو عمدته وابن الأثير مع وجود كثير من الأباطيل المتعلقة بالصحابة فيهما فهي من

وحى أستاذه الذى لقمه النصب لعلى والحقيقة انه لم يكن فى جراب بهتانه
شئ من هذه المراسلات إلا ما عبر عنه بمن التبعية (ومن ذلك مارواه
ابو العباس محمد بن يزيد المبرد فى كتابه الكامل الخ الهراء) وهذا الكتاب
الذى ذكره المبرد موضوع لا أصل له نص عليه الحافظ أبو بكر بن العربى
فى كتابه العواصم من القواصم ولقد هزل علم الرواية والتاريخ عند من
يزعم انه يهذبه وإنما هو مخزبه ، ترك السهل تناول الذى دل على ان علياً
رضى الله تعالى عنه أشد الصحابة مدافعة عن عثمان رضى الله عنهما وذهب
يتسكع فى كتاب نحوى لاناقة له فى علم الرواية ولا جمل محاولا نطح صرح
مجد على بالباطل . قال ابن الأثير فى كامله فى محاوره طويلة جرت بين الثوار
وبين عثمان رضى الله تعالى عنه فان الذين قاموا دونك ومنعوك منا إنما
يقاتلون لتمسكك بالأماره فلو خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال معك
فسكت عثمان ولزم الدار وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا
إلا الحسن بن على وابن عباس ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وأشباهاً
لهم فلما مضت ثمان عشرة ليلة من حصارهم له قدم ركبان من الأمصار
فأخبروا بخبر من تهيأ اليهم من الجنود وشجعوا الناس فعندها حالوا بين
الناس وبين عثمان ومنعوه كل شئ حتى الماء فأرسل عثمان إلى على سرا
وإلى طلحة والزبير وأزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . انهم قد منعوني
الماء فان قدرتم أن ترسلوا الينا ماء فافعلوا فكان أولهم إجابة على وأم حبيبة
زوج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء على فى الغلس فقال يا أيها الناس
ان الذى تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين فلا تقطعوا عن
هذا الرجل الماء ولا المادة فان الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقى ، فقالوا
لا والله ولا نعمة عين فرمى بعمامة بآنى قد نهضت ورجعت . وجاءت
أم حبيبة على بغلة لها مشتملة على إداوة فضربوا وجهه بغلتها ، فقالت ان
وصايا بنى أمية عند هذا الرجل فأحببت أن أسأله عنها لئلا تهلك أموال
الأيتام والأرامل فقالوا كاذبة وقطعوا جبل البغلة بالسيف فنفرت وكادت

تسقط عنها فتلقاها الناس فأخذوها وذهبوا بها إلى بيتها ، وبلغ طلحة والزبير
مالقى على وأم حبيبة فلزموا بيوتهم ، وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات
فأشرف عثمان على الناس فاستدعى ابن عباس فأمره أن يجج بالناس وكان
من لزم الباب ، فقال جهاد هؤلاء أحب إلى من الحج فاقسم عليه فانطلق اه)
وبهذا وبما سبق نقله عن ابن الاثير وغيره ظهر للقراء ان المحاضر لم يكتب
التاريخ الاسلامى الدال على مدافعة الصحابة عن عثمان وبراءتهم من دمه
وإنما كتب هواه ، وقوله (وكانت حاشية عثمان من بنى أمية ترى ان لعل
ضلعا في هذا الامر إلى قوله وقد أدت الحال إلى أن ترك على المدينة رأسا) ،
تهمة فاجرة اتخذها منهم من لا صحبة له ولا قدر في الإسلام مروان
واضرا به ذريعة لنيل الملك وراثة تحت ستار المطالبة بدم عثمان ، وقد
كادت الفتنة تطفأ لولا ذلك الكتاب الذى زوره على لسان الخليفة وأرسله
على جملة مع غلامه أو مع حليفهم أبى الاعور السلبى بتأديب المصريين ،
بعد رجوعهم مقتنعين بتولية ابن أبى بكر عليهم ، وبذاعة لسانه التى كان
يواجه بها الناس فزادت هيجان الثوار على عثمان من أجله خصوصا ومن
توليته أقاربه عموماً ومن أمعن فى التاريخ يظهر له انه من جملة الاسباب
التى أودت بحياة ابن عمه الخليفة المظلوم ، قال ابن كثير فى بدايته فى ترجمته
(وكان كاتب الحكم بين يديه ومن تحت رأسه جرت قضية الدار ، وبسببه
حصر عثمان ابن عفان فيها ، وألح عليه أولئك أن يسلم مروان اليهم فامتنع
عثمان أشد الامتناع اه) ، وقال فى موضع آخر (ومروان كان أكبر
الاسباب فى حصار عثمان لانه زور على لسانه كتابا إلى مصر بقتل أولئك
الوفد اه) ولم يصح له سماع من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا صحبة
ذكره الحافظ ابن حجر فى أول كتاب الشروط من فتحه ، وقال فى إصابته
لم أر من جزم بصحبه ، ثم كان من أسباب قتل عثمان اه . وقال
الحافظ ابن عبد البر فيه فى استيعابه (ولد على عهد النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم ولم يره لانه خرج إلى الطائف طفلا لا يعقل ، وذلك ان رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم كان قد نفى أباه الحكم إليها فلم يزل بها حتى ولى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فرده عثمان فقدم المدينة هو وولده فى خلافة عثمان وتوفى أبوه فاستكتبه عثمان رضى الله تعالى عنه وضمه إليه فاستولى عليه إلى أن قتل عثمان ونظر إليه على رضى الله تعالى عنه يوماً فقال له ويحك وويل أمة محمد منك ومن بنيك اه . ولقد علم بنو أمية أن علياً برىء من دم عثمان قولاً وفعلاً كبراءة الذئب من دم يوسف عليه الصلاة والسلام وقد أقسم مراراً فى خطبه بأنه برىء من دمه ، وثبت عنه أنه قال لو شاءت بنو أمية أن أباهلهم عند الكعبة أنى برىء من دم عثمان لفعلت . قال ابن كثير فى بدايته وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر بجمع الطرق الواردة عن على أنه تبرأ من دم عثمان وكان يقسم على ذلك فى خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالاً ولا رضى به ولقد نهى عنه فلم يسمعوا منه ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أمته الحديث اه . وقال ابن كثير أيضاً فى تفسير سورة الرحمن أخرج ابن أبى حاتم بسنده عن عمرة بن سويد قال كنت مع على بن أبى طالب على شاطئ الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط على يديه ثم قال يقول الله عز وجل ﴿وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام﴾ والذى أنشأها تجرى فى بحوره ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله ، وعلى أولى بعثمان من بنى أمية . قال محب الدين الطبرى فى الرياض النضرة (ذكر أولوية على بعثمان) عن وائل بن حجر أنه قال لمعاوية وقد عاتبه فى تخلفه عن نصرته فقال إنك قاتلت رجلاً هو أحق بعثمان منك ، قال وكيف يكون أحق بعثمان منى وأنا أقرب إلى عثمان فى النسب ، قلت إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان أخى بين عثمان وعلى فالأخ أولى من ابن العم ، خرجه الطبرانى فى قصة طويلة بل ثبت عنه لعن قتلة عثمان والدعاء عليهم وقال محب الدين الطبرى أيضاً فى رياضه (ذكر لعن على قتلة عثمان ودعائه عليهم) عن محمد بن الحنفية أن علياً قال يوم الجمل لعن الله قتلة عثمان فى السهل والجبل

وعنه أن عليا بلغه أن عائشة تلعن قتلة عثمان فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال أنا ألعن قتلة عثمان لعنهم الله في السهل والجبل مرتين أو ثلاثاً خرجهما ابن السمان وخرج الثاني الحاكمي ، وعن يحيى بن سعيد قال حدثني عمي أو عم أبي قال لما كان يوم الجمل نادى علي في الناس : لا ترموا بسهم ولا تطعنوا برمح ولا تضربوا بسيف ولا تبدءوهم بقتال كلموهم باللطف وقال إن هذا يوم من أفلح فيه أفلح يوم القيامة قال فتوافقنا على ذلك حتى أتانا حر الحديد ثم إن القوم نادوا بأجمعهم يا ثارات عثمان قال وابن الخنيفة إمامنا معه اللواء فناداه علي يا ابن الخنيفة ما يقولون ، قال يا أمير المؤمنين يقولون يا ثارات عثمان ، قال فرفع علي يديه وقال اللهم أكب قتلة عثمان اليوم لوجوههم . خـرجه الحسين القطان وابن السمان في الموافقة ، وعن اسماعيل بن أبي خالد عن بعض أصحابه قال قال علي يوم الجمل ما يريد هؤلاء القوم ، قال يقولون قتلة عثمان قال فرفع يديه إلى السماء وقال اللهم جلل قتلة عثمان منك اليوم بخزي ، خـرجه ابن السمان أيضاً ، وقوله (فكانت الوجوه تتقابل عابسة وتبدي عما في القلوب) رجم بالغيب فلو كان موجوداً في زمانهم ما استطاع أن يحكم على ما في قلوبهم . وقوله (وقد أدت الحال إلى أن ترك علي المدينة رأساً) كـذب تقدم أبطاله . وقوله (إلا أنه كان هناك شيء واحد إلى قوله من أن يذكر كل فريق عيب صاحبه) حكم علي ما في نفوس بني هاشم وبني أمية وهو بهتان عليهم سيجازي عليه يوم القيامة جزاء الباهتين وأى شيء في نفوسهم حتى يناسوه وأى تاريخ صحيح من تواريخ الاسلام ذكر أن في نفوسهم شيئاً على بعضهم وأى تاريخ صحيح من تواريخ الاسلام ذكر أن كل فريق منهم عاب صاحبه سبحانه هذا بهتان عظيم . وقوله (ولا يغيب عن الفسك إلى آخر الكلام) حكم علي قلوب أعيان الصحابة وبهتان عظيم أيضاً ، وجواب قوله (لو كان هناك نظر بعيد لرؤس المسلمين الذين كانوا بالمدينة وفيهم القواد العظام والأئمة الإعلام لما كان لسفهاء الأمصار مهما أكثر عددهم أن ينفذوا رغبتهم

التي فرقت كلمة المسلمين) هو ترك رئيسهم الأعظم ذى النظر البعيد والرأى
السديد الفاروق رضى الله تعالى عنه تأديب تلك الشردمة من سفهاء الكوفة
الذين أسسوا هذه الفتنة العظيمة على الخلفاء ينفذون رغبتهم فى تفريق
كلمة أهل بلدهم ثم كلمة المسلمين جميعاً بشكاية سعد وعمار وغيرهما من
عماله الصالحين اجتهادا منه فى لم شعث المسلمين بالتغاضى عن حقوق الخاصة
لمصلحة العامة وقد تحقق افتراءهم وتشغيبيهم ومع ذلك قال لسعد لولا
الاحتياط لكان أمرهم بينا وقال للصحابه : أعجب لمائة الف لا يرضون
عن أمير ولا يرضى عنهم أمير، وقال لهم أيضا إن أهل الكوفة قد أعضلوني
ومع كون المسلمين كلهم معه يؤيدونه على تأديبهم .

المحاضرة الثامنة والعشرون

ص ٤٣ ج ٢ قال (أسباب مقتل عثمان « بيت عثمان » على وكيف انتخب ترجمته أول خطبة له « أول أعماله » اجمال الأسباب التي أدت إلى قتل عثمان بعد أن أتينا على تفصيل الحوادث التي أدت إلى هذه الفاجعة تتبعها بيان مجمل لما يستنتج من تلك الحوادث) .

ثم ذكر أربعة أسباب لقتله كلها باطلة اجمالاً وتفصيلاً لأن جل كلامه فيها طعن في الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين قد تقدم أبطاله وسأسردها واحداً واحداً ليراها القراء ثم أفند كل واحد منها .

ابطال الأسباب الأربعة التي ذكرها في مقتل عثمان

وذكر السبب الوحيد في قتله

قال (السبب الأول) مهما كان رؤساء الأمة مخلصين بعضهم لبعض يتعاونون فيما بينهم على قضاء المصالح العامة فقلها يجد مر يد السوء سبباً للفتن والثورات ، وإذا انصدع شمل القلوب وحلت الكراهة محل المحبة والتحاسد محل التناصر انفسح المجال لرواد الفتن ومحب الاضطراب وعلى هذا كان الحال في المدينة حاضرة الخلافة ومجمع رؤساء المسلمين والمرشحين منهم لولاية الأمر فان من يتصفح أحوالهم وما كان يبدو على ألسنتهم من الكلمات الشديدة المؤلمة في حق عثمان سواء في وجهه أو في غيبته يحكم أن النفوس قد انطوت على مكروه حتى كانوا يلقبونه في بعض الأحيان نعثلاً ونعثل رجل مصرى كان طويل اللحية شبهوه به للغض منه ويقول في لسان العرب إنهم لم يجدوا فيه عيباً سوى هذا وحتى قام من بينهم رجل أخذ العصا التي كان عثمان يخطب عليها فكسرها وهي عصا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أثرت كلمات في حق عثمان عن كثير من كبراء المدينة كل ذلك يقال ويفعل من غير بيان الأسباب التي أدت بهم

إلى مثل هذا ومن غير نظر إلى ما تحدته هذه الكلمات بين العامة خصوصا إذا صادفت مبهجين مثيرين اه).

فقوله هنا (وإذا انصدع شمل القلوب إلى قوله لولاية الأمر) رمى لجميع الصحابة بالمدينة بالحسد والبغض لعثمان رضي الله تعالى عنه وحكم على ما في قلوبهم وهو بهتان وافك مبين مصاد لما وصفهم الله به من الرحمة بينهم (رحماء بينهم) مناف لما وصفهم الله به من محبته لهم ومحبتهم له وذلتهم لآخوانهم المؤمنين (يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين) مناف لتسمية الله للهاجرين بالصادقين وللانصار بالمفلحين ، وقوله (فان من يتصفح أحوالهم إلى قوله سوى هذا) بهتان ثان مشتمل على افتراءين في حقهم رضوان الله عليهم (١) ما كان يبدو على ألسنتهم الخ الهراء (٢) تلقيبهم له بنعثل ولا يوجد منتسب إلى الإسلام تصفح أحوالهم فحكم على ما في نفوسهم بالبهتان الا هو وأضرابه حتى المبتدعة من الطائفتين الخوارج والرافضة لأن الخوارج يكفرونهم جميعا مع عثمان والرافضة يكفرونهم ما عدا علياً وأولاده فانهم يقدرسونهم فلا حاجة بهم إذا إلى تصفح أحوالهم الا خفف من غلواء بهتانه بذكر بعض الكلمات المؤلمة التي قيلت لعثمان في وجهه وفي غيبته ونسبتها لقائلها حتى يبحث في نقله ولكن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) والذين لقبوه ينعثل انما هم الثوار وحاشا الذين يقرءون قوله تعالى ﴿ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان﴾ أن يفوهوا بهذا اللقب ومن فاحش افتراءه حكمه على العام بحكم الخاص حكمه على أهل المدينة جميعا (الصحابة رضوان الله عليهم) بالحسد والبغض اللذين تبديهما ألسنتهم بالكلمات الشديدة المؤلمة في حق عثمان باسائة رجل واحد منهم الادب مع عثمان مبالغا في هذا الحكم القائل بحق الغائبة بقوله (وحتى قام من بينهم رجل أخذ العصا التي كان يخطب عليها فكسرها وهي عصا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ، فان قيل المحاضر لم يحكم على جميع الصحابة (٤٠ - تحذير العبقري)

بالمدينة بما ذكر وإنما حكم على المرشحين لولاية الامر في زعمه فمن أين لكم تعميم حكمه في جميعهم ، قلت من مواضع من كلامه (١) من قوله وعلى هذا كان الحال في المدينة حاضرة الخلافة (٢) ومن قوله فان من يتصفح أحوالهم الخ (٣) ومن مبالغته بحتى الغائية في قوله حتى كانوا يلقبونه نعثلا (٤) ومن مبالغته أيضا بحتى الغائية في قوله : وحتى قام من بينهم رجل (٥) ومن تنكير الرجل الذى كسر العصا فانه لم يكن من الرؤساء بل ولا من قریش وإنما هو من بنى غفار اسمه جهجاه وهو صحابى شهيد بيعة الرضوان قام إلى عثمان رضى الله تعالى عنه وهو على المنبر فأخذ العصى من يده فوضعها على ركبته فكسرها فصاح به الناس فأصابته الاكلة في ركبته فما حال عليه الحول حتى مات ، أفيلزم من كون هذا الصحابى الغفارى حاقدا على عثمان في أمر يخصه أو ناقما عليه توليته أقاربه كما نقمها الثائرون أن يكون جميع الصحابة بالمدينة أو الرؤساء المرشحون لولاية الامر حاقدين عليه أيضا يتكلمون فيه بالكلمات الشديدة المؤلمة في حضوره وفي غيبته ويلقبونه بنعثل سبحانه هذا بهتان عظيم أليس صياح الناس الذى جهله أو حذفه عمدا فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (والمسجد مملوء بأهل المدينة) دليلا كافيا على انهم كارهون لفعله هذا محبون لعثمان أليس تأديبه على فعله هذا حقا خاصة بعثمان دون الناس وقد ترك حقه فأى وزر يلحق الصحابة رضوان الله عليهم من كسر جهجاه عصا الخليفة وأى لوم يتوجه اليهم فى عدم تأديبهم له بأكثر من صياحهم فى وجهه إذا كان صاحب الحق قد تركه ، والصحابة ليسوا بمعصومين من صدور الذنوب منهم كما تقدم فى قصة الوليد بن عقبة وصحبتهم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحجزهم إن شاء الله عن الاصرار على الذنب إلى الموت بل يتوبون منه وقد أخذ الله تعالى حق عثمان من جهجاه معجلا فى الدنيا بأكلة فى ركبته لينذهب إلى الآخرة وهو نظيف مطهر من هذا الذنب الذى ارتكبه فى حق خليفته مع كون عثمان رضى الله تعالى عنه بجرأ فى الكرم والاخلاق الفاضلة يجوز أن

يسامح يوم القيامة جميع الظالمين له من أهل لا إله إلا الله فكيف بجهاه
الذى شاركه فى الصحبة ورضى الله عنه . وقوله (وقد أثرت كلمات فى حق
عثمان عن كثير من كبراء المدينة الى آخر الهراء) بهتان ثالث مكرر يتلذذ
بتكراره ويركب له دائماً جادة الكائدين للإسلام فى سادات المسلمين
بدون خجل ، الا خرج منها فقره قليلا من التاريخ بذكر بعض الكلمات
المأثورة فى حق عثمان وتعيين بعض القائلين لها من كبراء المدينة الكثيرين
حتى ينظر فيه .

قال (السبب الثانى) : كان عثمان معروفاً بخلق الحياء واللين ، أما الحياء
فقد كان مشهوراً به فى جاهليته وفى اسلامه حتى قال فى حقه عليه الصلاة
والسلام (ألا استحيى من رجل تستحيى منه الملائكة) وخلق الحياء يحمل
صاحبه على الاغضاء عن كثير مما يكره . أما اللين فان الرجل كان كثير
التشاؤم يخاف الفتن على المسلمين ويود أن لا يكون فتح بابها على يده
يعرف ذلك من استقرأ خطبه وكتبه حتى أن خطبته التى قالها على المنبر
لأول مرة لم تخل من هذا دعاه الخلق الأول إلى التسامح مع من يناله منهم
أذى فى حق نفسه فهو لا يوجه إلى واحد منهم كلمة تسوءه وهذا وان
حسن عند الحكماء فانه لا يحسن أبداً فى سياسة الرعية بل لا بد لمقام الخلافة
من هيبة فى القلوب تقف بالناس عند الحد اللائق بهم انظروا إلى ما فعله
عمر مع سعد بن أبى وقاص حين زاحم الجموع المحيطة بعمر ووصل إليه
مدللاً بمركزه فانه خفقه بالدرة وقال جئت لاتهاب سلطان الله فى أرضه
فأحببت أن أعليك أن سلطان الله لا يهابك فلا بد لسلطان الله من قوة تمنع
عنه ضعفاً أو ذلة . والخلق الثانى جعله يتمتع من عمل أى تدبير لمعاينة
المفسدين الذين رفعوا إليه وثبت أنهم يدرون حركة الفتنة من غير مبالاة
أشعار عليه ولاته حينما جمعهم لديه بالموسم أن يستعمل الشدة مع أولئك
الذين يشيرون العامة بما يضعونه من الأحاديث الملققة وكانت كلمة العمال
فى ذلك واحدة فلم يعبأ بقولهم بل اختار اللين على الشدة لئلا يكون فاتحاً

باب الفتنة الذي يخيفه : ثم جاءه بالمدينة نفر من أولئك الناس وعلم مقصدهم وأشار عليه مشيره من أهل المدينة بعقوبتهم فلم يفعل بل اكتفى بأن دافع عن نفسه أمامهم بتلك الخطبة التي تلوناها عليكم ثم تركهم يعودون إلى بلادهم فما زادهم ذلك إلا فساداً لأنهم ليسوا بطلاب حق تنفعهم الذكرى وتنعهم الحجة ، وإنما هم طلاب شر يتطلبون الطريق إليه فكلما أعجزهم باب عدلوا إلى غيره اه) .

أقول : الصحابة كلهم متصفون بالحياء (والحياء من الإيمان) واختصاص عثمان رضي الله تعالى عنه بكثرة وبأنه أصدق الأمة فيه وباستحياء الملائكة منه ميزة له على جميعهم نطقت بها الأحاديث الصحيحة وقد عرّف المحققون الحياء بأنه (انقباض النفس عن القبيح مخافة اللوم) قالوا وهو وسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقاً . فتعريفه له بقوله : (وخلق الحياء يحمل صاحبه على الاغضاء عن كثير مما يكره) منطبق على تعريف الخجل . وقوله (فان الرجل كان كثير التشاؤم إلى آخر قوله انظروا ما فعله عمر مع سعد) غير صحيح ولقد كان وصفه لعثمان بالتشاؤم الذي لا يليق بمطلق المؤمنين فضلاً عن السكمل منهم مرة واحدة كافيّاً في وصفه فكيف وقد زعم كثرته وقوله دعاه الحياء إلى التسامح مع من يناله منهم أذى إلى آخر الهراء فاسد لأنه نقد فيه وطعن في الفاروق أيضاً يقتضى أن هيبة مقام الخلافة لا تحصل إلا بشرطين ، بتوجيه الخليفة كلمة شتم لمن ناله منه أذى من رعيته وبخفقه بدرة وقد تركهما عثمان لحيائه فأخل بمقام خلافته وأتى بهما عمر فتمت له خلافته فنتيجة هذا الكلام اشتراطه في الخليفة زيادة على ماضى له في بحث الخلافة (من محبة الناس له ورضاهم به) أن يكون أيضاً شتاماً ضراباً بالهراوة والحكاية التي ذكرها عن عمر في خفقه سعد بن أبي وقاص بالدارة رواها ابن جرير هكذا (حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد ابن مصعب القرقيساني قال حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي مریم عن راشد

ابن سعد أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أتى بمال فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلس إليه فعلاه عمر بالدرة وقال انك أقبلت لآتهاب سلطان الله فى الأرض فأجبت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك اه) وقد ذكرها سابقا فى مناقب عمر وهى باطلة من سبعة أوجه (الأول) اختلال اسنادها فالخارث مجهول ومحمد بن سعد فى الرواة كثير منهم الثقة ومنهم من صلب على الزندقة فهو مجهول أيضا ومحمد بن مصعب القرقسانى ضعفه النسائى وقال أبو زرعة حدث بأحدىث منكرة وأبو بكر بن عبد الله بن أبى مریم الغسانى الحمصى اتفقوا على ضعفه وزيادة على هذا فقد ذكروا من روى عن راشد بن سعد ولم يذكروا فىهم أبابكر بن عبد الله بن أبى مریم وراشد بن سعد الحمصى وان كان ثقة فروايتة عن عمر رضى الله تعالى عنه منقطعة لأن وفاته سنة ١٠٨ ووفاة أمير المؤمنين سنة ٢٣ فبين وفاتهما ٨٥ سنة على أنه لم يثبت لقيه له ، (الثانى) أن أمير المؤمنين عمر كان قد رتب لجميع رعيته مرتبات معينة فى بيت المال فلا حاجة بهم اذا إلى الازدحام عليه وقد قال واضع هذه القصة عليه انه أتى بمال فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه ، (الثالث) ازدحام الناس عليه ینافى هيبتهم له وقد قال فى مناقبه سابقاً عقب ذكره لهذه القصة مانصه : (كانت الرعية مع هذا تهابه مهابة شديدة ثم ذكر بعده أيضا قصة مفتعلة وهى فى ابن جرير أيضا عن أسلم مولاة مضمونها أن نفراً من المسلمين كلموا عبد الرحمن بن عوف يكلم لهم عمر انه قد أخشاهم حتى لا يستطيعوا النظر اليه . (الرابع) ازدحام الناس عليه يستلزم دفع القوى منهم الضعيف وتقدمه عليه وهذا يستلزم ضربه لكثير من المزدحمين لالسعد فقط وهذا يستلزم الضوضاء والفوضى وسقوط هيبة مقامه عندهم فهذه القصة ان صحت عنه ثلب له ولسعد لا محالة وليست منقبة له . (الخامس) ازدحام الناس عليه لأخذ المال منه ینافى مروءة رجال العرب وعفتهم فكيف بأصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويستلزم شدة الملح

والشره للمال من المزدحمين ولا شك أن هذا خلق ذميم وصم به الواضع لها جميع الصحابة لا سعداً فقط . (السادس) رويناه في صحيح الامام البخارى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قسم مالا في مسجده بين ناس ولم يعط رجلا هو أحب الى سعد هذا فقال سعد يارسول الله مالك عن فلان انى والله لأراه مؤمنا ، فقال له عليه الصلاة والسلام أو مسلماً كرر سعد هذا الكلام لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث مرات وكرر له عليه الصلاة والسلام هذا الجواب كذلك ثم قال له عليه أفضل الصلاة والسلام ياسعد (والله إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه مخافة أن يكبه الله فى النار) فالذى سمع هذه التريية العظيمة منه عليه الصلاة والسلام كيف يستغزه الطلع والشره إلى المال حتى يزاحم عليه إخوانه لتحصيله . (السابع) ثبت بهذه الأوجه إن هذه القصة الموضوعه للحط من مقام سعد ولرفعة مقام عمر دالة أيضاً على وصم عمر بشدة الحياء واللين اللذين وصم بهما عثمان وجعلهما من أسباب قتله (لو صحت) وبيانه ما ذكره فى المحاضرة الخامسة والعشرين فى سيرته قال (كان عمر ممن يشتري رضى العامة بمصلحة الأمراء) وقال أيضاً فيها (على قدر ما كان عليه عمر من الشدة على عماله كانت رأفته ورقته على عامة الناس من رعيته) فحياؤه ولينه هما اللذان جرأ تلك العصبية الاجرامية التى أسست هذه الفتنة العظمى بالكوفة عليه وعلى عثمان فى العبث بعمالهما فمنعاه من تأديب أولئك العابثين بكرامته وكرامة أبى اسحاق سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما مع تحققه افتراءهم وحياؤه ولينه هما اللذان جرأ الناس على الازدحام عليه فذكره لها فى سيرته عاداً لها فى مناقبه واستشهاده بها هنا على لين عثمان وهيبته هو فى قلوب رعيته فاسد فأى هيبة لمن افترى شذمة من رعيته على عامله ولم يصنع بهم شيئاً وأى هيبة لمن ازدحم طائفة من رعيته عليه ولم يهذب أخلاقهم بحكمة لسانه إن كانت الآداب النبوية لم تهذبهم وأى منقبة لمن أدب واحداً من المزدحمين عليه بدرته وترك الباقيين وأى لوم على عثمان فى تركه معاقبة المفسدين

الذين رفعوا اليه وثبت أنهم يديرون حركة الفتنة من غير مبالاة (وهم
مئون) إذا كان الفاروق ترك معاقبتهم (وهم عدد قليل) . وقوله (أشار
عليه ولا ته حينما جمعهم لديه بالموسم أن يستعمل الشدة مع أولئك الذين
يثيرون العامة فلم يعبأ بقولهم بل اختار اللين على الشدة الخ) غير صحيح
فالذي أشار عليه منهم باستعمال الشدة معهم إنما هو سعيد بن العاص فقال
عثمان هذا هو الرأي لولا ما فيه ، والباقون أشاروا عليه برأى متقارب
فقد قال له ابن عامر أرى لك يا أمير المؤمنين أن تشغلهم عنك بالجهاد حتى
يذلوا لك ولا يكون همة أحدهم إلا في نفسه وما هو فيه من دبر دابته
وقمل فروته ، وقال معاوية أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد فيكفئك
كل رجل منهم ما قبله واكفئك أنا أهل الشام ، وقال ابن أبي سرح إن
الناس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم . وقوله (ثم
جاءه بالمدينة نفر من أولئك الناس وعلم مقصدهم وأشار عليه مشيره من
أهل المدينة بعقوبتهم فلم يفعل إلى آخر الكلام) باطل لأن الجائين له
ليسوا نفراً بل هم وفود كثيرة من الأمصار الثلاثة وقد صرح به سابقاً في
صفحة ٣٨ قال (فخرجت وفود من الأمصار الثلاثة) وكيف يعاقب وفوداً
من رعيته قدموا يسألونه عن أشياء من سيرته انتقدوها في زعمهم عليه
ووراءهم في أمصارهم مئون يعضدونهم عليه فتركه لهم من غير تأديب بعد
إقناعه لهم بالحجج الحاسمة هو الصواب الذي لا يمكنه هو ولا غيره أن
يصنع معهم أكثر منه والذي أشار عليه من أهل المدينة بعقوبتهم ان صح
لا نظر له في العواقب . وأخلق به أن يكون غير صحابي من قرابته ولو كان
الفاروق بدله ما زادهم على هذا وقد حيرته وأعضلته طائفة منهم من مصر
واحد فهل يمكن ذا النورين معاقبتهم وقد صاروا في زمنه جيشاً عرمرماً
من أمصار ثلاثة فلو كان الحياء واللين من أسباب قتل عثمان لما طالت خلافته
اثنتي عشرة سنة مضى نصفها منتظماً في سلك الهدى والرفاهية محبوباً مرضياً
عنه من جميع رعيته باجماع أهل النقل ، ولبادروا إلى التشغيب عليه من أول

توليته حيث علموا انه مطبوع على الحياء الذى يحمله على الاغضاء عن كثير مما يكره وعلى اللين الذى يجعله يمتنع عن عمل أى تدبير لمعاقبة المفسدين .

قال (السبب الثالث) (ما خالف به عثمان صاحبه عمر فى اعلام قریش فان عمر كان يحجر عليهم فى المدينة فلا يسمح لهم أن ييارحوها إلا باذن و اجل فلما جاء عثمان سمح لهم بذلك وكان هذا لهم مما حببه اليهم ولكن ترتب عليه ما حذره عمر فانه قد اجتمع اليهم اناس ممن لا سابقة لهم فى الاسلام والتصقوا بهم وتقربوا اليهم حتى إذا كان الامر لهم فى يوم من الايام كانوا أقرب الناس اليهم فنبه بذلك ذكرهم ، وإلا فلماذا كان أهل البصرة يريدون طلحة . وأهل الكوفة يريدون الزبير، وأهل مصر يريدون عليا ، صحيح ان عليا لم يجيء مصر ولكن جاءها من هو أمس الناس به رحما وهو محمد بن أبى بكر ريبه لأن أمه أسماء بنت عميس تزوجها على بعد موت أبى بكر وكان محمد فى حجرها فرباه على فلم تكن طلبات أهل الامصار إلا نتيجة لما فعله عثمان وانقطاع العامة إلى أولئك الاعلام أو لمن هو منهم بسبيل حتى يكون لهم شأن إذا انتقلت الخلافة إلى صاحبهم ولذلك لما تم الامر لصاحب المصريين ولم يتم الامر للآخرين اجتمعا عليه ، لا يمكن من قرأ تفصيل الحوادث التى سبقت قتل عثمان أن ينفى عن اعلام قریش تطلعهم إلى ولاية الامر ولكن من الصعب أن يثبت على أحدهم اشتراك حقيقى مع المتسامرين والذى يؤخذ عليهم هو هوادتهم فى القيام بنصرة عثمان خليفة المسلمين واسترسال بعضهم فى الاقوال التى تحط من قدره حتى وقت اشتداد الأزمة. وعلى مسمع من رؤساء الثائرين الذين يشتم هياجهم بمثل هذه الكلمات اه) .

قوله السبب الثالث (ما خالف به عثمان صاحبه عمر فى اعلام قریش إلى قوله وإلا فلماذا كان أهل البصرة) تقدم إبطاله ب ستة عشر وجها خلاصتها افتراء هذا الحجر لا اعلام قریش بالمدينة على عمر رضى الله عنه وقوله (فلماذا كان أهل البصرة يريدون طلحة إلى قوله صحيح ان عليا)

يعنى وان لم نقل بأن عثمان خالف صاحبه عمر في اعلام قریش فلماذا كان إلى آخر الهراء قد تقدم ان أهل البصرة لو كانوا يريدون طلحة ما قبلوا عثمان بن حنيف لما جاءهم أميرا من قبل علي ولما افترقوا على ثلاث فرق فرقة انضموا إلى طلحة وقتلوا معه، وفرقة قاتلوه وفرقة اعتزلت. ولبادروا كلهم لبيعته ولم يختلفوا عليه هذا الاختلاف . ولو كان أهل الكوفة يريدون الزبير ما بايعوا كلهم علياً ولبادروا إلى مبايعة الزبير وقد وجدوا الفرصة لها لانه وصل العراق قبل علي بمدة . ولو كان المصريون يريدون عليا ما افترقوا أيضا إلى فرقتين . فرقة وهم الاكثرون بايعوه ، والاقلون وهم العثمانيون اعتزلوا ولم يبايعوه أصلا ولما خذلوا أميره عليهم محمد بن أبي بكر لما أرسل اليها معاوية جيشا فأدخلها تحت طاعته وتركوه مفرداً ، على انه فاسد أيضا في أهل العراق فلو كان أهل البصرة يريدون طلحة ما بادر ثورهم الذين حضروا وقتل عثمان لمبايعة علي مع أهل المدينة ولبادروا إلى بيعته صاحبهم الذي يريدونه ولم يخضعوا لثوار المصريين أبداً ، ولو كان أهل الكوفة يريدون الزبير ما بادر ثورهم الذين حضروا وقتل عثمان لمبايعة علي مع أهل المدينة ولبادروا إلى بيعته صاحبهم الذي يريدونه ولم يخضعوا لثوار المصريين أبداً ويستحيل على هذا خضوع ثوار العراق جميعا لثوار المصريين فيبايعون معهم صاحبهم عليا وهم ضعفهم في العدد وأقوى منهم شكيمة وللزم على هذا العكس وهو خضوع ثوار المصريين لثوار العراق فلو اتفق ثوار البصرتين على مبايعة واحد من صاحبيهما للزم ثوار المصريين مبايعة ولزم أيضا أهل المدينة ذلك تبعاً لهم لان الكلمة العليا بها للثوار كما سيزعمه في بيعته على فاتفقهم على مبايعة علي مع أهل المدينة والمصريين دليل على بطلان ما هذى به ، وقوله (صحيح ان عليا لم يجرى مصر ولكن جاءها إلى قوله فرباه علي) حكى على ضمائر القلوب كعادته وافتراء على علي وعلى ابن أبي بكر وعلى التاريخ الاسلامي وهو بين أيدينا فانه لم يقل ان عليا بعث ابن أبي بكر ليدعوه له المصريون ولم يقل انه كان يدعوهم لزوج أمه علي (٤١ - تحذير العبقرى)

وإذا كان جاء مصر مشوشاً على عثمان لكونه حاقداً عليه في غرض خاص به أفيلزم منه دعاؤه المصريين لزوج أمه ، هذا بهتان لا يفهمه النواصب فضلاً عن غيرهم ما حمله عليه وعلى تركه ظاهر حال ابن أبي بكر المنقول في التاريخ وهو مجرد تشغيبه على عثمان إلا بغضه لحيدرة فان كان لا بد له من البهتان عليه وعلى وعلى وعلى التاريخ الاسلامي فلم لا يجوز أن يكون داعياً لهم لمن هو أقرب اليه من على وهو أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر وهو أهل لها لشجاعته وفضله ومنزلة أبيه في الاسلام أو يدعوهم لطلحة ابن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو أيضاً أقرب اليه من على لانه من عشيرته بنى تيم وهو أهل ومحل لها لسابقته وهجرته ومن ستة الشورى . وليفرض صحة هذا البهتان كله في ابن أبي بكر فما يصنع في محمد ابن أبي حذيفة العبشمي الذي رباه عثمان وهو من قرابته وابن خال معاوية وقد نطق التاريخ الاسلامي بأنه قائد الفتنة الكبرى على عثمان بمصر وقد تقدم انه فعل بها من التشغيب عليه ما لم يفعله ابن أبي بكر وابن السوداء معاً فقد وثب أخيراً على نائب ابن أبي سرح بها لما توجه هذا الى عثمان فقتله واستولى عليها وجهاز ذلك الجيش الظالم الى عثمان ولما رجع ابن أبي سرح من وفادته منعه من دخول مصر ، أهذا كذلك بينه وبين على رحم حتى أمال المصريين اليه أم هو الجهل بالتاريخ والبغض لاصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصاً أبا الحسن . وقوله : (فلم تكن طلبات أهل الامصار إلا نتيجة لما فعله عثمان إلى قوله لا يمكن من قرأ تفصيل الحوادث) كله فاسد تقدم إبطاله مفصلاً يعني ان طلبات ثوار الامصار في زعمه ، لم تكن إلا نتيجة لما فعله عثمان من فسحه لاعلام قریش في التجول في الامصار الذي منعهم منه عمر . وقوله (لا يمكن من قرأ تفصيل الحوادث التي سبقت قتل عثمان أن ينفي عن اعلام قریش تطلعهم إلى ولاية الأمر إلى آخر الكلام) طعن مكرر في كبار الصحابة ورمى لهم بالمشاركة في دم عثمان رضى الله عنه قد عود قراءه عليه كثيراً وتمرن عليه فلا يستنكر منه هنا محاولة نهش

أعراض سادات قدسهم الله وأثنى عليهم في كتابه المتواتر ورضى عنهم ثم
أثنى عليهم رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم عموماً وخصوصاً ونهى عن
التكلم فيهم في أحاديث كثيرة منها ما رواه الامام أحمد في مسنده عنه عليه
الصلاة والسلام (دعوا الى أصحابي فوالذى نفسى بيده لو أنفقتم مثل جبل
أحد ذهباً ما بلغت أعمالهم) ، وما رواه ابن عساكر عن أنس رضى الله
تعالى عنه (دعوا الى أصحابي وأصهارى فمن آذانى فى أصحابى وأصهارى
آذاه الله تعالى يوم القيامة) ، وما رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحيهما
عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (الله
الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم
فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى
الله فيوشك أن يأخذه) وأخرج أصحاب الكتب الستة إلا مالكاً عن
عمران بن حصين رفعه (خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون
ولا يوفون ويظهر فيهم السمن) ، وأخرج الامام أحمد والشيخان وأبو
داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال كان بين خالد بن الوليد وبين
عبد الرحمن بن عوف شىء فسيبه خالد فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
(لا تسبوا أصحابى فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم
ولا نصيفه) ، وأخرج عن أبى موسى رفعه (النجوم أمانة السماء فاذا ذهب
النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمانة لأصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى
ما يوعدون وأصحابى أمانة لأمتى فاذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون) ،
وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود وثوبان وأبو يعلى وابن عدى عن عمر
ابن الخطاب (إذا ذكر أصحابى فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا
وإذا ذكر القدر فأمسكوا) ، وعند الدارمى وابن عدى والبيهقى والديلمى
(أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) .

فقوله (لا يمكن من قرأ تفصيل الحوادث التى سبقت قتل عثمان إلى

قوله مع المتأمرين) صحيح لا يمكنه نفي ذلك ولكن عند أشباهه المولعين
بتتبع وتقليد الأباطيل والوضاعين والكائدين للإسلام ، أما القارى المسلم
اللييب المتمسك بالتاريخ الصحيح فانه ينفي ذلك عنهم ويبرأ إلى الله منه .
وقوله (والذي يؤخذ عليهم هو هواتهم في القيام بنصرة عثمان خليفة
المسلمين) افتراء عليهم وعلى التاريخ الاسلامى المبرى لهم وقد نقلته سابقاً
واضحاً عن ابن الأثير وغيره فالصحابه كلهم رضوان الله عليهم لم يألوا
جهداً في نصره والمدافعة عنه وقد عزموا على ذلك ولكن عثمان رضى الله
تعالى عنه أقسم عليهم بكف أيديهم ولزوم بيوتهم كما تقدم ومنعهم من سفك
الدماء في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه فاستسلم للقضاء وصبر .
فان كان المحاضر ترك التاريخ الصحيح وامتطى الأباطيل عمداً فهو بلاشك
من المناوئين للإسلام وان كان جاهلاً له فكيف ساغ له الحكم عليهم بقوله :
(والذي يؤخذ عليهم هو هواتهم في القيام بنصرة عثمان) ، والله سبحانه
وتعالى والتاريخ الاسلامى الصحيح وعثمان الخليفة نفسه قد برؤوهم من
دمه . (وقوله واسترسال بعضهم في الأقوال التي تحط من قدره إلى آخر
الهاء) افتراء عليهم مكرر قد تقدم ابطاله مبرهننا .

قال في ص ٤٥ ج ٢ (السبب الرابع) (سهولة التأثير في الجماعات متى
أتوا من قبل ما يهونون وما يحبون وهم في هذه الأحوال لا يصبرون حتى
يتثبتوا مما يلقي عليهم بل سرعان ما يصدقونه ويألمون له ان كان مؤلماً
ويسرون ان كان ساراً كان الناس مسلمين يحبون نبيهم أكثر مما يحبون
أنفسهم عربا يحبون العدل والمساواة كما عودهم عمر فجاءهم ذلك الشيطان
عبد الله بن سبأ من الجهة التي يألونها وهي نقطة ضعفهم صار يضع لهم
الكلام في تعظيم الرسول وأهل بيته ويعسو بهم على بن أبى طالب وصى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان لكل نبي وصى وأنه من اللازم
أن يعطى الأمر لصاحب الحق لأن من اجترأ عليه فأخذ منه ظالم غاشم
ثم صار يزيد على ذلك ما يدسه مدحا لعلي بن أبى طالب حتى علا به إلى درجة

لم يطلبها على لنفسه ومثل هذا الكلام يسهل إدخاله في القلوب خصوصاً إذا كان قد سبقه شيء من الضغينة على من بيده أمر الخلافة ولذلك نرى الرجل كان يتتبع من أصحابهم من ولاية عثمان أذى في نفسه أو ماله ثم جاءهم من قبل العدل والمساواة فصار يطعن في أمراء عثمان مرة بأنهم شبان ومرة بأنهم من ذوى قرباه ومرة بأنهم ظلمة يسومون الناس خسفاً والذين كانوا يؤيدونه لأغراض في أنفسهم اشتغلوا في الأمر بمهارة فصارت شيعتهم في كل مهـر تكتب إلى المـصر الآخر بما عندهم من المخزونات فيقرأ كتابهم على العامة علناً فيستغيثون بالله مما حل باخوانهم ويقولون نحن في عافية بما ابتلى به هؤلاء الناس حتى أمكنهم أن يوغروا صدور العامة التي تجتمع عليهم وليس لما يكتبون صحة اهـ).

أقول قد عظم المحاضر سابقاً شأن ابن سبأ هذا فجعله قائد ومحرك الفتنة الكبرى التي قامت على عثمان في جميع الأمصار وكرر هنا التحويل به فجعله أحد الأسباب الأربعة في قتل عثمان رضي الله عنه (وهو أقل وأذل من كونه أحد الأسباب في مقتله فضلاً عن كونه قائد الفتنة) وقد أبطلت جمعته فيه هناك بالبراهين . فقوله (سهولة التأثير في الجماعات) أي العامة صحيح . وقوله (متى أتوا من قبل ما يهونون ويحبون) غير صحيح فإن الغوغاء يتأثرون بكل ما يلقى اليهم من وثقوا به واعتقدوا فيه محبوباً كان لهم أم لا . ولذلك أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال فيهم (الغوغاء أتباع كل ناعق إذا اجتمعوا ضروا وإذا تفرقوا نفعوا) فليل له وكيف ذلك قال إذا اجتمعوا وانفقوا ولو على ضلال ضرر المسلمين وإذا تفرقوا نفعوهم بهمهم هذا حداد وذاك خياط وآخر نجار وهكذا وعليه فزعمه سهولة تأثير تعاليم ابن سبأ في جماعات أمصار المسلمين باطل من أربعة أوجه :

(الأول) قد حققت سابقاً في مواضع أن فتنة التمرد على الخلفاء وعملهم تأسست بالكوفة في عهد الفاروق وابن سبأ إنما أسلم في خلافة

عثمان فمن أثر بضلاله في الجماعات في عهد عمر .

(الثاني) المحاضر كثير التناقض وكتابة مالا يعقل فقد زعم قريباً في المحاضرة التي قبلها أن أهل البصرة كانوا يريدون طلحة وأهل الكوفة كانوا يريدون الزبير فارادة أهل المصريين لهما دليل على أن ابن سبأ لم يؤثر بتعاليمه في العراق شيئاً إذ لو أثر فيه لارادوا جميعاً علياً ولم يريدوا طلحة والزبير ، وكلامه في هذا السبب يدل على أن ابن سبأ أثر فيه بتعاليمه (التي زبدتها الدعاية لعلي) في جميع الامصار وعليه فيستلزم أن يكون جميع أهل العراق شيعة لعلي يريدونه ولا يريدون طلحة والزبير ولا شك أن هذا عين التناقض فلوفرنا صحة هذا الفشار لبطل الزعم المذكور ولو فرضنا صحة الزعم المذكور لبطل هذا الفشار وفرض صحتهما معاً لا يعقل .

(الثالث) ذكر ابن كثير في بدايته (إن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص فجعلوا يعملون عليه حتى شكوه لعثمان لينزعه عنهم ويولى عليهم من هو ألين منه فلم يزل ذلك دأبهم حتى عزل عمرا عن الحرب وتركه على الصلاة وولى على الحرب والخارج عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم سعوا فيما بينهما بالنميمة فوقع بينهما كلام قبيح فأرسل عثمان فجمع لابن أبي سرح جميع عمالة مصر خراجها وحربها وصلاتها وبعث إلى عمرو يقول له لا خير لك في المقام عند من يكرهك فا قدم إلى فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة وفي نفسه من عثمان أمر كبير اه) .

وهذا يدل على أن الفتنة على الخلفاء وعمالهم بمصر تأسست أيضاً في عهد الفاروق لأن عزل عمرو بن العاص عنها وتولية ابن أبي سرح عليها كان في سنة ست وعشرين وخلافة عثمان كانت في أول سنة أربع وعشرين وقد ولى الفاروق عمراً عليها منذ فتحها وبقي والياً عليها حتى عزله عثمان وابن سبأ إذ ذلك لم يزل يهودياً في صنعاء وقد مضت ست سنين من خلافة عثمان منتظمة في سلك الطمأنينة والرفاهية فتشغيب خوارج مصر على عمرو شبيه بتشغيب خوارج الكوفة على سعد ابن أبي وقاص ، وعزل عثمان

لعمر و عن مصر شبليه بعزل الفاروق لسعد عن الكوفة ، وعذر عثمان في
عزل عمر و كعذر عمر في عزل سعد .

(الرابع) انقسام أهل مصر في علي إلى طائفتين طائفة وهم الأ كثر
بايعوه وطائفة لم يبايعوه دليل علي أن تعاليم ابن سبأ لم تؤثر فيهم شيئاً
وبما تقرر ظهر فساد قوله (كان الناس مسلمين يحبون نبيهم إلى قوله ولذلك
نرى الرجل كان) الذي يقتضى أن الناس كلهم أفسدهم ذلك الشيطان
ابن سبأ بتعاليمه بعد أن كانوا مسلمين يحبون نبيهم إلى آخر الهراء
فالمسلمون كلهم يحبون نبيهم ويحبون العدل وجمهورهم إذ ذاك على
اتباع سنته وعلى احترام خلفائه الأربعة وعلى قتل عثمان مظلوماً
شهيداً . وقوله (ولذلك نرى الرجل كان يتبجح من أصابهم من ولاية
عثمان إذى في نفسه وماله) دعوى كغيرها من دعاويه الكثرة التي يرسلها
بلا خطام ولا زمام ولو كان صادقاً فيها لسمى لنا ولو واحداً من هؤلاء
الذين تتبعهم ابن سبأ بتعاليمه من لحقهم من ولاية عثمان أذى في نفسه وماله .
وقوله (ثم جاءهم من قبل العدل والمساواة إلى قوله والذين كانوا يؤيدونه)
رمى لجميع القائمين بالفتنة الكبرى على الخلفاء وعمالهم بمتهمي الغباوة يدل
على أنهم لا يفهمون ولا يعرفون العدل والمساواة ولا يعرفون الطعن في
أمراء عثمان بأنهم مرة شبان ومرة بأنهم من ذوى قرباه ومرة بأنهم ظلمة
يسومون الناس خسفاً حتى جاءهم ذلك الوغد من صنعاء فعرفهم جميع ذلك
كما ظهر فساد قوله (والذين كانوا يؤيدونه لأغراض في أنفسهم إلى آخر
الهراء) وحيث تحقق للقراء فساد هذه الأسباب الأربعة التي تثرثر بها في مقتل
عثمان . أقول : السبب الوحيد في قتل عثمان رضى الله عنه واحد وهو تجنى
من لا صحبة له ولا بصيرة في الدين من العرب على قريش وخلفائها وبطرحهم
نعم الله عليهم بالاسلام والتوسع في الفتوحات والدينا وقد حققته سابقاً في
مواضع ولو قلت بتعدد الأسباب في قتله لقلت بسببين آخرين من قرابته
وهما محمد بن أبي حذيفة بمصر و مروان بن الحكم بالمدينة وقد تقدم ما يتعلق بهما

موضحاً ، ثم رتب على هذه الأسباب قوله (فقد كانوا يعيرون معاوية
وهذا لم يوجد عثمان بل ولاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وولاه
أبو بكر وولاه عمر ولم نر من العمال من استمر موثقاً به من عمر حياته
كلها إلا أفراداً قلائل منهم معاوية بن أبي سفيان فقد كان والياً من أول
حياة عمر إلى آخرها وكانت الشام أعدل ولايات المسلمين وأهدأها وكانوا
يعيرون عبد الله بن أبي سرح لا لأنه ظالم أو جائر وإنما لامر آخر وهو
أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حكم بقتله يوم الفتح ثم استوهبه منه
عثمان فغفا عنه ولم يعلموا أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كان إذا
غفا فإنما جر على الذنب سترأ لا يزول ، وكانوا يعيرون مثل الوليد بن
عقبة وهذا كان والياً لعمر بن الخطاب ومات عمر وهو وال له ، وكانوا
يعيرون سعيد بن العاص وهو باعتراف أهل البصرة من أجود العمال
واحكمهم بالقسط فلم تكن هذه المذام موجهة بحق لرفع جور وإنما كانت
للتأثير في قلوب الناس وهم يتأثرون بسرعة من مثل هذا القول ، وساعدهم
على ذلك أولياء الأمر لم يبادر وأبأخذ الحيلة لأن العمال لم يكن لهم مثل
ذلك السلطان والخليفة حذر من أن يأمر بذلك فضاعت مصلحة الأمة
وإذا أردنا أن نحمل الناس في ذلك الوقت تبعه أعمالهم وجدنا عثمان أقلهم
تبعه في ذلك . لأن الحلم واللين لم يكونا في زمن من الأزمان مما يتجنى به
على أولى الأمر والتبعة يحملها من مهدوا السبيل لذلك اه .

أقول : اشتمل كلامه هذا كله على مخالفة التاريخ وغلوه وتقصير
وتناقض . فقوله (فقد كانوا يعيرون معاوية إلى قوله وكانوا يعيرون
عبد الله) فيه غلوه ومخالفة للتاريخ ، أذهله تغاليه في رفع مقام معاوية رضى
الله تعالى عنه عن إجادة التعبير في حقه بأن يقول مثلاً وهذا لم يوله عثمان
بل وولاه الخ . فأساء التعبير بقوله وهذا لم يوجد عثمان والايجاد مختص
بالقادر الحكيم لا يستطيع عثمان ولا جميع الخاق إيجاد ذرة أو أى فعل من
الأفعال . وقوله (بل ولاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وولاه

أبو بكر) غير صحيح لم يولده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أبو بكر وإنما ولى أبو بكر أخاه يزيد بن أبي سفيان أميراً وقائداً على أحد الجيوش التي فتحت الشام فلما مرض يزيد في طاعون عمواس استخلفه على عمله فأقره عمر على ذلك فاستمر عليه حتى جمع له عثمان الشام كلها . وقوله (ولم نر من العمال من استمر موثقاً به من عمر حياته كلها إلا أفراداً قليلاً منهم معاوية) غير صحيح فجميع عمال عمر موثق بهم عنده وإن عزلهم وقد تقدم أبطاله تفصيلاً ، وقوله (فقد كان والياً من أول حياة عمر إلى آخرها) غلط غير صحيح حمله عليه أيضاً تغاليه فيه ومقصوده أنه كان والياً لعمر من أول خلافته إلى آخرها فعبر بالحياة عن الخلافة وحياة عمر كلها ثلاث وستون سنة خلافته منها عشر سنين ونصف وهو غير صحيح أيضاً في ولايته من أو خلافة عمر لأن الفاروق تولى الخلافة في سنة ثلاث عشرة للهجرة وطاعون عمواس الذي مات فيه يزيد بن أبي سفيان كان في السنة السابعة عشرة للهجرة فيكون ابتداء ولاية معاوية بعد مضي خمس سنين من خلافة الفاروق ، وقد جعل كل وال ولاء عمر ووثق به ولم يعزله مقدساً لا يسوغ لأى خليفة أن يعزله وسيأتى في خلافة علي نقضه وإفاضة البحث فيه وعيهم لابن أبي سرح ليس من كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، أمر بقتله يوم الفتح فقط بل لكونه من مسلمة الفتح وقريب عثمان لأنه أخوه من الرضاعة . وقوله (وكانوا يعيرون مثل الوليد بن عقبة وهذا كان والياً لعمر بن الخطاب ومات عمر وهو وال له) غير صحيح . لم يولده عمر وإنما ولاء عثمان . وقوله (وكانوا يعيرون سعيد بن العاص وهو باعتراف أهل البصرة من أجود العمال) غلط وتقصير لأن سعيد بن العاص ولاء عثمان على الكوفة بعد عزل الوليد بن عقبة عنها ، وإنما ولى على البصرة من قرابته عبد الله بن عامر ، والتحقيق في عيب ثوار الأمصار لعثمان من أجل هؤلاء العمال إنما هو قرابته لهم وليست ولاية اقرباء الخليفة أو السلطان عيباً قادحاً فيه عند العقلاء إذا كانوا (٤٢ - تحذير العبقرى)

أكفاء لما أسند إليهم وهؤلاء العمال قرابته كلهم كانوا أكفاء لما ولوا عليه
وكلهم ولوا وهم رجال كبار الا ابن عامر فان عمره كان نحو الخمس والعشرين
وقد أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسامة بن زيد مولاه على
جيش فيه شيوخ المهاجرين والانصار وعمره ثمان عشرة سنة . وولى أباه
من قبله على سرايا ، وولى عمه حمزة أميراً على سرية ، وولى علياً رضى
الله عنه على أهله بالمدينة لما توجه عليه الصلاة والسلام إلى تبوك وولاه
أيضاً قائد جيش بعثه إلى اليمن وولاه أيضاً على تبليغه عنه جميع العرب
بموسم الحج سنة تسع أوائل سورة براءة وقال لا يبلغ عنى إلا رجل من
أهل بيتى ، وولى عتاب بن أسيد أميراً على مكة لما فتحها وعمره نيف
وعشرون سنة وهو من قرابته بنى عبد مناف . وقوله (وساعدهم على
ذلك إلى قوله فضاعت مصلحة الأمة) قد تقدم إبطاله وقوله وإذا أردنا
أن نحمل الناس فى ذلك الوقت تبعة أعمالهم وجدنا عثمان أقلهم تبعة فى
فى ذلك) غير صحيح فلا تبعة على عثمان أصلاً ولا على الناس والتبعة كلها
محمولة على الثوار وحدهم . وقوله (لأن الحلم واللين لم يكونا فى زمن من
الازمان مما يتجنى به على أولى الأمر) نقض لما اثر به فى السبب الثانى
قال فى ص ٤٦ (لا تمكن حماية الأمة من أصحاب المقاصد السيئة الذين
يريدون فتنها وتهيجها لغير مصلحتها إلا أن كان فيها من العقلاء من يحترم
رأيهم وتسمع كلمتهم فانهم يبصرون قومهم بما يعود عليهم بالخير والفلاح وكل
امة فقدت هؤلاء السراة العقلاء سهل على مثل ابن سبأ ومن لف لفه أن
يفتنوها ويلفتوها عما يصلحها ويجعلوا بأسها بينها شديدا وهم فى كل زمن
كثيرون فما ظنك إن كان سراها ممن يساعد على فتح باب الشر بأعضائه
وتهاونه إن الشر حينئذ يكون مستطيراً والبلاء عظيماً وسيرد عليكم من
ذلك شىء كثير اه) . أقول أشتمل هذا الهراء على أمرين تعظيم شأن ابن
سبأ والظعن فى الصحابة وقد تقدم إبطاله مفصلاً فيهما .

تنبیه

قال ابن كثير في بدايته مانصه (إن قال قائل كيف وقع قتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة وفيها جماعة من كبار الصحابة رضي الله عنهم فجوابه من وجوه :

(أحدها) أن كثيراً منهم بل أكثرهم أو كلهم لم يكن يظن أنه يبلغ الأمر إلى قتله فان أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عينا ، بل طلبوا منه أحد أمور ثلاثة أما أن يعزل نفسه ، أو يسلم اليهم مروان بن الحكم أو يقتلوه فكانوا يرجون أن يسلم إلى الناس مروان ، أو أن يعزل نفسه ويستريح من هذه الصائفة الشديدة ، وأما القتل فما كان يظن أحد أنه يقع ولا أن هؤلاء يجترئون عليه إلى ما هذا حده حتى وقع ما وقع والله أعلم .

(الثاني) أن الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة ولكن لما وقع التضيق الشديد ، عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا فتمكن أولئك مما أرادوا ، ومع هذا ما ظن أحد من الناس أنه يقتل بالكلية .

(الثالث) أن هؤلاء الخوارج لما اغتتموا غيبة كثير من أهل المدينة في أيام الحج ، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة بل لما اقترب بجيئهم انتهزوا فرصتهم ، قبضهم الله ، وصنعوا ما صنعوا من الأمر العظيم ، (الرابع) ان هؤلاء الخوارج كانوا قريبا من ألفي مقاتل من الأبطال ، وربما لم يكن في أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة لان الناس كانوا في الثغور وفي الأقاليم في كل جهة ، ومع هذا كان كثير من الصحابة اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم ومن كان يحضر منهم المسجد لا يجيء إلا ومعه السيف ، يضعه على حبوته إذا احتبى ، والخوارج محدقون بدار عثمان رضي الله تعالى عنه ، وربما لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذلك ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يحاجفون عن عثمان رضي الله تعالى عنه لكي تقدم الجيوش من الأمصار لنصرته ، فما فجىء الناس إلا وقد ظفر أولئك بالدار

من خارجها ، وأحرقوا بابها وتسوروا عليه حتى قتلوه ، وأما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضى بقتله فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضى بقتل عثمان رضى الله تعالى عنه بل كلهم كرهه ومقته وسب من فعله ولكن بعضهم كان يود لو خلع نفسه من الامر كعمار ابن ياسر ومحمد بن أبي بكر وعمرو بن الحمق وغيرهم اه) .

وقد أخطأ في عمال عثمان (قال عمال عثمان) (العلاء بن الحضرمي علي مكة ، القاسم بن ربيعة الثقفي علي الطائف ، يعلى بن منية علي صنعاء ، عبد الله ابن أبي ربيعة علي الجند ، عبد الله بن عامر علي البصرة ، سعيد بن العاص علي الكوفة ، عبد الله بن سعد علي مصر ، معاوية بن أبي سفيان علي الشام اه) . فعامله عند قتله رضى الله تعالى عنه علي مكة عبد الله بن الحضرمي ، والعلاء بن الحضرمي توفي في خلافة عمر سنة أربع عشرة وقيل احدى وعشرين ، وعبد الله بن عامر ترك البصرة قبل قتل عثمان فلم يول عليها أحداً وقيل بعد قتله وقدم مكة وانضم الي طلحة والزبير وحضر معهم وقعة الجمل ولم يحضر صفين ، وسعيد بن العاص وفد علي عثمان فلما رجع إلى الكوفة رده ثوارها يوم الجرة قبل مجيئهم إلى عثمان واختاروا أبا موسى الاشعري فولوه عليهم وكتبوا إلى عثمان لاحاجة لنا في وليدك ولا في سعيدك ، وابن أبي سرح وفد أيضا علي عثمان فلما رجع وجد ابن أبي حذيفة استولى عليها فمنعه من دخولها فذهب إلى الرملة ومات بها .

تم بحمد الله الجزء الاول ويليه الجزء الثاني

وأوله خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

الفهرس

صفحة

	تقاريط العلماء
٣	تقريظ فضيلة الشيخ محمد يحيى أمان عضو المحكمة الشرعية بمكة المكرمة
٦	تقريظ فضيلة الشيخ حسن مشاط عضو المحكمة الشرعية بمكة المكرمة
٩	تقريظ فضيلة السيد اسحاق عزوز عضو مجلس الشورى ومدير مدرسة الفلاح بمكة المكرمة
١٠	تقريظ فضيلة السيد محمد أمين كتي المدرس بالمسجد الحرام وكلية المعلمين
١٥	تقريظ فضيلة الشيخ محمد نور سيف المدرس بالمسجد الحرام ومدرسة الفلاح بمكة المكرمة
٢٤	تقريظ فضيلة السيد علوى المالكى المدرس بالمسجد الحرام ومدرسة الفلاح بمكة المكرمة
٢٨	تقريظ فضيلة الشيخ ابراهيم فطاني المدرس بالمسجد الحرام وقاضى المحكمة المستعجلة
٢٩	تقريظ فضيلة السيد يوسف عبد الرزاق من علماء الأزهر الشريف والمدرس بكلية أصول الدين إحدى كليات الجامع الأزهر الشريف
٣٤	الخطبة والمقدمة
..	لايسوغ للمسلم أن يثق بكل مايقوله المؤرخون فى رجال الأمة الاسلامية عموما فكيف بساداتها الصحابة رضوان الله عليهم
..	التاريخ نقل محض يلزم الناقد لأى شخص كان أن يبنى انتقاده له على ماصح منه ولا يسوغ له نقده بالرأى والهوى والروايات الباطلة
..	تشويه الكثير من مؤلفى هذا العصر حقائق التاريخ الاسلامى بالجهل والتقليد قد جمع كثير من مؤرخى الأقدمين فى مؤلفاتهم بين الغث والسمين وكثير منهم من أهل الاهواء وكثير منهم لامعرفة لهم بعلم الاسناد وفضائل الصحابة

- ٢٥ أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها المؤرخون
والأمراء - ابن دقيق العيد
- .. ليس عند المتأخرين إلا التقليد لكل من هب ودب
- .. تهجم العصريين والمنسائين للإسلام على التاريخ الإسلامى وأقبال
الناشئة على مطالعة تأليفهم ومجلاتهم المملوءة بالمفتريات والظعن في
الإسلام ورجاله
- .. مؤسس مجلة الهلال ومؤلف كتاب التمدن الإسلامى والروايات
الخيالية كعندراء قريش وغادة كربلاء أشد إضلالاً للمسلمين من الكتب
الموضوعة من قبل لاضلالهم كالعنترية وغيرها
- ٣٦ رد شبلى النعماني على كتاب التمدن الإسلامى ونشر كثير من رده عليه
في المجلد الخامس عشر من مجلة المنار
- .. تحذير المسلم ونصيحته من كل مايس كرامة أى صحابى كان فى أى
تاريخ كائنا صاحبه من كان وفى المجلات
- .. شهادة رجال الروم للصحابة بأنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار
وقول ملك الصين فيهم لما استنجد به يزدجرد ملك الفرس بعد
وصفهم له ، انه لا يقوم لهم أهل الارض
- ٣٧ طعن طائفة من العصريين فى الصحابة رضوان الله عليهم بالهوى والتقليد
- ٣٨ الطعن فيهم طعن فى الشريعة التى عدلتهم وأثنت عليهم قرآنا وسنة لا محالة
- .. العجب من هؤلاء الطاعنين اذا كتبوا عن حياة أساتذتهم وعمن لا يعبا
الله به يتغالون فى إطرائهم حتى يجاوزوا المعقول
- .. العجب أيضا من مسلم يترك مناقب الصحابة المقطوع بها فى كتاب الله
والثابتة فى سنته عليه الصلاة والسلام ويتعثر فى طلبها فى كتب التاريخ
التي لا تخلو من الأباطيل
- .. اعتماد المسلم فى تاريخهم على غير القرآن والسنة بناء على غير أساس

- ٣٩ ابن جرير وابن الأثير فيهما كثير من الأباطيل وكتاب الامامة
والسياسة مملوء بها
.. مدافعة الحافظ أبي زرعة الرازي عن الصحابة عموما وعن معاوية
خصوصا
.. من اللازم على أساتذة التاريخ الاسلامي تزويد أبناء المسلمين
بتاريخ الصحابة
.. أشد الطاعنين فيهم وأكثرهم خوصا وعبثا بكرامتهم محمد الخضرى
صاحب المحاضرات
٤١ من مصائب علم الرواية والتاريخ اتخاذ الخضرى قدوة ومرجعا لكل
متسور على التأليف في التاريخ
.. خبطه وتقوله على ابن هشام في سيرته في حادثة الفيل وانكاره
خوارق العادة وتخبطه في الأخبار والقصص الدالة على كون
الملائكة والجن والشياطين أجساما تقليدا في هذا كله لمحمد عبده
٤٢ الاشادة بمناقب الصحابة والمدافعة عن حمى أعراضهم الشريفة حق
واجب على كل مسلم
.. هم الذين سنوا لنا المدافعة عن حمى أعراض المؤمنين
٤٣ عقيدتنا في مدافعتنا عنهم شبيهة بعقيدة المؤمن بالمعاد والمنكر له
.. مصادر الكتاب
.. (المحاضرة الثالثة)
.. ابطال تقوله على ابن هشام في حادثة الفيل بأربعة أوجه ومخالفته
للتاريخ في ثلاثة مواضع
٤٨ ابطال حكمه على أبرهة وجنده بأنهم هلكوا بالأمراض الثقيلة الحصبة
والجدري بأربعة أوجه أيضا وإيراد اعتراضات كثيرة عليه لا يمكن
الجواب عنها

- ٥١ كلام محمد عبده في تفسيره لسورة الفيل الذي قلده فيه المحاضر
- ٥٢ إبطاله بأوجه كثيرة منها تكذيبه لصريح القرآن ومنها كذبه على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جميع رواة سنته عليه الصلاة والسلام
- ٥٦ طعن محمد عبده في كثير من الأحاديث الصحيحة بل في المتواترة ولا معرفة له بالرواية مطلقا وقد صار في هذا الطعن مقلدا وقذوة لكثير من كتاب العصر وتحريفه لكثير من آيات القرآن بالتأويلات الفاسدة
- .. حمله ثبت يدا أبي لهب على كل من قال له انك مهما بلغت من العلم لاتصل الى درجة الاجتهاد
- ٥٧ زيادته في قصة أصحاب الفيل ثمانية أشياء الريح والجدرى والحصبة والسم اللاصق بالأحجار والحيوان الصغير المسمى بالميكروب المتعلق بالأحجار وتناثر لحم أجسام الجيش وتعيين حجم الطير بأنه من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض وسقوط تلك الأحجار من أرجل الطير
- .. خلط كثير وتهويش وتناقض في هذه الزيادة ومناقشته فيها مناقشة علمية مسهبة
- ٦٠ يلزم من تفسيره هذا تجهيل الله جل وعلا حيث أخبر عن هذه الحادثة إخبارا مجملا ناقصا يحتاج إلى تبيينه وتكميله وتعجيز قدرته جل وعلا أيضا حيث لا يتأتى لها التأثير في الموجودات إلا بالوسائط الكثيرة وتجهيل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعلماء الاسلام من عصر الصحابة إلى زمنه حيث لم يهتدوا إلى هذا التفسير الذي انفرد به
- ٦٦ اعتماد المحاضر على مؤرخى الافرنج في قصة الزباء مع جذيمة واتهامه مؤرخى العرب وأبطال ذلك
- ٦٨ (المحاضرة الرابعة)

- ٦٨ مخالفة المحاضر للقرآن ولما في الصحاح والتاريخ في نزول اسماعيل عليه الصلاة والسلام بمكة قبل جرمهم
- ٧٢ ايراد أسئلة على اتيان الخليل بهاجر وابنه اسماعيل عليهما الصلاة والسلام من الشام إلى مكة لاجواب عنها
- ٧٣ (المحاضرة الخامسة)
- .. خطئه أيضا في قصة جرحهم واسماعيل وزعمه أنه أدخل في العريية من العبرانية وابطال ذلك
- ٧٦ (المحاضرة السادسة)
- .. غلظه الفاحش في كون اسماعيل هو الذى بنى الكعبة وفي كونه جعلها مطافا يحجها أولاده
- ٧٧ تخليطه في ذى الخليفة وغلظه فيمن نصب هبل للعبادة
- ٧٨ (المحاضرة السابعة)
- .. عدم وثوقه بمؤرخى الاسلام ووثوقه بالأجانب في قصة بحيرا الراهب وانكاره دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام
- ٧٩ انكار جماعة من الكتاب العصريين دلائل النبوة وتأويلهم القرآن بتأويل فاسدة نائية عن لغته تقليدا لمحمد عبده
- ٨٣ تأييد صاحب المنار أباطيل جهلة المؤرخين في عثمان رضى الله تعالى عنه واعتذاره للقراء في نشره رد شبلى النعماني على صديقه جرجى زيدان
- ٨٦ (المحاضرة الثامنة)
- .. تقصيره في أقسام الوحي التي تلقاها المبعوث رحمة للعالمين
- ٨٩ تحقيق الامام السهيلي لانواع الوحي
- ٩٣ ترجيح الخضرى رأى محمد عبده في أن الملائكة والجن والشياطين قوى معنوية لا أجسام كما يعتقد المسلمون
- ٩٤ رمى محمد عبده وتلميذه رشيد رضا لعلماء الاسلام بأنهم عبدة ألقاظ (م ٤٣ - تحذير العبقري)

- وسوق كلاهما ومناقشتها فيه
- ٩٦ سرد بعض النصوص القرآنية الدالة على كون الملائكة والجن والشياطين أجساما
- ١٠٢ من التلبيس المضحك تسميته علماء الاسلام بالفلاسفة وزعمه أن عندهم غرائب في الكلام عن الملائكة والجن والشياطين
- ١٠٣ عقيدة المؤمنين بالغيب
- ١٠٥ (المحاضرة التاسعة)
- .. انكار دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام انكار للقرآن لأنه من جملتها وانكار القرآن تكذيب برسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الناس كافة والقرآن من الخوارق ومشمتم على خوارق فلايمان به مع انكارها جمع بين المتناقضين
- .. انكار كون الملائكة والجن والشياطين أجساما تكذيب للقرآن الذى أثبت ذلك فى آيات كثيرة لا يمكن تأويلها بحال
- .. نتيجة هذا الانكار ابطال الوحي كله قرآنا وسنة على رأى المحاضر واضرابه
- .. الوحي كله هو تاريخه عليه الصلاة والسلام الذى لم يصل اليها الا من طريق الرواة الذين يستلزم انكاره تكذيبهم فى جميع ما نقلوه اليها منه جرما
- ١٠٦ كتابة المحاضر واضرابه فى التاريخ الاسلامى والحالة هذه مبنية على غير أساس
- ١٠٧ على المحاضر فى هذه المحاضرة ستة مآخذ تركها لأنها من دلائل النبوة التى ينكرها مع كونها لب تاريخه عليه الصلاة والسلام
- ١١٣ (المحاضرة العاشرة)
- ... القرآن أعظم معجزات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الخالدة

- ١١٤ محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أعقل الخلق على الاطلاق
- ١١٧ انكار طائفة من أهل العصر معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
وقدوتهم في هذا الانكار محمد عبده وكلام العلامة مصطفى صبرى
التوقادى في رده عليهم
- ١٢٣ أنواع المعجزات التى ظهرت منه عليه الصلاة والسلام ثلاث
- ١٢٦ من المعجزات القرآنية الاسراء والمعراج وتحقيقهما نقلا وعقلا مطنبا
- ١٢٧ تصريح القرآن بكون الاسراء يقظة بالجسد والروح معاً لا يقبل
التأويل بحال ، وتواتر الروايات عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فيه عن خمسة وأربعين صحابيا واجماع المسلمين على ذلك يؤيدانه
- ١٣٠ تخطئه في معجزات الاسراء والمعراج وترجيحه الرأى المنسوب لعائشة
ومعاوية رضى الله تعالى عنهما في كونه مناما وابطال ذلك باسهاب
- ١٣٤ لولم يرد في السنة ما يدل على أن الاسراء كان يقظة لامناما لكانت
الآية الشريفة (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى
المسجد الأقصى) كافية في ذلك
- ... المؤول لها مكذب لصريح القرآن واللغة التى نزل بها مشاق لرسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم متبع غير سبيل المؤمنين
- ... الأدلة الدالة على أن الاسراء كان يقظة بالجسد والروح معا
- ١٣٥ تلبيس المحاضر على القراء بأنه هو وحزبه يؤمنون بالخوارق
بشروط وابطال تلك الشروط مطنبا
- ١٤٧ بعض النصوص القرآنية التى أولتها هذه الطائفة بالتأويل الفاسد
- ١٣٨ البرهنة على أن هذا الرأى المنسوب لعائشة ومعاوية رضى الله عنهما
في أن الاسراء كان مناما لا يقظة موضوع عليهما
- ... ابطال تهويشه الأجوف بهذا الرأى الموضوع عليهما
- ١٤١ مبالغته في اطراء معاوية وعائشة رضى الله تعالى عنهما من أجله

- ١٤٥ (المحاضرة الثانية عشرة) ...
ذكر ست قصص من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام أهدرها
المحاضر في غزوة بدر مع كونها من لب سيرته عليه الصلاة والسلام
لعدم موافقتها لهواه
- ١٥٠ (المحاضرة الثالثة عشرة) ...
ذكر سبعة منها تركها في غزوة أحد لعدم موافقتها لهواه
- ١٥٢ (المحاضرة الرابعة عشرة) ...
تركة لسته من دلائل النبوة في غزوة الخندق لعدم موافقتها لهواه
- ١٥٥ إبهامه وإيهامه وتدليسه في قصة اقتحام عمرو بن عبد ود ورفقائه
الخندق وإيضاح ذلك
- ١٥٦ بيان غلظه في اسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله
تعالى عنهما
- ١٥٨ من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام في الحديدية شرب الجيش من
ثمذ قليل ماؤه
... خطؤه في عمرة القضاء
- ١٥٩ من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام أخباره عن قتل أمراء جيش
مؤتة يوم الواقعة
- ١٦٠ مبالغته في أطراء خالد بن الوليد وسوء أدبه مع الصحابة فيها
... استبعاده كثرة جيش الروم مع قلة جيش المسلمين وقلة من قتل منهم
فيها وتكذيبه للمؤرخين وللصحابة الذين عاينوا ذلك وضبطوه
وابطال ذلك بأسباب
- ١٦١ جيش المسلمين في أكثر غزوات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان
أقل من جيش أعدائهم وجيوش الروم وفارس في جميع المعارك التي
وقعت بينهم وبين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانت أضعافهم

- في العدد وأقوى منهم في العدة بل كانت جيوش المسلمين في أكثر
المعارك التي دارت بين ملوكهم وبين أعدائهم أقل وأضعف في ذلك
١٦٤ تركه لغزوة خيبر وهي من غزواته صلى الله عليه وسلم المهمة وذكر
ثلاث من دلائل النبوة وقعت فيها
١٦٦ تركه لسبعة من دلائل النبوة وقعت في فتح مكة لعدم موافقتها لهواه
١٦٨ تركه لاثنتين منها في غزوة حنين لعدم موافقتها لهواه
١٦٩ تركه لثمانية منها وقعت في غزوة تبوك لعدم موافقتها لهواه
١٧٤ (المحاضرة السادسة عشرة)
١٧٥ ابطال غلظه الفاحش في تسمية المنافقين بالمنافقين
١٧٦ اعترافه بدلائل نبوته عليه الصلاة والسلام في أول كتابه نور اليقين
وسوق كلامه فيه
١٧٨ كتب الصحاح والمسانيد والمعاجم والسير مملوءة بدلائل النبوة وخصها
بالتصنيف حفاظا كثيرون منهم أبو نعيم والبيهقي ثم السيوطي
... ابطال زعمه جمع الصديق للقرآن في مصحف واحد
... انتهاء رد أباطيله في سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والشروع في
رد أباطيله في الخلافة وسيرة الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان
الله عليهم
... سيرة الصحابة جزء من سيرته عليه الصلاة والسلام فالطعن فيهم طعن
فيه وفي القرآن المعدل لهم المثني عليهم لا محالة
... قد طعن المحاضر في الشريعة كلها قرآنا ونبوة وسنة وصحابة
١٧٩ انكار بعض المعجزات انكارا لجمعها والتكذيب ببعضها تكذيب
لجميعها كما أن التكذيب ببعض رسل الله تكذيب لجميعهم
١٨٠ الصحابة دعائم الدين فعدالتهم مقطوع بها كتابا وسنة واجماعا
١٨١ سرد بعض الأحاديث الدالة على فضائلهم

- ١٨٤ (المحاضرة الثامنة عشرة)
- ... تعريف الخلافة ووجوبها على المسلمين وجوباً شرعياً كفاً وبالذليل
عليه من الكتاب والسنة والاجماع
- ١٨٥ تحبظها فيها وابطال كلامه
- ١٨٧ بعض الأحاديث الدالة على خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم
- ١٨٩ بيان فساد تقسيمه للخلافة
- ... اقتراؤه على الانصار رضي الله عنهم فيها
- ١٩٠ ابطال محاماته عن رأى الخوارج مبرهنات مسيها
- ١٩٣ تقويم كلامه فى الرأى الثانى ونقد كلام ابن خلدون الذى اعتمد
عليه فيه
- ١٩٦ اقتراؤه على أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه فيها
وابطاله مسيها
- ٢٠٢ اقتراؤه أيضاً عليه وعلى التاريخ الاسلامى فيها وزعمه أن الذين
قاموا بالامصار الاسلامية على عثمان رضى الله عنه لأجله وابطال
ذلك بأسباب
- ٢٠٣ شىء من مناقب سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه قائد جيش
المسلمين بالعراق وئال عروش الفرس بالقادسية وفانح مدائن كسرى
- ٢٠٤ تولية الفاروق له على الكوفة وشكايته أو باشها منه ودعاؤه عليهم
- ٢٠٥ جرأة أهل الكوفة وتمردهم على الفاروق واتعايبهم له بكثرة شكايته
الأمراء العادلين
- ... ضجره منهم وطلبه الموت ووصيته بهم من يتولى بعده أن يعزل
عنهم كل يوم أميراً ويولى عليهم آخر أن طلبوا ذلك
- ... الفاروق باب الفتنة بين المسلمين اذا كسر (قتل) انفتحت بينهم
إلى يوم القيامة

- ٢٠٥ تأسيس أوباش العرب الذين لا بصائر لهم في الدين الفتنة على قريش
وخلفائهم بالكوفة في خلافة الفاروق
- ٢٠٧ ليس من شرط القائم بالحق صفاء الأمر له وليس من شرطه اتفاق
الناس على طاعته عند جميع العقلاء
- ٢٠٨ ابطال ثمان فريات له أيضا على أمير المؤمنين على رضی الله تعالى
عنه وكرم وجهه
- ٢١٢ ابطال انتقاده الخلافة مطلقا مبرهنا
- ٢١٨ افتراؤه على الفاروق في تنقيص ستة الشورى وتكذيب التاريخ له
بثناؤه على كل واحد منهم
- ٢١٩ ثناء الفاروق عليهم أيضا وقوله في الطاعنين فيهم انهم أعداء الله
الضلال ووصيته بعد طعنه بالتمسك بكتاب الله وبالمهاجرين والانصار
والاعراب وأهل الذمة
- ... ثناؤه أيضا على كل واحد منهم وقوله في علي ، لله درهم ان ولوها
- ٢٢٢ الاصيلح ليحملنهم على الحق وان كان السيف على عنقه
- ٢٢٣ موت جمهور الزمرة الفاضلة الصحابة رضوان الله عليهم في عهده
وتغلب المخضرمين والاعراب الراجعين الى الاسلام قسراً على
السلطة سبباً رقة الاسلام في المسلمين وقتله رضی الله عنه بين ذلك
... صدق فراسة أبي عبيدة فيه وفي عثمان وتمنيه الموت قبله في قوله إن
مات عمر رق الاسلام
- ... زعمه نقصان الطريقة الثالثة من طرق الخلافة وغشه واقترائه على
عمر وعلى ستة شوراہ أيضا وكذبه على التاريخ
- ٢٢٤ طعنه في طرق الخلافة الثلاثة وابطاله موضحا مبرهنا
- ٢٢٨ طعنه في خلافة علي وتخبطه فيها وغشه وتهويشيه وكذبه على معاوية
وعلى التاريخ وابطال ذلك مبرهنا

- ٢٣٠ ترجيحه معاوية على علي وكذبه أيضا على معاوية وعلى تاريخ المسلمين
وابطال ذلك باسهاب
- ١٣٥ سبعة اجماع لم يقيم لها المحاضر وزنا مع جمعه كتاباً في أصول الفقه
ذكر فيه الاجماع الذى هو رابع أركان الشريعة واعترف به إجماع
الأمة الاسلامية على أن الاسراء كان يقظة بالروح والجسد واجماعهم
على بيعة الصديق واجماعهم على بيعة الفاروق واجماعهم على بيعة عثمان
وثلاثة إجماعات تتعلق بعلي إجماع الأمة الاسلامية على انه أفضل
الصحابة بعد الخلفاء الثلاثة واجماعهم على بيعته واجماعهم على أنه
مصيب في اجتهاده في حروبه والمحاربون له مخطئون
- ٢٣٧ اقتراؤه على الصحابة في أحقوة الرافضة وهي زعمهم أن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلي كرم الله وجهه وقد وضعوها على
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعد العصور الخيرية بدهر
- ٢٣٨ عدم اعتباره خلافة ابن الزبير رضى الله عنهما وكذبه على التاريخ فيها
... تخيل فاسد منه في الخلافة والخلافة من الأحكام العملية وليست من
العقائد وإنما ذكرت في علم الكلام لمناسبات ولذلك يعدونها متممة له
- ٢٣٩ إبطال خلاصة هذيان طعنه في الخلافة
- ٢٤٢ تحقيق عالم أصولي كبير في خلافة الخلفاء الأربعة مطنبا
- ٢٤٦ (المحاضرة التاسعة عشرة)
- ... إبطال تمسكه بالرواية الضعيفة في تأخر علي عن مبايعة أبي بكر رضى
الله تعالى عنهما
- ٢٤٧ تجبينه لأبي بكر رضى الله تعالى عنه وكذبه عليه وعلى التاريخ في حربه
للمرتدين دفعتين وإبطال ذلك موضحا
- ٢٥٠ (المحاضرة العشرون)
- ... ابطال زعمه أن الفاروق رضى الله عنه كتب إلى خالد بن الوليد في

- وقعة اليرموك بعزله وتولية أبي عبيدة
٢٥٠ مبالغته في اطراء خالد رضى الله تعالى عنه دون الصحابة تشعر
بتنقيصهم رضى الله عنهم وقد انتقصهم سابقا في غزوة مؤتة وبالغ
في اطرائه
... ابطال زعمه أن الصديق رضى الله تعالى عنه جمع القرآن كله في مصحف
واحد وإنما جمعه في صحف والذي جمعه في مصحف واحد عثمان
رضى الله تعالى عنه
٢٥١ (المحاضرة الخامسة والعشرون)
... ابطال زعمه أن عمر استحضر عنده كثيرا من عماله ولم يذكر إلا سعداً
وعمار بن ياسر والمغيرة بن شعبة وزعمه أنه لم يمض عامل زمن عمر
موثوقا به من عمر إلا القليلين
٢٥٢ شكاية أوباش الكوفة لسعد بن أبي وقاص لعمر رضى الله عنهما
بغيا ودعاؤه عليهم وشيء من مناقب سعد وثناء عمر عليه ووصيته من
يتولى بعده بتوليته وقوله فاني لم أعزله عن خيانة دليل على ثقته به
٢٥٣ عزل عمر للمغيرة بن شعبة عن البحرين وتوليته له على البصرة وعزله
عنها للتهمة التي لم تثبت عليه وتوليته له مرة ثالثة على الكوفة دليل
على وثوقه به
٢٥٤ عزله لأبي هريرة عن البحرين ودعاؤه مرة ثانية ليوليه دليل على
وثوقه به
... اعتذاره عن عزل خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة عن قيادة
الجيوش وقوله انه لم يعزلها عن خيانة وثناءه على خالد دليل على
وثوقه بهما
٢٥٥ عزله لأبي موسى الأشعري عن الكوفة لما شكوه إليه وتوليته
مرة ثانية على البصرة دليل على وثوقه به
(٤٤م - تحذير العبقري)

٢٥٥ طلب أبي موسى منه أن يعينه بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قائلًا انهم في هذه الأمة كالملح واسعافه بتسعة وعشرين منهم

... نبذة من مناقب عمار بن ياسر رضى الله عنه

٢٥٦ طعنه في عمار برواية الطبرى الباطلة رواية ودراية بأحد عشر وجها
٢٥٨ كتابة عمر إلى أهل الكوفة يثنى على عمار يقول انه من النجباء من أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم تبطل أيضا رواية الطبرى عنه تحقيره وتجهيله لعمار بعد عزله عنهم

... الصحابة الذين عزلهم عمر براء عدول موثوق بهم عنده ابتداء ودواما

... أول الامصار قياما على الخلفاء بشكاية أمرهم بطراً أهل الكوفة

... لاصحة لما يشاع عن الفاروق رضى الله عنه من أنه كان يشاطر

عماله أموالهم

٢٥٩ قصة عتبة بن أبي سفیان التي رواها ابن جرير وقلده فيها المحاضر في

ذلك باطلة بثلاثة أوجه

٢٦٠ تأوله الكلام المنسوب للفاروق في الاجتماعات المذكور في ابن جرير

بتأويل فاسد وكذبه عليه وعلى التاريخ وحذفه منه ما لا يوافق هواه

٢٦١ ابطال كلام ابن جرير هذا وتصرف المحاضر فيه برأيه رواية ودراية

بأوجه كثيرة

٢٦٤ تشييده مناقب عمر بالبهتان والباطيل وركوبه دائماً مطيئهما في

الضدين المناقب والمثالب المناقب للفاروق ومعاوية والمثالب لجل

الصحابة ولا سيما حيدرة

٢٦٥ (المحاضرة السادسة والعشرون)

... طعنه في كعب الأحمار وزميه للفاروق ولجميع الصحابة والأمة الاسلامية

بالتغفيل وابطاله مسهبها

٢٦٩ يجوز التحديث عن بنى إسرائيل في القصص والمواعظ ونحوهما

... قد روى عن كعب الأحبار أجلاء من الصحابة منهم ابن عمر وابن

عباس وأبو هريرة وابن الزبير ومعاوية وأثنى عليه أبو الدرداء ومعاوية

... قال الشيخ النووي في تهذيب الأسماء واللغات فيه ، اتفقوا على كثرة

عليه وتوثيقه

٢٧٠ ابطال زعمه أن عليا كرم الله وجهه تأخر عن مبايعة عثمان قليلا تقليداً

لابن جرير وإثبات بيعته له أولاً راضياً بدون أن يقول شيئاً

٢٧١ ابطال زعمه مشاركة أشخاص لأبي لؤلؤة في دم الفاروق تقليداً لابن

جرير أيضاً وابطال خبر ابن جرير في ذلك رواية ودراية بوجوه

٢٧٢ بيان تصرف المحاضر في خبر ابن جرير هذا مع بطلانه بالحذف والزيادة

(المحاضرة السابعة والعشرون)

... طعنه في سادات مهاجري قریش باسطورة الطبري وابطاله مسهباً

بسته عشر وجهاً

٢٨٢ بناؤه على هذه الاسطورة التي وضعها الزنادقة في الطعن في سادات

الصحابة جميع طعنه فيهم

... ابطال زعمه أن عامة المسلمين إلى آخر حياة عمر كانوا لا يعرفون

الاختلاف بينهم وإثبات أن الاختلاف بينهم وقع في زمنه من

أهل الكوفة

٢٨٣ ابطال زعمه أن روح عمر كانت تخيف الرؤساء بأسباب

٢٨٥ إثبات أن هؤلاء السادة والرؤساء الذين طعن فيهم كانوا سمع عمر

وبصره وأحب الخلق إليه لا يستغنى عنهم

... ابطال طعنه في الصحابين الجليلين سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن

مسعود رضی الله عنهما مبرهنًا

٢٨٧ ابطال تبرئته للوليد بن عقبة من شرب الخمر ولمزه لعلي مبرهنًا

- ٢٨٨ ثبوت شرب الخمر عن الوليد لا يحط من مقام صحبته شيئاً كما أن دفعه
بالرواية الباطلة لا يزيد فيه شيئاً
- ٢٨٩ تشغيب أهل الكوفة على أميرهم سعيد بن العاص الاموى كعادتهم مع
غيره وشيء من شمائل سعيد
- ٢٩٠ تشغيب أهل البصرة على أميرهم أبي موسى الأشعري وعزله عنهم
وتولية عبد الله بن عامر العيشمي عليهم وشيء من شمائله
- ٢٩١ إبطال طعنه في حكيم بن جبلة العبدى بأنه كان لصاً
- ٢٩٢ تجسيمه شأن ابن سبأ حتى جعله قائد زعماء الفتنة التى قامت في وجه
الخلفاء وهو أقل وأذل من هذا وتبيين حال ابن سبأ في الأمصار
- ٢٩٦ ابن أبى حذيفة عميد الفتنة على عثمان رضى الله عنه بمصر
- ٢٩٨ طعنه في أبى ذر رضى الله عنه بخبر ابن جرير وإبطاله بالبراهين
... تصرفه في خبر ابن جرير هذا بالحذف والزيادة
- ٢٩٩ رواية ابن جرير خبراً آخر مناقضاً لهذا يدل على أن ابن سبأ لم يستطع
بث ضلاله في الشام أصلاً
- ٣٠٠ الصحيح في قصة أبى ذر مع معاوية مارواه الامام البخارى في صحيحه
- ٣٠١ مذهب أبى ذر في المال وشيء من مناقبه
- ... محاولة المحاضر وعبد العزيز جاويز وإسماعيل خليل المحامى تحليل
الزبا بخطب قاموا بها في دار العلوم
- ... ركوبه دائماً جادة الابهام والتدليس التى سنها الوضعون والكائدون
للاسلام
- ٣٠٢ ذكره سبعة أمور نقمها الثائرون على عثمان رضى الله عنه وقد ذكر
محب الدين الطبرى في رياضه تسعة عشر خصلة نقموها عليه وأجاب
عنها إجمالاً وتفصيلاً جواباً شافياً
- ٣٠٣ نقده لعثمان رضى الله تعالى عنه في اكتفائه بجواب وفد الشائرين

- عن السبعة الأمور وعدم تأديبه لهم والجواب عنه مبرهنا
٣٠٣ إبطال زعمه أن أهل البصرة كانوا يريدون طلحة وأهل الكوفة
كانوا يريدون الزبير وأهل مصر كانوا يريدون عليا مبرهنا
٣٠٥ جهله لتاريخ مجيء ثوار الأمصار للمدينة وحصارهم لعثمان وطعنه
في علي كرم الله وجهه وإيضاح ذلك من ابن الأثير
٣٠٧ إبطال زعمه أن الصحابة رضوان الله عليهم كتبوا إلى أهل الأمصار
يأمرونهم بالقدوم على عثمان رضى الله عنه ليقاتلوه تقليداً لابن
جرير وابن كثير والثائرون على عثمان هم الذين زوروا عليهم كما فعل
ابن أبي حذيفة بمصر على لسان أمهات المؤمنين
٣٠٨ تزوير مروان بن الحكم كتابا لعامل مصر على لسان عثمان بقتل
بعض المصريين وصلب بعضهم وطمس المحاضر له
... مدافعة المعلق على العواصم من القواصم محب الدين الخطيب عن
مروان وجزمه أيضا بأن هذا الكتاب زوره الثائرون كما زوروا غيره
ومناقشته وإثباته على مروان
٣١٠ القول بأن علياً خرج من المدينة عند حصار عثمان باطل مكذوب عليه
٣١١ افساد مروان لكل ما أصلحه كبار الصحابة على وطلحة والزبير بين
عثمان وبين الثائرين عليه وشتمه الناس المتجمهرين على باب عثمان
وزجره لثائلة امرأة عثمان ونيله من أبيها واجابتها له واتيان عثمان لعلي
في بيته ليلا وجواب علي له من ابن الأثير .
٣١٢ اقتراؤه على عثمان وعلي وحكمه على ضمائر الصحابة وتمسكه في لمز
علي بالأباطيل .
٣١٤ مدافعة الصحابة رضى الله عنهم عن عثمان ومنعه لهم من القتال وعزمه
عليهم بكف أيديهم واستسلامه لقضاء الله .
٣١٥ إبطال زعمه مراسلات جرت بين علي وعثمان في مدة حصاره ولم

صحيفة

يذكر منها إلا الكتاب الذي ذكره المبرد في كامله وهو موضوع
لا أصل له .

٣١٥ تشديد الثوار الحصار على عثمان وقطعهم عنه كل شيء حتى الماء
وموقف على وأم حبيبة بنت أبي سفيان رضى الله تعالى عنهما في ذلك .

٣١٦ لم يكتب المحاضر التاريخ الاسلامى الدال على مدافعة الصحابة عن
عثمان وبرائتهم من دمه وإنما كتب هواه .

... من تأمل في التاريخ تبين له أن مروان من أسباب قتل عثمان رضى
الله عنه .

... لاصحبه لمروان ولم يصح له سماع من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

٣١٧ قد علم بنو أمية أن عليا برىء من دم عثمان كبراءة الذئب من دم
يوسف وقد أقسم مراراً في خطبه على ذلك وقال لو شاءت بنو أمية أن
أباهلهم عند الكعبة انى برىء من دم عثمان لفعلت .

... لعن على لقتله عثمان ودعاؤه عليهم .

٣١٨ بهتانه على بنى هاشم وبنى أمية .

٣٢٠ المحاضرة الثامنة والعشرون

... ذكره أربعة أسباب لقتل عثمان رضى الله عنه كلها باطلة إجمالاً

وتفصيلاً لأن جل كلامه فيها طعن في الصحابة رضوان الله عليهم .

٣٢١ ابطال السبب الأول باسهاب ويتلخص في رمية لجميع الصحابة بالمدينة

بالحسد والبغض لعثمان وحكمه على ما في قلوبهم وهو بهتان وافك

مبين مضاف لما وصفهم الله به من الرحمة ولما وصفهم به من محبته لهم

ومحبتهم له وذلّتهم لاخوانهم المؤمنين مناف لتسمية الله للمهاجرين

بالصادقين وللانصار بالمفلحين .

٣٢٤ ابطال السبب الثانى ويتلخص في نقده لعثمان بشدة الحياء والضعف

وكثرة التشاؤم وانه بسبب ذلك اسقط هبة مقام خلافته ولا بد

لمقام الخلافة من هيبة في القلوب واستشهد لهذا بضرب عمر لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما بالدرّة لما زاحم الناس لأخذ المال .

٢٢٥ ضرب عمر لسعد بالدرّة اسطورة ذكرها ابن جرير باطلة بسبعة أوجه
٣٢٦ لو صححت هذه الاسطورة لدلت على وصم عمر أيضاً بشدة الضعف الذي وصم به عثمان ولدل أيضاً لإغضاؤه عن شزيمة من أوباش الكوفة شكوا سعداً بغيا وتبين له افتراؤهم عليه ولم يؤدبهم على ذلك فعثمان على هذا أعذر منه .

٣٢٧ ابطال زعمه ان ولاية عثمان أشاروا كلهم عليه بالشدة على الثائرين .
... اعضاء شزيمة من أوباش الكوفة للفراروق .

... لو كان الحياء واللين من أسباب قتل عثمان ما طالت خلافته اثنتي عشرة سنة مضى نصفها منتظما في سلك الهناء محبوبا من جميع رعيته .

٢٢٨ ابطال السبب الثالث ويتلخص في زعمه في اذن عثمان لأعلام قریش بالخروج إلى الامصار وقد حجر عليهم الفاروق ذلك وان أهل البصرة كانوا يريدون طلحة وأهل الكوفة يريدون الزبير وأهل مصر يريدون عليا وان أعلام قریش تطلعوا إلى ولاية الامر وزعم هو اذتهم في القيام بنصرة عثمان واسترسلهم في الاقوال التي تحط من قدره وقد ابطلته مفصلا سابقا ولاحقا .

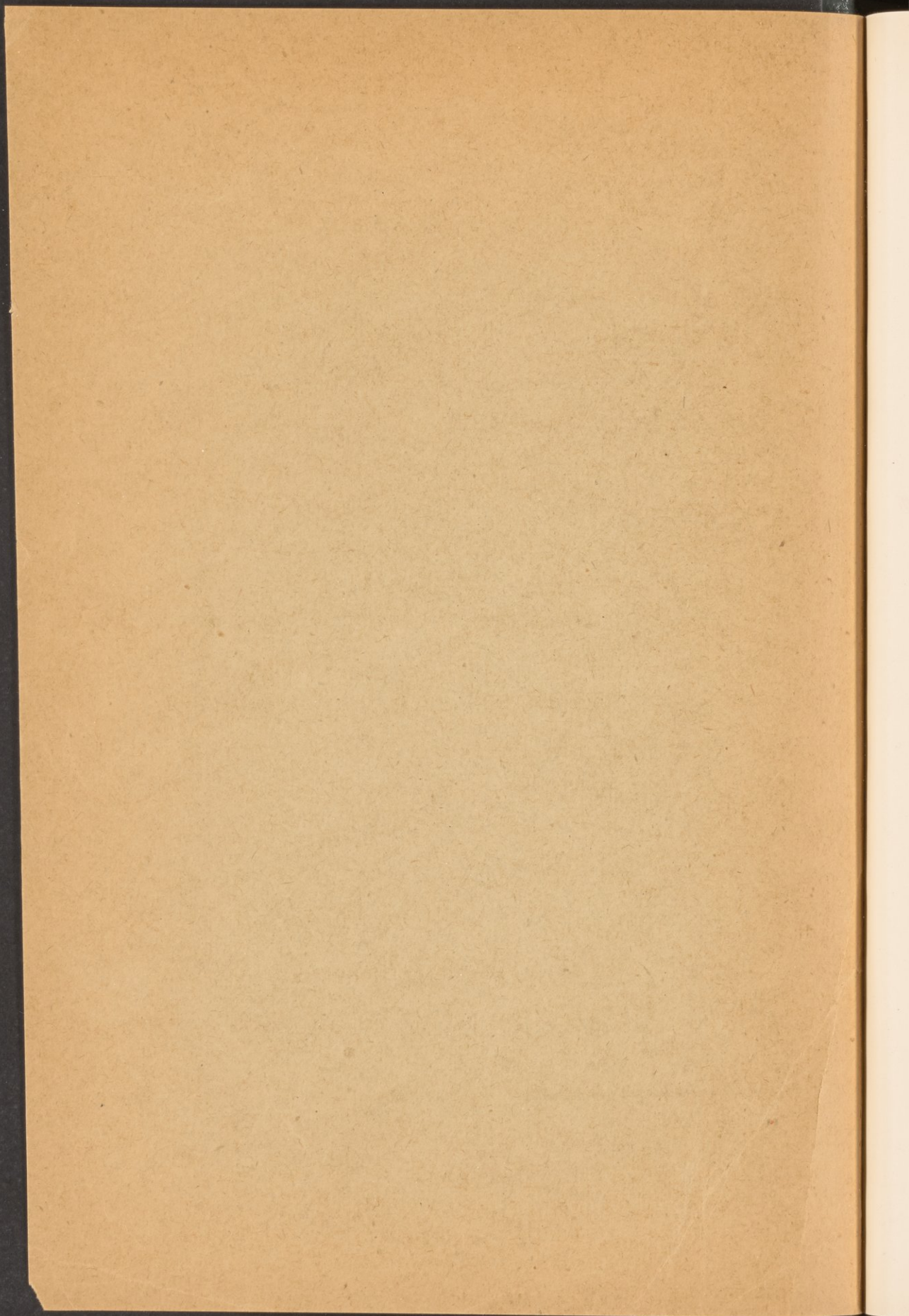
٣٣١ ثناء الله على الصحابة رضوان الله عليهم وثناء رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم عموماً وخصوصاً ونبيه عن التكلم فيهم وبعض الأحاديث الدالة على ذلك .

٣٣٣ ابطال السبب الرابع ويتلخص في زعمه في أمرين . الأول ابن سبأ هو القائد الاعظم للثورة الكبرى على عثمان . الثاني رميه لجميع العرب بالتغفيل لا بقيادهم لابن سبأ وقد ابطلته سابقا ولاحقا .

... السبب الوحيد في قتل عثمان واحد ولو قلت بتعدد أسباب قتله لقلت

- بسببين آخرين من قرابته وهما محمد بن أبي حذيفة بمصر وكاتبه وابن عمه مروان بالمدينة ،
- ٣٣٥ اساءة تعبيره وكذبه على التاريخ لرفعة مقام معاوية والخط من مقام علي .
- ٣٣٦ ابطال زعمه انه لم ير من العمال من استمر موثوقا به من عمر حياته كلها إلا أفراداً قلائل منهم معاوية وغلطه لتغاليه في معاوية ،
- ٣٣٧ ليس عيبيهم لابن أبي سرح كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بقتله يوم الفتح فقط بل لكونه أيضاً من مسلمة الفتح وقريب عثمان .
- ... لم يول الفاروق الوليد بن عقبة وإنما ولاه عثمان .
- ... غلظه في تولية عثمان لسعيد بن العاص .
- ... التحقيق في عيب الثوار لعثمان من أجل عماله إنما هو لقرابتهم له .
- ... ليست تولية قرابة الخليفة عيباً قادحاً فيه عند العقلاء اذا كانوا أكفأ لما أسند اليهم .
- ٣٣٨ لا تبعة على عثمان ولا على الناس والتبعة كلها محمولة على الثوار وحدهم
- ٣٣٩ ذكر ابن كثير في بدايته تنسيها برهن فيه على أن كثيراً من أهل المدينة كانوا غائبين عند حصار عثمان وقتله في الموسم والغزو وان الباقيين منهم دافعوا عنه أشد المدافعة ولكنه عزم عليهم ان يكفوا أيديهم وان الخوارج كثيرون .
- ٣٤٠ غلطة في عمال عثمان وتقويمه .

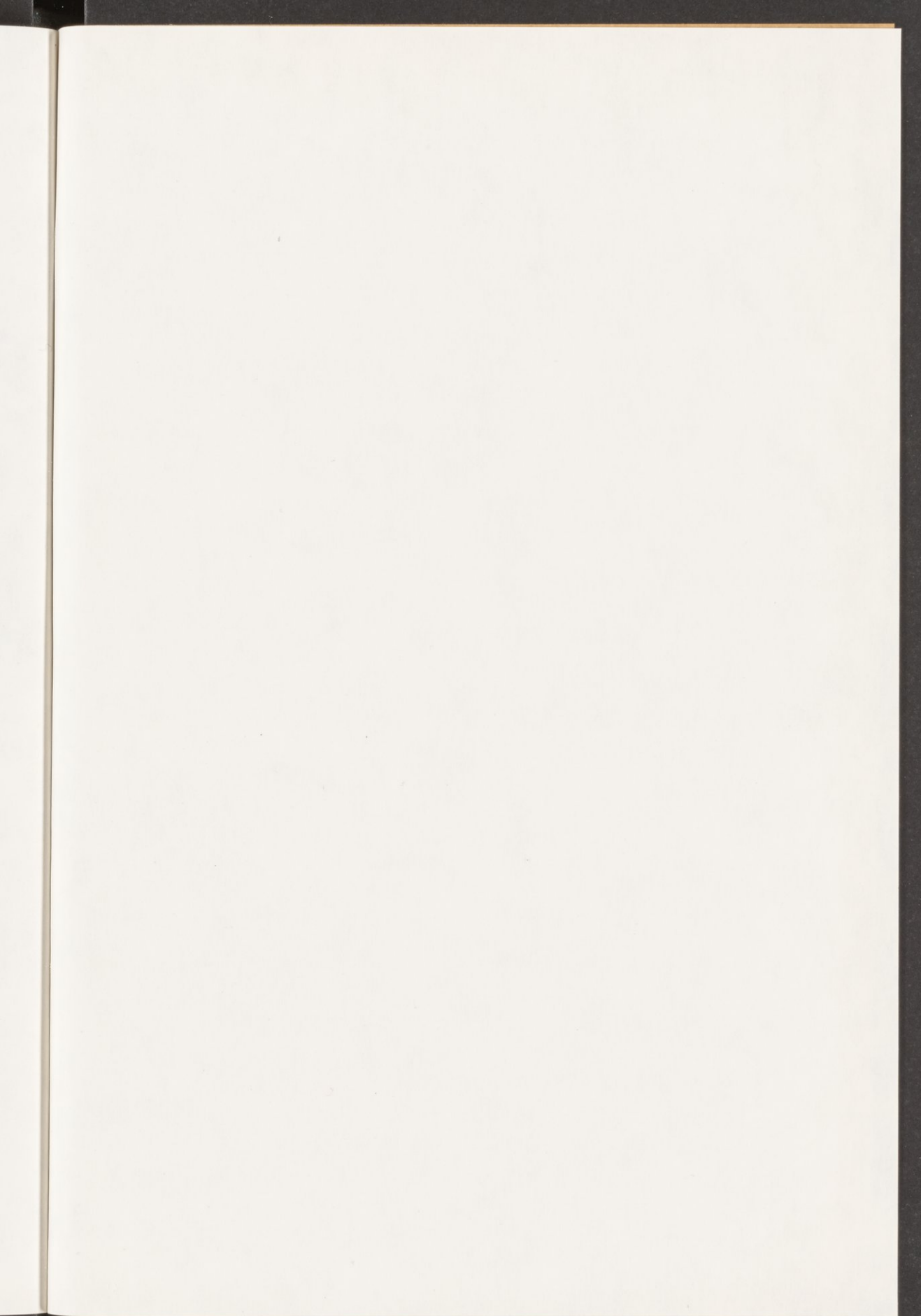
تم والحمد لله أولاً وآخراً

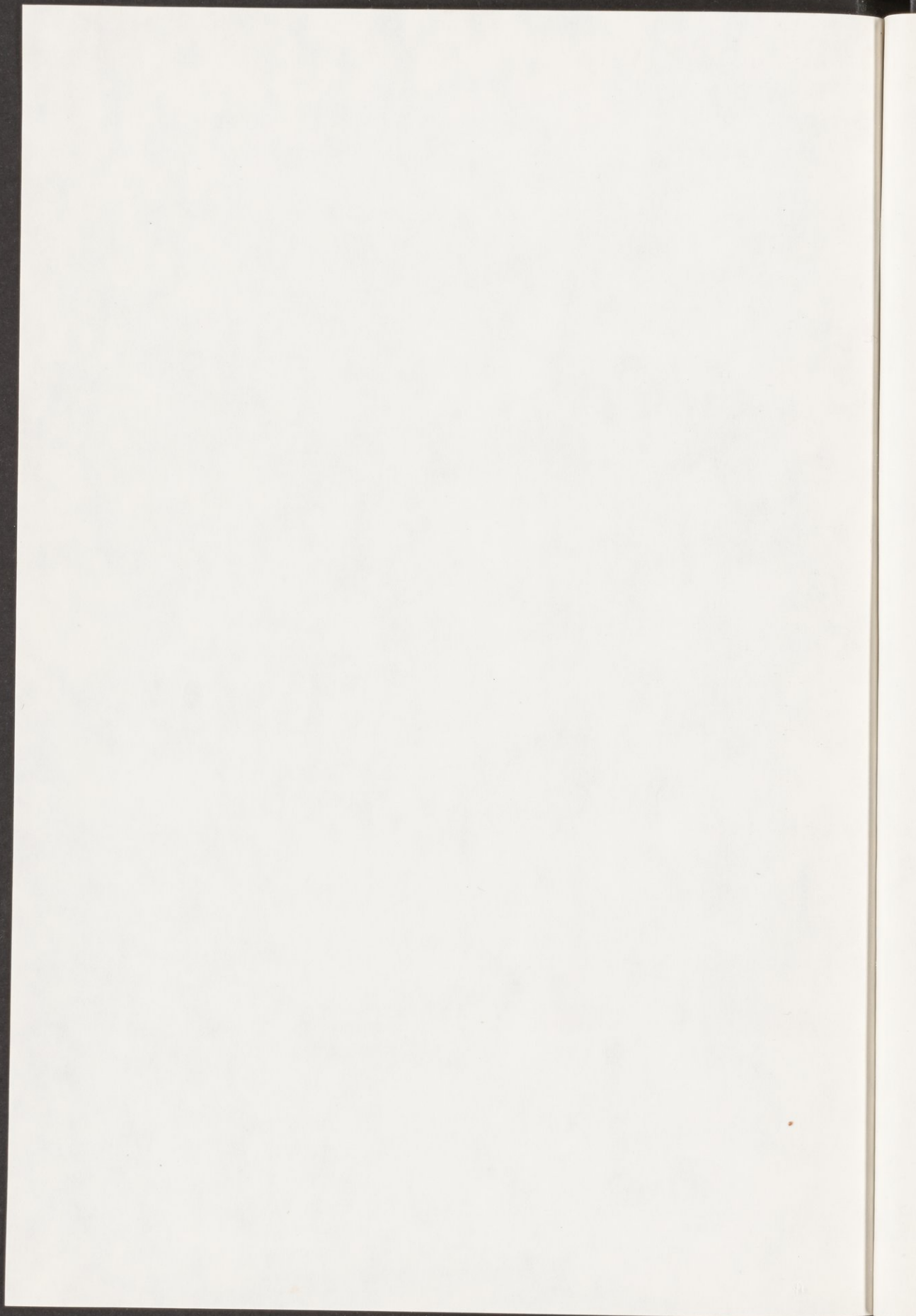


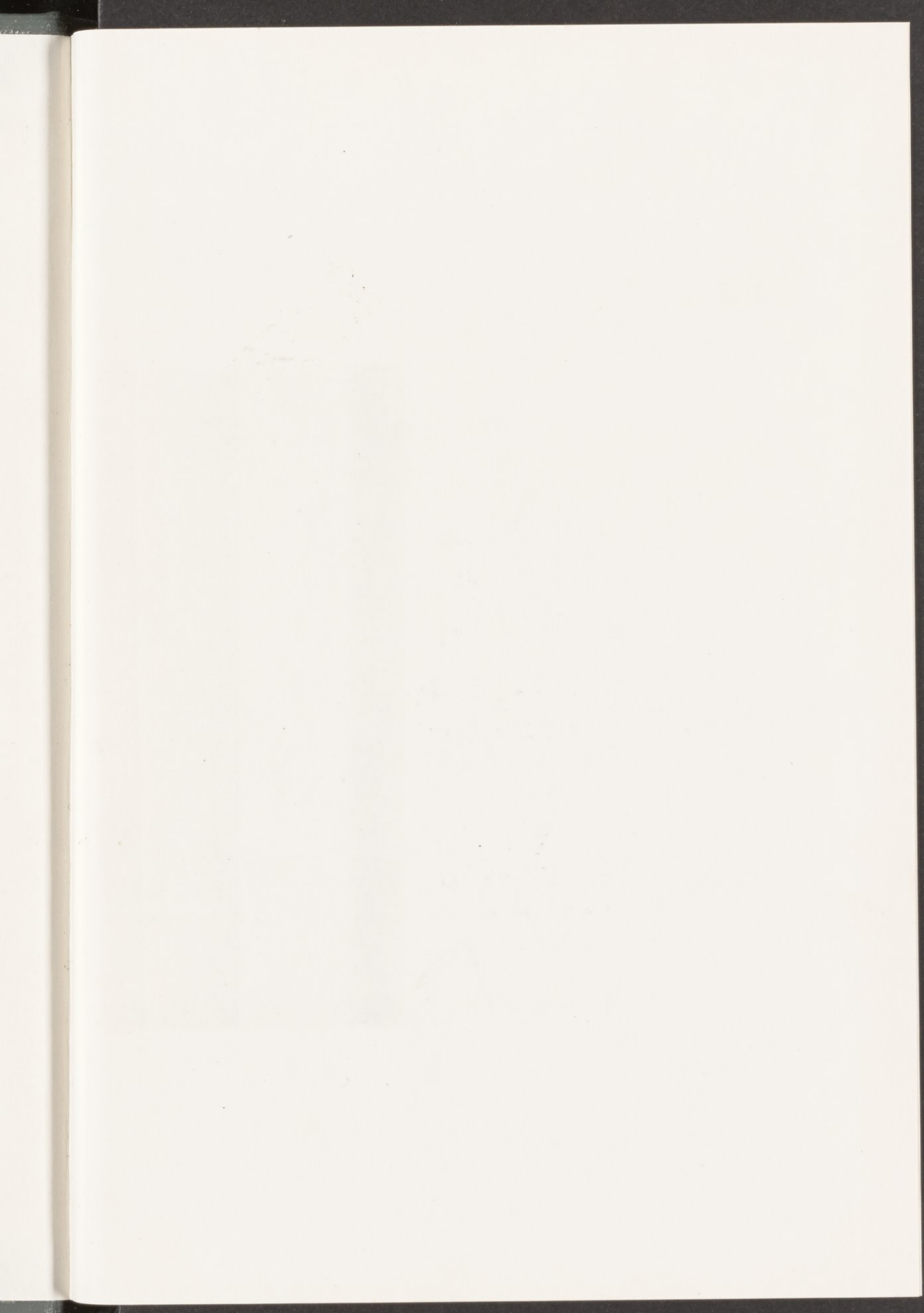
*

21











**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**



